

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد
ملحق العدد (٨٤) لشهر كانون الثاني لسنة ٢٠٢٣

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الإلكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

ملحق العدد (٨٤) لشهر كانون الثاني لسنة ٢٠٢٢

عدد الصفحات : ٥٧٠ صفحة

تصميم واخراج

علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكاشم للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. وفاء عدنان حميد
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. انعام مهدي علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا
أ.د. حسين القهواني	الاردن
أ.د. مارجريتا فان أيس	المانيا
أ.د. والتر زلابيرجر	المانيا
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليث مجيد حسين	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية

التصحيح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لى فائق جميل
التصحيح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
 - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
 - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
 - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
 - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام **Microsoft Office Word 2010** ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج **Microsoft Office Word 2010** ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .
ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word .
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥) يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر .

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس ملحق العدد (٨٤)

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	ت
٤٢-٣	أ.م.د. اثمار كاظم سهل	العلاقات الألمانية- الصهيونية ١٩٣٣- ١٩٣٩ (دراسة في أسس التقارب النازي الصهيوني)	١.
٦٤-٤٣	أ.م.د.انمار نزار عبد اللطيف الحديثي	الاساكل البونيقية	٢.
١١٦-٦٥	أ.د. جيني أوستبرله ترجمه للعربية: أحمد شعير	التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التأريخ والكارتوغرافيا	٣.
١٤٨-١١٧	د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي	(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)	٤.
١٧٠-١٤٩	م .د. رحيم خلف كاظم الشرع	الأفكار السياسية في صحيفة "الاستقلال"	٥.
١٩٦-١٧١	م. د. رياض خليل حسين	موقف الأردن من الوجود الفلسطيني على اراضيه ١٩٦٨-١٩٧٠	٦.
٢٣٢-١٩٧	ا.م. ميثم علي نافع	موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)	٧.
٢٦٠-٢٣٣	م.م . وفاء عويد مثكال	النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة (٥٤٠-٨٩٧هـ/١١٤٥-١٤١١م)	٨.
٢٨٨-٢٦١	م.م. زمن احمد عباس	حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال	٩.
٣٠٤-٢٨٩	لمياء سعد عكار أ.د. منذر علي عبد المالك	التشكيل الإداري في العصر الأشوري الحديث(٩١١-٦١٢ق.م)	١٠.
٣٢٨-٣٠٥	زهراء عبد حسين أ.د. صباح خابط عزيز	الالعباب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويج عن النفس (٤٤٨-٩١٨ هـ/ ١٠٥٦-١٥١٢م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان انموذجاً	١١.

٣٥٢-٣٢٩	ضحى علي حسين أ.د. غنية ياسر كباشي	مرويات الامام الباقر (عليه السلام) في مؤلفات اهل المغرب والاندلس	.١٢
٣٦٨-٣٥٣	ختام ماهود مسلم أ.د. كاظم عبد الله عطية	الآلات الزراعية في المشاهد الفنية	.١٣
٣٩٦-٣٦٩	لاوين جبار عثمان أ.م.د. آرام جلال حسن	مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية	.١٤
٤٢٠-٣٩٧	رهبام كاظم رضا جاسم الحسناوي أ. د . صباح خابط عزيز سعيد	الجوانب العسكرية واثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٩٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحى لأبن واصل (٦٩٧هـ/١٢٩٨م)	.١٥
٤٣٦-٤٢١	شيماء يونس سايب أ.م.د. حازم وطن هندي	موقف الخلفاء الفاطميين تجاه الجوانب الاقتصادية	.١٦
٤٦٨-٤٣٧	أ.م.د.سؤدد كاظم مهدي	السياسة الامريكية تجاه الصومال واثرها على منطقة القرن الافريقي ٢٠٠١-٢٠٠٦	.١٧
٥٠٠-٤٦٩	أ.م.د وليد سعدي محمد المياي	نصوص مسمارية غير منشورة مصادرة ذات مضامين اقتصادية (٢٠٠٤-٢١١٢ ق.م)	.١٨
٥٣٢-٥٠١	أنغام سليم محمد الدليمي	الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد	.١٩
٥٧٠-٥٣٣	م. د عباس علي خلف	التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة الثانوية	.٢٠

**العلاقات الألمانية- الصهيونية ١٩٣٣- ١٩٣٩
(دراسة في أسس التقارب النازي الصهيوني)**

أ.م.د. اثمار كاظم سهل

كلية الآداب / قسم التاريخ

Athmar.suhil@gmahl.com

Athmar.k@coart.uobaghdad.ed.iq

Mobil:07827181244

العلاقات الألمانية- الصهيونية ١٩٣٣- ١٩٣٩ (دراسة في أسس التقارب النازي
الصهيوني)

أ.م.د. اثمار كاظم سهل

ملخص البحث

على الرغم من إصدار مرسوم تحرير اليهود عام ١٨١٢ إلا أنه لم يؤد إلى حدوث اندماج مجتمعي بين اليهود والألمان، الأمر الذي دفع حكومة بروسيا منذ أواخر القرن التاسع عشر للبحث عن وطن قومي لليهود في فلسطين على اعتبار أنها أرض الميعاد المتفق عليها بين جميع اليهود. لم تتغير هذه السياسة طوال الفترة الممتدة من عهد الامبراطورية التي أعلنت مع الوحدة الألمانية عام ١٨٧١ مروراً بالحرب العالمية الأولى وحتى جمهورية فايمار التي انتهت على يد حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني والذي يعرف اختصاراً بالحزب النازي. لم تكن ألمانيا الهتلرية هي الآخرة بعيدة عن هذه السياسة التي جاءت منسجمة مع أيديولوجية الحزب لتنظيف المجتمع الألماني من اليهود لأنهم أقل رقياً من الجنس الآري-حسب الفكر النازي-، ووجودهم كان من أهم أسباب انحطاط الأمة الألمانية. فقد شهد الحكم النازي لأول مرة إجماع حكومي على أن تكون فلسطين هي الواجهة الأساسية لليهود الألمان وارتبط هذا التوجه في بداية الأمر بالأقناع والتحفيز عن طريق التعاون مع الحركة الصهيونية بتنظيم الهجرة إلى فلسطين عن طريق توقيع اتفاقية التهجير أو ما تعرف بالتسفير (الهاعفارا) عام ١٩٣٣ بين ألمانيا النازية والحركة الصهيونية، لتتخذ هذه السياسة بعد عام ١٩٣٣ سياسة القسر والتكليف لتنظيف ألمانيا من اليهود ودفعهم للهجرة إلى فلسطين. وقد كان لهذه السياسة مردودات سياسية واقتصادية انعكست إيجاباً على مشروع الحركة الصهيونية في بناء دولتهم في فلسطين.

لذلك فإن هدف هذه الدراسة أظهر أسس التقارب الفكري والأيديولوجي بين الحزب النازي من جهة و الحركة الصهيونية من جهة أخرى، والذي أضفى إلى تعاون عملي بين الطرفين لخدمة مصالحهم الأيديولوجية لاسيما ما يتعلق منها بتشكيل دولتهم وفقاً لنظريتهم

السياسية في تشكيل الدولة. ولا ثبات دور ألمانيا لاسيما خلال العهد النازي لدعم نشاط الاستيطان اليهودي في فلسطين . سوف تتناول الدراسة الجذور التاريخية لطبيعة العلاقات الألمانية اليهودية في مراحل تاريخ الدولة الألمانية المختلفة، بدأ من العهد الامبراطوري والعهد الجمهوري الى عهد النازي موضوع البحث والذي اتخذ شكل اكثر عملية في تنفيذ سياسة التهجير بموجب معاهدة التهجير او ما تعرف بمعاهدة الترحيل (الهافارا).

الكلمات الافتتاحية: المانيا ، النازية ، اليهود ، اتفاقية الهافاره، العلاقات الألمانية، المنظمة الصهيونية.

German-Zionist Relations 1933-1939
(A study in the foundations of the Nazi-Zionist rapprochement)

Asst.prof.dr.Athmar.kazamsuhil

ABSTRACT

Despite the issuance of the emancipation decree of the Jews in 1812, it did not lead to social integration between the Jews and the Germans, which prompted the Prussian government since the late nineteenth century to search for a national home for the Jews in Palestine on the grounds that it is the promised land agreed upon by all Jews. This policy did not change throughout the period extending from the era of the empire, which was declared with German unity in 1871, through the First World War, and until the Weimar Republic, which ended at the hands of the German National Socialist Workers Party, known as the Nazi Party for sho

Aryan race - according to the Nazi ideology - and their presence was one of the most important reasons for the decline of the German nation. For the first time, the Nazi regime witnessed a governmental consensus that Palestine be the main interface for German Jews. This approach was linked at the beginning to persuasion and motivation through cooperation with the Zionist movement in organizing immigration to Palestine through the signing of the Displacement Agreement or what is known as the Ha'avara in 1933 between Germany. Nazism and the Zionist movement, to adopt this policy after 1933 the policy of coercion and abuse To cleanse Germany of the Jews and push them to immigrate to Palestine. This policy had political and economic repercussions that reflected positively on the Zionist movement's project to build their state in Palestine.

Therefore, the aim of this study is to show the foundations of the intellectual and ideological convergence between the Nazi Party on the one hand and the Zionist movement on the other, which added to practical cooperation between the two parties to serve their ideological interests, especially those related to the formation of their state according to their political theory of forming the state. And to prove the role of Germany, especially during the Nazi era, to support Jewish settlement activity in Palestine. The study will deal with the historical roots of the nature of German-Jewish relations in the various stages of the history of the German state, starting from the imperial era and the republican era to the Nazi era, the subject of research, which took a more practical form in implementing the displacement policy according to the displacement treaty, or what is known as the deportation treaty Ha'avara .

Introductory words: Germany, Nazism, the Jews, the Havarra agreement, German relations, the Zionist Organization.

المقدمة

- "ليس لدينا ما يشعرنا بالعار باستعمال قمع اليهود في ألمانيا من اجل بناء دولة اليهود في فلسطين..... شيئاً ما يتم بنائه وسيحول المخاوف التي نتحملها جميعاً الى اثمان واساطير لاحفادنا" ا حاييم وايزمان في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر في لوزان ١٩٣٥ (Goldmann, p.190).

- " حصل هتلر على الملايين من أموال اليهود الأمريكيين مقابل تهديد ستمائة الف يهودي في ألمانيا" ناوكمولدمان زعيم المؤتمر الصهيوني, (Goldmann, p.190) .
تعكس هذه التصريحات لأبرز قادة الحركة الصهيونية طبيعة العلاقة بين ألمانيا النازية والحركة الصهيونية تلك العلاقة التي سعت وسائل الإعلام الصهيونية اخفائها والتركيز على وسائل التنكيل والتهجير التي تبعتها الحزب النازي ضد اليهود بهدف استخدام هذه السياسة للتعبير عن مظلمة اليهود في العالم من اجل الحصول على دعم الرأي العام الاوروبي والامريكي للدفاع عن حق اليهود بأن يكون لهم وطن قومي خاص بهم في فلسطين .
من جانب آخر سعة الصهيونية العالمية لإبراز مشروع استيطان اليهود في فلسطين على انه مشروع بريطاني خالص وأول صورة العملية جاءت عام ١٩١٧ مع إطلاق اللورد

بلفور وعده لليهود لإنشاء وطن خاص بهم في فلسطين ، وان ألمانيا كانت بعيدة عن مشاريع استيطان اليهود في فلسطين لا سيما وأن علاقتها مع اليهود ظلت أسيرة لمسيرة التأريخ الألماني المعاصر لاسيما خلال فترة الحكم النازي لارتباطه بحادثة حرق اليهود (الهولوكوست) ، واعتماد سياسة تجاهل متعمد لطبيعة العلاقة بين الحزب النازي و المنظمة الصهيونية العالمية ، تلك العلاقة التي كان لها الفضل في تهجير ما يقارب ثلاثة وخمسين الف ومئتي نسمة الى فلسطين من بينهم ٨٠٠٠ يهودي من اثرياء ألمانيا ليشكل هؤلاء ٢٥% من مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين بموجب اتفاقية هاعفار واتفاقية الهافاره حسب ما تذكرها بعض المصادر. (محافظة، ١٩٨١، ص ٢٠٥)

لذلك فأن هدف هذه الدراسة اظهر اسس التقارب الفكري والايديولوجي بين الحزب النازي من جهة و الحركة الصهيونية من جهة اخرى، والذي أضفى الى تعاون عملي بين الطرفين (اتفاقية هاعفار) لخدمة مصالحهم الايديولوجية لاسيما ما يتعلق منها بتشكيل النظام السياسي الخاص بكل منهما وفقا لنظريتهم السياسية في تشكيل الدولة .

ولاثبات دور ألمانيا لاسيما خلال العهد النازي لدعم نشاط الاستيطان اليهودي في فلسطين وفقا لسياسة الغاية تبرر الوسيلة . ومن اجل الاحاطة بطبيعة العلاقة بين الطرفين سوف يتم تناول الجذور الاولى للتوجه الالمانى نحو توطين اليهود في فلسطين ، من خلال استعراض طبيعة العلاقة بين الالمان واليهود تلك العلاقة التي اتخذت منحى مختلف في كل مرحلة من مراحلها وفقا لطبيعة النظام القائم في ألمانيا وتأثير العوامل الخارجية على هذه العلاقة . واخيرا ابراز طبيعة هذه العلاقة في العهد النازي الذي لم يكن بعيد عن مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين كما كانت تدعي الحركة الصهيونية.

- الجذور الاولى للتوجه الالمانى نحو توطين اليهود في فلسطين

قبل أن يبدأ هرتزل بإصدار كتابه (دولة اليهود) وقبل ان تبني المستوطنة الصهيونية الاولى ظهرت جماعة في جنوب غرب ألمانيا اطلقوا على انفسهم اسم الهيكلين وشكلوا جمعية عرفت بأسم جمعية الهيكل الالمانى (Deutsche Tempel Gesellschaft) عام ١٨٦١ والتي تعود في أصولها الى حركة الاتقياء Pietismus التي ظهرت في ألمانيا في القرن السابع عشر كحركة دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية واستمرت حتى نهاية القرن

التاسع عشر ،وتركزت حول فكرة قيام مملكة الرب في القدس بعد عودة المسيح الى الأرض. اعيد تنظيم حركة الاتقياء عام ١٨٦١ تحت اسم جماعة الهيكل الالمانية من اجل تجديد حياة" شعب الله" الدينية والاجتماعية . ومن اجل ان تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الألمانية رفعت شعارات تخدم القومية الألمانية فقد جاء في احد بياناتها" ان روح الشعب الالمانى ومزياه ينبغي ان تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار فلسطين... ولا بد من السعي لدى السلطة الألمانية لمتابعة تحقيق هذا الهدف"(محافظة، ١٩٨٠ص ٢٢١)

ومع انتهاء حرب القرم بدأت جماعة الهيكل يروجون لفكرة قرب انهيار وتفكك الدولة العثمانية وبدأت تحضر للعودة الى الارض المقدسة وبناء هيكل الرب في الارض المقدسة بعدهاالوسيلة الوحيدة لسعادة الافراد والشعوب على حد سواء .وكان كريستوف هوفمان christophHoffmam* مؤسس جمعية الهيكل يرى ان تكون الارض المقدسة ملكا لشعب الله المختار

مؤكدًا" ان الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي، غير أن هذا الشعب غرق في الفساد والرذيلة ،ولم يعد شعبا مقدسا ،و الهيكليون وحدهم أوجدوا المقدس الجديد شعب الله"(عاصي، ٢٠١٦، ص٣)

وجد هذا المشروع استحسانا لدى بعض الشخصيات الألمانية،وبناء على فكرته قدم هلموت فون مولتكهHelmuth von Moltke*مشروعا لاستعمار فلسطين تحت عنوان (المانيا وفلسطين)،وقد نشر في صحيفة (AugusburgerAllgeneineZeitung) عام ١٨٤١ وأثار اهتمام الرأي العام الالمانى والاوربي،نص على إنشاء "مملكة القدس " في فلسطين وان تكون هذه المملكة مركزا متقدما للحضارة الأوروبية وانموذجا للتطور الاقتصادي في الشرق ،ودولة واقية بين مصر وسورية في حال قيام مملكة وراثية في مصر ،تحول دون أي اعتداء على الدولة العثمانية، وجسراً يربط اوربابالقارة الهندية ، ويرى مولتكه ان قيام هذه المملكة سيكون بعثاً للتقاليد والقيم الصليبية و نصراً معنوياً عظيماً تحققه المسيحية في العالم. و اقترح ان يكون على رأس هذه الدولة أمير الماني يتمتع بسلطة مطلقة ويتصف بروح التسامح .فهو يرى ان اعتلاء امير الماني لعرش مملكة القدس سوف

يبعد فلسطين عن تاثير المنافسات السياسية القائمة آنذاك بين الدول الأوروبية (Richter,1970,p.237).

تحمس ملك بروسيا فريدريك وليام الرابع (١٨٤٠-١٨٦١)^(*) لهذا المشروع . لاسيما وانه سيحقق له هدفين أساسيين،الأول: أظهر ألمانيا أمام السلطان العثماني بمظهر المدافع عن الدولة العثمانية لاسيما وان الجنرال مولتكه عمل في إعادة تنظيم وتدريب الجيش العثماني بين عامي ١٨٣٥ او ١٨٣٩ ويتمتع بأحترام وحب وتقدير عالي من قبل الطبقة العسكرية العثمانية ، وبالتالي اقتراحه لمثل هكذا مشروع سوف لن يفهم من قبل الجانب العثماني على أنه اقتطاع جزء من الدولة العثمانية واحتلاله من قبل المانيا،بل سيفهم على انه احد الركائز الاستراتيجية العسكرية لحماية الدولة العثمانية من الاعتداء وضمان جعلها جسرا للتبادل الاقتصادي بين اوروبا وباقي اجزاء الدولة العثمانية ،(p.237Richter).

اما الهدف الثاني :وهو الالهم ايجاد حل لمشكلة اليهود الالمان عن طريق ايجاد وطن جديد لهم خارج المانيا ،فعلى الرغم من صدور مرسوم تحرير اليهود عام ١٨١٢ واعطائهم حق المواطنة لم يؤد ذلك الى حل المسألة اليهودية بالكامل في المانيا. نتيجة عوامل نفسية واجتماعية ودينية كانت تؤدي دورها في عدم حصول دمج مجتمعي بين اليهود وبين المواطنين الالمان وذلك بسبب انغلاق اليهود اجتماعيا واعتبار انفسهم قومية مميزة، ورفض محاولات تنصيرهم ودمجهم في المجتمع الألماني، بالمقابل لم يقبل المتشددون من الالمان تسرب القومية اليهودية ولا اليهودية كعقيدة الى المجتمع الالمانى. الى جانب ذلك ادى التحول الاقتصادي في المانيا دورا مهما في تغذية روح العداة ضد اليهود من جراء هيمنة الرأسمال اليهودي على القطاعات المالية والتجارية لاسيما خلال عصر الملك فريدريك الثاني او ما يعرف بفردريك العظيم (١٧٤٠-١٧٨٦)،اذتمتعت الرأسمالية اليهودية بامتيازات خاصة في حقول النشاطات الصناعية والمالية واستثمار الاراضي وذلك تقديرا لدعمها المالي للدولة البروسية خلال حربيها ضد النمسا وروسيا (حرب السبع سنوات ١٧٥٦-١٧٦٣). الامر الذي ادى الى ترسيخ الرأسمالية اليهودية في كافة قطاعات الاقتصاد الألماني وبالتالي اشتداد المنافسة مع التجار الالمان الذين أخذوا يشكون من هيمنة الرأسمال اليهودي على الاقتصاد الالمانى . (سنو ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨٧)

في حين كان الفيلسوف الألماني يوهان فيخته Fichtennjohan يرى أن اليهود جسم غريب في المانيا ويشكلون دولة داخل دولة ، وعلى الرغم من دعوته الألمان لاحترام حقوق اليهود الا انه قال " اما ان نعطي اليهود حقوق المواطنة وهذا لا يتم إلا إذا استبدلنا في ليلة واحدة رؤوسهم برؤوس اخرى خالية من الأفكار اليهودية و لكي نحمي أنفسنا منهم فلا ارى سوى فتح ارض الميعاد لهم وترحيلهم جميعا الى هناك" .
(Fichte,1973,p.115)

وفي الحقيقة ان فكرة توطين اليهود في ارض الميعاد(فلسطين) لم تكن جديدة بالنسبة للدوائر السياسية الأوروبية فقد دعا نابليون بوناپرت عندما زحف الى فلسطين من مصر عام ١٧٩٩ الى طلب العون من اليهود مقابل توطينهم في فلسطين بعدهم الورثة الشرعيين لفلسطين -حسب رأيه- (الزغبي، ٢٠١٢، ص٢٤٤) . ورغم فشل حملة نابليون الا ان الاطماع بارض فلسطين لم تهدأ ، ففي عام ١٨٥٣ كتب كريستيان بونسن Christian Bunsen أحد الشخصيات المقربة من ملك بروسيا ومن الشخصيات المروجة لمشروع ترانسفير(ترحيل) اليهود الى فلسطين بشرط تصديرهم، الى وليم غلادستون*) (william Gladstone وزيرالخزانة البريطانية (١٨٥٢-١٨٥٥) الذي كان من مؤيدي فكرة توطين اليهود في فلسطين قائلاً: " الا ترى بمشيئة الله في إنشاء كنيسة انجليكانية وجماعة من المنتصرين اليهود على جبل صهيون في القدس الا ينبغي ان نعمل شيئاً لاستغلال الأحداث السياسية التي تتحكم بها مشيئة الله والتي يشكل تصادفها اشارة على انبعاث صهيون". (سنو، موقف المانيا من تهويد فلسطين ١٨٤٠-١٩١٨، ص٢)

ويقصد هنا بالاحداث السياسية فيما يعرف بـ "المسألة السورية" واستعادة السلطنة العثمانية سيطرتها على سوريا بعد ان سيطر محمد علي باشا على الشام عام ١٨٣١ بفضل الدعم الاوربي. لذلك يرى بونسن ان على الباب العالي رد الجميل لاوروبا بفتح ابواب فلسطين امام هجرة اليهود. (عن هذا الموضوع ينظر: بازيلي، ١٩٨٩، ص١٣٤-١٣٧)

لقد كان غلادستون من مؤيدي فكرة توطين اليهود في فلسطين لكن من زاوية مصالح بريطانيا الاستراتيجية والتجارية في المنطقة ، وبسبب ضعف التأثير البروسي في الدولة العثمانية

في تلك الحقبة من تاريخها، احتاجت الى مظلة دولية أوروبية قادرة على تنفيذ مخططاتها في ترحيل اليهود الى فلسطين وقد وجدت ذلك في انكلترا بعدما تلاقت مشاريعهم لتتصير اليهود وتوطينهم في فلسطين. وهذا ما يبرر توجه كريستيان بونسن لطلب المساعدة من بريطانيا.

ومع قيام الامبراطورية الالمانية عام ١٨٧١ وإصدار الدستور الالمانى الاتحادي لعام ١٨٧٢ والذي اكد على المساواة بين الألمان جميعا، الا ان ذلك لم يدفع اليهود الى الاندماج في بوقية المجتمع الالمانى ولم يضع حدا لكره اليهود في المجتمع الالمانى، وظهور جماعات أخذت تحذر بشدة من الهجرات الواسعة لليهود الروس الى المانيا وخطرهم على القومية الالمانية. وفي عام ١٨٧٨ تقدم اليهود بمذكرة الى المستشار الالمانى بسمارك طالبوا فيها بإقامة دولة يهودية في فلسطين، فكان رد المستشار على هذا الطلب بالقول: "انها فكرة حمقاء". (محافظة، ص ١٤١)

ردا على هذه السياسة نشط اليهود وأنصارهم في ألمانيا بنشر السامية والدفاع عنها وتم تأسيس عدد من الجمعيات لهذا الغرض منها جمعية محبي صهيون في برلين برئاسة اليهودي زيميل S.Simmel وجمعية اسرائيل الفتاة و اتحاد الطلبة اليهود في المانيا الذي ظهر عام ١٨٩٢ وغيرها من الجمعيات الاخرى التي اخذت تطالب بأن يكون لليهود وضعهم الخاص في المانيا طالما ترفض الحكومة دعم توجهاتهم لدى الباب العالي في اسطنبول لتشكيل دولتهم في فلسطين. (هنداوي، ٢٠١٥، ص ١٨٨)

كان ممكن لهذه السياسة ان تأتي ثمارها. الا ان السياسة الخارجية الالمانية شهدت تغيرا واضحا عام ١٨٨٠ نحو الدولة العثمانية ففي هذا العام وافق المستشار الالمانى بسمارك على طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين. وبدأت المانيا منذ ذلك الحين الغزو الاقتصادي للدولة العثمانية واصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها هدف مهم من أهداف السياسة الخارجية الألمانية واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين والاداريين الالمان. واخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الألمانية. في حين اخذت البواخر الالمانية تتردد بانتظام على الموانئ العثمانية. و في عام ١٨٨٩ تم تأسيس (شركة بواخر الشرق الألمانية) وبدأت رحلاتها باربعة بواخر ثم زادت

عدها الى العشرين في مطلع القرن العشرين، وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة ألمانية على امتياز بناء سكة حديد الأناضول. (Isaiah,1977,p.128)

ولعل ابرز الاحداث السياسية التي شهدتها العلاقات العثمانية- الالمانية هي زيارة الامبراطور وليم الثاني

(١٨٨٨-١٩١٨) الى الدولة العثمانية في تشرين الأول ١٨٩٨ وهي الزيارة الثانية الى الشرق (الزيارة الاولى كانت عام ١٨٨٩) وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة هو الحج الى الأماكن المقدسة. وفي ١٨ تشرين الاول ١٨٩٨ حصل لقاءان في الاستانة والقدس على التوالي بين هرتزل و الإمبراطور الالمانى وفيها حدد الزعيم الصهيوني مطالبه من المانيا بإنشاء (شركة قانونية تحت الحماية الألمانية) تشرف على الترانسفير (الترحيل)اليهود الى فلسطين. وقد حظى هذا الطلب على موافقة الإمبراطور وتم الاتفاق على لقاء ثان بينهما في فلسطين. وفي القدس القى هرتزل خطابا امام الامبراطور وقدم له البوم يحتوي على صور المستعمرات اليهودية في فلسطين وفيه حدد الزعيم الصهيوني أهداف الصهيونية وهي: " ايجاد وطن معترف به ومضمون للشعب اليهودي في فلسطين" (Isaiah, p.129).

وفي رده على هرتزل قال العاهل الالمانى " ان جميع الجهود التي تهدف الى النهوض بالزراعة في فلسطين لأجل رخاء الدولة العثمانية يمكنها ان تحصل على اهتمامي وعطفي مع مراعاة كاملة لسيادة السلطان". وكان ذلك بمثابة رداً واضحاً على امانى الحركة الصهيونية في تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بمساعدة المانيا. و بتعيين برنارت فون بولوف Bernhard von Bulow*

مستشارا عام ١٩٠٠ ازداد موقف الحكومة الألمانية تصلبا اتجاه الحركة الصهيونية خوفا على مصالحها في الشرق، فقد كان من الشخصيات التي تحذر من سياسة الانجراف وراء المشاريع الصهيونية، مما يزعزع العلاقة مع الدولة العثمانية. (الشناوي، ١٩٨٦، ج٣، ص ٣٤٩) ولم يحدث تطور في الموقف الالمانى تجاه الحركة الصهيونية الا عام ١٩١٤ مع اندلاع الحرب العالمية الاولى فتحول الموقف الالمانى من الحركة الصهيونية الى نوع من التعاطف، بهدف كسب يهود الولايات المتحدة الامريكية الى جانبها، للضغط على الحكومة الامريكية للبقاء على الحياد، فتم استحداث "دائرة شؤون اليهود في

وزارة الخارجية الألمانية". وبدأت الحماية الألمانية للمستوطنات اليهودية في فلسطين ضد سياسة جمال باشا (وهو الحاكم العام لسوريا وفلسطين والحجاز من ١٩١٤-١٩١٧) أكثر ثباتاً. كذلك تعاونت القيادة الصهيونية مع ألمانيا من أجل انشاء "لجنة تحرير يهود روسيا في برلين". ونتيجة لهذا التعاون، حصل زعماء الصهاينة اليهود على جوازات سفر ألمانية وكان هدف هذه السياسة الحصول على دعم اليهود لاسيما يهود الولايات المتحدة الأمريكية للتأثير على قرار واشنطن للبقاء على الحياد أثناء الحرب العالمية الأولى. إلى جانب ذلك أسست ألمانيا وبالتعاون مع الدولة العثمانية اللجنة الشرقية التي كان من مهامها معالجة الآثار السلبية للسياسة العثمانية اتجاه اليهود. (الشيخ، ٢٠١٢، ص ١١)

دفعت هذه التطورات الايجابية في موقف الحكومة الألمانية الزعيم الصهيوني فيكتور جاكسون Victor Jacobson إلى دعوة الحكومة الألمانية للضغط على الدولة العثمانية بأبوابها حليفاً لها في الحرب العالمية الأولى إلى اصدار تصريح يتضمن تعاطفهم مع الألماني الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، لكن هذا الطلب لم يجد أذناً صاغية في الخارجية الألمانية بسبب معارضة السفارة الألمانية في الاستانة لهذا التوجه فقد كان السفير الألماني مارشال فون بيبير شتاين marschall von bieberstein معادياً للصهيونية ويعتقد ان تأييد بلاده لها سوف يسيء إلى علاقاتها بالسلطنة. (محافظة، ١٩٨١ ص ١٤٤) وعشية دخول الولايات المتحدة الحرب جددت الصهيونية مطالباتها للحكومة الألمانية باصدار اعلان لصالحها. لكن السفير الألماني في الاستانة وجه رسالة إلى المستشار الألماني في ٢٦ اذار ١٩١٧ قلل فيها من تأثير اليهود على القرار الأمريكي بدخول الحرب و بان موقف الصهيونية لم يعد له قيمة بعد قطع واشنطن العلاقات الدبلوماسية مع برلين. وفي نيسان ١٩١٧ اعلنت الحكومة الأمريكية الحرب على ألمانيا. (سنو، موقف ألمانيا من مشروع تدويل القدس، ١٩٨٤، ص ٥٨)

وبدخول واشنطن الحرب حدث نوع من البرود في الموقف الألماني من الحركة الصهيونية بعد فشلها في ابقاء واشنطن على الحياد. لم يتحرك هذا البرود الا في منتصف عام ١٩١٧ وتحديداً بعد اصدار بريطانيا لوعدها المشئوم لليهود على لسان وزير خارجيتها ارثر بلفور الذي منحهم فلسطين لاقامة دولتهم المنشودة، وذلك تقديراً لجهودهم في دعم

المجهود العسكري البريطاني، الأمر الذي كان يعني تقوية يهود بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على يهود ألمانيا في تزعم المنظمة الصهيونية في فلسطين ونتيجة لذلك تزايد الضغط اليهودي في ألمانيا على الحكومة في برلين لإصدار تصريح لصالح الصهيونية بهدف الحيلولة دون سيطرة يهود بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على المنظمة الصهيونية العالمية، مؤكداً أن الحركة الصهيونية العالمية أصبحت عاملاً مهماً في السياسة الدولية، وأخذت الصحف الصهيونية في ألمانيا تدفع الحكومة بهذا الاتجاه مؤكدة بأن الوقت ما يزال أمام ألمانيا لاستعادة تأييد المنظمة الصهيونية العالمية، وتقوية مركزها الدبلوماسي وقد يكون هذا مفيداً لها على أبواب مؤتمر السلام. (سنو، موقف ألمانيا...، ١٩٨٤، ص ٥٨-٥٩)

وفي ظل تأثير وعد بلفور و ضغط القيادات الصهيونية في ألمانيا على حكومة برلين قررت الحكومة اتباع سياسة جديدة تجاه الحركة الصهيونية، بدأتها بإنشاء قسم شؤون اليهود في وزارة الخارجية بأشرف البروفيسور الصهيوني الألماني موريتزسوبرنهام (Moritzsobernheim). وفي أيار ١٩١٨ تأسست في برلين وبدعم كامل من الحكومة الألمانية، اللجنة الألمانية لتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين وتعرف أيضاً باسم اللجنة الفلسطينية- الألمانية ضمت شخصيات يهودية وألمانية من كل الأطياف السياسية والإيديولوجية تجمعها قناعة واحدة هي (فيما لو أراد الألمان الحفاظ على مصالح ألمانيا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية فأن عليهم دعم المشروع الصهيوني في فلسطين) (David, 1979, p.143) وحددت اللجنة هدفها السياسي بـ "تعزيز الجهود الصهيونية لإنشاء وطن يهودي في فلسطين لأنها ظاهرة ذات أهمية تاريخية قصوى تحظى بعناية فوق العادة من السياسة الألمانية)، وشددت اللجنة على أن دعم الاستيطان في فلسطين سيمكن الحكومة الألمانية من الحصول على المكاسب السياسية والاقتصادية والثقافية وتدعيم مركزها استراتيجي المهم في الشرق الأوسط من خلال تعزيز التأييد اليهودي لها حول العالم. (David, 1979, p.143)

استغلت الحكومة الألمانية زيارة الصدر الأعظم طلعت باشا إلى برلين في كانون الثاني عام ١٩١٨ ولقائه الزعيم اليهودي ألفريد نوسيج Alfred Nossig* وتصريحه بأن

الحكومة العثمانية سوف تعيد النظر بموقفها من اليهود حالما تنتهي الحرب بصورة تحقق أمانهم ،على اثر هذا التصريح اصدرت الحكومة الالمانية تصريحاً رسمياً جاء فيه : "نحن نؤيد رغبة الأقليات اليهودية في البلدان التي لهم فيها ثقافة متطورة في ان تخط طريقها الخاص بها،ونميل الى دعم أمانهم ، اما بالنسبة الى أماني اليهود وبخاصة اماني الصهيونية منهم ،في فلسطين فان الحكومة الألمانية ترحب بالتصريح الذي ادلى به مؤخراً الصدر الأعظم ،طلعت باشا والذي عبر فيه عن رغبة الحكومة العثمانية وضمن قدرة البلاد الاستيعابية على فتح باب الهجرة غير المقيدة امام اليهود الى فلسطين ،والعمل على قيام حكم ذاتي لليهود يتفق وقوانين البلاد حال انتهاء الحرب بما يتمنون". (سنو،المانيا وسياسة الاندفاع،١٩٨٩، ص ص ٢٨٢-٢٨٣)

لم تجن الحكومة الالمانية ثمار هذه السياسة على اثر هزيمتها في الحرب العالمية الاولى. الا ان المشروع الذي ظهرت بوادره على شكل لجنة سوف يعاد تشكيله بصيغة اكبر في العهد النازي الذي سيتولى ادارة المانيا بعد عام ١٩٣٢ كما سنلاحظ في هذا البحث

- اليهود في العهد الجمهوري (جمهورية فايمار)

بعد انهيار الحكم الامبراطوري في المانيا على اثر هزيمتها في الحرب العالمية الاولى تم تشكيل حكومة ديمقراطية اعتمدت النظام الجمهوري نظاماً جديداً لادارة البلاد و عرفت هذه الحقبة من تاريخ المانيا (١٩١٩-١٩٣٣) باسم جمهورية فايمار Weimar Republic نسبة الى مدينة فايمار التي اعلن فيها عن تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة فردريك ايبرت* Friedrich Ebert (١٩١٩-١٩٢٥) . ومن الطبيعي ان تؤدي الاوضاع الجديدة الى حدوث تغيير جذري في توجهات السياسة الخارجية الالمانية، فلم تعد مسألة الأندفاع نحو الشرق للبحث عن مكان تحت الشمس او الحفاظ على الدولة العثمانية للحفاظ على مصالحها الاقتصادية فيها ، تمثل اي اهمية في توجهات الجمهورية الالمانية الجديدة. وبالتالي لم يعد موقف المانيا من دعم الحركة الصهيونية مرتبطاً بطبيعة العلاقات الالمانية- العثمانية.

بالمقابل حلت مسألة التعويضات التي فرضت على ألمانيا بموجب معاهدة فرساي في أولويات سياسة ألمانيا الخارجية لاسيما بعد تحديد مبلغ التعويضات بـ ١٣٢ مليار مارك تدفعه ألمانيا خلال ثلاثين سنة على شكل ذهب وسندات وبضائع (الربيعي، ٢٠٠٢، ص ٧١) مع عجز الحكومات الألمانية المتعاقبة على تسديد هذا المبلغ ، ومما زاد من اثر المشكلة حالة الانهيار الاقتصادي الذي شهدته ألمانيا والذي رافقه انهيار سريع للمارك الألماني اذ بلغت قيمه الدولار الواحد عام ١٩٢٣ مائة مليون مارك (الربيعي، ص ٦٤)

على اثر هذا الانهيار وعجز الحكومة الألمانية عن الوفاء بتسديد مبلغ التعويضات المفروضة عليها تدخلت كل من الحكومة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ الوضع الاقتصادي في ألمانيا ،فتم تشكيل لجنة من خبراء الاقتصاد والمال من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا برئاسة الخبير الاقتصادي الأمريكي جارلس داووز Charles Daws عام ١٩٢٤ لحل مسألة التعويضات. وفيها تم تحديد مبلغ التعويضات بـ مليار مارك سنويا ولمدة خمس سنوات.(عن خطة داووز انظر Jordan,1971,p.112)

في ظل هذه الاشكالية اعتقد قادة ألمانيا الجدد ان تعاونهم مع الصهيونية سوف يكسبهم تعاطف الدول الكبرى لاسيما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لمساعدتهم في اعادة النظر في بنود معاهدة فرساي. لهذا كانت حقبة العهد الجمهوري في ألمانيا فترة ذهبية لليهود في ألمانيا فقد شارك عدد من الزعماء اليهود الالمان في الوفد الألماني المشارك في مؤتمر الصلح امثال د.اوجين فوكس Eugenfuchs رئيس الاتحاد المركزي لليهود ، والحاخام بنحاس كوهن pingaskohn. كما زار حايم وايزمان ألمانيا مرات عديدة ،واستقبل من قبل رئيس الجمهورية فردريك ايبرت عام ١٩٢٢ ، الى جانب ذلك اعترفت ألمانيا بالانتداب البريطاني على فلسطين وبتصريح بلفور الوارد في صك الانتداب.(محافظة، ص ١٨٥)

وقد شهدت اوضاع اليهود في العهد الجمهوري تحسنا واضحا في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسمح لهم باصدار صحيفة ناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني الألماني عرفت باسم Juedische Rundschau تولى رئاسة تحريرها روبرت فيلتش Robert weltsh ، في حين شغل عدد من الصهاينة الالمان مناصب ادارية عالية في حكومة

فايمار امثال هيرمان بلادت HermannBladt ، المدير العام في وزارة الداخلية البروسية، وهانز غوزلار Hansgoslar، مدير المطبوعات في الحكومة البروسية، وكونرادكايزر Conradkaiser ، رئيس الدائرة الخامسة في القيادة العامة لشرطةبرلين.في حين بلغ عدد الموظفين اليهود في مؤسسات الدولة المختلفة ، حوالي اربعة الاف موظف أي ٠.٤% من مجموع موظفي الدولة. وكان هؤلاء موزعين بالشكل التالي:(محافظة، ص١٩٠)

موظفا في سلك التعليم	١٨٣٢
موظفا في سلك القضاء	٢٨٦
موظفا في اجهزه البراق والبريد والهاتف و سكك الحديد	٢٨٢
موظفا في بقية اجهزة الدولة	١٥٤٥

انعكس هذا الوضع سلبا على الهجرة الى فلسطين فلم يعد هناك مبرر لليهود الالمان للهجرة .لا سيما بعد ان قامت الصهيونية العالمية من نقل مقرها من فينا الى بريطانيا. وهو الامر الذي انعكس على مكانة اليهود الالمان وجعل نفوذهم يضعف في قيادة المنظمة العالمية لليهود لصالح يهود بريطانيا، وبالتالي انخفضت نسبة اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين، فقد بلغ عددهم ٣٨ مهاجر فقط عام ١٩٢٢ ليصل العدد الى ٦ مهاجرين عام ١٩٢٨(العكيلي، ١٩٨٥، ص٤١٥)، رافق ذلك انخفاض عدد اليهود الالمان المنتمين الى المنظمة الصهيونية العالمية فلم يتجاوز عددهم ١٠٦٨ يهوديا عام ١٩٢٥ ، ليحتل يهود المانيا المرتبة الرابعة بين يهود العالم المنتمين لهذه المنظمة كما يوضح الجدول التالي لعام ١٩٢٥ : (محافظة، ص١٨٩)

٩٢٤٧-	- عدد المنتسبين من يهود امريكا
٤٢٤٧-	- عدد المنتسبين من يهود بولندا
١٣٦٣-	- عدد المنتسبين من يهود جنوب افريقيا
١٠٦٨ -	عدد المنتسبين من يهود المانيا
٢٤٣٥٩ -	- المجموع العام للمنتسبين من يهود العالم

- العلاقة الفعلية بين النازية والحركة الصهيونية

بعد ان نجح اليهود في وضع حجر الأساس لإقامة وطنهم القومي لليهود في فلسطين وإنشاء المنظمة الصهيونية لتكون الأداة التنظيمية لهذا البرنامج أدرك الزعماء هذه الحركة ان مشروع الاستيطان في فلسطين لن يتحقق ويكتب له النجاح ما دام اليهود منتشرون في بلاد العالم. ولا يوجد اي مبرر او دافع يجعلهم يتركون الديار التي ولدوا فيها ويوجد فيها أقاربهم واسلافهم ومصدر رزقهم والتوجه الى وطن آخر جديد لا تربطهم به أدنى صلة لا سيما يهود أوروبا، كيف يتم اقناعهم للتوجه الى بلد آخر يعد من بلدان العالم المتخلفة- حسب وجهة نظرهم- لا يعرفون عنه شيئاً باستثناء أقوال التلمود ورجال الدين اليهود الذين يعتبرونها(فلسطين) أرض الميعاد . و لأيجاد حل لهذه المعضلة سوغ زعماء الحركة الصهيونية لأنفسهم العمل بقاعدة" الغاية تبرر الوسيلة" وذلك عن طريق خلق ما يعرف(بالعداء للسامية Anti-semitism). ولذلك عندما سئل تيودور هرتزل* "حول ما الذي سيجعل اليهود على مغادرة بلدانهم و تأسيس دولة يهودية"؟. اجاب بشكل قاطع "العداء للسامية" وقد ذهب دافيد بن غوريون * BenGurion(اول رئيس وزراء لاسرائيل عام ١٩٤٨) الى ابعد من ذلك حين قال " لو كان الامر بيدي لا رسلت مجموعة من الشبان المخلصين لقضيتنا من الذين يتحركون شوقا لتحقيق أهدافها الى البلدان التي يعيش فيها اليهود غارقين في شعور الرضا الإثم على النفس، لملاحقتهم تحت غطاء العداء للسامية ويشتى الاساليب التي يستخدمها اعداء السامية .وان يرفعوا شعار ايها اليهود اغربوا عنا وعودوا الى فلسطين ،اني اؤكد لكم ان الهجرة حينئذ ستتجاوز عشرة اضعاف ما هي عليه الآن". (Hans, 1977, p.175)

ولوضع هذه السياسة موضع التنفيذ تحرك زعماء الحركة الصهيونية لايجاد نوع من التفاهات مع من يسمونهم أعداء السامية لتضييق الخناق على اليهود في بلادهم لاسيما الاغنياء منهم ،ووصل الامر الى حد تدبير المجازر بهدف دفعهم للهروب من مواطن استقرارهم واللجوء الى ما يسمى " بأرض الميعاد" التماسا للنجاة، ولكي يضمن زعماء الحركة الصهيونية ان الهجرة لن تكون إلا إلى أرض الميعاد (فلسطين) وليس إلى أي مكان اخر نجحت في إقناع الدول الغربية لاسيما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن الهدف من هذا المشروع ما هو إلا امتداد للغرب وحضارته وقيمه في الشرق الاوسط في عالم يعج بالتخلف والجهل والتعصب من وجهة نظرهم -وهو العالم الاسلامي،وبالفعل نجحت هذه السياسة في اقناع الادارة الامريكية في استصدار قرار يقضي بمنع دخول المهاجرين اليهود إلى أمريكا كما نجحت في إقناع الحكومة البريطانية في استصدار قرار مماثل يحول بين اليهود وبين التوجه الى استراليا وغيرها من المستعمرات البريطانية في ما عدا فلسطين.(yapp,1989,p.122)

وفي عام ١٩١٢ قدمت المنظمة الصهيونية العالمية توجيهها مهما لكل اعضائها من يهود العالم جاء فيه: "نظرا للأهمية القصوى للعمل ذو التوجه الفلسطيني(اي الصهيوني) من الواجب على كل صهيوني لاسيما من يتمتع باستقلال اقتصادي ان يجعل الهجرة الى فلسطين جزءا اساسيا من برنامج حياته" (yapp,1989,p.122). وبذلك اصبح الإطار العقائدي للصهيونية الالمانية قائم على اساس ايديولوجي قومي ذات طابع استيطاني.

تبنى يهود المانيا هذه السياسة و عملوا على تطوير الأيديولوجية الصهيونية والوصول بطروحاتها الى نتائجها المنطقية لاسيما ان العلاقة بين النازية والصهيونية لم تكن مجرد تماثل بنيوي قائم على التأثير والتأثر الفكري ، بل هناك ثمة علاقة فعلية بين الطرفين ويأتي في مقدمتها كيفية استغلال النازيين للدعاية الصهيونية في الترويج لرؤيتهم ضد اليهود . فمن المعروف ان اليهود الالمان من ذوي الميول الصهيونية قد نشروا فكرة التمييز على أساس الجنس والعرق ابتداء من عشرينات القرن الماضي قبل ظهور النازيين كقوة سياسية مؤثرة على الساحة السياسية الالمانية ،فقد كان زعماء الصهاينة في المانيا يطلقون التصريحات الصهيونية التي تؤكد الهوية اليهودية الخالصة وتتكبر على اليهود انتمائهم الى

الأمة الألمانية ولدعم هذا التوجه القى ناحوم جولدمان* عام ١٩٢٠ (قبل ظهور كتاب هتلر كفاحي بثلاثة عشر عاما) خطابا في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا بين فيه ان يهود ألمانيا والشعب الألماني ليس بينهم عناصر مشتركة وان من حق الألمان منع اليهود من الاشتراك في شؤون الرايخ الألماني. أما حايمم وايزمان فقد شبه علاقة الألمان باليهود بصورة مجازية قائلا "ان اي بلد يود تحاشي الاضطرابات المعوية عليه ان يستوعب عددا محدودا فقط من اليهود" وكان يرى أن عدد اليهود في ألمانيا أكثر من اللازم، وبعبارة اخرى يوجد فائض بشري يهودي في ألمانيا لابد من توجيهه نحو ارض الميعاد . مؤكدا أن اليهود ماهم الا جسم مغروس وسط الأمم التي يعيشون بين ظهرانيهم وبالتالي من حق هذه الامم ان تحارب اليهود في مجتمعها من اجل ان تحافظ على تماسكها القومي .مؤكدا ان اليهودية العالمية تؤمن بذلك وتحترم هذا الفكر وبالتالي علينا ان نحترم قسوتهم وتكيلهم بالجسم الغريب داخل قوميتهم(يقصد اليهود) للحفاظ على نقائهم .(yapp,122)

لم تكن هذه الطروحات جديدة على المجتمع الألماني فقد كانت مطروحة في جميع كتابات هرتزل الاب الروحي للصهيونية على وجه العموم، والصهيونية الألمانية على وجه الخصوص ولكنها اكتسبت أهمية خاصة من سياقها الزمني والمكاني في ضوء ما حدث بعد ذلك. وهي لا تختلف في جوهرها عن اقوال إرنستروم * Ernest Röhm والذي كان يؤكد "ان اليهود يتوهمون ان بوسعهم ان يصبحوا المانيين في ألمانيا فهذا امر غير قابل للتحقق".(Friedman,1970,p.102)

وقبل التطرق لطبيعة العلاقة الفعلية بين النازية والصهيونية ،لاسيما وان هذه العلاقة قد مرت بأشكال متعددة متناقضة تتدرج من التشابه الايديولوجي الى العداة ،مرورا بالتعاون وفق اتفاقيات رسمية موقعة واخرى ضمنية مبرمجة. لابد من اعطاء مقارنة سريعة في اوجه التشابه بين الايديولوجيتين النازية والصهيونية .

في الحقيقة ان الصهيونية والنازية تنهلان من منهل واحد وهو الاعتقاد بالتفوق والنقاء العرقي ونظرية المجال الحيوي ، وهو أمر يبدو منطقي اذا ما عرفنا ان اوائل مفكري الحركة الصهاينة الذين صاغوا الطروحات العنصرية للحركة الصهيونية امثال تيودور هرتزل وماكس نورداو * max Nordau والفريد نوسيج Alfred Nossig. كانوا اما مولودين في ألمانيا او

تلقوا تعليمهم فيها وهم جميعا يكتبون ويتحدثون باللغة الألمانية ، ويكون التقدير للتقاليد السلافية وأنماط التميز التي تكتنف الفكر الألماني. وقد لا يعرف الكثيرون أن هرتزل قد غير اسمه من بنيامين هرتزل الى تيودور هرتزل حتى يؤمن نفسه في ألمانيا التي كانت ترفض اندماجهم في المجتمع الألماني، الى جانب ذلك كانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولى هي اللغة الألمانية، وكان قيصر المانيا هو اول من خاطبته الصهيونية لتبني مشروعها السياسي، في حين كان المفكر موزيس هيس من يهود المانيا الممثل الأول للصهيونية العنصرية قبل ظهور هرتزل بكثير وهو الذي بكر في التأثير بالفكر العنصري الأوروبي الألماني، عندما نشر كتابه (روما والقدس) عام ١٨٦٢ الذي ضمنه رآه العرقية العنصرية. من خلال طرحه لأبرز المفاهيم العرقية الأوروبية الألمانية التي تضمنها كتاب جوبينو* الصادر عام ١٨٥٣ تحت عنوان صريح في تعبيراته العنصرية (مقال في عدم المساواة بين الأجناس) كان هيس أول من أخذ المذهب العنصري الجديد في هذا الكتاب وسلط الضوء عليه ثم تبعه العنصريون الألمان لاحقاً. وبذلك تبدو الصهيونية أسبق على صعيد الحركة من النازية وإن كانا من منبع فكري واحد. (الملف السياسي، ٢٠٠٠، ص٢)

وفي الحقيقة يبدو التماثل الفكري بين العنصريتين واضح جدا و يمكن تلمسه من خلال إيمانهم بفكرة القومية العنصرية العرقية والتأكيد على روابط الدم والتراب الامر الذي يفضي الى الاستبعاد او حتى استبعاد الشعوب الاخرى بأعتبارها الشعوب المنبوذة عضويا، فالنازية لاترى غير الالمان شعبا مختارا ،يجب ان يسود العالم، في حين يرى اليهود انهم شعب الله المختار وأن التاريخ الانساني مقدس من خلال اليهود فقط لذلك يؤكد هس: "ان هذا الشعب يجب ان يحافظ على مستواه عاليا لان النواة الحية الملهمه للحياة والإبداع موجودة فية وجود الحياة في حبة القمح" (الملف السياسي، ص٢)

هذا التشابه والذي يبدو وكأن الفكر العنصري الصهيوني والنازي تغذيا على بعضهما البعض هو الذي يفسر لنا العداة النازي للصهيونية. لذلك عندما سئل هتلر عن سبب كراهيته لليهود أجاب " لا يمكن ان يكون هناك شعبان مختاران و نحن وحدنا شعب الله المختار". يتضح من ذلك ان العنصريتين النازية والصهيونية وضعتا الدولة كمرجعية وحيدة

لوجودهما العنصري. فطالما ان العرق الالمانى الجرمانى السلافي والعرق اليهودي يؤمننا بفكرة التميز والتفوق على باقي الاجناس الاخرى وبالتالي يجب ان ينضوي ابناء هذه الاجناس تحت دولة مميزة خالصة لجنسهم المميز ، وفي الفكر الصهيوني يعد الكيان الصهيوني في فلسطين ماهو الا الدولة اليهودية التي تعد استمرارا للمملكة العبرانية القديمة وهي التي من خلالها فقط يتم التعبير عن الإرادات اليهودية ، ولأن هذا الفكر يؤمن بوحداية الشعب اليهودي في كل مكان انطلاقا من النظرية العرقية فان الدولة الصهيونية تعتبر نفسها صاحبة اختصاص عالمي فيما يتعلق بقضايا ابناء هذا الشعب و انه لا معنى لصيانة حقوق اليهود بالكامل بعيدا عن هذه الدولة. (Hyamson,1950,p.50)ومن المعروف ان النازية ايضا اتجهت الى توحيد الشعب الالمانى بالمنطق ذاته ولذلك الاثنان الصهيونية والنازية يعتقدان ان الجنس الاري و اليهودي لا يمكنه ان ينشأ بعيدا عن موطنه الخاص فكل جنس يبحث عن تكوين دولته لأنه لا يشعر بالراحة الا في ظل دولته الخاصة به، وبالتالي تلتقي العقيدة الصهيونية والنازية على فكرة ان الاريين واليهود لا ينتمون الى الاوطان التي يقيمون فيها وانما الى الوطن القومي الام. هذا الزعم هو الذي يبرر لدى الصهيونية استخدام مصطلح يهود الدياسبورا* Diasporazionism او المنفى او المهجر بالنسبة لغير المقيمين من اليهود في الوطن ارض الميعاد (فلسطين) وكذلك الحال بالنسبة للنازيين الذين امنوا بوجود دياسبورا المانية تربطهم روابط عضوية بالأرض الألمانية وان هؤلاء يجب ان يعملوا من اجل الوطن الالمانى ويدينون له. (mandel,1965,p.92)

في ضوء هذا التوجه الصهيوني لم يكن من الغريب ان يرى هتلر حين وصل الى الحكم ان كثيرا من الصهاينة على استعداد لتفهم سياسته في المانيا.وبلخص الكاتب اليهودي الالمانى اميل لودفيج EmilLudwig وجهة نظر هتلر في ان "الصهيونية بتوجهاتها الفكرية والعنصرية ومشروعها الاستيطاني ساعدت الرجل على تنظيف المانيا من اليهود، فالصهيونية تعرف مرامي هتلر لانها هي ذاتها تحمل مشروعا مشابها، وبالتالي المانيا لاتحتمل شعبين مختارين" مؤكدا" ان ظهور النازيين دفع بالالاف من اليهود الى حظيرة اليهودية مرة اخرى ، بعد ان كانوا قد ابتعدوا عنها ،"ولذا فانا شخصا ممتن لهم". (mandel,p.88). وترد نفس الفكرة على لسان الشاعر الصهيوني حايم نحماني

بياليك HayimNahmanBialik الذي يرى أن الهتلرية أنفذت يهود المانيا ويضيف "انا ايضا مثل هتلر أو من بفكرة الدم". (Friedman,p. 133)

وعلى الجانب النازي يؤكد فيلسوف النازية الفرد* روزنبرغ AlfredRosenberg في كتابه "محاكمة اليهود في العصور المتغيرة" على وجود هذا الرابط المشترك عندما يذكر في كتابه "يجب تقديم العون الفعال للصهيونية من اجل نقل اكبر عدد من اليهود الألمان سنويا الى فلسطين" في حين كان رد حايم وايزمان زعيم المنظمة الصهيونية عندما سئل عن ما يجري لليهود في المانيا رد قائلا: " ان الاجابة الوحيدة عن كل ما حدث لليهود في المانيا هو ان ذلك بناء جميل وعادل لاسرائيل" (غازي حسين ،٢٠١٥، ص٢)

كما يقول ناحوم جولدمان "ثمة هوية أساسية لدى الألمان النازيين واليهود هي مواجهة المصير المشترك" (Goldmann,p.122 كمهمة إلهية.)

في حين اكد المنظر النازي يوليوس شترايخر* JuliusStreicher امام محكمة نورنبرغ عندما سألته المحكمة عن دوره في صياغة القوانين العرقية ضد اليهود في المانيا التي وقعت في مؤتمر الحزب النازي عام ١٩٣٥، اجاب " نعم انني كنت اكتب منذ سنوات مطالبا بمنع اختلاط الدم اليهودي بالدم النازي وقلت ايضا ان علينا ان نأخذ من نظرية العرق اليهودي او الشعب اليهودي نموذجا لان العرق اليهودي استطاع بفضل قوانينه العرقية أن يستمر طوال تلك القرون في حين انقرضت جميع الاعراق والحضارات الاخرى" (غازي حسين، ص٢). وظهرت مصداقية هذا المنظر النازي بالموقف الذي اعلنه حايم كوهين الذي كان قاضيا للمحكمة العليا في اسرائيل حين قال " ان سخرية القدر ارادت ان تكون الطروحات العرقية والبيولوجية التي اتبعها النازيون وكانت وراء قوانين نورنبرغ هي نفسها التي يبني عليها تحديدا صفة اليهودية في اسرائيل" (Sidney,2022,p.296)

يبدو التماثل واضح بين الايديولوجيتين النازية والصهيونية في جواب شترايخر بين مصطلحي العرق والشعب، اذ ان مصطلح الشعب في جميع النظريات غير العنصرية يعني ذلك الكيان الذي تذوب فيه جميع الأعراق في وحدة لا تفر بالتمييز. وهذا ما يذكر بمقولة لباحث يهودي معاد للصهيونية هو غومبل وويتش، الذي اعتبر أن كل مشكلة اليهود تكمن في أنهم "لم يعرفوا أن يذوبوا ويندمجوا كالفينيقيين"، (Sidney,p.296). مقولة جعلت

الكاتب اليهودي ثيودور ليسنغ Theodor Lessing يقول عنه بأنه "تموذج لكره الذات". (Yahya, 1978, p.24)

كما ان اعتبار عدم اندماج اليهود استمراراً لبقاء جنسهم. واعتبار اندماج الأعراق الأخرى في مزيج حضاري مجتمعي انقراضاً، فأن هذا الرأي جاء ايضاً ليعزز مفهوم التماثل الايديولوجي بين والصهيونية والنازية، وقد تكون مقولة فلاديمير جابوتنسكي* 'الاب الروحي لشارون (رئيس وزراء اسرائيل ٢٠٠١-٢٠٠٦) وبنيامين نتتياهو (رئيس وزراء اسرائيل ٢٠٠٩-٢٠٢١) تعكس نظرية كاملة حول موقف الصهاينة الراض لاندماج في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود. اذ يقول:

"إن مصدر الإحساس القومي موجود في دم الإنسان، في نمطه الفيزيائي- العرقي، وفيه فقط... إن الرؤية الروحية للإنسان تحدها أساساً بنيته الفيزيائية، لهذا السبب لا نؤمن نحن بالاندماج الروحي.

إنه من غير القابل للتصور، من الوجهة الفيزيائية، أن يتمكن يهودي ولد في أسرة ذات دم يهودي نقي، من أن يتأقلم مع الرؤية الروحية لألماني أو لفرنسي. يمكن له أن ينمو في سائل جرمانى. لكن

(Eliav, 1975, p.131) نواة بنيته الروحية تظل ابداً يهودية

مما يتماشى تماماً مع النظرية النازية التي كانت تصنف اليهود إلى نوعين: اليهود المندمجين وهم أعداء النازية، واليهود الصهاينة وهم الحلفاء الممكنين للنازية.

وعبر روبرت ولتش Robert Welch رئيس تحرير المجلة اليهودية (جودشراندشو) في برلين في افتتاحية الرابع من نيسان ١٩٣٣ عن فرحة الصهاينة بصعود النازية قائلاً "لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لاعادة تأكيد الهوية القومية لليهودية حين رفضت اندماجهم في المجتمع الالماني، ان اليهود مدينون لهتلر وللنازية"، وفي الوقت نفسه اصدر الكاتب الصهيوني غوستاف كروجانكر مقالة بعنوان "حول مشكلة القومية الالمانية الحديثة" يؤكد فيه ان التمرد الصهيوني على الليبرالية ما هو الا تلبية لفرائض الدم، ويجب ان يسمح بفهم عميق للتطور السياسي الحاصل في المانيا". (عباسي، ١٩٨٤، ص ٤٤-٤٥)

لقد كانت هذه التصريحات والمواقف من صعود الحزب النازي للسلطة تعكس وجهة نظر اليهود الصهاينة من المستوطنين الذين يدعون الى تهجير اليهود من جميع انحاء العالم وتوطينهم في فلسطين، اما اليهود الاندماجين الذين يدعون الى اندماج اليهود بين الشعوب التي يعيشون فيها، فقد رفضوا سياسة هتلر التعسفية ضد اليهود الالمان. واطلقوا حملة عنيفة في اوربا طالبوا بها بمقاطعة البضائع والمنتجات الالمانية، وشكل اليهود في لندن مجلس المقاطعة اليهودية لمطالبة المخازن والمحال التجارية بمقاطعة البضائع الالمانية، ومنع سفر الالمان الى لندن.

وامتدت المقاطعة الى الولايات المتحدة الامريكية و تولى الدعوة اليها المحامي اليهودي صموئيل اونترماير Samuel untermayer واستطاع ان يكسب الى جانب المقاطعة المؤتمر اليهودي الامريكي American Jewish Congress الذي أنشأ بالتعاون مع لجنة العمل اليهودي The Jewish Labour committee مجلس المقاطع المشترك Joint Boycott Council، كما نجح في تشكيل "الرابطة الامريكية للدفاع عن حقوق الانسان The American League for the Defence of Human Rights" والتي تغير اسمها فيما بعد الى "الرابطة اللاطائفية لمناهضة النازية - Non-Sectarian Anti-Nazi League". (محافظة ، ص ١٩٧)

- بدايات التعاون النازي - الصهيوني

لم تكن السياسات السابقة ليهود العالم لتروق لليهود الصهاينة الذين وجدوا في سياسة القمع النازي ضد اليهود الالمان خير وسيلة لتحقيق حلم التهجير لليهود الالمان الى فلسطين لاسيما الاثرياء منهم، لذلك سارعت المنظمة الصهيونية في المانيا الى اصدار ما يعرف بـ) اعلان الاتحاد الصهيوني بشأن وضع اليهود في دولة المانيا الجديدة

Ausserung der Zionistischen Vereinigung Fur Deutschland der Juden in

mNeuen Deutschen Staat)

في ٢١ يونيو ١٩٣٣ والذي يقول عنه المؤرخ فرانسيس نيقوزيا "يبدو وكأنه يدعو الى التعاطف مع نظام هتلر ، وي طرح كون الصهيونية متوافقة مع مبادئه"، بموجبه تم تحديد

العلاقة بين الصهاينة الالمان والنظام النازي الجديد وقد اتخذ الاعلان شكل مذكرة ارسلت مباشرة الى زعيم الحزب النازي هتلر تم من خلالها تحديد المقومات المشتركة بين الصهيونية والنازية والتأكيد على امنية الوصول الى حل يتفق مع المبادئ الأساسية للدولة الألمانية الجديدة. فيما يتعلق باليهود في المانيا منتقدة اليهود المدمجين من غير الصهاينة مؤكدا ان هذا النوع من الشخصية اليهودية يتسم بالكسل وان صعوبة وضع اليهود تتبع من شذوذ النمط الوظيفي الذي يتبعونه ومن الخلل الكامل في كونهم جماعات تتخذ مواقف فكرية اخلاقية غير متجذرة في تقاليدهم الحضارية الخاصة بهم. أهم ماجاء في هذه المذكرة او الاعلان : " لا تبني الصهيونية أي وهم حول صعوبة الوضع اليهودي، الذي يتمثل أساساً في بنية اجتماعية غير طبيعية، ووضع ثقافي فكري غير متجذر في تراث خاص، لقد استشرفت الصهيونية منذ وقت طويل، أن ظواهر التراجع والتخلف لم تظهر بين المجموعات اليهودية بسبب عدم الميل إلى الاندماج، وتعتقد الصهيونية بأن انبعاث الحياة القومية للشعب، الذي يحصل اليوم في ألمانيا، مع التشديد الذي يتم على جذوره المسيحية، وطابعه القومي الاري، هو ما يجب أن يحصل داخل المجموعة القومية اليهودية، وعلى اليهود ان يدركوا ان المصير المشترك، وحس فرادته وتفوقه يجب أن تتخذ معنى حاسماً في الوقت الذي يبني فيه مستقبله... ونحن نعتقد أن ألمانيا الجديدة، تحديداً، هي التي تستطيع بفضل إرادة مصممة أن تجد حلاً لمسألة يجب أن تحل لدى سائر شعوب أوروبا... إن الاعتراف بالقومية اليهودية يقدم لنا أسس صداقة صادقة مع الشعب الألماني. ولأننا تحديداً، لا نريد ولا نتمنى تخريب هذه المعطيات الأساسية، فنحن أيضاً ضد الزيجات المختلطة، ونريد الحفاظ على نقاء الجماعة، و نرفض كل تداخل في المجالات الثقافية... وبلوغ اهداف العملية. تأمل الصهيونية في الحصول على تعاون الحكومة حتى ولو كانت معادية لليهود. ذاك أنه لا مجال للمشاعر في حل المسألة اليهودية، بل لمعالجة مشكلة حقيقية يهّم حلها جميع الشعوب، وفي هذا الوقت الشعب الألماني خاصة." (حياة، ص ٧)

وفي نهاية المذكرة شجب الصهاينة جهود القوى المعادية لهتلر والنازية، والتي كانت تدعو الى مقاطعة المانيا النازية اقتصاديا. مؤكدا ان المنظمة الصهيونية العالمية على اتم

الاستعداد للتعاون مع الحكومة النازية لفك المقاطعة الاقتصادية الاوربية عنها
(Hans,p.172).

لقد كان هذا الاطار الفلسفي الذي اقترحته المنظمة الصهيونية لتحديد العلاقة بين
الصهيونية والنظام النازي بعد ان طرحت نفسها كونها الجهة الوحيدة القادرة على حل
المسألة اليهودية بالطريقة التي ترضي الدولة النازية، وان هدفها هو دعم سياسة الحكومة
النازية لدفع اليهود للهجرة الى فلسطين لإقامة دولتهم هناك.

مما يجدر ذكره ان هذه الوثيقة لم تكشف الا عام ١٩٦٢ و لم تعط الاهمية التي
تستحقها رغم انها تلقي الكثير من الضوء على علاقة النازيين بالصهاينة، وتنفذ الكثير من
المزاعم اليهودية حول الابادة النازية لليهود.

ولدعم هذا التوجه اخذت الصحف الصهيونية بنشر مقالات تعلن فيها عن
استعداد الصهاينة للتعامل على حدا سواء مع اصدقاء اليهود واعدائهم من اجل القضية
اليهودية، فالموضوع ليس مسألة عاطفية وإنما هي مسألة مصيرية،تهم كل الشعوب ، وقد
جاء هذا الموقف امتدادا لموقف هرتزل حين ميز بين التعصب الديني القديم،وهو مجرد
تعصب عاطفي غير منهجي غالبا ماينتهي بالمجازر،والمعاداة الحديثة لليهود والتي وصفها
بانها حركة بين الشعوب المتحضرة الغربية تحاول من خلالها التخلص من شبحتتمثل
باليهود وصعوبة دمجهم في المجتمعات التي يعيشون بها،فتنتهي بالحل الصهيوني وهو
تهجير جميع اليهود من المانيا الى ارض الميعاد -حسب ما يدعي اليهود- و يتضمن
التميز هنا شكلا من اشكال القبول بالمعاداة (الرشيدة لليهود) لأنها تدعم الموقف
الصهيوني الداعي الى تهجير يهود العالم الى فلسطين ارض الميعاد. (Evans
,2003,p.170),

بعد اطلاع الحكومة النازية على مذكرة ١٩٣٣ والتي كان تنفيذها شرطا لفك
الحصار الأوربي عن المانيا،بدأت الحكومة بإصدار سلسلة من القوانين تبدو في صياغتها
انها ضد اليهود،ولكن في جوهرها كانت لصالح اليهود الصهاينة وتنفيذا لبرنامجهم التهجيري
ليهود المانيا .وهو امر اكده حايم كوهين في تعليقه على هذه القوانين اذ اكد : " ان سخرية
القدر ارادت ان تكون الطروحات العرقية والبيولوجية التي اتبعها النازيون وكانت وراء

قوانين نورنبرغ هي نفسها التي يبنى عليها تحديدا صفة اليهودية في اسرائيل". انظر (Hans,p.172)

ففي ١٥ ايلول ١٩٣٥ اعلن مؤتمر الحزب النازي مجموعة قوانين نورنبرغ Nuernberger Low التي اسست لعدد من النظريات العرقية السائدة في الايديولوجية النازية ،تضمنت منع الزواج بين الالمان واليهود واسقاط الجنسية الألمانية عن اليهود.وما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ استهدفت قوانين الحكومة النازية افقار اليهود عن طريق طلب تسجيل ممتلكاتهم والعمل على طرد المدراء اليهود، واجبار اصحاب الشركات اليهود على بيع شركاتهم الى ملاك ألمان وبالأسعار التي تحددها الحكومة ،كما منعت الاطباء اليهود من علاج غير اليهودي،والغاء تراخيص ممارسة القانون للمحامين اليهود. (Evans, 2003,p170)

اضافة الى هذا السلوك الرسمي والقانوني في التعامل مع اليهود الالمان ،منحت الحكومة التجمعات الصهيونية حق عقد الاجتماعات وجمع التبرعات،كما استمرت الصحف اليهودية بالإصدار رغم صدور قرار منع أي صحيفة في العمل باستثناء الصحف النازية ،وكذلك عملت على الحاق الشباب والشابات اليهود في مدارس حرفية لتعليمهم الحرف المطلوبة للبرنامج الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، بهدف تنظيف المانيا من اليهود. (Evans,2003,p.171)

وفي هذا الصدد يذكر ادوين بلاك Edwin Black مؤرخ اتفاقية الهاغارا (اي النقل)، "أن الصهيونية هي الفلسفة السياسية المستقلة الوحيدة التي وافق عليها النازيون". اما الكاتب الصهيوني كورت جروسمان kurtgrossman فقد وثق هذه المرحلة من تاريخ التعاون النازي -الصهيوني في بحثه الموسوم (الصهاينة وغير الصهاينة تحت الحكم النازي في الثلاثينيات) والمهم في هذا البحث انه الحق به ثمان وثائق نازية تحمل توجيهات للشرطة الخاصة بتنظيم النشاط اليهودي في المانيا النازية. واول هذه التوجيهات (رقم ٣٦٤٢٠ ٨١١٣٤١) صادر عن الشرطة السياسية في بافاريا بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٣٥ وهو خاص بمنظمات الشباب اليهودي وجاء فيه : "ضرورة اعادة بعث المنظمات الصهيونية التي تدرب اليهود تدريبا مهنيا على الزراعة والحرف اليدوية ، قبل تهجيرهم

الى فلسطين وهو امر في صالح الدولة النازية". بينما جاء في توجيهه اخر (رقم ٨١١٣٥١١٧١٨٦ بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٥): "يجب حل المنظمات اليهودية التي تدعو الى بقاء اليهود في المانيا". اما تصريح (رقم ١١٣٥١١٧٩٢٩ ب) فقد نص على السماح لأعضاء المنظمات الصهيونية بارتداء الزي الخاص بهم. الامر الذي شجع يهود المانيا على الانضمام الى هذه المنظمات للهروب من بطش القوات النازية(العلاقة الفعلية بين النازية والصهيونية، ص٧)

اما تصريح(رقم ١١٣٥١١٩٠٥٢ ب) في ٩ يوليو ١٩٣٥ فقد سمح للمنظمات الصهيونية بجمع التبرعات من اجل تشجيع الهجرة والاستقرار في فلسطين وشراء الاراضي هناك، كما شجع النازيون المدارس العبرية والمؤسسات الثقافية ذات التوجه اليهودي التي تساعد على اظهار الهوية اليهودية والرجوع عن فكرة الاندماج في المجتمعات الغربية . (العلاقة الفعلية بين النازية والصهيونية، ص٧)

من الملاحظ ان اشكال التعاون بين النازيين والصهاينة سابقة الذكر قد تمت اما بشكل تصريحات صهيونية يستفيد منها النازية في تنظيف المانيا من اليهود او نشاط صهيوني يشجعه النازيون لخدمة ايديولوجيتهم ، الا انه هناك ثمة تعاون واعى بين الطرفين ويعد من اهم اشكال التعاون بين النازيين والصهاينة الاستيطانيين وهو ما عرف باتفاقية الهاعفارا التي كشفت عمق العلاقة بين الطرفين من جهة وعمق التناقض بين اليهود الصهاينة المستوطنين ، وبين اليهود الاندماجين في مجتمعاتهم التي ولدوا فيها من جهة اخرى.

-اتفاقية هاغفارا او الهافاره Haavrah-

لقد اثارت سياسة هتلر القمعية ضد اليهود حفيظة الجماعات اليهودية في الخارج الذين أخذوا يدعون الى مقاطعة اقتصادية ضد هذا النظام -وكما وضحنا في الصفحات السابقة- وقد شكلت المقاطعة لا سيما في الاشهر الاولى منها تهديدا خطيرا للنظام النازي. ولذلك كان على الصهاينة في فلسطين ضرورة التحرك لحماية ما حققوه من تعاون مع القيادات النازية وتبني خطة تخدم مصالحهم لاسيما وان سياسة هتلر القمعية لم تدفع اليهود الى

الهجرة الى فلسطين وبالأعداد التي كانوا يتطلعون لها ،وهذا كان يعني ايضا عدم وصول رؤوس الاموال اليهودية الالمانية المتوقعة من هذه السياسة. لذلك دعت المنظمة الصهيونية العالمية الى عقد مؤتمر صهيوني في مدينة براغ في شهر اب ١٩٣٣ لمعالجة الموضوع ، وفي هذا المؤتمر اقترح الزعيم الصهيوني الالمانى ارثر روبين ArthurRuppin* ان الحل الوحيد لمشكلة يهود المانيا هو بتهجيرهم الى فلسطين .ونظرا لمعرفته بطبيعة يهود المانيا ورفض معظمهم التوجه الى فلسطين او الانضمام الى المنظمة الصهيونية العالمية اقترح ان يتم هذا الامر وفق برنامج محدد يتم الاتفاق عليه مع الحكومة الالمانية عن طريق تقديم مجموعة من الاغراءات الى الحكومة الالمانية في مقدمتها ان تتحمل المنظمة الصهيونية و بالتنسيق مع الحكومة الالمانية تكاليف تهجير اليهود الالمان الى فلسطين هذا الى جانب السعي الى رفع المقاطعة الاقتصادية التي فرضتها الدول الاوروبية على المانيا.(محافظة،ص١٩٨)

وجدت هذه الفكرة استحسانا لدى قادة المنظمة الصهيونية في فلسطين لذلك تم تكليف رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية" حاييم ارلوسوروف Hayyim Arlosoroff في التوجه إلى ألمانيا لدراسة الوضع . والاتصال بزعماء الصهيونية الالمان، وتم الاتفاق على ان الحل الوحيد لمشكلة اليهود الالمان هو في تنظيم هجرتهم الى فلسطين.وقد نجحت الوكالة اليهودية باقناع القنصل الالمانى في القدس هنريش ولف Heinrich wolff بأهمية هذا الموضوع ويعده الحل الامثل بالنسبة للحكومة الالمانية للتخلص من اليهود وكسر المقاطعة الاقتصادية التي بدأت تطبقها الدول الاوربية ضد المانيا بتأثير يهود الخارج، وهو امر اكد عليه القنصل الالمانى في كل رسائله الى وزارة الخارجية في برلين ،مؤكدًا بأنه الحل الامثل بالنسبة الى المانيا النازية الراغبة في التخلص من اليهود الالمان، لاسيما وان عدد اليهود بلغ عند وصول هتلر الى الحكم حسب احصائيات حزيران ١٩٣٣ (٤٩٩٦٨٢) .(محافظة ص١٩٨). كما اكد القنصل الالمانى " بهذه الطريقة يمكن ان نقوم نحن الالمان بحملة ناجحة في مواجهة المقاطعة اليهودية في الخارج ضد المانيا، وقد يمكننا ان نحدث ثغرة في الحائط" . لاسيما وان القنصل الالمانى اكد ان الصراع الدائر بين الصهاينة التوطيينيين في الخارج والصهاينة الاستيطانيين في فلسطين، بدأت موازين القوى فيه تتغير لصالح

المستوطنين" أن فلسطين هي التي تعطي الأوامر، ومن الأهمية بمكان ان نحطم المقاطعة من فلسطين في المقام الأول، وسيتك هذا أثره على الجبهة الاساسية في الولايات المتحدة الامريكية". (عبد الكريم صالح، ٢٠١١، ص٦)

وفي نيسان من عام ١٩٣٣ قدم سام كوهين samcohen مدير شركة الاستيطان الصهيونية(ها نوتيا Hanotea) الى القنصل الالمانى في القدس مشروعا يتضمن قيام شركته بالاستيراد من المانيا التجهيزات الزراعية ومواد البناء التي اعتادت شركته استيرادها من تشيكوسلوفاكيا. واقترح ان يدفع ثمن هذه التجهيزات من اموال اليهود المقيمين في المانيا والراغبين في الهجرة الى فلسطين والمحظور عليهم تحويلها الى الخارج ،وعندما يصل هؤلاء المهاجرون الالمان الى فلسطين يقبضون ما دفعوه في برلين في حساب خاص مقفل بالجنيه الفلسطيني* وبهذه التسوية لا تخسر المانيا عملة صعبة كما لا يخسر المهاجرون اليهود منها الى فلسطين اموالهم ،وقد قدرت الاموال التي توضع عند ابرام الاتفاقية بمليون مارك في حساب توفير خاص لشركة هانوتيا يخصص لتأمين معيشة هؤلاء المهاجرين في فلسطين وتعهدت الشركة الصهيونية بان توفر لكل مهاجر بيتا وعملا شريطة ان يوقع معها عقدا بهذا الخصوص وبالمقابل سوف توقع الشركة اتفاق مع وزارة الاقتصاد الألمانية بموجبه تقوم بأنفاق هذه الأموال لشراء منتجات المانية لليهود الراغبين في الهجرة الى فلسطين وكذلك عقد اتفاقية اخرى مع وزارة الاقتصاد الالمانية في ١٨ تموز ١٩٣٣ لشراء منتجات المانية بمبلغ ثلاثة ملايين مارك من الاموال التي سوف تجمع في التوفير الخاص بها. (Black,p133).

كما تم الاتفاق بان تسمح السلطات الألمانية لليهود الذين يقررون الهجرة من ألمانيا الى فلسطين بنقل جزء من اموالهم الى هناك رغم القيود التي فرضتها ألمانيا على تداول العملة الصعبة، عن طريق تمكين أولئك اليهود من ايداع المبلغ المسموح بتحويله (الف جنيه استرليني) في حساب مغلق يفتح في بنك واسرمان في برلين وبنك ووربورج في هامبورغ ،وهو المبلغ الذي تشترطه الحكومة البريطانية للسماح بالإقامة في فلسطين، وكان يشكل تقريبا دخل اسرة برجوازية المانية لمدة ثلاث سنوات يستعمل هذا المبلغ فقط لشراء تجهيزات وآلات زراعية مختلفة من المانيا يتم تصديرها الى فلسطين وهناك تقوم شركة هارفا المحدودة

ببيع هذه البضائع ، و تسدد بأثمانها المبالغ المستحقة لمودعيها بعد وصولهم كمهاجرين الى فلسطين و تحتفظ بالفرق كعمولة ربحية لها. وقد تم تعديل الاتفاقية فيما بعد بحيث اصبح في مقدور اليهود الالمان الذين لا ينون الهجرة مباشرة ويريدون مع هذا تأسيس بيت في فلسطين والمساهمة في تطويرها، ان يستعملوا الحساب المغلق و ان يودعوا اموالهم فيه شرط ان لا يزيد المبلغ الاجمالي عن ثلاثة ملايين مارك تستعمل لشراء بضائع ألمانية أيا كان نوعها. (Black,1999,pp.133-134)

وبعد ان وافقت الحكومة الألمانية على هذا الاتفاق أعلنت المنظمة الصهيونية العالمية موافقتها وفي السابع من اب ١٩٣٣ تم التوقيع الرسمي على الاتفاق في مبنى وزارة الاقتصاد الالمانية، وعرف هذا

او الهاغفار- كما تذكر في بعض المصادر-
Havara بأسم اتفاقية هافارا

الى فلسطين. Transfer وهي كلمة عبرية تعني النقل او الترحيل

بموجب هذا الاتفاق تم انشاء شركتين احدهما تحت اسم شركة بالترول Baltreu في برلين، وأخرى باسم هافارا كمباني Havara Company في تل ابيب ، كما أنشئ خط بحري مباشر بين مينائي هامبورغ وحيفا بإشراف حاخامية هامبورغ، استطاع أن يؤمن من عام ١٩٣٣ الى عام ١٩٣٩ هجرة ٦٠ الف يهودي ونقل ١٤٠ مليون دولار، وذلك باعتراف الياهو بن اليسار* الذي كتب يقول " كان للنشاط الذي حركته الهافارا الاثر الاكبر على تطور البلاد بل ان عددا من أهم المصانع والشركات الموجودة في اسرائيل يدين بوجودها لهذا الاتفاق". (Black,p133)

بعد توقيع هذا الاتفاق أصدرت وزارة الاقتصاد الألمانية كتابا يحمل الرقم ٣٣١٥٤ في ٢٨ اب ١٩٣٣ يتضمن هدف هذه الاتفاقية وقد جاء فيها ان الهدف الاول هو دعم تصدير المنتجات الالمانية الى الشرق الاوسط، وتنظيم هجرة اليهود الألمان الى فلسطين وبالتالي يحق لكل يهودي ألماني راغب في الهجرة إلى فلسطين الحصول على تصريح بخمسة عشر ألف مارك يدفع في حساب خاص في بنك الرايخ الذي يقوم بتحويلها الى حساب خاص في بنك جمعية الهيكل في فلسطين الذي يحولها بدوره الى بنك الانجلو- فلسطيني. اما باقي

الاموال التي يملكها اليهود فأنها تحفظ في حسابات الماركات
المجمدة. (Yisraeli, 1972, p.136)

نتائج الاتفاق

لقد ترك هذا الاتفاق نتائجه على الجانبين الالمانى والصهيونى. فعلى الجانب الالمانى وجدت فيه الحكومة النازية وسيلة لتنظيف المانيا من اليهود دون معارضة الصهيونية العالمية، الى جانب كسر

طوق الحصار الذي فرضته المنظمات اليهودية العالمية لا سيما في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية على البضائع الالمانية، ولعل اهم نتائج المعاهدة هو افشال مؤتمر المقاطعة للبضائع الالمانية الذي اطلقه اليهود في لندن، وهو ما يؤكد القنصل الالمانى " لقد دمرنا مؤتمر المقاطعة في لندن من تل ابيب عن طريق التعاون الوثيق بين القنصلية الالمانية في القدس ورئيس الهاعفاره في فلسطين".

اما على الجانب الصهيونى، فقد تم نقل حوالي مئة وثلاثين مليون دولار من اموال الاثرياء اليهود الالمان الى المصارف اليهودية في القدس، وهو مبلغ ضخم ساعد في تنمية الاقتصاد الصهيونى في فلسطين، اما عدد اليهود الالمان الذين تم نقلهم الى فلسطين بموجب هذه الاتفاقية في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤١ فقد بلغ ثلاثة وخمسين الف ومئتي نسمة، وقد شكل هؤلاء ٢٥% من مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال الفترة نفسها. (محافظة، ص ٢٠٦).

وقد منحت الاتفاقية للصهاينة حرية اختيار نخبة اليهود الصهاينة في المانيا لارسالهم الى فلسطين ولذلك فقد شكل الاثرياء من اليهود نسبة ٣٦% من مجموع المهاجرين، اما العمال الفنيون فقد شكلوا ٣٢,٦% في حين شكل الشباب نسبة ٤٨% من نسبة المهاجرين. (محافظة، ص ٢٠٦)

من هذا الاختيار لطبيعة المهاجرين يبدو ان الوكالة اليهودية المسؤولة عن الهجرة الى فلسطين والتي يسيطر عليها الصهاينة لم تكن تهتم بالوضع الصعب الذي يعيشه اليهود في المانيا بقدر ما كانت تهتم

بإمكاناتهم المادية وقدراتهم البدنية للاستفادة منهم كمادة بشرية ومادية لبناء دولتها المنشودة في فلسطين، لذلك أرسلت الوكالة عام ١٩٣٥ الى برلين قائمة بأسماء الاشخاص الذين يجب ان لا يسمح لهم بالذهاب الى فلسطين و قد طلبت في تقرير ارسلته الى المكتب الصهيوني في برلين بعدم السماح للمرضى او الاشخاص الذين لا يملكون مهارات حرفية بالهجرة الى فلسطين حتى لا يصبحوا عبئا على مجموعة الرواد المهاجرين، كما ان الوكالة اليهودية اشكت من استقبال عدد كبير من رجال الاعمال الذين لديهم اطفال، في حين يجب اعطاء الافضلية للعازبين، وفي عام ١٩٣٥ تقرر ان تعطي اذونات الهجرة بحيث لا يكون هناك اي مجال للشك بان هؤلاء المهاجرين يمكن ان يشكلوا عبئا على البلاد. و وبين عامي ١٩٣٣ ١٩٣٥ رفضت المنظمة الصهيونية العالمية الموافقة على طلبات الهجرة التي قدمها عدد من يهود المانيا مفضلة اعطاء الاولوية للشباب فقط، وقد وصف بريل كاز نيلسون صاحب جريدة دافار الصهيونية العمالية هذا المعيار بقوله : "لقد كان يهود المانيا المتقدمين كبار في السن مما لا يسمح لهم بانجاب اطفال في فلسطين، كما انهم لم يكونوا يملكون المهن والحرف التي تساعد في انشاء وضع معيشي جيد ،اضافة الى انهم لا يتحدثون العبرية وليس صهاينة وبدلا من هؤلاء اليهود المعرضين للانقراض استقدمت المنظمة الصهيونية العالمية ٦,٠٠٠ شاب من الذين تلقوا تدريبات في الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا ودول اخرى" (Edwin,p.180)

لم تكف المنظمة الصهيونية بذلك بل وفتت ضد اي محاولة لانقاذ يهود المانيا من البطش النازي ورفضت تهجيرهم الى أي بلد آخر،مفضلة على ذلك اقتيادهم الى معسكرات الاعتقال النازي ،خشية من ان يجدوا ملجأ امانا في اي بلد اخر مما يحرف هجرة اليهود عن المسار الذي وضعت المنظمة الصهيونية الا وهو الهجرة الى فلسطين،وبالتالي فشل مخططهم الاستيطاني في فلسطين.

وقد حدد بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية القضية بشكل قاطع حين اكد ان المسألة اليهودية لم تعد مشكلة آلاف اليهود المهتدين بالإبادة، وإنما هي مشكلة الوطن القومي للمستوطنين الصهاينة ،مؤكدًا خطورة فصل مشكلة اللاجئين اليهود عن المشروع الصهيوني

والتفكير في توطين اللاجئين في اي مكان (Edwin,p.180)" اخر غير فلسطين وان لم تستوعبهم فلسطين.

الخاتمة:

في ضوء ماتم طرحه عن طبيعة العلاقة بين النازية والصهيونية ، نجد ان المسألة تخطت موضوع الاكتراث بمصير يهود المانيا او مقاومة سياسة العنف النازي ضد اليهود، لاسيما بعد ان ادرك قادة الصهاينة التناقض العميق بين فكرة الدولة اليهودية في فلسطين ومحاولة انقاذ اليهود الالمان.

فقد وجدوا اسس تقارب واضحة بين أيديولوجية الحزب النازي ومبادئ الحركة الصهيونية ، لاسيما فيما يتعلق ببقاء الجنس، ورفض فكرة الاختلاط بين الاجناس بعدها احد اهم اسباب انحطاط الاجناس الراقية -حسب وجهة نظرهم- .

لذلك دفعهم هذا التقارب الايديولوجي مع النازية الى محاولة الافادة منه وتحويله الى سياقات تفاهم لخدمة هدفهم الاساسي وهو توجيه اليهود الى ترك اوطانهم التي ولدوا فيها وحصر توجههم الى فلسطين لاسيما الاثرياء منهم . لذلك كان امام المنظمة الصهيونية خيارين ، اما دعم المنظمات اليهودية العالمية في التحريض الدولي ضد سياسة الحكومة النازية وتطبيق المقاطعة الاقتصادية التي قد يكون من نتائجها فتح باب الهجرة امام يهود المانيا الى دول اوربا . وهذا يعني تشتت المادة البشرية اليهودية في انحاء اوربا ، وهذا مخالف لتوجهات الصهيونية العالمية التي تريد حصرها في فلسطين.

اما الخيار الثاني وهو التعاون مع اعداء السامية لتحقيق حلم الصهيونية عن طريق التفاوض مع الحكومة النازية، فك الحصار الاوربي على البضائع الالمانية مقابل تعاون الحكومة النازية مع المنظمة الصهيونية العالمية لتهجير اليهود الالمان الى فلسطين، لاسيما وان اليهود الصهاينة كانوا يدركون رغبة هتلر في تطهير الماني من اليهود. وقد كان هذا الخيار المرجح لدى الصهاينة كون مسألة العلاقة بين النازيين واليهود لم تعد -كما حددها بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية - مشكلة آلاف اليهود المهديين بالإبادة وإنما هي مشكلة الوطن القومي للمستوطنين الصهاينة، وقد أدرك بان خطورة فصل مشكلة اللاجئين اليهود

عن المشروع الصهيوني والتفكير في توطين اللاجئين في اي مكان غير فلسطين هو بمثابة شطب للصهيونية من التاريخ. وربما مقولته امام زعماء الحركة الصهيونية لتبرير تمرير معاهدة الهاعافارا تعكس عمق هذا التوجه الصهيوني بقوله: " لو عرفت انه من الممكن انقاذ كل اطفال المانيا بتوصيلهم الى انجلترا في مقابل ان انقذ نصفهم و انقلهم الى فلسطين ،اني اختار الحل الثاني، اذ يتعين علينا ان نأخذ في اعتبارنا ليس حياة هؤلاء الاطفال وحسب بل كذلك تاريخ شعب اسرائيل" (Black,p145) واذا كان بن غوريون على استعداد بالتضحية بنصف الاطفال اليهود من اجل الوطن القومي الصهيوني فان إسحاق جرونباوم Yitzhak Gruenbaum (رئيس لجنة الانقاذ بالوكالة اليهودية) قد تجاوز الحدود تماما في حديث له امام اللجنة التنفيذية الصهيونية في ١٨ فبراير ١٩٤٣، اذ صرح قائلاً"انه لو سئل ان كان من الممكن التبرع ببعض اموال النداء اليهودي الموحد لانقاذ اليهود فان اجابته ستكون كلا ثم كلا بشكل قاطع وأضاف"يجب ان نقوم بهذا الاتجاه نحو وضع النشاط الصهيوني الاستيطاني في المرتبة الاولى....مؤكد ان بقرة واحدة في فلسطين أثمن من كل اليهود في بولندا" (Black,p145).وقد عبر حايم وايزمان عن نفس الفكرة النفعية عام ١٩٣٧ حين رفضت المنظمة الصهيونية استقبال المرضى او كبار السن من يهود المانيا حين قال" ان العجائز يموتون فهم تراب و سيتحملون مصيرهم و ينبغي عليهم ان يفعلوا ذلك" وانطلاقا من هذه الرؤية المتمركزة حول المشروع الصهيوني وليس الانسان اليهودي لعبت الحركة الصهيونية دورا حاسما في تدمير جميع المحاولات الرامية الى توطين اليهود في اماكن مختلفة من العالم مثل جمهورية الدومينيكان، حتى يضمن الصهاينة تدفق المادة البشرية اليهودية الى فلسطين.

وعلى الجانب الاخر وهو الجانب النازي فقد اكتشف النازيون عمق التناقض بين الصهاينة المستوطنيين وبين اليهود الاندماجين. وقرروا استخدام هذا التناقض لتحقيق امرين: افشال مشروع المقاطعة الاقتصادية للبضائع الالمانية والذي اطلقه اليهود لاسيما يهود بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية.

والامر الثاني تنظيف المانيا بأيد الصهاينة من اليهود ،وبالتالي عدم تحقيق اجماع يهودي على معادات النازية في تلك المرحلة من تاريخ المانيا النازية التي كانت تهيئ الاجواء لنقض معاهدة فرساي .

قائمة المصادر

المصادر العربية :

- الشناوي، عبد العزيز محمد (١٩٨٦)، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، ط١
- بازلي، قسطنطين (١٩٨٩)، تاريخ سوريا وفلسطين في العهد العثماني ،دار التقدم،موسكو .
- سهام محمد هنداوي(٢٠١٥)، التطورات التاريخية للعلاقات الالمانية -العثمانية ١٨٧٦-١٩٠٩، وثائق سرية،دمشق .
- سنو، عبد الرؤوف (١٩٨٧)،المصالح الالمانية في سورياوفلسطين ١٨٤١-١٩٠١،معهد الانماء العربي،بيروت .
- -----،(٢٠٠٧)، المانيا ولاسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين ،مؤسسة الكسندر فون،بون .
- ستیورات،ديزمووند، ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٩ .
- عبد الوهابالعكيلي (١٩٨٥)، تاريخ فلسطين الحديث،القاهرة .
- عبير الشيخ(٢٠١٢)، السياسة الالمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها ١٩٤٩-٢٠٠٨،دمشق .
- محافظة، علي،(١٩٨١)، العلاقات الالمانية الفلسطينية من انشاء مطرانية القدس البروتستانية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، بيروت
- محمد شريده، شخصيات اسرائيلية، بيروت، ١٩٩٥

- نظام عباسي(١٩٨٤)، العلاقات الصهيونية النازية واثرها على فلسطين وحركة التحرر العربي ١٩٣٣-١٩٤٥، الكاظمة للنشر والتوزيع، الكويت.

المصادر الاجنبية

- Albert.m.Hyamson,(1950)The british consulate in Jerusalem in relation to the jews of Palestine(1838-1914),London.
- David,yisraeli (1979) , "Germany and Zionism" in "Germany and the middle East 1835-1939",Editor,jehudal.wallch.London.
- Edwin Black,(1999) The Transfer Agreement: The Dramatic Story of the Pact Between the Third Reich and Jewish Palestine, Brookline Books.
- Fichte,johann,(1973)Beitragezurberichtigungder urleitedes.publikumsuberdiefranzosischerevolution,Hamburg.
- Hans,Ulrichwehler,(1977) Das Deutsche kaiserreich1871-1918,London.
- Isaian,friedman,(1988)Germany,Turkey and Zionism 1897-1918,oxford.
- M.E.Yapp, (1989)The making of the modern Near East 1792-1923,London.
- Nahum,goldmann, (1976),Staatsmannohnestaat,Autobiographie,Berlin.
- Yahya,faris,(1978),Zionist relation with Nazi-Germany,Beirut.

المجلات والصحف العربية

- سنو، عبد الرؤوف (١٩٨٤)، موقف المانيا من مشروع تدويل القدس واعادة توطين اليهود في فلسطين، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع٦٣١٦٢٤
- ----- (١٩٩٠/١٩٨٩)، المانيا وسياسة الاندفاع نحو الشرق:العلاقات الالمانية-العثمانية ١٨٧١-١٩١٨، مجلة دراسات اسلامية، ع٣، المعهد العالي للدراسات الاسلامية،بيروت.
- عبد الكريم صالح(٢٠١١)،الصهيونية ومعاهدة الهعفراه(الترانسفير)،صحيفة دنيا الوطن، في ١٦-٧-٢٠١١
- غازي حسين(٢٠١٥)، التشابه بين النازية والصهيونية،صحيفة القدس، ٦نوفمبر.
- محافظة،علي (١٩٨٦)،المستعمرات الالمانية في فلسطين ١٨٦٨-١٩١٨، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية، عمان.

الرسائل والاطاريح

- البدري، سهيلة شندي، وليم غلادستون والقضية الايرلنديه، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب اجامعة بغداد

المجلات باللغة الانكليزية

-Neville,mandel,(1965)"Turk,Arabs and jewish immigration -
.in to Palestine 1882-1914", middle Eastern Affairs, No,4, vol.17

-R. Melk ,(1969) "Nazi Germany and the Palestine Question",
Middle Eastern Studies. Vol. 5 No. 3 Oct.,

-Sidney. B,fay, (2022)"Nazi treatment of the jews".current
history 1916-1940,jstor journalArticle,vol.38,no.7

القواميس باللغة الانكليزية

-Bauer,Ela,Nossig,Alfred, The Encyclopedia of Jews in eastern
Europe,2010.

-Encyclopaedia Britannica,vol.7.6.8.

Encyclopædia Britannica Online: <https://www.encyclopedia.cat/ec-gec-0043285.xm>

شبكة المعلومات (الانترنت)

- الملف السياسي (٢٠٠٠)، اوجه التشابه بين العقيدة الصهيونية والفكر النازي، صحيفة البيان الالكترونية ٢٧ اكتوبر. على الموقع:

<http://www.alBayan.ae\one\world\>

-حياة الحويكعطية،العلاقات الصهيونية-النازية ١٩٣٣-١٩٤١، بحث منشور على
الموقع الالكتروني

<http://www.behethcentre.com.2015>

عمر عاص، كيف والمآذا اراد الالمان استعمار فلسطين.
بحث منشور على الموقع الالكتروني:

<http://www.\sers\A\Deskton.>

-مقال العلاقات الفعلية بين النازية والصهيونية .على الموقع:

<http://www.alhesn.net\play\5955>

الهوامش:

*هوفمان (١٨١٥ - ١٨٨٥): سياسي الماني ولد في ليونبرغ في ألمانيا وتنتخب عضوا في البرلمان الالمانى (الرايخستاغ) والذي كان مقرة في فرانكفورت، ومع اندلاع حرب القرم عام ١٨٥٣، اعتقد هوفمان أن الوقت قد حان لإقامة مملكة الرب وسلخ أرض الميعاد في فلسطين عن الإمبراطورية العثمانية المتداعية وجعلها موطناً لشعب الله المختار تنفيذاً للوعود التوراتية. وقد فسّر هوفمان هذه الوعود بأنها ليست لليهود ولكن للشعب المسيحي الإنجيلي. طرح هذه الفكرة لدى البرلمان الألماني في فرانكفورت من أجل التأثير على السلطان العثماني للسماح للألمان باستيطان فلسطين. للمزيد عن المشروع ينظر:

Contributors, Encyclopædia Britannica, Inc. Corporate Site

* مولتكة (١٨٠٠-١٨٩١): هو قائد بروسي تولى رئاسة أركان الجيش البروسي ١٨٥٧-١٨٨٨ يُعتبر صانعاً لطريقة جديدة أكثر حداثة في توجيه الجيوش في الميدان. قاد جيوشه في اوربا والشرق الاوسط يشار إليه غالباً باسم مولتكة الأكبر لتمييزه عن ابن أخيه هيلموت يوهان لودفيج فون مولتكة، الذي قاد الجيش الألماني عند اندلاع الحرب العالمية الأولى.

Encyclopædia Britannica Online: <https://www.encyclopedia.cat/ec-gec-0043285.xm>

- يمثل التاريخ امام الشخصيات سنوات الحكم. وسيتبع هذا السياق في كل صفحات البحث
- * غلادستون (١٨٠٩-١٨٨٩): سياسي بريطاني نو جذور اسكتلندية ينحدر من عائلة بروتستانتية تنتمي للطبقة المتوسطة دخل البرلمان عام ١٨٣٢، تقلد عدة مناصب وزارية منها وزارة التجارة، ١٨٣٤، الحرب والمستعمرات عام ١٨٤٥، تزعم الحزب الليبرالي (الاحرار) ١٨٦٦، شكل أربع وزارات، توفي عام ١٨٨٩. انظر: البديري، سهيلة شندي، وليم غلادستون والقضية الايرلندية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد. ٢٠٠٥

*فون بولوف (١٨٤٩ - ١٩٢٩): سياسي ورجل دولة ألماني. كونت من عام ١٨٩٩، مستشار الإمبراطورية الألمانية في الفترة من ١٩٠٠-١٩٠٩

.Encyclopædia Britannica Online: <https://www.encyclopedia.cat/ec-gec-0043285.xm>

الفريد نوسينغ (١٨٦٤-١٩٤٣): كاتب وفنان يهودي ومن أوائل مفكري الحركة الصهيونية، خلال الحرب العالمية الثانية تورط في التعاون مع السلطات النازية في بولندا واتهم بالعمل لصالح الجيستابو

في وارسو، وقد يكون هذا التورط سبب تجاهله في الأغلبية الساحقة من كتب تاريخ الحركة الصهيونية. في عام ١٨٨٧ نشر كتاباً بعنوان «محاولة لحل المسألة اليهودية»، اقترح فيه == دولة يهودية في فلسطين والدول المجاورة. وكان لهذا الكتاب أثر عميق على المثقفين اليهود في أوروبا. شارك ألفريد نوسيج في المؤتمرات الصهيونية، وأسس عام ١٩٠٨ منظمة استيطانية تسمى «إيكو» للتعجيل بنقل اليهود. وقد دفعه حماسه لنقل اليهود إلى فلسطين إلى التعاون مع النازيين، فعمل كمخبر للسلطات النازية إبان الحرب العالمية الثانية لتسهيل نقل اليهود إلى فلسطين. اكتشف أعضاء المقاومة اليهودية في وارسو تعاونه مع النازية وأنه عضو في الجستابو، فحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص ونفذ الحكم في ٢٢ شباط عام ١٩٤٣.

Bauer, Ela, Nossig, Alfred, Theyivo Encyclopedia of jews in Eastern Europe, 2010

- * ايبيرت (١٨٧١-١٩٢٥): هو سياسي ألماني انضم إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني، وأصبح رئيساً له في عام ١٩١٣. وبعد قيام الثورة الألمانية ١٩١٨ وإعلان الجمهورية التي عرفت بجمهورية فايمار عام ١٩١٩، انتخب كأول رئيس لها.

Encyclopaedia Britannica, vol. 7, p. 884.

* هرتزل : صحفي يهودي نمساوي مجري، يعتبر مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودابست سنة ١٨٦٠ و توفي في النمسا

عام ١٩٠٤ وضع الحجر الأساس لظهور الصهيونية الحديثة، بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧، وانتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. ستوارت، ديزموند، ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٩.

* بن غوريون (١٨٨٦-١٩٧٣): أول رئيس وزراء لإسرائيل. وُلد في مدينة بلونسك البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمساً للصهيونية، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦. امتحن الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي «بن غوريون» عندما مارس حياته السياسية، يعد من رواد الحركة العمالية الصهيونية في مرحلة تأسيس إسرائيل. وخلال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٣ (باستثناء الأعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥). قاد بن غوريون إسرائيل في حرب ١٩٤٨ التي يُطلق عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال. ويعد بن غوريون من المؤسسين لحزب العمل الإسرائيلي. للمزيد انظر: معجم الكنيست على الموقع:

<https://m.knesset.gov.il/ar/about/lexicon/pages/default.aspx>

جولدمان (١٨٩٥-١٩٨٢) سياسي يهودي نشأ وترعرع في ألمانيا ونال درجة الدكتوراه من جامعة هيدلبرغ، خدم في القسم اليهودي في وزارة الخارجية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ودعا الحركة الصهيونية الى تقديم الدعم لآلمانيا. عين مندوبا للوكالة اليهودية في عصبة الامم العام ١٩٣٥، وكان من المبادرين الى اقامة الكونغرس اليهودي العالمي، وتولى رئاسته بين ١٩٥٣ و ١٩٧٧. عمل جاهدا على اقامة دولة يهودية في فلسطين. تولى ===== لجنة الدعاوى في مسألة التعويضات من ألمانيا في اعقاب الحرب العالمية الثانية. توفي في القدس ١٩٨٢. محمد، شريده، شخصيات اسرائيلية، ١٩٩٥، ص٢٣٣.. ينظر:

* ارنست روم(١٨٨٧-١٩٣٤): ضابط في الجيش الامبراطوري الالمانى، شارك في تأسيس قوات العاصفة النازية، اعدمه هتلر عام ١٩٣٤.

Encyclopædia Britannica, vol. 7, p. 344.

* ماكس نورداو (١٨٤٩-١٩٢٣) : زعيم صهيوني كاتب، وناقد اجتماعي. شارك في تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ إلى جانب تيودور هرتزل، ورئيس أو نائب الرئيس للعديد من المؤتمرات الصهيونية.

Encyclopædia Britannica, vol. 6, p. 552.

وهو جوزيف ارثر دو جوبينو عالم اجتماع فرنسي مهتم بنظريات الاجناس والاعراق * ويقصد بهم يهود المنفى او الشتات وهي كلمة يونانية تعني التشتت وتستخدم للإشارة الى الاقليات اليهودية في العالم والموجوده في المنفى حسب التصور الصهيوني .

Encyclopedia of the Jewish, 2009. p. 356.

*

* الفريد روزنبرغ: منظر سياسي للحزب النازي ولد عام ١٨٩٣ في مقاطعة استونيا في روسيا القيصرية تعرف الى هتلر، وأسس عدة مذاهب أيولوجية نازية منها نظرية إستمرار البشرية وإضطهاد اليهود تم اعتقاله وحوكم في محكمة نورنبرغ وحكم عليه بالإعدام شنقا لإتهامه بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وأعدم في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٦.

Encyclopædia Britannica, vol. 6, p. 322.

* شترايخير (١٨٨٥-١٩٤٦) : هو قائد نازي وناشر صحيفة دير شتورمر والتي تعني باللغة الألمانية (المهاجم) ، و هي صحيفة معادية لليهود ويحرض على تخلص ألمانيا من الوجود اليهودي، وحكمت عليه محكمة نورنبرغ بالإعدام بتهمة مايسمى جرائم حرب إنسانية. Encyclopædia

Britannica, vol. 10, p. 252.

*جابوتنسكي: ولد العام ١٨٨٠ في اوديسا - روسيا. مؤسس وزعيم الحركة التصحيحية الصهيونية. درس الحقوق في جامعات سويسرا وإيطاليا. بداياته في العمل كانت في الكتابة الصحافية لبعض الصحف الروسية، وظهرت عليه علامات التقرب من الصهيونية في أعقاب بعض الاعمال المضادة لليهود في اوديسا العام ١٩٠٣، تبنى جابوتنسكي خط هرتزل في الفكر الصهيوني الداعي إلى تحضير الظروف السياسية لكل عملية استيطانية، وأخذ ينادي إلى توضيح صريح للهدف الصهيوني، وتبنى أيضاً شعار (ضفتي الأردن) ما أثار غضب حكومة الانتداب البريطانية ما حدا بسلطات الانتداب إلى منعه من دخول فلسطين إلى أجل غير مسمى. توفي في شباط ١٩٤٠ في الولايات المتحدة ونقل رفاته إلى القدس عام ١٩٦٤ بعد سنوات طويلة من معارضة بن غوريون لذلك. يعتبر جابوتنسكي الأب الروحي والسياسي لحركة (الحيروت) التي تزعمها مناحيم بيغين، وتركت أفكاره أثراً بالغاً على الكثير من الساسة الصهاينة. للمزيد من المعلومات انظر .

وسوعة المصطلحات على الموقع الإلكتروني: <https://www.madarcenter.org/um> موس

*روبين (١٨٧٦-١٩٤٣): عالم اقتصاد واجتماع، وقائد صهيوني ومنظم المستوطنات الزراعية في فلسطين. التحق آرثر روبين بالمنظمة الصهيونية عام ١٩٠٥ وطُلب منه أن يذهب إلى فلسطين لبحث حالة المستوطنات اليهودية، كانت تلك الرحلة نقطة تحول في حياته حيث كرس كل جهوده بعد ذلك لتطوير المستوطنات اليهودية. حارب بشدة من أجل زيادة الهجرة إلى فلسطين وزاد نشاطه في حركة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بكل الطرق.

موسوعة المصطلحات على الموقع: <https://www.madarcenter.org>

هي عملة اصدرتها سلطات الانتداب البريطاني على فلسطين، وكانت العملة الرسمية المتبعة في فلسطين وامارة شرق الاردن بين عامي *

١٩٢٧-١٩٤٨: ويكيبيديا على الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org>

* الياهو بن اليسار (١٩٣٢-٢٠٠٠): دبلوماسي إسرائيلي كان أول سفير إسرائيلي إلى القاهرة. للمزيد انظر: الياهو بن اليسار

موسوعة المصطلحات على الموقع: <https://www.madarcenter.org>

الاساكل البونيقية

أ.م.د. انمار نزار عبد اللطيف الحديشي

كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة الانبار

ed.anmar_nazar@uoanbar.edu.iq

الاساكن البونيقية

أ.م.د. انمار نزار عبد اللطيف الحديثي

مقدمة

اعتمد الكنعانيون وسائل عدة للسيطرة على الساحل الافريقي في الالف الاول قبل الميلاد، وكانت الاساكن من اهم تلك الوسائل، فهي شكلت نقاط ارتكاز لنفوذهم على الشريط الساحلي لشمال افريقيا من ليبيا الحالية وحتى مضيق جبل طارق (اعمدة هرقل). وبعد تحول النفوذ الكنعاني الى قرطاجنة، اصبح البحر الابيض المتوسط تحت سيادتها، فتحولت الاساكن الناشئة الى موانئ كبيرة ومهمة، واصبح لميناء قرطاجنة مدينة كبيرة تحمل اسمه، وعاصمة لإمبراطورية بحرية حكمت الساحل الافريقي وسيطرت على تجارة البحر الابيض المتوسط، حتى قيل لا يسمح لاحد بغسل يديه في الساحل اليوناني او الروماني الا بأذن من القرطاجيين، و رغم المبالغة في الرواية الا انها دلالة واضحة على مدى قوة القرطاجيين، و سيطرتهم على سواحل البحر الابيض المتوسط.

الاساكن في اللغة:

لم اجد اصلا للكلمة في المعاجم العربية القديمة، وقد تكون دلالة على انها كلمة دخيلة، رغم اعتقادي انها قد تكون كنعانية الاصل ولم نعثر عليها بعد^١. وردت الكلمة في احد المعاجم الحديثة: "اساكن كلمة اسبانية بمعنى السلم او السلم المتحرك"^٢. وقد تكون الواح من الخشب، والاسكلة والصفالة الميناء في بحر الروم، او ما يتوصل به الى البرج اساكن وصقائل^٣. واطلقها اليونانيون على ارصفتهم البحرية، لانهم كانوا يرون البحارة الكنعانيون عند توقفهم على الارصفة ينزلون اليها من السفن عبر سلم مكون من الواح خشبية^٤.

نشأة الاساكن:

انشأ الكنعانيون اول الاساكن البحرية، وكانت على شكل ارصفة بحرية لرسو سفنهم واطمات عملية التبادل التجاري. استخدموها على نطاق ضيق في الجزر القريبة من موانئهم

البحرية التابعة لصيدون وصور، اللتان كانتا الانشط^٥ في الحقبة التي سبقت عبورهم الى الساحل الافريقي، تحت ضغط الإمبراطوريات المجاورة الاشورية من جهة، والمصرية من جهة اخرى، اضافة الى ضغط الاقوام الهندو- اوربية والاقوام الآرامية^٦. وبالرغم من وعينا لجميع الاسباب التي دعت الكنعانيين لاختيار البحر وسيلة اساسية للتبادل التجاري^٧، يبقى الموقع اولا ثم الوازع الاقتصادي - وهو الالم - ثانيا، اساسا في هذا الاختيار، فنزلت المدن الكنعانية الى شواطئ البحر الابيض، ومارست بواكير التجارة البحرية بدءا بمناطق نفوذها على سواحل مدنهم الشرقية. وكانت رحلاتهم قصيرة اول الامر، اقتصرت على صيد الاسماك، وبيع منتجاتهم الخاصة، وتوثيق علاقتهم بالسكان الاصليين، فحقق الكنعانيون ارباحا جيدة. و نشير هنا الى ان سفنهم كانت معدة للأحمال الخفيفة اول الامر، فهم لم يغامروا بأنفسهم في عرض البحر، وبما ان سفنهم صغيرة فان عنصر السرعة غير متوفر لذلك لجأوا الى مبدأ اقامة الاساكن على الشواطئ اثناء اسفارهم البعيدة التي كانوا يقومون بها الى غربي البحر الابيض المتوسط^٨.

نظام المساحلة:

اعتمد الكنعانيون مبدأ المساحلة أسلوبا للملاحة البحرية، أي التواصل مع سكان البلدان في حدود السواحل، او لنقل جيرة الساحل للأرض. وواضح انهم حرصوا على مجاورة لا تقلق السكان المحليين في بادئ امرهم. فاختاروا رؤوسا وخلجانا طبيعية ملائمة لرسو السفن^٩، دون تدخلهم في تنظيمها، وفي اعتقادي ان هذه الرؤوس والخلجان الطبيعية كانت بمثابة نقاط للعبور^{١٠} والحماية، فلم يبتعدوا عن السواحل وقربوا المسافات بحيث لا تستغرق الملاحة بين نقطة عبور واخرى الا ملاحه يوم واحد^{١١}.

تطلب نزول الكنعانيين الى البحر اختيار ارضة بحرية طبيعية، وخلجان تساعدهم كدليل بحري مثلها مثل المنارة، استخدموها لملاحتهم حتى يستكشفوا المناطق^{١٢} التي يستطيعون الوصول اليها، ثم ينطلقون منها بعد ان يؤمنوا سيرهم الى نقاط اخرى. و قد نجحوا في عملهم هذا فنظام المساحلة يتضمن ايضا عدم الابتعاد عن البر وذلك لضمان عدم الضياع في البحر^{١٣}، لذلك اصبحت نقاط العبور ملاجئ لهم يستريحون فيها من اتعاب السفر، او يلجئون اليها كلما هاج البحر وعصفت الرياح^{١٤}، ويتوقفون عندها ليلا كي لا

تضيق سفنهم وسط البحر، فكانت بالضرورة كثيرة، و انتشرت على طول الشريط البحري الذي سلكوه. كانت المسافة بين منطقة عبور واخرى ثلاثين كيلو متر تقريبا^{١٥}. وهم ما زالوا بعد لم يحددوا الارصفة والمحطات التجارية، لانهم يحتاجون الى تأمين المناطق الملائمة لأقامتها. فلم ترقى الاساكن أول الامر لان تكون محطات تجارية، ثم مراكز استيطانية، ثم موانئ. دون التخلي عن وظيفتها كنقاط عبور تفيد في استدلال السفن وعدم ضياعها، ثم تحولت لاحقا لأرصفة بحرية وموانئ لها مدن.

تطور نقاط العبور (الاساكن):

سيطر الكنعانيون على سواحلهم البحرية، والطرق المؤدية الى الجزر الايجية، وبدأوا فرض سيطرتهم على ملاحه البحر الابيض المتوسط قبل انتقالهم الى الساحل الافريقي، فكان لزاما عليهم تطوير الاساكن (نقاط العبور) كي تتماشى مع طموحهم في تطوير التجارة البحرية. أخذ هذا التطور مسارين، الاول: بقاء نقاط العبور مجرد أرصفة بحرية تؤمن سير سفنهم البحرية لا غير لتؤدي وظيفتين، ضمان عدم ضياع سفنهم في البحر ليلا، وتأمين راحة المجدفين والبحارة الكنعانيين ليستعدوا للعودة نهارا الى الابحار في طرق تجارتهم البحرية. فكانت بدايتها محدودة لم تشهد تطورا واسعا، بسبب مخاطر قدرها الكنعانيون انفسهم، فبقيت مناطق استدلال ومحطات استراحة^{١٦} اما لاحقا، وحسب رأيي، فأنها تطورت بعد ما حقق الكنعانيون من انجازات، مثل سيطرتهم على نقاط العبور، وعلى ملاحه شرق البحر المتوسط وشماله، وتطور تجارتهم وتحقيق مدخولات وارياح، حرصوا على ان تقدم نقاط العبور خدمات تسهل عملية الرسو للسفن التجارية فبنوا لها ارصفه من الحجارة^{١٧} لتسهيل عملية استراحة السفن خاصة بعد تطور السفن هي ايضا وحاجتها الى عملية منظمة لأجل الراحة، وشيدوا اماكن مبيت البحارة وحماية المراكب ورسوها بشكل يحفظها من مخاطر البحر من مد وجزر او عواصف وهياج. لذلك امنوا على سفنهم كما امنوا بحارتهم.

المسار الثاني: ذهب نحو تحويل نقاط العبور الى محطات لقوافلهم البحرية ثم مراكز تجارية تؤمن نشاطهم التجاري من خلالها استطاع الكنعانيون ان يطوروا تجارتهم ويسيطرون على الملاحه البحرية في المتوسط والتوسع نحو مناطق اكبر ليحققوا تنويجا للتجارة البحرية

التي استعاضوا بها عن تجارة البر لتضييق الاقوام التي سيطرت او سكنت قرب مناطق الكنعانيون ومزاحمة تجارتهم البرية ولاحقا تدمير مناطقهم وممالكهم في سوريا على الساحل.

محطات القوافل البحرية والمراكز التجارية:

طور الكنعانيون الفينيقيون نقاط العبور (الاساكل) كي تتماشى مع اسواقهم الجديدة و تخدم تجارتهم الاخذة بالتوسع. فبنوا فيها مخازن لحفظ منتجاتهم التي يقايضون بها السكان المحليين واقاموا ارسفة مصنعة لحماية سفنهم التجارية والحربية لاحقا حتى صار البعض من هذه النقاط موانئ مهمة لمدن كانت جزءا من امبراطورية بحرية كبيرة امتدت الى المحيط الاطلسي.

ذكر هيرودوتس بأن هناك آلية للكنعانيين الفينيقيين في بيع منتجاتهم في شمال افريقيا ويبدو ان هذه الآلية كانت متبعة في جميع نقاط العبور التي اسسوها لتكون قاعدة في ما بعد لمحطاتهم قبل تحولها لمراكز تجارية، فكانوا يأتون ويفرغون حمولتهم و يرتبوا بضائعهم بنظام على الساحل ثم يوقدون نارا قبل الرجوع الى سفنهم في البحر، فيرى سكان المنطقة الدخان وهو اشارة على وجود اتصال وان هناك وافد جديد على الساحل فيأتون الى الساحل يضعون مقدارا من السلع التي يمتلكوها كالذهب مثلا او أي معدن اخر ويرجعون ادراجهم فيعود الكنعانيون الفينيقيون يفحصون المادة الموضوعة للمقايضة فإذا كانت مجزية اخذوها وابحروا، اما اذا لم تكن مجزية يعودون الى سفنهم ليضيف السكان المحليين كمية اكبر وهكذا يتم الاتفاق بين الطرفين وكانت هذه الآلية المتبعة لدى الكنعانيين الفينيقيين في ترويج بضائعهم ثم انتقلت الى القرطاجيين بعد انتقالهم الى سواحل افريقيا^{١٨}.

تطورت بعض هذه المحطات التي عدها الكنعانيون مهمة في حساباتهم^{١٩} فشرعوا ببناء مخازن يخزنون فيها بضائعهم^{٢٠}، ثم مصانع يتم فيها صنع منتجاتهم التي زاد عليها الطلب نتيجة سياساتهم الناجحة في ترويج بضائعهم والمتاجرة فيها. ولعل اشارة هيرودوت عن معسكر الصوريين في مصر خير دليل على ذلك. استخدموا المعبد اساسا لنشاطهم الاقتصادي^{٢١} قبل انطلقهم الى شمال افريقيا فانتشرت مراكزهم ومخازنهم في مصر وغرب البحر المتوسط^{٢٢}، وسيلة للتوسع والحصول على مزيد من المراكز تمدهم بالمعادن، ومزيديا من المواد الاولية تدخل في صناعة منتجاتهم. وعندما نجحت سياستهم وبدأوا يسيطرون على

المناطق الساحلية انطلقوا الى سواحل شمال افريقيا وجنوب ايطاليا واسبانيا لتوسيع نشاطهم بغية توفير المواد الاولية لصناعتهم بعد زيادة الطلب عليها.

اتخذ الكنعانيون الفينيقيون اول محطاتهم التجارية في مصر ثم انتقلوا الى جزر سواحل بحر ايجيه بعد غزو الاقوام الدورية^{٢٢} مناطق الموكيين، فبرز دور الاقوام الفينيقية وباشروا توسعهم في جزر قبرص وكريت ورووس اولى المحطات التي من خلالها سيطروا على كامل السواحل الشرقية للبحر الابيض والجزر المنتشرة في بحر ايجيه^{٢٤}.

فسر بعض المؤرخين انتشار الكنعانيين الفينيقيين في المناطق الساحلية المهمة واستيطانهم فيها بأنها ظاهرة تعود لأسباب اجتماعية واقتصادية دفعتهم للخروج من مدنهم الام والانطلاق الى مستوطنات سكنوها بشكل دائم و تعيشوا مع سكانها بسلام فمثلا مدينة صور التي كانت تتزعم مدن الساحل الفينيقي الشرقي في هذه الحقبة كانت تعاني من زيادة في عدد السكان فعالجت هذه المشكلة بتأسيس المستوطنات في الخارج لاستيعاب عدد من سكانها، وأشارت الهذال الى حديث جوستين^{٢٥} الذي ارجع تأسيس احدى المدن في شمال افريقيا لسببين، الاول يعود للأعداد المتزايدة للسكان في صور، و الثاني اخراج الشباب من المدينة للتخلص من مشاكلهم التي قد تؤدي الى الحاق الضرر بمصالح الطبقة الارستقراطية الحاكمة^{٢٦}. يهمننا امر الاساكن الفينيقية التي اخذت بالتطور لتواكب تطور التجارة الكنعانية الفينيقية، فتحولت من مناطق عبور كما استعرضنا سابقا الى محطات تجارية تمارس فيها تسويق منتجاتهم الصناعية وحاجة تلك المحطات الى مخازن تستوعب الزيادة في المنتجات والية تنظيم توزيعها مما عزز تلك المحطات وتحولها الى مدن تمارس النشاط الاقتصادي بكل نواحيه.

المستوطنات البونيقية:

حدثت نقطة التحول في الاساكن الفينيقية عندما اتخذ حكام صور قرار العبور الى الساحل الافريقي والمغامرة لاكتشاف مراكز تتيح المجال لتجارة غير منتظمة وبسيطة^{٢٧}، يستطيع من خلالها حكام صور التحكم بإدامة التوسع او الاكتفاء بالمستوى المتحقق. و يبدو ان القرار كان صائبا فتسيير السفن للتعرف والاكتشاف قاد اولا الى محطات تجارية ومراكز استيطانية ساهمت بمراد مالية مهولة^{٢٨} لصور. وثانيا فسحت المجال لجاليات فينيقية

تستكشف مناطق جديدة استوطنتها ومارست التجارة فيها و حتى الصناعة، لتتحول في ما بعد لمدن مهمة ساهمت في تطور سيطرة البونيقيين^{٢٩} على البحر الابيض المتوسط، وتأسيس امبراطورية بحرية كبيرة، بسبب نشاط هذه المراكز.

تأسست الاساكن في وقت كانت فيه صور وصيدا موانئ متطورة. الا ان النظام الذي اوجده الكنعانيون الفينيقيون هو الذي اوجد هذه الالية، لاستكشاف مناطق تدر عليهم الاموال من جهة، و تصرف فيها بضائع تجارتهم التي برعوا فيها من جهة اخرى. اتبعوا نظام المساحلة الذي رسم مواقع نقاط العبور (الاساكن)، الضامنة لسير المراكب وعدم ضياعها وحمايتها من ظروف الطبيعة، ولمسافات طويلة وصلت الى اسبانيا في طورها المبكر. وقد علل بعض المؤرخين تأسيس مثل هذه المستوطنات البعيدة دون ضمان اساكن تسيطر على نظام الملاحة فيها - كما هو متبع لدى الفينيقيين - بأن المصادر القديمة التي تحدثت عن الاستيطان الفينيقي لم تفرق بين طور الاستكشاف و التعرف، وبين طور الاستيطان الذي اسس مراكز تجارية بعيدة^{٣٠}. وحين اكتشف الكنعانيون الفينيقيون ان هذه الاساكن نافعة لملاحظتهم وسير مراكبهم التجارية، وضعوا لها ممكنات للتطور الى ارضة تسهل عملية رسو هذه المراكب، واذا ما وجدوا فيها سوقا لبضائعهم تحول نقاط العبور (الاساكن) الى محطات او وكالات تجارية، ثم اذا كان موقع هذه المحطات صالحا، ويساهم في نقله نوعية مثال وجود المعادن كالنحاس او القصدير او الحديد او الذهب او احيانا يكون موقع استراتيجي لضمان تنافسهم مع الاقوام الاخرى، تصبح هذه الاساكن مستوطنات يسكنها الكنعانيون الفينيقيون كي يشرفوا على هذه المحطات بصورة مباشرة، و احيانا تقام مصانع للتعددين او صناعة الانسجة لتواكب الزيادة المطردة على البضائع التي يتاجرون فيها فتتطور ويطلق عليها مستوطنات. وفي بعض الاحيان لا تجري عملية التطور لهذه الاساكن بالشكل الذي قدمناه فتزول^{٣١}، والاسباب اما عدم جدواها بسبب ظروف التيارات المائية التي تترك عملية الملاحة^{٣٢}، او مناطق صخرية فيها مخاطر على المراكب التجارية، او عدم وجود سكان محليين يستهلكون بضائع التجارة الكنعانية^{٣٣}، او مزاحمة اقوام هي الاقرب الى هذه المناطق التي اختارها الكنعانيون الفينيقيون فيتركوها لينتقلوا الى مناطق امينة بعيدة عن مزاحمة تلك الاقوام^{٣٤}.

حدد بعض المؤرخين عدد نقاط العبور (الاساكن) الفينيقية (البونيقية) ما يقرب من ٣٠٠ نقطة عبور^{٣٥} وبالرغم من كون العدد كبير الا اننا لا نبالغ اذ سلمنا بصحته فتحدثت جزيل بأن الامكنة التي وصلها الكنعانيون الفينيقيون كانت منذ البداية كثيرة العدد بسبب رحلاتهم البحرية التي تسير بمحاذاة الساحل وبما ان مراكبهم التجارية كانت تسير بمحاذاة الساحل فبالأكيد كانت بحاجة الى سلسلة من مراكز الإيواء والمحطات يلتجئون اليها اذا اضطرب البحر، وينتظرون الرياح الموافقة ويتزودون بالماء ويستريحون المجدفين من العناء ويصلحون عطب السفن اذا ما اصابها شيء في ابحارها^{٣٦}. لذلك يكون العدد غير مبالغ فيه. وفي دراسة جديدة لنيكولاس كارايو نقلتها فطومة في دراستها^{٣٧}، احصى فيها عدد الموانئ فقط في عموم مناطق نفوذ الكنعانيون الفينيقيون فكانت ١٨٣ ميناء. وبالتأكيد قصد فيها جميع الارصفة البحرية اضافة الى المحطات التجارية فلنا ان نتصور مالم يستطع الوصول اليه من محطات اخرى ونقاط عبور (اساكن) وموانئ.

تأتي اهمية المستوطنات الكنعانية من كونها في الاساس موانئ ويتطور الموانئ تطورت المدن وليس العكس فالطبيعي ان تنشأ المدن ثم فيما بعد تنشأ موانئها لكن في المحطات الفينيقية البونيقية العكس هو الصحيح، فبسبب نظام المساحلة تؤسس نقطة عبور ثم تتطور حسب الاهمية محطات تجارية تزود بأرصفة البحرية واذ ما زادت اهميتها واصبحت مستوطنة فتنشأ (مدينة الميناء). أنشأ الكنعانيون الكثير من المحطات والمدن والمستوطنات المهمة لهم، قد تعود نشأتها الى تواريخ مبكرة سابقة لا يتسع المجال لاستعراض هذه المستوطنات في هذه الدراسة فقد تم استيعابها في دراسات سابقة، لكن لا بأس ان نشير الى اقدم هذه المستوطنات واشهرها لدى الاقوام الكنعانية الفينيقية في سواحل جنوب ايطاليا واسبانيا وسواحل تونس .

أخترت اربع مستوطنات، ثلاثة منها لأنها شكلت نقطة تحول للكنعانيين الفينيقيين، ولعبت دورا في تشكيل الامبراطورية البحرية التي قادتها المستوطنة الرابعة قرطاجة، بعد سقوط صور اخر معقل للكنعانيين في منطقة الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط الذي اصبح خاضعا لإمبراطوريات الشرق القديم. وقفت هذه المستوطنات الى جانب قرطاجة التي

تشكلت في عام (٨١٣ - ٨١٤ ق.م) أي بعد حوالي ثلاثة قرون من الزمن تأسيس المستوطنات الثلاثة حسب اجماع المصادر والمراجع^{٣٨}.

(١) **كدير (Gadir) قانس او كانس (Gades)**^{٣٩}: وهي الاقدم كموقع متميز اتخذه الكنعانيون الفينيقيون في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد تحديدا عام ١١٠ ق.م. تقع في نهاية الطريق التجاري المؤدي من نهاية الحوض الغربي المؤدي الى المحيط الاطلسي لتكون قريبة من المستوطنات الكنعانية الفينيقية على سواحل شمال افريقيا و المستوطنات المطلة على المحيط الاطلسي خاصة المستوطنة المهمة الاخرى ليكسوس المدينة التوام لها^{٤٠}، تميز نشاطها التجاري بالدرجة الاساس في التعدين وخاصة الفضة و القصدير والنحاس^{٤١}.

(٢) **ليكسوس (Lixus)**^{٤٢}: من ابرز المستوطنات الفينيقية القديمة معاصره لمستوطنة قانس اسست على سواحل المحيط الاطلسي في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد الغرض من تأسيسها استراتيجي اكثر من كونها تجاري. ارتبط موقعها بحماية المستوطنات الغنية بالمعادن.

(٣) **اوتيكا (utique)**^{٤٣}: تقع في وسط سهول شمال تونس تعد ثالث اهم مستوطنة قديمة يرجع تاريخها الى ١١٠١ او ١١٠٠ ق.م. الهدف من تأسيسها عاملين اساسيين الاول اقتصادي فتعد اراضيها من اجود الاراضي الصالحة للزراعة والثاني والاهم في تقديري استراتيجي لموقعها الرابط بين الطريق البحري من صور الى قانس^{٤٤}.

قرطاجة (مدينة الميناء):

اخذت الموانئ الكنعانية البونيقية اهميتها من نجاحها في الحصول على المعادن التي تحتاجها قرطاجة، وسيطرتها على الاراضي الخصبة الصالحة للزراعة، والمناطق الاستراتيجية التي تتيح استمرار الملاحة، والمواقع النشطة لرصد النشاط التجاري البحري لتجارة الكنعانيين في جميع اصقاع البحر الابيض المتوسط و العبور الى المحيط الاطلسي. ومن بين جميع المحطات والمستوطنات الاستراتيجية اكتسبت قرطاجة اهميتها. وبغض النظر عن اسباب نشأتها، وما قيل من الاساطير عن تلك النشأة^{٤٥}، يبقى الاساس في كونها المثال الاعلى في تطور نقاط العبور وتحولها الى مستوطنة مهمة يتمتع مينائها بمزايا

متطورة، نتجت عن خبرات الكنعانيين في تأسيس مثل هذه المحطات لتصبح المحطة الاخيرة في ذلك التطور، و اهم مدينة ميناء بونيقية تقود المستوطنات والمحطات التجارية بعد اضمحلال المدن الكنعانية واخرها صور، ثم لتصبح عاصمة لإمبراطورية بحرية لم نشهد لها مثيل في العالم القديم بل تكاد تكون المثال الاعلى بين الامبراطوريات البحرية.

طور ميناء قرطاج المزوج ليصبح اهم الموانئ البونيقية في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، وفصل جزيل في وصف هذا الميناء، والذي يهمننا هو اعطاء صورة واضحة تبين الالية التي ابتكرها الكنعانيون البونيقيون في بناء الموانئ في المستوطنات المهمة، و الناتجة عن خبراتهم في بناء موانئهم في منطقة الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط في كل من فلسطين ولبنان. كانت مرافئ قرطاج معدة للسماح بمرور السفن من مرفاً الى اخر، تدخل السفن من البحر عن طريق مدخل عرضه سبعون قدماً (تقريباً ٢١ متر حددها جزيل ب ٢٠ متر و ٧٠ سم)، يتم اغلاقه بسلاسل من حديد الى حوض مستطيل الشكل طوله (٤٥٦ م) وعرضه (٣٢٥ م)، يحيط به رصيف قدر عرضه (٤٠٣ م) وهو الميناء الاول التجاري. يرتبط بالميناء الحربي بمدخل شبيه بمدخل الميناء التجاري، و بنفس المقاسات. دائري الشكل داخله جزيرة دائرية قطرها (١٠٦ م)، يحيط بها رصيف قدر عرضه ب(٩٠٣٥ م) وطول محيطه (١٠٢١ م) فيه مقر القائد الاعلى للأسطول الحربي، و حجرات لضم الاسطول الحربي قدرت طاقته بأستيعاب (٢٢٠) سفينة. في مدخله حواجز كثيرة تحجب النظر عنه لحمايته،^٦. يطلق على هذا الميناء القطن (الكوثون) كدلالة على كونه ميناء اصطناعي نحت الكنعانيون الفينيقيون، وحسب جزيل ان جذر الكلمة اصله جزري(سامي) بمعنى نحت اي من صنع الانسان، وقد يكون دلالة على قطن أي موضع اقامة السفن والمهم ان القطن في رأيي هو اعلى ما وصل له الكنعانيون البونيقيون في بناء الموانئ المزوجة التي تطورت من الاساكن (نقاط العبور).

الرحلات البحرية:

استمرت رحلات استكشاف اسواق جديدة تدعم تجارة قرطاج، وتضاعف ارباحها، وبالضرورة اضافت الى إمبراطوريتها البحرية نقاط عبور ومراكز تجارية جديدة اخرى، يبدو انها لا ترقى الى مستوطنات مهمة وموانئ كبيرة، لكن على الاقل ضمنت مواد اولية تدعم

تجارة قرطاجة اهمها الذهب قرب نهر السنغال. ارسلت قرطاجة في نفس الوقت رحلتين الاولى باتجاه سواحل انكلترا، والاخري الى جنوب سواحل موريتانيا الحالية وهي مناطق لا يزارهم فيها احد، فهي خارج البحر الابيض المتوسط بالإضافة الى مستوطنتي قانس وليكسوس اللتان تراقب حركة الملاحة على مدخل المحيط الاطلسي. قاد الرحلة الاولى هملكون^{٤٧} الذي توجه الى الشمال من اسبانيا باتجاه سواحل انكلترا وكل الذي نعرفه عن الرحلة انها قد تكون وصلت الى ايرلندا ، ولا نعرف اذ كان قد نجح في تحقيق هدفه من هذه الرحلة التي كلف بها من الحكومة القرطاجية لضمان السيطرة على السوق المعدنية في الشمال الغربي لأوربا واهمها القصدير ام لم ينجح؟ لكنه وصف رحلته بأنها لاقت مصاعب جمة منها سكون البحر الذي اوقف سفنه في مساحات مائية تكثر فيها الاشنات المعرقلة لسير السفن، ومسافات واسعة لها قيعان رملية لا يغطيها الماء الا قليلا، وعلى الضباب الكثيف الذي يحجب السماء والبحر، والوحوش الضخمة المخيفة في البحر^{٤٨}.

قاد الرحلة الثانية الملك حنون^{٤٩}، اتجهت من قرطاجة نحو قانس ثم اتجهت جنوبا وقد اخبرنا حنون بأن رحلته نجحت في تأسيس نقاط عبور و مركز تجاري في قرنة و ست مستوطنات^{٥٠} وحسب اخباره، هناك اماكن كانت لا تصلح حتى ان تكون نقاط عبور مثلها مثل رحلة هملكون بيد انه وصل تقريبا الى نهر السنغال، ونجح بتأمين الذهب لقرطاجة عن طريق تأسيس المستوطنات والاساكن التي تؤمن النشاط البحري في سواحل غربي افريقيا الاستوائية وقد تكون منطقة قرنا اهم منطقة في رحلته بصفتها مركزا تجاريا، وبالرغم مما قيل في تحرك اسطوله والعدد المبالغ من المعمرين، ومشاكل تحديد المستعمرات، وحتى المناطق التي وصل اليها، الا انه اكد كون الاساكن الفينيقية ثم البونيقية وتحولها الى محطات تجارية ومستوطنات ومدن ميناء، هي الاساس في التوسع الفينيقي وتأسيس اهم امبراطورية بحرية في حوض البحر الابيض المتوسط في منتصف الالف الاول قبل الميلاد^{٥١}.

عزز نجاح الفينيقيين حفظهم اسرار طرق تجارتهم البحرية، وحركة الرياح والتيارات البحرية كي يحتكروا طرق الملاحة ويؤمنوا التجارة التي نافسوا بها الاغريق والرومان، ووصلت اليها اشارة عن هذا الامر تفيد بأن احد قادة السفن المتجه الى سواحل انكلترا قذف بسفينته الى الصخور عمدا وحطمها لأنه اكتشف ان السفن الرومانية تتبعه لاكتشاف هذا

الطريق المهم. وشجعوا حكام قرطاجنة هذا العمل بتعويض الريان ثمن حمولة السفينة^{٥٢} كمكافئة، واعتمد صفر على هذه الحادثة في القول بأن نص رحلة حنون التي عرضها على مجلس الشيوخ قد حذفت منه جميع المعلومات المهمة كإرشادات طريق الرحلة كي تحتفظ الدولة بهذه المعلومات كجزء من اسرارها التي لا يمكن البوح بها خاصة بعد اطلاع مجلس الشيوخ على الرحلة واعلنها على العموم بعد نقشه وتعليقه في معبد بعلمون (كرونوس)^{٥٣}.

الخلاصة

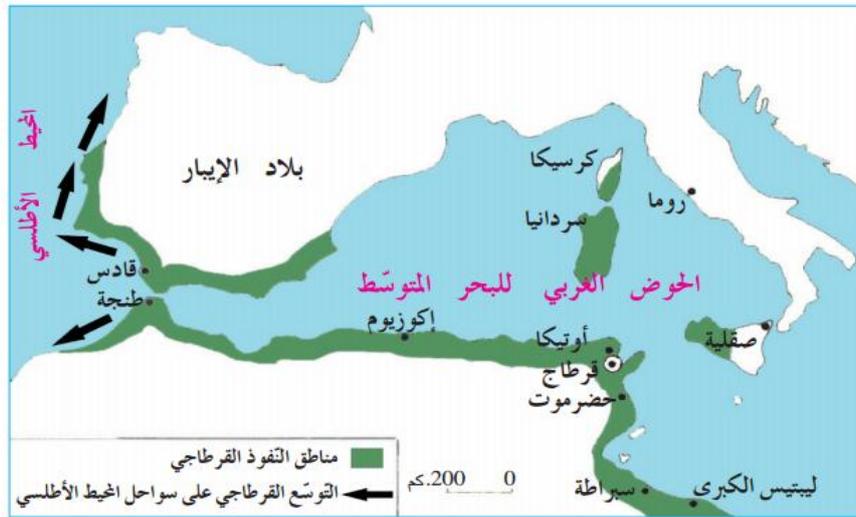
- ١) الاساكن نقاط عبور كنعانية افادتهم في تطوير تجارتهم. بدأت بداية بسيطة، و اعتمدت نظام المساحلة، وهي مناطق فيها خلجان طبيعية تسمح للمراكب بالرسو بشكل آمن مثلها مثل المنارات في الوقت الحاضر. انتشرت في جميع سواحل البحر الابيض المتوسط في شماله وجنوبه وشرقه وانتقلت معهم غربا حينما عبروا المحيط الاطلسي.
- ٢) أنشأت في البداية لحماية المراكب من الضياع ليلا، واماكن استراحة للمجدفين، ثم تطورت الى ارصفة ومحطات تجارية تبعا لأهمية المكان الاستراتيجية، او مناطق خصبة للزراعة او مناطق تحتوي على معادن مهمة افادت التجارة الكنعانية.
- ٣) نتج عن اهميتها للمحطات التجارية، تحولها الى مراكز استيطان كنعانية للأشراف المباشر على تجارتهم.
- ٤) اخذت بعض مراكز الاستيطان الكنعانية الفينيقية بالتطور الى مدن وموانئ كبيرة ومهمة مثل ميناء قرطاجنة، و مثلت مرحلة متقدمة في الابداع والتقدم الحضاري لاسيما في الفن المعماري.
- ٥) وظف الكنعانيون البونيقيون تخلصهم من التبعية لصور، في انشاء اساكن ومحطات تدعم سيطرتهم التجارية. ويعد القطن (الكوثون) اعلى ما وصلوا له في تطوير الموانئ المزدوجة وتخطيطها، ونحت الصخور، وبناء الارصفة. ومثلت تلك المرحلة ذروة ما وصل اليه الكنعانيون البونيقيون في بناء الموانئ. وقيل ان المصانع الحربية في الميناء

الاساكن البونيقية

العسكري في قرطاجه استطاعت بناء اسطول مكون مما يقرب من خمسين سفينة حربية ضخمة.

(٦) خلدت الاساكن الكنعانيين تاريخيا، بصفتهم قوم من التجار تميزوا بخبرة في الملاحة، وتقدم في التجارة، ورفي في اسلوب تخطيط الموانئ، وتجميل المدن بفنون لم يألفها الاخرون.

ملحق الخرائط



مجال نفوذ قرطاج

خارطة رقم (١) مستوطنة قادس

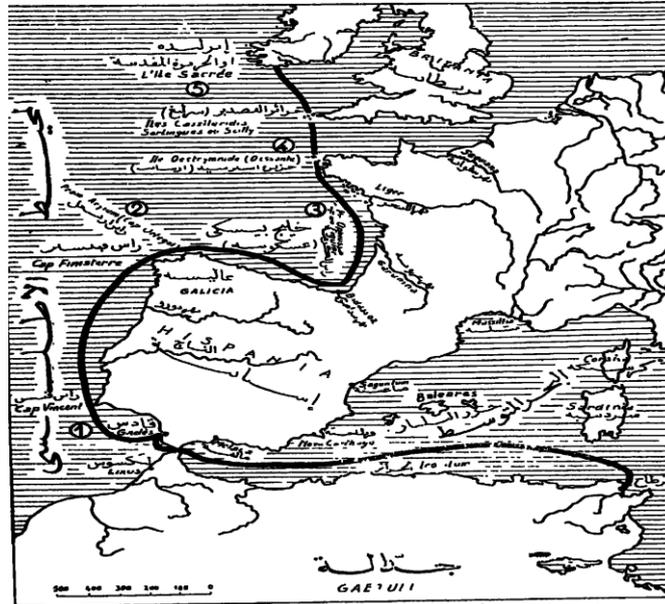


خارطة رقم (٢) مستوطنة ليكسوس



موقع قرطاج

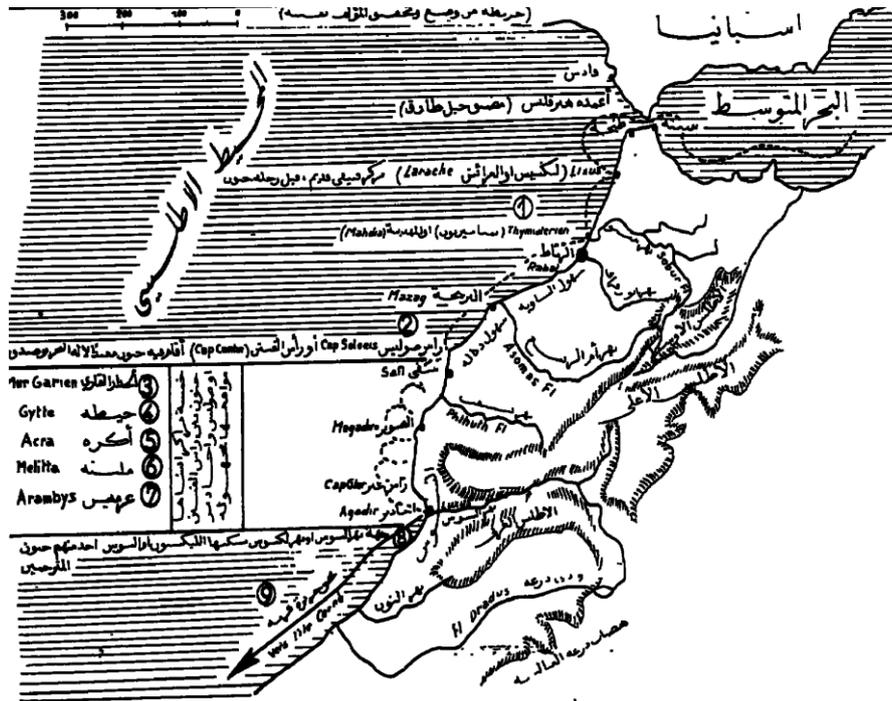
خارطة رقم (٣)



خارطة رقم (٤) رحلة هملكون



خارطة رقم (٥) رحلة حنون



خارطة رقم (٦) المراكز التي اسسها حنون في رحلته

المصادر والمراجع

- (١) باقر: طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، (مجلدين، بغداد: بيت الوراق للطباعة والنشر، ٢٠١١).
- (٢) البستاني: بطرس، محيط المحيط قاموس مطول لغة العربية، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧).
- (٣) جزيل: ستيفان، تاريخ شمال افريقيا، ترجمة: محمد التازي سعود، (٨ اجزاء، الرباط: اكااديمية المملكة المغربية - مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠٠٧).
- (٤) جوليان: شارل اندريه، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الاقصى منذ البدء الى الفتح الاسلامي ٦٤٧م، تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة، (ليبيا: مؤسسة تاوالت، ٢٠١١).
- (٥) الدراجي: بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، (الجزائر: مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، ٢٠١٣).
- (٦) دوزي: رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم الغنيمي، (بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٩).
- (٧) سلاطينة: عبد الملك، المستوطنات الفينيقية - البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية - جامعة منتوري، قسنطينة، بدت).
- (٨) صفر: احمد، مدينة المغرب العربي في التاريخ، (تونس: دار نشر بوسلامة، ١٩٥٩).
- (٩) الطائي: ابتهاج عادل ابراهيم، دراسات منتخبة من العصر الاشوري الحديث ٩١١ - ٦١٢ق.م، (سوريا، دار رسلان للطباعة والنشر، ٢٠٢١).
- (١٠) عصفور: محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١).
- (١١) عمر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨ م).

- (١٢) غانم: محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ط٢، (لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٢).
- (١٣) غلاب: محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهره في الجغرافيا والتاريخ، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩).
- (١٤) فطومة: اشلاف، الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط (١٢٠٠ - ٣٣٢ ق.م.)، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية - جامعة الجزائر، ٢٠١٨).
- (١٥) قوعيش: شريف، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط وغربه، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية - جامعة وهران، ٢٠١٥).
- (١٦) اللبناي: طوبيا العنيسي الحلبي، تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر اصلها بالحروف، تعليق: يوسف توما البستاني، ط٢، (مصر: مكتبة العرب، ١٩٣٢).
- (١٧) مازيل: جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ربا الخش، (سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).
- (١٨) الهذال: حصة تركي، المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاج، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد (٤١)، (السعودية، ٢٠١٦).
- (١٩) هيروودوت، هيروودوت في مصر (القرن الخامس قبل الميلاد)، ترجمة: وهيب كامل، (مصر: دار المعارف، ١٩٤٦).

- ^١ بعد فك رموز كتابة موكنية قديمة (وهم شعب سبق الاغريق في سكن جزر بحر ايجة) اتضح ان كلمة فينيقي يعود اصلها الى الاقوام الكنعانية بمعنى ترجع الى اللغات الجزرية (السامية) وكان الاعتقاد السائد ان اصل الكلمة اغريقي، فطومة: اشلاف، الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط (١٢٠٠ - ٣٣٢ ق.م)، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية - جامعة الجزائر، ٢٠١٨)، ص ١٧.
- ^٢ دوزي: رينهارت بيتر آن، تكلمة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم الغنيمي، (بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٩)، ١/١٣٥؛ عمر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨ م)، ٢/ ١٠٨٠.
- ^٣ البستاني: بطرس، محيط المحيط قاموس عصري مطول للغة العربية، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، ص ٩.
- ^٤ اللبناي: طوبيا العنيسي الحلبي، تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر اصلها بالحروف، تعليق: يوسف توما البستاني، ط ٢، (مصر: مكتبة العرب، ١٩٣٢)، ص ٣.
- ^٥ قوعيش: شريف، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرا بين الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط وغربه، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية - جامعة وهران، ٢٠١٥)، ص ١٠٢ وما بعدها.
- ^٦ فطوم، الاقتصاد الفينيقي، ص ٢٢ وما بعدها.
- ^٧ باقر: طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، (مجلدين، بغداد: بيت الوراق للطباعة والنشر، ٢٠١١)، ٢/ ٢٨٤، ٢٧٢؛ غانم: محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط ٢، (لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٢)، ص ٤٢ - ٤٧.
- ^٨ الطائي: ابتهاج عادل ابراهيم، دراسات منتخبة من العصر الاشوري الحديث ٩١١ - ٦١٢ ق.م، (سوريا، دار رسلان للطباعة والنشر، ٢٠٢١)، ص ١٠٢.
- ^٩ فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٢٣.
- ^{١٠} غانم، التوسع الفينيقي، ص ٤٩. اطلق عليها محطات تجارية وهو دأب جميع من كتب عن الاساكل والمحطات التجارية هي تطور لاحق لنقاط العبور.
- ^{١١} عصفور: محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١)، ص ١٢٢.
- ^{١٢} جوليان: شارل اندريه، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الاقصى منذ البدء الى الفتح الاسلامي ٦٤٧م، تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة، (ليبيا: مؤسسة تاوالت، ٢٠١١)، ص ٧٣.

- ^{١٣} غلاب: محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩)، ص ٣٩.
- ^{١٤} جزيل: ستيفان، تاريخ شمال افريقيا، ترجمة: محمد التازي سعود، (٨ اجزاء، الرباط: اكااديمية المملكة المغربية - مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠٠٧)، ١/٢٩٣؛ صفر: احمد، مدينة المغرب العربي في التاريخ، (تونس: دار نشر بو سلامة، ١٩٥٩)، ص ٨٠؛ قوعيش، دور البحرية، ص ١٢٠.
- ^{١٥} صفر، مدينة المغرب، ص ٨٠؛ جوليان، تاريخ افريقيا، ص ٧٣؛ قوعيش، دور البحرية، ص ١٢٠.
- ^{١٦} مازيل: جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ربا الخش، (سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ص ١٠٥؛ فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٩٤.
- ^{١٧} فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٣٦.
- ^{١٨} قوعيش، دور البحرية، ص ١٢٤.
- ^{١٩} فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٣٠.
- ^{٢٠} المرجع نفسه، ص ١٨٥، ١٢٩.
- ^{٢١} هيروودوت، هيروودوت في مصر (القرن الخامس قبل الميلاد)، ترجمة: وهيب كامل، (مصر: دار المعارف، ١٩٤٦)، ص ٩٢؛ فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٦٦.
- ^{٢٢} الهذال: حصة تركي، المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاج، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد (٤١)، (السعودية، ٢٠١٦)، ينظر ملخص الدراسة ص ١٣٥.
- ^{٢٣} قوم من الاقوام الاغريقية جاءت بعد الاقوام الاخوية في جزر بحر ايجة في ١٥٠٠ ق.م، واخضعت الاقوام الاغريقية التي سبقتها ثم اخضعت المدن الايجية و غزت حضارتها. باقر، مقدمة، ٥٧٩/٢.
- ^{٢٤} فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ٨٨، ١٢٢؛ قوعيش، دور البحرية، ص ١٠٤؛ الهذال، المراكز والمستوطنات، ص ١٤١ - ١٤٢.
- ^{٢٥} انظر الرواية. جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٢٨٩.
- ^{٢٦} الهذال، المراكز والمستوطنات، ص ١٤١.
- ^{٢٧} جوليان، تاريخ افريقيا، ص ٧٣.
- ^{٢٨} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣٢٠؛ غانم، التوسع الفينيقي، ص ٨٣.
- ^{٢٩} مصطلح اطلق على الفينيقيين عندما استوطنوا شمال افريقيا يمثل نتاج امتزاج المستوطنين الفينيقيين مع السكان المحليين لأفريقيا. صفر، مدينة المغرب، ص ١٧٤؛ الدراجي: بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، (الجزائر: مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ص ٧١ - ٧٢.

- ^{٣٠} جوليان، تاريخ افريقيا، ص ٧٣.
- ^{٣١} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣٢٣؛ عصفور، المدن الفينيقية، ص ٥٥.
- ^{٣٢} فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٢٥.
- ^{٣٣} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣٢٣.
- ^{٣٤} مثال ذلك ما حصل في جزيرة صقلية وتحديدا مدينة موتيا التي تركت بسبب ضربات الاغريق فانتقل الفينيقيون الى مدينة ليليبايوم بدلا منها. غانم، التوسع الفينيقي، ص ٨٨-٩٠.
- ^{٣٥} غانم، التوسع الفينيقي، ص ٩٦.
- ^{٣٦} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٢٩٣.
- ^{٣٧} الاقتصاد الفينيقي، ص ١٣٤.
- ^{٣٨} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣١٧؛ غانم، التوسع الفينيقي، ص ١٠٦؛ فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٧٨؛ قوعيش، دور البحرية، ص ١١٦؛ سلاطينة: عبد الملك، المستوطنات الفينيقية - البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية - جامعة منتوري، قسنطينة، بدت)، ص ٢٠٧.
- ^{٣٩} خارطة رقم (١)، ص ١٦.
- ^{٤٠} جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣٢٠ وما بعدها؛ فطوم، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٨١ - ١٨٢.
- ^{٤١} غانم، التوسع الفينيقي، ص ٨٢.
- ^{٤٢} خارطة رقم (٢)، ص ١٦.
- ^{٤٣} خارطة رقم (٣)، ص ١٧.
- ^{٤٤} غانم، التوسع الفينيقي، ص ٩٣ - ٩٤؛ فطوم، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٧٨.
- ^{٤٥} اوسع من كتب عن هذا الموضوع وبالتفصيل جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٢٩٨ وما بعدها.
- ^{٤٦} للمزيد من المعلومات في وصف الميناء. جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ٢/٣٣ وما بعدها؛ غانم، التوسع الفينيقي، ص ١١٠ - ١١١؛ فطومة، الاقتصاد الفينيقي، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ^{٤٧} خارطة رقم (٤)، ص ١٨.
- ^{٤٨} جزيل، شمال افريقيا، ١/٣٦٧ - ٣٧٠.
- ^{٤٩} خارطة رقم (٥)، ص ١٩.
- ^{٥٠} خارطة رقم (٦)، ص ٢٠.
- ^{٥١} لمزيد من المعلومات عن هذه الرحلة. جزيل، تاريخ شمال افريقيا، ١/٣٧٠ وما بعدها؛ صفر، مدينة المغرب، ص ١٢٧ - ١٣٧؛

^{٥٢} قوعيش، دور البحرية، ص ١٢١.

^{٥٣} صفر، مدينة المغرب، ص ١٣٠-١٣١.

^{٥٤} تم سحب خرائط البحث من موقع كوكل، الخريطتان (٤-٥) من وضع وتحقيق احمد صفر من كتاب

مدينة المغرب ص ١٢٩ ، الخريطة (٦) من بيكار بتصرف صفر، ١٣٠.

التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التاريخ والكارتوغرافيا*

الاستاذة الدكتورة : جيني أوستيرله

قسم تاريخ العصور الوسطى

ترجمة للعربية: أحمد شعير

جامعة ريجنسبورغ - ألمانيا

"The Arab perception of the Mediterranean in
historiography and cartography".

Prof. Dr. Jenny Rachel Oesterle, translated
Department of Medieval History
University of Regensburg - Germany

التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التاريخ والكارتوغرافيا*

الاستاذة الدكتورة : جيني أوستيرله ، قسم تاريخ العصور الوسطى
ترجمه للعربية أحمد شعير
جامعة ريجنسبورغ - المانيا

"The Arab perception of the Mediterranean in historiography and cartography".

Prof. Dr. Jenny Rachel Oesterle, translated
Department of Medieval History
University of Regensburg - Germany

Abstract

This article entitled "The Arab Perception of the Mediterranean Sea in History and Cartography" is a description of the Mediterranean regions in the works of Arab and Muslim travelers and geographers; it explains the relations, the Arab-Islamic perception of the coasts, cities and peoples of the Mediterranean throughout the Middle Ages, which were described by Arab travelers and townspeople to give us an Arab-Islamic cartographic vision that paints pictures of the globalization of relations for the regions of North Africa and southern Europe.

In this context, we find a detailed mention of the names of cities and rivers on the coasts of the Byzantine Levant and North Africa, specifying their geographical location, as well as dealing with the Italian and Iberian coasts in general. Moreover, al-Masudi refers to some islands, such as Cyprus, Rhodes, Crete, and Sicily, and to a tributary of the Adriatic Sea, marking from the beginning of the outskirts of the Mediterranean Sea to the ocean (the surrounding sea), and beyond it the dark sea or "green sea". The same applies to both the Mediterranean Sea and the Indian Ocean; They were designed according to the marine navigation perspective. . We read a

description of the types of winds, deep and shallow waves, and in particular the dangers that one may encounter in these seas.

And a comprehensive definition of the diversity of the peoples who inhabited the coasts and beyond the Indian Ocean, and its spatial perceptions were never shaped according to an Arab-Islamic perception..

Keywords: - The Mediterranean Sea - the world of the Middle Ages - Arab Islamic maps - Islamic travelers and geographers - the history of navigation in the Mediterranean Sea - European coasts - North African coasts - .

الملخص

يدور البحث الموسوم " التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في التاريخ والكارتوغرافيا" وهو توصيف لمناطق البحر الابيض المتوسط فى مصنفات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين ؛ وشرح العلاقات التصور العربي الاسلامي لسواحل ومدن وشعوب البحر الابيض المتوسط طيلة العصور الوسطى التى وصفها الرحالة والبلدانيين العرب لتعطينا رؤية خرائطية عربية اسلامية ترسم صور عولمة العلاقات لمناطق شمال افريقيا وجنوب اوربا .

وفي هذا السياق نجد ذكرا مفصلا أسماء المدن والأنهار على سواحل بلاد الشام البيزنطية وشمال إفريقيا مع تحديد مواقعهم الجغرافي وكذلك تناول السواحل الإيطالية والأيبيرية بشكل عام. علاوة على ذلك، يشير المسعودي إلى بعض الجزر، مثل جزيرة قبرص، رودس، كريت، وصقلية، وإلى رافد البحر الأدرىاتيكي، واضعاً علامة من بداية مشارف البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط (البحر المحيط)، وما وراءه البحر المظلم أو "البحر الأخضر". الأمر نفسه ينطبق على كلاً من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي؛ فقد تم تصميمهما طبقاً لمنظور الملاحة البحرية. ونقرا وصفا لأنواع الرياح والأمواج العميقة والضحلة، وبالأخص المخاطر التي قد تواجه المرء في هذه البحار.

وتعريفًا شاملاً لتنوع الشعوب التي قطنت السواحل وعلى ما وراء المحيط الهندي، و تصوراتها المكانية لم تتشكل أبداً وفق تصور عربي اسلامي .

الكلمات المفتاحية: - البحر الابيض المتوسط - عالم العصور الوسطى - الخرائط العربية

الاسلامية -رحالة وجغرافيين اسلاميين - تاريخ الملاحة فى البحر الابيض المتوسط -
السواحل الاوربية -سواحل شمال افريقيا -

١ - محيط بدلاً من مركز: ما يسمى البحر "المتوسط" - بحر من بين بحار العالم من منظور عالمي عربي - إسلامي

جاء في النص القرآني عدة آيات تشير إلى الشرق والغرب والوسط. علي سبيل المثال: "قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [...]"، "وكذلك جعلناكم أمة وسطا [...]".^١ هذه الأمة الوسطى لم تشر إلى البحر المتوسط الأوروبي - لم تسميه بالبحر الأوروبي - ولكن دائماً كانت تشير إليه باسم "بحر الروم" (وهو ما يعني تحديداً بحر الرومان الشرقيون أي البيزنطيون)، وكذلك سُمي بالبحر الشامي - البحر السوري - أو بحر المغرب (بحر الغرب). ويعتبر ذلك أمراً طبيعياً في الخيال الجغرافي في العصور الوسطى، حيث كانت خريطة العالم تظهر بشكل مختلف طبقاً لمخيلة المرء للعالم الذي يتصوره جغرافياً، ومن أي زاوية يتأمل هذا العالم ويرسمه، وبناءً على المنظور المنهجي الذي يُنظر بها لهذا العالم.^٢ وبناءً على هذا التصور، فإن الجزء الشرقي من العالم ينتمي إلى الأفق العربي في منظوره العالمي. هذا الأفق الذي اشتمل دائماً على الشرق والغرب: وهذا يعني قارة آسيا بما فيها الهند والصين متضمناً كذلك أجزاء أخرى من أفريقيا وأوروبا.

ومن هذا المنطلق، أبحرت سفن المسلمين - عقب وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - ليس فقط في البحر الأبيض المتوسط، بل في المحيط الهندي وبحر قزوين^٣. ومن ثم، فقد وصلت الفتوحات العربية إلى البحر الأبيض المتوسط عقب وفاة النبي محمد ببضع سنوات^٤، ومن ثم نجد أن العرب فرضوا سيطرتهم وهيمنتهم على ميناء قيصرية البحري الاستراتيجية في فلسطين في عام ٦٤٠ م، ثم ميناء الإسكندرية في مصر عام ٦٤٢. ومنذ أواخر عام ٦٤٥، بدأ العرب في إعداد أسطول بحري، وانطلقت أولى غزواتهم البحرية ضد بيزنطة في عام ٦٤٩°. ونتج عن ذلك أن احتل العرب جزيرة قبرص^٥، وامتد نفوذهم حتى قرطاج واستولوا عليها من البيزنطيين في عام ٦٩٨. وبعد ذلك بقليل وبالتحديد في عام

٧١١م، وجه العرب غزواتهم نحو شبه جزيرة أيبيريا، ليكتسب بذلك العرب (الفتوحات العربية) مساراً بحرياً حقيقياً وهاماً عبر البحر الأبيض المتوسط.^٧

بلا شك، لم يكن توغل شعوب الصحراء في منطقة البحر الأبيض المتوسط هو الاتصال الأول أو الأوحد بالبحر. فنجد أن بدايةً من شبه الجزيرة العربية ومنذ تجاربها في فترة ما قبل الإسلام، حدث توسع عربي في الشمال والشرق وبنفس السرعة في اتجاه الغرب. فقد سيطر العرب علي أجزاء كبيرة من إيران والعراق عام ٦٣٨- أي بعد أربع سنوات فقط من وفاة النبي محمد-وفي نفس العام توجه العرب من البحرين لاستهداف السواحل الهندية^٨. وبالتزامن مع فتح شبه الجزيرة الإيبيرية في عام ٧١١م، وصلت الجيوش العربية إلى مقاطعة السند الهندية - التي تبعد ما يقرب ٨٠٠٠ كيلومتر من الحدود الباكستانية، ووصلت الجيوش العربية إلى عدة من موانئ مثل مينائي دايبول والمنصورة^٩.

وإذن نجد، أنه لا يمكن فصل التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط سواء من منظور تاريخي أو كارتوغرافي (خرائطي) عن التصور العالمي "لشعوب البحر الأبيض المتوسط"، وكذا لا يمكن أن يكون ذلك بمعزل عن تصور البحار الأخرى. ومن هنا تنتج نظرة أخرى، حيث يجب العدول عن وصف البحر الأبيض المتوسط بالأوروبي، والذي لم يكن موجوداً بهذا النطاق على أي حال من الأحوال في العصور الوسطى. لذا، يجب تضمين البحر الأبيض المتوسط في السياق التاريخي للنظرة العربية الإسلامية للعالم ووضعه في إطار عولمة العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية عبر البحار المختلفة وممارستها. وتجنباً لتضخيم ارتباط العرب وعلاقاتهم الخاصة بالبحر الأبيض المتوسط، واستناداً على تقاليد العصور الوسطى، فيمكن القول أن الرؤية العربية للبحر الأبيض المتوسط مقارنة بالبحار الأخرى،^{١٠} قدمت نفسها لتكون بمثابة بوصلة. من هنا نجد أن "التكوينات المكانية"^{١١} للعصور الوسطى البحرية، نبعت من المنظور العربي للعلاقة بين المحيط والمركز مقارنة بالنظرة الأوروبية للعالم.

يري الكثير من الباحثين في مقدمتهم لهذا العمل،^{١٢} أن مكان العصور الوسطى في التاريخ العالمي للبحار لا يزال غير محدد^{١٣}. سيكون من المبالغة محاولة تحديد "مكان العرب" في "تاريخ البحار العالمي". ومع ذلك، ينبغي أخذ الاعتبارات الأولية لهذا العمل في

الاعتبار وصياغتها في شكل أسئلة مباشرة للمصادر: (١) ما هي المكانة التي حددتها المصادر العربية للعرب أنفسهم في التأريخ البحري، وخاصة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط؟ (٢) كيف قدمت أعمال العرب التاريخية والخرائطية أماكن البحار وتصورها، وبخاصة في الأعمال المتعلقة بالبحر الأبيض المتوسط؟ (٣) بأي شكل تم تصوير العلاقة بين الأماكن البحرية ببعضها البعض في مخيلة أو تصور العالم العربي؟^{١٤}

يوجد نظرية شائعة لعالم الجغرافية الاجتماعية الفرنسي كزافيه دي بلانول (Xavier de Planhol) مضمونها: الإسلام غير متوافق مع البحار.^{١٥} وفقاً لبلانول، لم تتجح محاولات الملاحة البحرية الإسلامية باستثناء رحلات قصيرة المدى، ولم تكن أبداً ثمة أي إمبراطورية إسلامية قادرة على فرض نفسها على البحار في المدى الطويل، ولم يكن هناك مجتمع مسلم يأتلف بالبحر. وفي رأيه، أن الآيات القرآنية والسنة النبوية دلت على التناقض بين الإسلام والبحر. بالإضافة لذلك، لم يُخصص الأدب الإسلامي جزءاً منفصلاً خاصاً بالبحر، وركزت معظم الأعمال الجغرافية على قصص المعجزات - عندما يتعلق الأمر بالبحر. ومن منظور تاريخي. توصل بلانول -بعد وقت طويل- إلى استنتاج مفاده فشل علاقة المسلمين بالبحر.^{١٦}

ورغم ذلك، وُجّهت انتقادات عديدة لنظرية بلانول التعميمية.^{١٧} ومن الجانب الآخر وعلي عكس نظرية التضاد (الاستقطاب) التي تبناها بلانول بين "الإسلام" و "البحر"، فإن ما يلي لا يبنى على الدين وحده، ولا يستهدف نجاح وفشل سياسة العرب البحرية،^{١٨} أو الترابط من خلال التجارة عبر البحار في الشرق والغرب.^{١٩} بل الأهم بكثير، فإن ما نحتاج العمل عليه هو إبراز عملية التموقع الاستيطاني الذاتي العربي داخل البحر، وخاصة تاريخ البحر الأبيض المتوسط، وبالتحديد ما يخص التوترات الدينية والسياسية والاقتصادية بالأساس. بل أيضاً العمل على التصور العربي، وخاصة مناطق المحيطات في الوصف النصي وتدوين الخرائط. وقد تم ذلك بشكل نموذجي بناءً على المصادر التالية:

١- وصف البحار في الحولية العالمية. "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لعلي بن حسن المسعودي (٩٥٦ - ٨٩٦)^{٢٠}

٢- وصف البحار في العمل الجغرافي الخرائطي "كتاب صورة الأرض لابن حوقل" المتوفى في عام ٩٧٧ م^{٢١}

٣- صور البحار داخل كتاب من شمال أفريقيا، كتاب مجهول في علم الكونيات أو ما يسمى بالكوزموغرافيا "Kosmographie" بعنوان "كتاب غرائب الفنون وملاح العيون"^{٢٢} وتم اختصاره تحت مسمى "كتاب الفضول" (من ١٠٢٠ إلى ١٠٥٠).

٤- أخيراً، التمثيلات البحرية في "المقدمة" لابن خلدون، حوالي عام ١٤٠٠.^{٢٣}

يمكن رسم المنحني الزمني لتصور معين لدار الإسلام،^{٢٤} بداية من القرن التاسع وامتداداً إلى أوائل القرن الخامس عشر. أي بداية من المؤرخ البغدادي المعروف المسعودي ورسام الخرائط ابن حوقل -المولود بالعراق أيضاً- والمؤلف المؤثر صاحب "كتاب الفضول" في مصر، ووصولاً لابن خلدون. ومن زاوية أخرى، هناك وصف مختلف لمنابع البحار في النصوص، وبشكل مصور في الخرائط، كُتبت عليها بعض النقوش أو زُودت بتعليقات. من جانب آخر يمكن القول، أن هذه الأنواع من التشابكات المتعلقة بالبحر تمثل محور التساؤل الرئيس في هذا العمل، وكذلك الاهتمام بدوائر التواصل عبر البحار.

٢- البحر والبحار والأبيض المتوسط في الأعمال التاريخية للمسعودي

وُلد المؤرخ والجغرافي والفيلسوف المسعودي في بغداد.^{٢٥} ونظراً لرحلاته الكثيرة إلى روسيا والهند والصين وشرق إفريقيا ومصر، وتناوله لهذه الرحلات في أعمال كثيرة مثل مروج الذهب ومعادن الجوهر؛^{٢٦} أطلق عليه "هيرودوت المسلم"^{٢٧}. وقد كتب المسعودي تاريخ العالم - وخصص فيه قسماً للبحار - بداية من بدء الخليقة ووصولاً إلى الزمن الذي عاش فيه، متناولاً تاريخ شعوب مختلفة من العالم في الغرب و الشرق و الشمال و الجنوب. والملاحظ أن المسعودي عادة في أثناء وصفه للبحار؛ لم يبدأ بالبحر المتوسط. بل يبدأ وصفه المفصل للبحار،^{٢٨} من خلال وصفه للمحيط الهندي.^{٢٩} وينطبق هذا على كلا كتابيه: كتاب التتبيه^{٣٠} وكتاب مروج الذهب^{٣١}.

ومن المتعارف عليه، أن المحيط الهندي -أكبر بحار العالم^{٣٢} ازدحاماً بالسكان-، يندرج تحت المصطلح الشامل المسمى بـ "البحر الحبشي"، وهو بدوره ينقسم^{٣٣} إلى بحار منفردة. وبعد وصفه^{٣٤} التفصيلي للمحيط الهندي، انتقل المسعودي من الشرق إلى الغرب، واصفاً

الخليج الفارسي بـ " بحر الفرس". وبلي ذلك فصلاً عن المد^{٣٥} والجزر، وعندها فقط يبدأ فصله^{٣٦} الخاص بالبحر الأبيض المتوسط، ثم يتبعه وصف موجز للبحر الأسود في الشمال ووصف كامل لبحر^{٣٧} قزوين. وإجمالاً ذكر المسعودي في كتابه أربعة بحور ضمن الجزء المخصص عن البحار. وتناول فيه روافد فرعية مثل رافد البحر الأسود شمال شبه جزيرة القرم.^{٣٨} ومع ذلك لم يُدرج المسعودي البحر الأحمر -الذي زاره بنفسه على حد قوله- ولم يفرد له فصل خاص به. ومع ذلك، فإن عدد البحار الذي ذكره المسعودي مثير للجدل بالفعل؛ فقد افترض البعض وجود أربعة بحور، والبعض الآخر خمسة بحور، بينما زعم آخرون وجود ستة وسبعة بحور.^{٣٩}

وعلى الرغم من ذلك فإن كل هذه البحار متصلة ببعضها البعض. ووفقاً للتدرج^{٤٠} الذي سار عليه المسعودي، فإن ترتيب البحار كالتالي: البحر الأول المحيط الهندي (البحر الحبشي)، والثاني البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، والثالث البحر الأسود سمي (بحر البنطس)، يليه بحر قزوين (بحر الخزر)، وأخيراً المحيط (البحر المحيط)، والبحر الأخضر والبحر المظلم. وتعتبر السواحل الغربية لأفريقيا وأوروبا -البحر المحيط- صالحة للملاحة، وإن كان ذلك بحذر، في حين أن البحر المظلم غير صالح للملاحة. ومن هنا يتضح أن ترتيب البحار لدي المسعودي على هذا المنوال، هي إشارة إلى المنظور العربي العالمي عن البحار في منتصف القرن العاشر. فبالنسبة للعرب، يقع البحر الأبيض المتوسط وكذلك "أوروبا" في اتجاه واحد فقط من بين وجهات نظر وتوجهات متعددة أخرى.

ورغم أن المسعودي، أدمج سلسلة فصوله الخاصة بالبحار، في إطار سجل عالمي يتناول تاريخ الشعوب المختلفة والسلالات والبلدان منذ عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي في الغرب والشرق، منذ بدء الخليقة حتى عصره. ومع ذلك، فإن الفصل الخاص بالبحار نفسه لا يتعلق بتاريخ سلالة أو شعب. ولم يكتب المسعودي مؤلفاته بتكليف من حاكم، بل أن سبب كتاباته غير واضحة. واعتمد المسعودي في كتاباته على مصادر إسلامية وغير إسلامية، الشفوية منها والمكتوبة، كما اعتمد بشكل أساسي على خبراته ومعرفته التي اكتسبها عبر رحلاته الكثيرة.^{٤١} ونجد أن المسعودي نادراً ما يستشهد بأحاديث النبي محمد، واعتاد -بين الحين والآخر- الاستشهاد بأعمال المؤرخين المسلمين وعلماء الفقه والجغرافيين

والفلاسفة وتراجم المصادر القديمة،^{٤٢} التي يتفحص كل منها ناقداً ومقارناً إياها بالمعرفة التجريبية والمعرفة العلمية الرياضية. وكان المسعودي على دراية بمؤلفات وخرائط جغرافي الخليفة المأمون الذين قدموا مسحاً جديداً للأرض بتكليف من المأمون نفسه. ومع ذلك، لم تتضمن أعماله على أية خرائط مرسومة.^{٤٣}

ومن باب المصادقية، ذكر المسعودي أنه أبحر إلى بحر الصين، والبحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين والبحر اليمني والجزء الغربي من المحيط الهندي "بحر الزنج"^{٤٤}. واعتاد المسعودي الرجوع إلى البحارة^{٤٥} ذو الخبرة، في حالة وجود اختلافات في الآراء ووجهات النظر حول بعض البحار، من أجل الموازنة بين آرائهم وبينما تتضمنه المصادر المكتوبة. ففيما يخص المحيط الهندي والبحر الصيني والبحر الأحمر على سبيل المثال، كان المسعودي يستشير أولاً البحارة من مدن تجارية بحرية مثل عمان ومدينة سيراف التجارية على الخليج الفارسي (الخليج العربي). بالإضافة لذلك، اعتاد المسعودي سؤال البحارة العرب ذو الخبرة عن الخصائص الطبيعية للبحر الأبيض المتوسط، خاصة أولئك الذين نشأوا في سوريا (بلاد الشام) وأبحروا في البحر الأبيض المتوسط على متن سفن حربية أو تجارية^{٤٦}. يبرز المسعودي على وجه الخصوص والي مدينة جبلة الساحلية السورية بالقرب من حمص (يدعي عبد الله بن وزير)^{٤٧} كخبير، ويخبرنا بأنه لا أحد يعرف البحر الأبيض المتوسط أفضل منه.^{٤٨} وأن جميع السفن الحربية والتجارية تتبع نصائحه لثقتها في معرفته التي اكتسبها من خلال سنوات خبرته الطويلة.^{٤٩}

والتساؤل هنا، إلى أي مدى اكتسب البحر الأبيض المتوسط طابعه الخاص مقارنة بالبحار الأخرى؟ حيث يقع البحر الأبيض المتوسط وكذلك المحيط الهندي وبحر قزوين في إطار اهتمام المسعودي بالمناطق البحرية التي سافر إليها بنفسه. وربما يعود ذلك إلي صعوبة الوصول إلي البحر الأسود الذي كان يقع تحت السيطرة البيزنطية خلال حياة المسعودي، وإن كان ذلك نادراً إلي حد ما.^{٥٠} ومقارنةً بالمحيط الهندي، لميحط البحر الأبيض المتوسط باهتمام كبير لدى المسعودي من حيث تناول أوصافه، ولكن عندما يقوم بإجراء مقارنات عن البحار فهو يفرد له فصلاً أخري لمناقشته.

يبدأ المسعودي كتابه عن تاريخ العالم بالموقع الجغرافي للبحر المتوسط، ويذكر العديد من أسماء المدن والأنهار على سواحل بلاد الشام البيزنطية وشمال إفريقيا مع تحديد موقعهم الجغرافي،^{٥١} كذلك تناول السواحل الإيطالية والأيبيرية بشكل عام. علاوة على ذلك، يشير المسعودي إلى بعض الجزر، مثل جزيرة قبرص، رودس، كريت، وصقلية، وإلى رافد البحر الأدرياتيكي، واضعاً علامة من بداية مشارف البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط (البحر المحيط)، وما وراءه البحر المظلم أو "البحر الأخضر". الأمر نفسه ينطبق على كلاً من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي؛ فقد تم تصميمهما طبقاً لمنظور الملاحة البحرية. كذلك تناول بالمناقشة أنواع الرياح والأمواج العميقة والضحلة، وبالأخص المخاطر التي قد تواجه المرء في هذه البحار.

تناول المسعودي في أوصافه البحار الصالحة للملاحة، المتعارف عليها لدى البحارة العرب الذين لديهم خبرة قوية بها. وعلي الرغم من تجول سفن العرب التجارية في كثير من البحار، إلا أن المسعودي اقتصر في وصفه لسفن البحر المتوسط على الحربية منها. وهذا يعكس الرؤية المختلفة التي دخل بها العرب عالم البحر الأبيض المتوسط في الغرب والشرق. فقد جاءت الأهمية الكبيرة للسفن الحربية؛ من المواجهة بين الإمبراطوريات الدينية والسياسية المتنافسة في البحر الأبيض المتوسط. وعلي النقيض، كان المحيط الهندي معبراً تجارياً هاماً، فقد قامت العلاقات التجارية عبره منذ عصور ما قبل الإسلام. ومن خلاله انتشرت الدعوة الإسلامية إلى حد كبير بالطرق السلمية لدرجة أن المحيط الهندي - على عكس البحر الأبيض المتوسط - وصف بأنه البحر المسالم.^{٥٢}

فقط عند الدخول إلى مرحلة وصف البحر الأبيض المتوسط تتضح الحدود. فبالفعل، يبدأ الفصل الخاص بالبحر الأبيض المتوسط بعلاقة حدودية جغرافية صعبة. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل أخطار الإبحار عند أعمدة هرقل (Herakles) أو طريق مضيق جبل طارق (Gibraltar)، الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر المحيط،^{٥٣} وبالتالي بالعالم. غير أن علامات تحديد الطرق الأخرى، التي رسمها المسعودي، قد تشكلت بشكل عملي نتيجة السياسات الإمبراطورية التي فرضها البحر الأبيض المتوسط. فبوصف البحر الأبيض المتوسط بحراً إمبراطورياً، فقد عكس هيمنة الإمبراطورية البيزنطية عليه.^{٥٤}

ومن ثم فقد أكد المسعودي صراحةً على تعدد وتنوع الشعوب التي قطنت السواحل وعلى ما وراء المحيط الهندي، مع ذكر عدد لا يحصى من أسمائهم، والتي يصعب على أي جغرافي أن يصفها ويحصرها، ولكن الله هو وحده من يستطيع حصرها. تُظهر وجهة نظر المسعودي هنا، أنه بالنسبة له، فإن الوعي بالتكافل في "فضاء التفاعل البحري" (maritimen Interaktionsraum)،^{٥٥} الذي يمتد من شرق إفريقيا إلى الصين، أمر لا يمكن تصوره، وهي سمة خاصة للمحيط الهندي، وفقاً ليورغن أوسترهامل (Jürgen Osterhammel)، تميزه عن منطقة البحر الأبيض المتوسط.^{٥٦} ويرى المسعودي، أن شواطئ البحر الأبيض المتوسط تُشكل خطأً واحداً من البلدان المزروعة، بعضها تحت الحكم الإسلامي، والبعض الآخر تحت الحكم البيزنطي المسيحي. على الرغم من هذه الاختلافات السياسية والدينية، فإن المسعودي يعتبر أن البحر الأبيض المتوسط كتلة واحدة مرتبطة بالتمتية المستمرة للدول المجاورة.

وهنا نجد أن وصف المسعودي للبحر ليس ارتياباً ولا رفضاً من ناحية، أو عدم توافق بين الإسلام والبحر من ناحية أخرى.^{٥٧} قد يكون هذا بسبب مذهبه التجريبي في أسلوب عمله وانفتاحه على الثقافات الأخرى. كذلك لم يتضمن وصف المسعودي أي دلالة دينية، ولم يذكر أيًا من الآيات القرآنية المعروفة عن البحر، بل فقط حديث نبوي واحد، مع ذلك، يعتبره مشكوكاً في صحته؛ ولم يذكر أي أمثلة عن التشكيك الخاص بالبحر عند الخلفاء الراشدين الأوائل (الذين كانوا مرتابين تجاهه). فمجال الرؤية عنده لم يكن منصباً على عظمة أسرة عربية حاكمة، كما أن تصوراته المكانية لم تتشكل أبداً وفق تصور عربي استعماري. فالمسعودي لم يكتب عن حدث بحري عربي يتضمن معارك البحرية أو فتوحات أو اكتشافات، التي يمكن أن تكون جزءاً لا يتجزأ من قصة نجاح التوسع العربي الإسلامي.^{٥٨}

لم يأت تصور المسعودي عن البحار في شكل مجموعة مؤلفات متسلسلة، بل جاءت في شكل عقد مقارنات مكررة بين البحار، مع ذكر أوجه التشابه والاختلافات والخصائص. كما أنه أظهر أهمية كبيرة لمشكلة الاتصال بين البحار. فوفقاً لما ذكره، فإن كل المحيطات تتصل ببحار أخرى. فعلى سبيل المثال، البحر الأبيض المتوسط متصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، والبحر الأسود يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عبر مضيق

البوسفور. كما أشار إلى المناقشات والآراء الخبراء حول الروافد غير المبررة من البحر الأسود إلى بحر قزوين، وبالتالي الاعتراف ببحر قزوين كبحر داخلي يمتلك مجالاً متسع. يبين الفصل الخاص بالبحار لدى المسعودي أن البحار والمحيطات كان لها مكان ثابت في تخيلات صور عربي للعالم في عام ٩٥٠م. لقد قدم المسعودي منظوراً متطوراً ومختلفاً حول تبعية البحار للمساحات المتباينة بين الشرق والغرب والتي ظهر فيها الطابع الخاص لكل بحر، وهو الأمر الذي لم يكن معروف تماماً للأوروبيين في هذا الوقت من الزمن. وكان مستندا هنا إلى فهمه "لتجربة العالم العربي المتنوعة"^{٩٠}، وإلى فهمه للعالم من خلال السفر والمسح والحسابات من قبل العلماء والجغرافيين وعلماء الفلك بالإضافة إلى سعة المعرفة العلمية لدى علماء العصور القديمة والمسيحية واليهودية والهندية والعربية الإسلامية. وعلي الرغم من أهمية البحر الأبيض، إلا أنه لم يحظ بمكانة مركزية في ذلك التخطيط العالمي.

وإذ قد أنشأ المسعودي نصاً سردياً استطاع عبه أن يقدم وصفاً يشمل العالم المعروف آنذاك من مناطق برية وبحرية. واستندت تفسيراته إلى معرفة بخرائط الجغرافيين في عصر الخليفة المأمون لكنه لم يصورها ولم يصفها. ذلك أنه خلال حياة المسعودي، كان لدى رسامو الخرائط العرب معرفة كبيرة بالبر والبحر، والتي اكتسبوها في أوائل القرن التاسع من أعمال البطالمة التي تُرجمت إلى اللغة العربية، ومن خلال بعض الحسابات الخاصة، مثل الحسابات الفلكية وبعض التجارب الشخصية، لا سيما الجزء الشرقي خلال عصر ازدهار العباسيين عند دخولهم بغداد عبر الخليج الفارسي حتى المحيط الهندي.

وفيما يلي، فلابد من عرضاً مرئياً للمناطق البحرية، إلى جانب السرد البلاغي. فمن الضروري أن يتغير المجال من نص إلى صورة، ولكن بحدود: نظراً لتمييز خرائط البر والبحر العربية، فهناك دائماً ارتباطاً جوهرياً بين النص والصورة، بين السرد والخرائط.^{٦٠} من خلال الصور المنقوشة بالكتابة والأطروحات الوصفية المرفقة، نشأ لدينا محتوى خاص بالبحار نتاجاً للتفاعل بين الكلمات والصور، ما خلق تصوراً مكانياً مكثفاً للبحار.^{٦١}

ومن الجدير بالذكر، أن البحر الأبيض المتوسط بالنسبة للعالم العربي الإسلامي هو بحر من بين البحار الأخرى، و كما هو ثابت في الأقوال، أنه دائماً ما يلي المحيط الهندي أو

البحر الفارسي، يليه بحر قزوين الذي سيظل موجوداً لكنه سيكون مهماً. ووفقاً لمصادرنا، يجب إبراز الخطوط العرضية/المتقاطعة بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط بأوزانهم المختلفة، وبقدر الإمكان، تمايزاتهم بالتفصيل. حيث إن التمحور حول البحر الأبيض المتوسط فقط، يعني انعزال العرب عن البحر. إن التمحور حول البحر الأبيض المتوسط بطريقة انفرادية يعني إسناد موقع انعزالي له عند العرب- المنظور المذكور سلفاً- وهو ما لا يتناسب مع النظرة الأوروبية مناسب في أوروبا. بدلاً من ذلك، تهتم النصوص والخرائط التي تم فحصها في المقام الأول بموازنة المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، مع إبراز الخرائط والأوصاف المتغيرة اعتماداً على الظروف التاريخية مثل علاقات الحكم والسلالات. بقدر ما يُنصح بإجراء مقارنة ضرورية، إلا أن ما يلي سيركز أوصاف والأشكال الخرائطية (الكاتوغرافية) للبحر الأبيض المتوسط، دون أي النظر إلى ترتيب، وظيفة أو معنى ذات اشتقاق معين.

٣- رسم الخرائط إبان العصر الفاطمي

أولاً- خريطة العالم للخليفة المعز ووصف البحر الأبيض المتوسط الخاص بابن حوقل

يتعين على المؤرخين أن يتعاشوا مع الخسارة والدمار، كما يجب أن يتعاشوا مع الاكتشافات. فخرطة العالم لإيبستروف (Ebstrof) فُقدت ولا يمكن إيجادها^{٦٢}. وبالمثل فُقدت خريطة العالم للخليفة الفاطمي المعز من عام ٩٦٤. إلا أننا نمتلك وصف موجز لها فقط. فبحسب التقارير، فإن "مناطق الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها وطرقها، نوع من الجغرافيا، صُوّرت على نسيج مصنوع من الذهب والحريز الثمين. اشتملت تلك الخريطة أيضاً على صورة لمكة والمدينة، بمثابة عرضها للمشاهد، وكُتب أسم كل مدينة وكل جبل وكل مكان ونهر وبحر وممر بالذهب والفضة والحريز وفي النهاية ثمة جملة مدونة نصاً كالتالي: تمت بتكليف من المعز المشتاق إلى مقدسات الله عام ٣٥٢ هـ - ٩٦٤ م.^{٦٣} وعندما نقل الخليفة الإمام الفاطمي المعز مركز حكمه من شمال إفريقيا إلى مصر، وفي سبيل استكمال الانتقال إلى القاهرة العاصمة الجديدة التي تأسست القاهرة عام ٩٧٣، لم يقتصر الأمر على حمل أسلاف الحكام الفاطميين وأسلافهم معه فحسب، بل حمل معه أيضاً خريطة العالم الثمينة. وكان قد أمر بذلك بنفسه، لكي تجد تلك الخريطة مكانها في الضريح

الذي بني لأجداده في القاهرة. لا يزال وصف الخريطة يستدعي إلى الذهن سعي السلالة الفاطمية الممنهج وتوسعهم القائم على أساس ديني من أجل نظام عالمي يقع مركزه بالقرب من الأماكن المقدسة. تقترب شرعية واستمرارية وعالمية الحكم الفاطمي من بعضها البعض بالنسبة للمشاهد في خريطة العالم هذه، والتي تمثل الحكم. بالإضافة إلى تمثيل القوة، فإن المتأمل لتلك الخريطة يجد فيها دلالة لرمزية استمرارية النظام العالمي للحكم الفاطمي من بعضها البعض لمتأمل خريطة العالم الفاطمية. هنا، ينغمس المشاهد في رؤيته ويتوجه في رحلة حج إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويصل إلى رؤيتهما في الصورة، والبحرين المذكورين جزءاً ثابتاً في الخريطة.

سعى الخلفاء الأئمة من السلالة الفاطمية الذين حكموا شمال إفريقيا منذ ٩٠٩ ومصر منذ ٩٦٩، إلى إقامة حكم إمامي-فاطمي عالمي إمبريالي. وباعتبارهم إسماعيليين، أي أعضاء جماعة ذات توجه دعوي (تبشيري) داخل الشيعة، فقد خططوا للإطاحة بالخلافة السنية المتنافسة - وعلى المدى الطويل - للسيطرة على العالم بأسره. وعن طريق شبكاتهم التي وصلت إلى الهند، قاموا بجمع المعلومات حول الظروف السياسية والدينية والثقافية، ليس فقط حول البحر الأبيض المتوسط من شبه الجزيرة الأيبيرية، صقلية، جنوب إيطاليا، عبر بيزنطة، ولكن أيضاً الخليج العربي، خاصة اليمن والنطاق الإيراني وأخيراً الهند. وحقيقة تظهر خريطة العالم اهتمام الفاطميين بعلم رسم الخرائط أثناء حكمهم في شمال إفريقيا.

مازال الأمر يحتاج المزيد من البحث فيما يتعلق بمعرفة رسم الخرائط أو إنتاجها خلال الفترة الفاطمية. أنه لأمر غريب أن أسرة نشأت في شمال بلاد ما بين النهرين، ثم دخلت التاريخ من خلال التاريخ بتأسيس حكم لها في الطرف الغربي لشمال أفريقيا، بل ومؤسسها كان مبشراً متتكرراً في زي تاجراً، وغالباً ما كان هارباً، وتنتقل في أجزاء كثيرة من ديار الإسلام، وبوعي مكاني ذو مستوى عالي من المعلومات. علاوة على ذلك، الاهتمام بالتمثيل الإقليمي الكبير ودرايته أيضاً بالمساحات الشاسعة وبالطرق والممرات والمسافات سعى إلى حكم عالمي شرعي ديني. سوف توضع ثلاث خرائط كانت معزولة سابقاً ذات سمات مختلفة جغرافياً في سياق الحكم الفاطمي تضم معلوماتهم حول البحار، وخاصة البحر

الأبيض المتوسط: خريطة العالم للخليفة المعز، خرائط ابن حوقل^{٦٤}، كتاب صورة الأرض^{٦٥}، كتاب غرائب الفنون وملاح العيون من مصر، كتاب الفضول في العلم وعجائب العيون^{٦٦}. قبل حوالي عشرين عامًا من اصدار الخليفة الفاطمي الخليفة المعز لدين الله أمره برسم خريطة العالم، كان الرحالة والجغرافي الشهير ابن حوقل ضيفاً في البلاط الفاطمي للخليفة المنصور عام ٩٤٧م.^{٦٧} سافر ابن حوقل إلى شمال إفريقيا ومصر والصحراء الإفريقية وشبه الجزيرة الأيبيرية بين عامي ٩٤٧ و ٩٥١. وفي عام ٩٥٥م، سافر إلى أرمينيا وأذربيجان ثم إلى شبه الجزيرة العربية والعراق وإيران وخوارزم وبلاد ما وراء النهر بين عامي ٩٦١م و ٩٦٩م، وكانت محطته الأخيرة هي صقلية ٩٧٣م. ويمكن ملاحظة الآتي من خلال عقد مقارنة بين خرائط ابن حوقل ووصفه للأرض وبين خريطة العالم للخليفة المعز: ورد ذكر المحيطات مرتين في وصف خريطة المعز، و مسارين و ممرين وبيان بالمناطق. كما أن لكل شيء اسم مدون على الخريطة. إلا أن، خريطة العالم للخليفة المعز تتميز باختلاف ألوانها ومادة صنعها، وتمييز الأماكن المقدسة بها غيرها،^{٦٨} وهو ما يجعل المشاهد لها يري الفرق بينها وكتب وخرائط ابن حوقل. وأيضاً عند تحديد الهدف فأن خريطة الخليفة المعز للعالم لا تخدم تمثيل قوة الحكم فقط، ولكن أيضاً تحمل معنى التأمل وإمعان النظر. فهي فريدة من نوعها، فقد ارتبطت بالحاكم والمكان وحملت بين طياتها دافع ديني. ومن ثم يتضح أنها معدة بشكل منهجي لاستشراف المستقبل واصباح الشرعية (الفاطمية) على الماضي. تعتبر خريطة حوقل بمثابة مخطط جغرافي استقصائي تراكمي معرفي ومجرد للغاية عن العالم، وتتضم إليها دار الإسلام، وهي موجهة إلى جمهور عربي، أي الحكام وذوي المهام القيادية وذوي المناصب العلي وكذلك الأشخاص من جميع المستويات والطبقات وفي كل الأزمنة.^{٦٩}

كان ابن حوقل شيعياً وتحديداً إسماعيلياً، إذاً كان ينتمي إلى خلفاء شمال إفريقيا الفاطميين أصحاب المفاهيم الإيمانية المعادية لخلفاء بغداد المنافسين لهم. ويظهر ذلك من أعماله حيث أشار إلي مباركة الطائفة الإسماعيلية الذي يعود نسبهم إلى أئمة الفاطميين.^{٧٠} ويعتقد بأن ابن حوقل كان أحد الدعاة الإسماعيليين، كما يتضح من رحلاته.^{٧١} وكرسام خرائط، ينتمي ابن حوقل إلى مدرسة بلخ،^{٧٢} والتي تتميز بجودة عالية في رسم الخرائط

وبأعلى درجة من التجريد والخطية الواضحة. ووفقاً لاعتقاده الديني، قام بتحويل الاهتمام الجغرافي أي باتجاه الشرق للخلافة العباسية بدلاً من منطقة البحر الأبيض المتوسط. وما يميزه في هذا السياق، أن إقامته ببغداد ولدت لديه معرفة جغرافية مبتكرة بهذه المنطقة. في حين أن أجزاء كبيرة من أطروحته كانت مقتبسة من أعمال الجغرافي الإصطخري، والذي ينتمي أيضاً إلى مدرسة البلخية. إلا أن ذكر أنه أخذ عن ابن حوقل الفصول المتعلقة بمنطقة البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي وإسبانيا وصقلية.^{٧٣}

يبدأ عمل ابن حوقل بوصفه للعالم وخريطة العالم^{٧٤} مستنداً على أعمال الإصطخري، ويتبع ذلك وصف أحدي وعشرون إقليمياً فريداً، لكل منها خريطته الخاصة. على عكس خريطة العالم الشاملة، التي تقتصر على دار الإسلام بمناطقه المختلفة، وكلاهما كان شائعاً في مدرسة بلخ الخرائطية.^{٧٥} تسعى خريطة العالم من جهة والخرائط الإقليمية من جهة أخرى إلى إزالة التوتر بين ما يمكن أن نسميه اليوم "العولمة والتموقع" أو "العولمة التوطين"^{٧٦}، وكذلك فيما يتعلق بديار الإسلام والعلاقات خارجها. تشكل المحيطات إلى حد بعيد الجزء الأكبر من خريطة العالم، على الرغم من أنها تبدو أصغر نسبياً بالنسبة إلى الأرض (انظر الشكل ١).

تشير الفصول والخرائط وكذلك النصوص والصور المتعلقة بالبحار إلى الاهتمام الكبير بها. وقد تم عرض الأرض على أنها ثلاثية الأبعاد وكروية ومصورة بشكل مسطح في دائرة محاطة بما يسمى بالبحر المحيط. وهي تبرز بذراعين بحريين، البحر الفارسي الكبير (بحر فارس) والبحر الأبيض المتوسط الأصغر (بحر الروم) في كتل اليابسة،^{٧٧} التي تنقسم نصفها تقريباً إلى جزأين شمالي وجنوبي من الأرض.^{٧٨} والثالث هو بحر قزوين، والذي على عكس ما أعتقد بطليموس ومن ورائهم الأوربيين، يظهر بوضوح على أنه بحر داخلي. وإجمالاً نجد أن مساحة البحر ليس مدوناً عليه شيء فهو أقرب ما يكون إلى مساحة فارغة. وخرائطياً كان لكل من البحر الفارسي والبحر الأبيض المتوسط دوراً مزدوجاً، فهما من وجهة نظر بحرية كانا جزء من المحيط. ويدعم ذلك اتساع مضيق جبل طارق والبوسفور، حيث يتدفق البحر الأبيض المتوسط مباشرةً إلى المحيط الأطلنطي، تاركاً البحر الأسود. ومن وجهة النظر المسكونية (Ökumene)، تعد البحار جزءاً من العالم المزدهم بالسكان الذين

يتجمعون حول تلك البحار ذاتها. ومن ثم تُكون الأنهار مثل نهر النيل ونهر دجلة والفرات ونهر السند مع البحار على الخريطة عموداً فقرياً لترتيب البلدان والمناطق المحيطة. يمتد البحر الفارسي من الشرق على ذراع البحر الأحمر الذي كان يطلق عليه بحر القلزم، إلى أقصى الغرب في المنطقة المجاورة مباشرةً لمنطقة البحر الأبيض المتوسط. من ناحيةٍ أخرى إذا عقدنا مقارنةً لصالح نهر دجلة فإن الخليج الفارسي أصغر من البحر الأحمر. وإلى الشرق يمتد البحر الفارسي عبر الهند إلى الصين كأقصى الحدود الخارجية. وفي الجنوب، تتمركز الحبشة وأرض (نهر) الزنج في المنطقة الساحلية لشرق إفريقيا.

يتناول جزء من النص الوصفي للعمل موقع مدينة القلزم بالذکر كعلامة حدودية بين الشرق والغرب والشمال المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط. من هنا تُرسم المسافة إلى الصين في خط مستقيم في رحلة تقدر بحوالي ٢٠٠ يوماً. فإلى أقصى الغرب ناحية المحيط الأطلنطي تستغرق الرحلة مئة ثمانون يوماً، ومن الطريق البري عبر العراق إلى حدود إيران حدود (دار الإسلام) إلى حدود الصين على المحيط أكثر من نصف عام بقليل. وعادة لا ينصح بالطريق البحري إلى الصين لأنه سيستغرق وقتاً أطول عدة مرات بسبب الالتواء والانحناء. بينما تبلغ مسافة الطريق من مدينة القلزم على البحر الفارسي إلى مدينة الفارما ثم إلى البحر الأبيض المتوسط، حوالي مسيرة ثلاثة أيام. وحسب العديد من المفسرين ثمة إشارات في السور القرآنية تشير إلى هذا الجزء من الطريق، ويشير ابن حوقل إلى حاجز بحري لا يمكن تغلبه يربط بين المنطقتين البحريتين (انشقاق البحر عند عبور موسى).^{٧٩} بالإشارة إلى التفسيرات المقابلة، فإن ابن حوقل يقلل من التحديد الديني للامر في تفسيره، ومع ذلك، ومن خلال الاستشهاد بالقرآن، يصف ابن حوقل مشكلة عبور هذا الحاجز من منطقة بحرية إلى أخرى.^{٨٠} أخيراً، يقدر المسافة من أقصى الغرب على المحيط الأطلسي إلى شرق أقصى الأرض في الصين بحوالي ٤٠٠ يوم. وعلي الرغم من أن ذلك حسابياً غير دقيق، لكن قياس المسافة باليوم على وجه التقريب تجعل الأمر أكثر سهولة من الناحية العملية، نظراً لقربها من الحقائق المجربة والمعاشية من ناحية، ومن ناحية أخرى تقدم يعطي تصوراً أفضل لتخيل طرق الاتصالات في المساحات الكبيرة. وكذلك تؤدي إلى تطور الوعي

المكاني بالمساحات بشكل أوسع، وذلك حتى بالنسبة لأولئك الذين يتحركون في مساحات صغيرة.

ومن ثم، فالبحر المتوسط، الأصغر طولاً وعرضاً، والمسمى ببحر الروم وأحياناً ببحر المغرب، وهي التسمية التي تحمل دلالات جغرافية من ناحية وسياسية من ناحية أخرى، حيث يمتد حتى مضيق جبل طارق الواسع الذي يصب في المحيط الأطلنطي. يمثل الخط الساحلي على الجانب الأوروبي بوضوح شبه جزيرة إسبانيا وإيطاليا وبيلوبونيز (Peleponnes) وكذلك خليج البندقية. وبالمقارنة بالبحر الفارسي، يشير الوصف النصي إلى أن الخط الساحلي مستقيماً. كما أنه يذكر بوضوح تسمية المناطق والبلدان في شبه الجزيرة الأيبيرية، ولكن بالكاد تظهر في الصورة الخرائطية كشبه جزيرة. وكذلك مناطق الفرنجة، والغال ولومبارديا و كالابريا، التي يمكن التعرف عليها كشبه جزيرة، وخليج البندقية، وشبه الجزيرة البيلوبونيزية، ومقدونيا، والقسطنطينية على مضيق البوسفور، حيث يتدفق البحر الأبيض المتوسط، إلى المحيط الأطلنطي، مروراً بأرض السلاف على اليمين و أراضي يأجوج و مأجوج على اليسار. بهذه الطريقة تظهر أوروبا كجزيرة^١ والتي تمتد عبرها على الخريطة أفقياً تسمية "أرض البرنطيين". على ساحل آسيا الصغرى، مدون عليها أسم سوريا في المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط.

وباختصار، تم تسمية عدد من بلدان ومناطق المغرب وبرقة وسرت و أجدايبيا و طرابلس و إفريقية، الساحلي الشمالي الغربي الأفريقي من البحر الأبيض المتوسط. و باتجاه المحيط نجد مناطق طنجة، وعلى طول الساحل الغربي لأفريقيا سميت كلها أودغست (Audāgūst) الإسلامية (مملكة أودغست الإسلامية في المنطقة الواقعة بينه جنوب المغرب الأقصى والسودان)، ثم بلاد الكفر، وغانا، كوجا، ساما، جاريوا (Ghariwa)، والقزم. تحظى المنطقة الآسيوية بأكبر كثافة من المعلومات عن البلدان وأسماء الشعوب مثل البلغار والروس وخرسان والأرمن، بما في ذلك أنريجان وخورجستان وبلاد فارس وما وراء النهر، و الهند والتبت والصين. كما ورد ذكر بحر أرال في النص على أنه بحر قاري داخلي.

وبعد تقديم وصفاً خرائطياً ووصفياً موجزاً لشكل صورة الأرض، تظهر من ثم مناطق ديار الإسلام في المقدمة. وهي ما يقتصر عليها هذا العمل، ولكن دون إغفال الكل. ومن حيث

الموضوع، هناك ثلاثة فصول وخرائط مكرسة بشكل موضوعي لوصف البحار. فبعد الفصل الأول مباشرة، والذي يتعلق بمركز العالم الإسلامي شبه الجزيرة العربية،^{٨٢} تناول الحديث عن البحر الفارسي الأعظم أو ما يسمى بالمحيط الهندي. ومع ذلك، لم يتناول المناطق المطلة على البحر الفارسي طبقاً لمفاهيم الخلافة في بغداد، في حين قدم وصفاً للمناطق الإسلامية المجاورة لمنطقة البحر الأبيض المتوسط. وبعد ذلك تحولاً كبيراً في التركيبة باتجاه الشرق على حساب الغرب ومنطقة البحر الأبيض المتوسط، مما يبرز بوضوح ثقل الإمبراطورية الفاطمية ومجالات اهتماماتها. ثم نجد المغرب العربي، المقابل لشبه الجزيرة الأيبيرية، وكذلك صقلية، ثم مصر و سوريا بالكلمات و الصور في فصول مخصصة لذلك. وحصلت الثلاث مناطق الأخيرة لكل منها على خرائط إقليمية خاصة بهم. من ناحية أخرى، جاء تصوير المغرب العربي وإسبانيا في خريطة منفصلة للبحر الأبيض المتوسط في الصورة. (الشكل ٢).

وجاءت صقلية تابعة -نوعاً ما- لإسبانيا والتي لم تُرسم لها خرائط مستقلة. من حيث درجة التفاصيل المسجلة، يبدو أنها قابلة للمقارنة مع بلاد المغرب. بالإضافة إلي جبل طارق، تشمل الخريطة عددًا من المناطق الساحلية المسلمة وغير الإسلامية الواقعة على المحيط الهندي. كانت هذه تصريحات متوافقة مع رغبة النفوذ الفاطمي في التوسع وتوجه لتوسيع العلاقات. إلا أن اللافت للنظر هو نقص المعلومات في الحديث عن منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط^{٨٣} الخاضعة للحكم البيزنطي. وعلي النقيض، نجد غزارة في المعلومات عن المناطق الساحلية المطلة علي ساحل كالابريا (في النص تم تخصيصها لبيزنطة، بما في ذلك ما يسمى بخليج البندقية). فيما يتعلق بسياسة المصالح البحرية للفاطميين، مما يستحق النظر هو إطلاق أسماء على جزر أخرى للبحر الأبيض المتوسط إلى جانب صقلية. يتوافق هذا مع قياس قدرة القوتين المهيمنتين في البحر الأبيض المتوسط حينذاك، الإمبراطوريتان البيزنطية والفاطمية. وهذا يعني، أن قوة الأمويين في الاندلس لم تأخذ بعين الاعتبار.

وطبقاً لابن حوقل، فقد بالغ المسلمون في تقدير قوة الإمبراطورية البيزنطية في عصره. حيث يمكن تقدير قوتها ومواردها المالية وازدهار سكانها في ذلك الوقت ما بين متوسط إلى

سيء، مقارنة بالمغرب الفاطمي الذي يضم عدد كبير من سكان البربر، أصحاب المثابرة والطاقة التي لا تصدق. وهو ما منح الإمبراطورية الفاطمية نفوذاً عسكرياً غير عادي، مكنها من غزو بعض المناطق البيزنطية مثل كالابريا والحصول على جزية سنوية منها. ولكن بسبب الخلاف بين المسلمين وتواتر الثورات والتمردات، وجد البيزنطيون مساحة أكبر من حرية الإبحار في البحر الأبيض المتوسط،^{٨٤} وخاصة على الساحل السوري، وظهروا كقوة بحرية، في حين المسلمين، لا حول لهم ولا قوة سياسياً وعانوا من أعباء الحروب وعواقبها.

إن الوصف الزمني الممتد عبر البحر الأبيض المتوسط لدي ابن حوقل - ما هو إلا صرخة: "صرخة الأرض التي تشتكي إلى الله من أسياها!".^{٨٥} بهذه الجملة، أنهى ابن حوقل فصله الذي خصصه للبحر الأبيض المتوسط والذي يشتمل على خريطة خاصة به.^{٨٦} في النهاية، ظهرت منطقة البحر الأبيض المتوسط كونها منطقة نزاع سياسي عسكري وديني، حيث طالب الفاطميون بحكم الجزء الشرقي، (انظر الشكل ٣). وفي الثلث الأخير من كتاب ابن حوقل "صورة الأرض" نال ثالث البحار "بحر قزوين" قسطاً وافراً من الحديث فيما يخص موقعه، ووصفه بأنه بحر داخلي ذو تجارة نشطة بين البلاد الإسلامية،^{٨٧} وتظهر تقسيمات الفصول وتسلسل الصور في عمل ابن حوقل، نوعاً من الانتماء للبحر الفارسي والدول المجاورة له، والتي تناولها لاحقاً في الخرائط والتقسيمات الإقليمية. ومع ذلك، فإن هذا النظام الديني يصور البحار كمحور عرضي بين شرق الأرض وغربها، والذي يتلاقى بدوره مع المحيط الهندي عند كلا الطرفين.

مع ذلك فإن تحديد المناطق البحرية في العالم بفصولها وخرائطها لا يكشف عن أي خصائص محددة للبحار والمحيطات. ولم تختلف أوصافهم من خلال الكلمات والصور اختلافاً جوهرياً عن الوصف الإقليمي. وعلى الرغم من أفراد مساحة نصية وصفية خاصة لمناطق المحيطات والبحار في النص والخريطة، إلا أنها بقيت محددة لدي ابن حوقل. كما أن منطقة اتصال البحار والمحيطات بالأرض قُلِّصت كاتوغرافياً إلى خطٍ كنتوري واضح. على وجه التقريب هذا الوصف المفصل ينطبق حصرياً على الإقليم - الذي يطل على الأماكن الساحلية وما وراءها من بلاد ما وراء النهر. تحدد أشكال هندسية بسيطة مثل نصف دائرة أو أشكال هندسية متغيرة، شكل الأرض عند المصببات المفتوحة باتجاه المحيط،

ولكن عندما تفتح تلك الممرات المائية داخل الأرض فهي ترسم بخط حدودي واضح. لا تهدف الخرائط إلى تصوير الواقع، بل إلى تصوير مخطط تفصيلي واضح ومفهوم المعالم مع تسلسل محدد للمواقع.

تصطف المدن الساحلية المهمة على شكل العقد جانباً إلى جنب على حافة البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي وإيطاليا وسوريا. كذلك، على خريطة البحر الأبيض المتوسط، حيث توجد مجموعة من أسماء المدن على الجانب الإيطالي أكثر من تلك الموجودة على حافة الشمال الأفريقي وآسيا الصغرى بشكل عام، والتي تكملها وتصحبها خريطة المغرب العربي الإقليمية مع تقديم تصور كامل للبحر الأبيض المتوسط. كلتا الخريطتان تتعلقان ببعضهما البعض في تقسيم العمل، مما يبرز أحدهما (على سبيل المثال المنطقة البيزنطية في آسيا الصغرى)، بشكل أقل من الأخرى.

من سمات المدرسة البلخية أنها تُبرز الطرق والمسارات على الخرائط. ومع ذلك، لم يذكر ابن حوقل طريقاً بحرياً واحداً في الخرائط المرسومة، بينما يتم ذكر بعضها في النصوص المكتوبة. وتتميز بتقديم تحديدات واضحة المعالم لبرية الأرض، وهو ما تعتبره البحوث التاريخية البحرية عيباً. فلقد أعطت الطرق البرية التي رسمها ابن حوقل للمغرب العربي وشبه الجزيرة الأيبيرية نظرة ثاقبة للعلاقات والروابط بين الساحل والمناطق النائية في منطقة البحر الأبيض المتوسط. قبل كل شيء، توقظك النصوص على حيوية متعددة الألوان، وتنتقل إليك ثروة من المعرفة التفصيلية، التي في الواقع لم تعرض لنا البحر الأبيض المتوسط فقط كبحر، بل جلبت لنا البحر الأبيض المتوسط كمنطقة اتصال أمام أعيننا. يوجد وصف سواحل وموانئ ومدن قريبة من الساحل، ومرافقها المينائية وإمكانية الوصول إليها، وتحصينات المدينة وحالتها الدفاعية، ونوعية المياه، والمساجد، والمباني، والسكان، والإدارة، وأيضاً الجمارك و الضرائب و الرسوم الأخرى و كذلك نقل البضائع و منتجاتهم التجارية. وكذلك تناول بالسرد وصف القلاع وخاصة المنشآت العسكرية الدينية المرابطة (Ribbat) مثل مدينة مونستير (Monastir) على الساحل التونسي وعدد كبير من التحصينات لتأمين الساحل السوري. وانطلاقاً من مدينة برقة، وهي محور بين الشرق والغرب ونقطة انطلاق الطريق إلى القيروان باتجاه الغرب، سنجد مدن أخرى كثيرة مثل أجدايبا، سرت، طرابلس،

قابس، صفاقس، المهدية، سوسة، تونس، طناس، سبتة وطنجة وغيرها وأزيلا. ودومًا كانت تُوضع كل هذه المناطق والمدن في إطار علاقة مزدوجة: ما بين المنطقة المحيطة والمناطق النائية البعيدة من ناحية أخرى، حتى لو لم تمتلك مرفأً أو ميناءً مباشر على البحر. من ثم، فحركة الاتصال بين البر والبحر، سواء كان ذلك مع الواحات القريبة أو البعيدة، يتم بواسطة سفن تجارية من إسبانيا أو الإمبراطورية البيزنطية. ومن ثم فجميع الأماكن المذكورة بالاسم ترتبط ببعضها البعض من خلال المسارات والطرق، بحيث تمتد منطقة البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا من مدينة إلى مدينة كشبكة من الطرق والاتصالات المكثفة، والتي يبدأ بعضها من وإلى البحر، والبعض الآخر طرق برية. تشتمل هذه الشبكة على مسافات كبيرة. فلعي سبيل المثال، تلك التي تمتد من الفسطاط إلى طرابلس ثم إلى المنطقة الإفريقية أو الشرق أو الغرب، وإلى بيزنطة وكذلك إلى إسبانيا أو عبر المراكز التجارية حتى العمق الأفريقي. وكذلك تلك التي تمتد إلى غانا على الساحل الغربي الإفريقي.

وبهذه الطريقة تظهر منطقة البحر الأبيض المتوسط وما ورائها كمنطقة شاسعة مليئة بالحركة. كل شيء يتحرك تقريبًا، تجار، متسوقون، بائعون، العديد من السلع والموارد الطبيعية والمنتجات، والتي من قريب أو بعيد تتقابل في الأسواق وتنتقل على متن السفن أو القوافل. ويرى ابن حوقل أن التجارة وحركة البضائع، وأمن السكان وازدهارهم يكون خلال إدارة جيدة ناجحة، دون تدخل. وفي تقييمه لتلك الإدارة الناجحة، نجده أولاً يُقيم الأحوال الأخلاقية الدينية مع الثناء على الإمامه. ثانيًا: يقيم كفاءة الإدارة ودخل الضرائب والجمارك والتحصينات العسكرية. وعلى الرغم من التجارب الزائدة أو ما يمكن تسميته بالتشبع الخبراتي التجريبي، هناك وجهة نظر ذات شكل ديني تستند إلى فكرة قابلية تغير الظروف القائمة. وهو ما يعكس رؤيته-ابن حوقل- من منظور اسماعيلي-فاطمي دعوي في كل شيء في نفس الوقت.

ثانيًا: صورة البحر الأبيض المتوسط والبحار والعالم في كتاب الفضول

تركز المحاور الأساسية لكتاب "الفنون وملاح العيون" والذي يعرف باسم "كتاب الفضول وعجائب العيون"،^{٨٨} الذي كُتب في مصر بين عامي ١٠٢٠ - ١٠٥٠، على منطقة البحر

الأبيض المتوسط، وبشكل رئيسي على منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وشماله. عُرض هذا الكتاب في مزاد عام 2002، وقامت مكتبة بودليان في أكسفورد باقتنائه واتاحته للجمهور الأكاديمي. كُتب هذا الكتاب بعد كتاب ابن حوقل بحوالي مئة عام، غير أن مؤلفه وناشره مجهولان. تتاول الكتاب الخرائط التي تناولتها الكتب الكارثوغرافية للخلافة الفاطمية. واشتملت النصوص المصاحبة لتلك الخرائط على تجليات إيمانية لخلفاء الإمامة الاسماعلية.^{٩٩} وتختلف أساليب وصف العالم و البحار اختلافاً جوهرياً عن جميع الأساليب المعروفة سابقاً في علم رسم الخرائط العربية (الكارثوغرافيا العربية) ، بما في ذلك الخريطة الشهيرة الذي رسمها الأدريسي المتوفي حوالي ١١٦٦، لملك صقلية النورماندي "روجر الثاني" (تولي من ١١٣٠ إلى ١١٥٤). يعد كتاب الفضول عملاً خطيبي جغرافي-كوني (kosmographischer) شامل، لمؤلف إسماعيلي فاطمي، من خلال المحتوى النص وكذلك الصور. يحتوي الكتاب على خريطين عالميتين بالإضافة إلى خرائط إقليمية أخرى، بما في ذلك إحدى خرائط البحر الأبيض المتوسط، وجزيرتي صقلية و قبرص و المدينة الساحلية في شمال أفريقيا تينيس (Tinnis) و المهديّة (العاصمة الفاطمية السابقة)، بالإضافة إلى المحيط الهندي و بحر قزوين. جميع الخرائط مصنفة بالتفصيل. بالإضافة إلى ذلك، هناك فصول نصية مستقلة عن الخرائط، على سبيل المثال حول قياس الأرض، وفيما يتعلق بالبحار، وفصل عن البحار والجزر والموانئ.^{٩٠}

علاوة على ذلك، اقتبس مؤلف الكتاب بشكل مكثف كثير من المعلومات من سابقه من العصور القديمة، ولاسيما جغرافية بطليموس.^{٩١} في الوقت نفسه، يُدمج ذلك في إطار المعرفة العلمية والجغرافية ذو الصبغة العربية. على سبيل المثال، يتحدث عن جهود الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٠م) لإعادة الحسابات الأرضية الجغرافية، وذلك بمساعدة المساحين وعلماء الفلك.^{٩٢} كذلك استعان بأعمال المسعودي^{٩٣} وابن حوقل.^{٩٤} وبالإضافة إلى ذلك، وكما يؤكد صاحب الكتاب نفسه، فإن أهل الخبرة من التجار والبحارة وريان السفن كانوا من ضمن مصادره الأساسية التي اعتمد عليها في بناء كارثوغرافيته (كتابه الخرائطي)، وذلك بعد تحديدهم والتحقق من معلوماتهم المنقولة إليه.^{٩٥}

يحتوي الكتاب على خريطتين للعالم من أنماط مختلفة، وكلاهما يمثل البحار الثلاثة، والمحيط الهندي، والبحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين. ومع ذلك، لا يبدو المحيط الهندي أكبر من البحر الأبيض المتوسط في كل من خريطة العالم المستديرة والأخرى ذو الزوايا أيضاً، ولكنه يشغل الآن نفس المساحة تقريباً. وعلى عكس رسامي الخرائط البلخيين العاملين في بغداد وحولها، فإن البحر الأبيض المتوسط كان أكبر وأكثر بروزاً في المنظور العالمي لرسامي الخرائط الإسماعيليين الذين عملوا في مصر. حيث أن تصور العالم على خريطة مربعة في كتاب الفضول، يعد أمراً فريداً من نوعه. فنجد أن قارة أوروبا تظهر في شكل جزر محاطة بالمياه.^{٩٦} (انظر شكل ٤).

من ناحية أخرى، فإن خريطة العالم المستديرة تشبه إلى حد كبير خرائط مدرسة "بلخ"، على الرغم من أن أسماء الأماكن مأخوذة من مصدر آخر (انظر شكل 5).^{٩٧} علاوة على هذا، نجد أنها مصحوبة كذلك بخريطة الحاكم النورماندي روجر الثاني من قبل الإدريسي،^{٩٨} والتي تسبقها بحوالي مئة عام. في صقلية تم إنشاء خريطة العالم التي رسمها العالم العربي الإدريسي (1100-1166)، والتي يمكن اخضاعه للمقارنة كذلك. فمن خلال نظرة عابرة، هناك بعض الإشارات التي تُشكك في وجود صلة وثيقة بينها وبين كتاب الفضول. بل أن هذا الافتراض يذهب بعيداً بالتشكيك في نسب خريطة الإدريسي له، زاعماً أنها كانت مرفقة بكتاب الإدريسي دون أن تكون من صنعه (انظر شكل 6).^{٩٩}

الخرائط الموجودة في كتاب الفضول لم يتم تصميمها حسابياً وفقاً للإحداثيات الجغرافية. فوفقاً للإحداثيات؛ تم البحث الدقيق عن الخطوط الساحلية دون جدوى، على الرغم من وجود مقياس على الخريطة المربعة.^{١٠٠} ونجد كذلك أن الخرائط قد قلصت من حجم الأشكال الهندسية بشدة، لسببين ساقهما مجهول: السبب الأول لتوضيح قائمة الأسماء، أما السبب الآخر فلتنغير مجرى الساحل على المدى الطويل. وهنا يوضح رسام الخرائط في فصله عن البحار والجزر والموانئ، أنه لا يجب النظر لخرائطه أو فهمها على أنها صور دقيقة.^{١٠١} ومن ثم، يمكن ملاحظة الفارق والمتغير بين الأرض والمياه: في كثير من الأحيان تشق المياه طريقها إلى الأرض وتتغير السواحل والعكس، حيث تتغلغل كتل اليابسة في الماء، كما هو الحال في الإسكندرية في البحر الأبيض المتوسط.^{١٠٢} لذلك، تتحرك السواحل

بشكل طبيعي في مساحات متغيرة في المنطقة الحدودية بين البر والبحر. كما أن هذه الكتاب يتحدث عن الأهمية التي خصصها رسام الخرائط للبحار حيث إن الخريطة الإقليمية الوحيدة من المنطقة الآسيوية هي خريطة للبحر وليست خريطة لدولة ما، وبالتحديد خريطة المحيط الهندي. كما أنه صور كل من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي بشكل متماثل تقريباً في خرائطهما الإقليمية (انظر الشكلين ٧-٨).

وهنا نجد أن شكل البحر ببيضاوي، وتشير الدوائر المكتوب عليها في المنتصف إلى الجزر. ومع ذلك، إذا نظر المرء إلى الخرائط بالتفصيل، يمكن ملاحظة أن رسام الخرائط المصري كان أكثر دراية بظروف البحر الأبيض المتوسط، وخاصة الجزء الشرقي منه، عن إدراكه لطبيعة المحيط الهندي أو منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط. علاوة على ذلك، رسال خرائطي في كتابه المذكور سلفاً حوالي ١٢٠ جزيرة في البحر البيضاوي الشكل والذي يمثل البحر الأبيض المتوسط، مدون عليهم أسمائهم. بالإضافة إلى وجود ١٢١ ميناء مصطفة على هيئة دوائر على مسافات منتظمة حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط والتي تقع على الشريط الساحلي الإسلامي والبيزنطي. كما نجد تكرار للمعلومات مراراً وتكراراً. وتحمل الخريطة عنوان البحر الغربي أي البحر السوري وموانئه وجزره ومراسيه؛^{١٠٣} تم تحديد اتجاه السماء غرباً من مكان يقع بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، والبحر الشرقي.^{١٠٤} في حين أن هذه المرافئ كانت في الأساس مواني عسكرية، ومن ثم فالبحر الأبيض المتوسط لم يكن بأي حال من الأحوال يمثل مساحة أو مساحة غير ذي صلة بالأحداث. فمن وجهة نظر الرعايا الفاطميين، هذه المنطقة تقدم نفسها على أنها منطقة عسكرية استراتيجية مضطربة، حيث إنها مجالاً خصب للمناورات العسكرية بأسطول مجهز تجهيزاً جيداً. وتحت مسمى الجهاد، دارت فيها المعارك في البحر، ومنها وصلت الحملات العسكرية إلى جنوب إيطاليا بالإضافة إلى حملة وصلت إلى إسبانيا.^{١٠٥}

بالمقارنة مع شمال إفريقيا والمنطقة البيزنطية، يظهر الغرب المسيحي، مثل إيطاليا، وكذلك إسبانيا الإسلامية، بوضوح في الخلفية. لا يحتوي الكتاب على خريطة خاصة لجزر المحيط الهندي،^{١٠٦} ولكنه يحتوي على خريبتين مفصلتين لجزر البحر الأبيض المتوسط، مع وجود خريطة خاصة بصقلية (تاريخياً أول خريطة على الإطلاق كانت لجزيرة صقلية)

وأيضاً لها فصل نصي فرعي مفصل. ويمكن تفسير ذلك أن لجزيرة صقلية دوراً بارزاً في مسار الجهاد الإسلامي، بل ولعبت دوراً في الصراعات العسكرية المستمرة مع البيزنطيين من ناحية أخرى^{١٠٧}.

أضيفت كذلك خريطة لجزيرة قبرص، وهي أمر جدير بالملاحظة حيث إن قبرص لم تكن جزءاً من دار الإسلام في ذلك الوقت. أيضاً تضمن خريطة لمدينة المهديّة، وهي العاصمة السابقة للخلافة الفاطمية ومدينة تجارية مهمة، مع إضافة وصف لقصورها، وقائمة بالمحطات على الطريق البحري إلى صقلية. ويشير إلي وجود أكثر من ثلاثة عشر مراسي مؤدية إلى جزيرة بانتيليريا حتى باليرمو. وهذا يشير إلى الترابط العملي القائم حينذاك من ناحية، والأهداف السياسية والعسكرية الحقيقية للفاطميين تحت بطانة دينية من ناحية أخرى. ومن ثم يمكن القول إن كتاب الفضول موجه بشكل رئيسي لعالم البحار، مدوناً بشكل أساسي الطرق البحرية^{١٠٨}.

٤ - نتيجة مبدئية

كما توضح الأمثلة السالفة الذكر كيف تغيرت التجارب المكانية، والقياسات المكانية، والمفاهيم والرؤى المكانية، والإدراك اللغوي والبصري المكاني للأرض والبحر في العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن العاشر، وكيف اختلفت وكيف كان الاختلاف من واحدة لأخرى. وتم تقديم عدة أمثلة من التأريخ والكارتوغرافيا (علم رسم الخرائط) والوصف النصي والمصور، علاوة على الأشكال المختلفة من عصور واستعارات متشابهة - استعارات نسبية - العلاقات الغامضة النص والصورة. تم اختيار المسعودي، و هو مؤرخ من العراق متعدد اللغات وفيلسوف تجريبي متعلقاً بالتقاليد الدينية الإسلامية، وابن حوقل، رسام خرائط كثير السفر، يرجع أصله إلى الدولة العباسية، و لكن لديه ميل ديني و سياسي إلى الخلافة الإسماعيلية التابعة للفاطميين على ساحل البحر الأبيض المتوسط بشمال إفريقيا و أخيراً المؤرخ المجهول الهوية من مصر الفاطمية، الذي كان يعرف المسعودي و ابن حوقل أيضاً و يأخذ عنهم. ومع معرفة الموروثات المختلفة وأساليب رسم الخرائط، نشأ نوعاً جديداً من وصف العالم والبحار. حيث تستطيع أن ترى في النص كيف

تم تقديم البحار وعلاقتها الدائمة بتغيرات الأرض وكيف يتحرك نظام الأحجام و كيفية تحول مركز ثقل جغرافي و كيف يتم وضع معرفة تفصيلية بطرق مختلفة لمساحات منفردة.

ظهر اتساع ديار الإسلام أمام الأعين بانضمامها إلى الطرق سواء كان عن طريق الحجاج أم الطرق التجارية، عبر البلدان و البحار، ولكن أيضاً عن طريق التنوع و التمييز، وأخيراً عن طريق تنقل الأشخاص و السلع و البضائع و المعرفة و الاحتياطات الأمنية الاستراتيجية العسكرية في مناطقها و منطقة الاتصال مع غير المسلمين. كان الجغرافي والمؤرخ المتجول ابن حوقل، كما ذكرنا سابقاً، ضيفاً على البلاط الفاطمي ، أكد ابن حوقل بما لديه من معرفة و معلومات جديدة على الهيمنة الفاطمية على البحر الأبيض المتوسط . كلف الخليفة الإمام -المؤرخ المسعودي بعمل خريطة رائعة للعالم، وأن يسافر آلاف الكيلومترات لكي يعلقها على جدران مقر حكمه الجديد بالقاهرة.^{١٠٩}

أن رسم الخرائط في السياق الفاطمي كان له مكانة عالية. فلم يخدم علم الخرائط أغراضاً عملية فحسب، بل أيضاً هدف إلى تمثيل السلطة وإضفاء الشرعية عليها في سياق كارتوغرافي. فكانت الخرائط تُوضع في أماكن ذو دلالة ورمزية من أجل النظر إليها، وكذا بهدف التأمل في التمثيل التصويري للأماكن المقدسة وانعكاس بطابع شبه ديني لمستقبل الهيمنة الإسماعيلية على العالم. وطبقاً للدعاءات الفاطمية، فهناك ارتباط بين الهيمنة المكانية على العالم ورسم الخرائط الجغرافية والذهنية للعالم، والذي إليها تنتمي البحار حيث تلعب الحسابات الرياضية الدقيقة دوراً أقل أهمية من التدوين الواسع لمناطق البحار واليابسه في المناطق الإسلامية وفي العالم ككل. تم ذلك من خلال تصورات وأشكال يسهل فهمها وادراكها. هذا بالإضافة إلى المعرفة الجغرافية والوعي المكاني الذي تم تعزيزه من خلال النص والصور، علاوة على الاستحضار الذهني صورة اتساع مملكة دار الإسلام و فهم عالم البحار الكبرى. الأمر الذي جعل الوصول إلى المعرفة الجغرافية أمراً سهلاً، هادفاً بذلك إلى إبراز انفراد والتميز دار الإسلام وأجزائه المختلفة. وفي ذلك تسهيل وإيحاء إلى فكرة تصوره وتمثيله، وازدهار روح التأمل، وهو ما زاد من سهولة التخطيط العملي (البراغماتي) للرحلات في الوقت ذاته، و كذلك القدرة على التذكر والتوجيه أو الإرشاد.^{١١٠}

ومن هنا يمكن القول، أن ما ذكره ابن حوقل ومؤلف كتاب الفضول جاء من منظور الفاطميين عن ترتيب البحار حسب حجمها، جاء في صالح البحر الأبيض المتوسط. وقد ظل المحيط الهندي وبحر قزوين من العناصر الرئيسية في التصميم الجغرافي العالمي، إلا أن البحر الأبيض المتوسط زاد حجمه ونمي بشكل جعله أقرب إلى حجم المحيط الهندي. وكلا الكتابان يحتويان علي معلومات أكثر دقة عن جزر البحر الأبيض المتوسط وموانيه ومدنه الساحلية، من تلك التي دونها المسعودي، والتي ترجع للعصر العباسي، والتي كان يُعمل في ذات الوقت لدي رسامي الخرائط المنتمين لمدرسة بلخي باستثناء ابن حوقل. لا يزال العالم وبحاره العظيمة موجودة، لكن التركيز الآن حول البحر الأبيض المتوسط. وهذا يتعلق ب "مكانة/وضع" الخريطة في الحياة والبيئة المحيطة برسام الخرائط، وفي نظام الحكم ذاته في إطار السياق الذي عمل فيه. على عكس الدولة الأموية والدولة العباسية، كان الفاطميون في الواقع قوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، وكان لديهم أساطيل، وخاضوا معارك بحرية مع بيزنطة، وقاموا بغزو الجزر وتقدموا حتى وصلوا إلى جنوب إيطاليا وصقلية، وتقدموا لفترة وجيزة في الساحل الإيبيري. ومع ذلك، فقد سعوا دائماً إلى جعل التوسع نحو الشرق في اتجاه الأماكن المقدسة وبغداد في المرتبة الأولى، ثم ما وراء شبه الجزيرة العربية نحو الهند، حيث يمكن تتبع أثر الدعاة الفاطميين حتى وقت مبكر من القرن العاشر.^{١١١}

ويأتي هذا بينما يظل المحيط الهندي الأكثر حضوراً، لكن الفاطميين كانوا هم فقط القوة البحرية الممثلة في البحر الأبيض المتوسط. على عكس المسعودي (المتشكك دينياً)، فإن ابن حوقل ومؤلف كتاب الفضول يرتكزان على أساس ديني كأعضاء في العقيدة التبشيرية الدعوية الإسماعيلية. فهم ينقلون منظوراً دينياً عن عالم زمانهم، مع جعل الأماكن المقدسة محوراً رئيساً، وتقديم دار الإسلام كمناطق مركزية للتوجهات (الجغرافية). كما أنهم، خلقوا تصوراً ذو قيمة أعلى لمنطقة شمال إفريقيا وشرق البحر الأبيض المتوسط، والتي مثلت قاعدة قوة الخلفاء الأئمة الفاطميين.

تعكس الخرائط والأوصاف الأدبية، التي تم تناولها هنا للبحر الأبيض المتوسط، شيء ما من المعرفة والوعي في وقت كتابتها، والتقديرية المختلفة للمساحات؛ كما أنها تعد تدريباً

على فكرة التوسع. وأيضاً تعكس مواقع وأصل مؤلفيها. نال التناسقات الموضوعية الاهتمام الأوسع اجتماعياً والمثير للبهجة والمتعة الجمالية في التصوير الطبيعي للمساحات والحركة المتخيلة فيها. ومن هنا، مَثَّلَ التصور والتخيل الأدبي للمساحات وما بها من حركة خيالية الاهتمام الجماعي الأكبر والمثير للبهجة والجمال. وهذا يشمل التأمل الهائل تجاه الأماكن المقدسة مع ولع الشوق الديني إليها وكذلك التفكير في شخصيات الحكايات الخيالية المحبوبة من مدينة بغداد مثل السندباد. كذلك، يتشارك الجميع في زيادة الإدراك الوصفي والخبرة بالأماكن وبناء الوعي المكاني التجريبي العالمي والبحري في العالم العربي. وكما يتضح من المؤلفين وعناوين كتبهم، فإن الهدف من هذه الانتاجات (الأدبية والخرائطية) لم يخدم المصالح العملية للملاحة البحرية بشكل مباشر أو التجارة عبر البحر والبر، أو المصالح العسكرية أو المعرفة المكتسبة فحسب، بل كان ذلك من أجل الإثارة والمتعة واكساب الجمهور (الاهتمام الجماعي)، ومن أجل "التسلية" أو المتعة كما ورد الإشارة إليها في عنوان الكتاب المتضمن سلسلة خرائط الإدريسي.^{١١٢}

هذا الدور الوظيفي لهم يلفت الانتباه إلى إنجازاتهم التي لا يجب المبالغة في تقديرها. فمن خلال التصور الخرائطي والوصف الأدبي، أصبحت المساحات المكانية، بما فيها ذلك الكتل البحرية، متاحة للجميع وبمغزي مزدوج. أولاً، وعلى سبيل المثال، ذلك الانتقال في مركز القوي أو القوة من حيز إلى آخر وتوطيد العلاقات فيهما، تلاه إبراز لمفهوم الوعي المكاني، مما خلق منطقة متنوعة ممتزجة العلاقات والاتصالات. لا يتعلق الأمر في المقام الأول بالمكان التي تم تصويره بشكل واقعي أو الدقة في قياسه، على الرغم مما أبداه بعض الحكام، مثل الخليفة المأمون أو الملك روجر الثاني، من اهتمام كبير بالدقة في قياس المساحة، بل يتعلق الأمر كذلك بالمساحة الأدبية والتصوير المجازي المرئي للعالم بأسره. عالم يمكن تخيله مترابط المسارات والطرق والأنهار والبحار، ولاسيما داخل دار الإسلام. ثانياً، يصبح المكان مركزاً للتواصل من خلال التصوير المرئي والكتابي للنص، سواء كان ذلك بين المسافرين على كرسي بذراعين أو بين العلماء في تصوراتهم معبر مسافات كبيرة وفترات زمنية بعيدة، أو أن يكون ذلك تطبيقاً عملياً لوجهة التجار والحجاج والقادة العسكريين والمحاربين، والبحارة، وأمراء البحار أو الدعاة التبشيريين. فهناك الكثير من معلومات المهمة

لجميع المجالات. وفقاً لابن حوقل، كما ذكرنا سابقاً، هناك جمهور واسع النطاق وفئات مختلفة من الجماهير: الطبقة الحاكمة وأصحاب الدرجات الوظيفية والقيادية من جميع الطبقات والأماكن الذين -على سبيل المثال في القاهرة- يمكنهم زيارة مكتبة ما متاحة للجميع، والاطلاع علي كتبها التي لا تتضب.^{١١٣}

٥- منظور أواخر العصور الوسطى على البحر الأبيض المتوسط في مقدمة ابن خلدون
أخيراً، ينتهي العمل بقفزة زمنية إلى أواخر القرن الرابع عشر. حيث يقدم المؤرخ العربي الكبير ابن خلدون^{١١٤} في مقدمته^{١١٥} مشهداً بانورامياً شاملاً لصعود وسقوط الحضارات.^{١١٦} يتناول ابن خلدون في قسمين من كتابه تفاصيل بانورامية حول بحار العالم والبحر الأبيض المتوسط. والآن وأخيراً؛ أعطي الكلمة لابن خلدون للرجوع إليه تاريخياً، ولكن بشرط الدخول في حوار نقدي معه. يصف ابن خلدون بشكل شامل في الفصل الثاني من كتاب الأول في المقدمة- من خلال نظرة علوية- الأماكن والمناطق الساحلية والمدن والجزر في المحيط الهندي (بحر المحيط) والبحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين. كذلك يتناول الاتصال بين بحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط عبر خليج القسطنطينية، مروراً بالبحر الأسود والبحر الأدرياتيكي، ثم ربط المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي "الفارسي".^{١١٧} ويعد تفسير جغرافي مفصل، أخذ ابن خلدون خارطة العالم من كتاب "روجر"^{١١٨} ليشرحها بالتفصيل^{١١٩}. حقيقة الأمر (*Dictum factum*): أرفق ابن خلدون مع مقدمة نسخة طبق الأصل مما يسمى بخريطة الإدريسي.^{١٢٠} تتبع ابن خلدون الأقاليم المناخية السبع التي حددها الإدريسي على خريطته، مع التعمق في عرض التفاصيل حول البلدان، والجبال والبحار والأنهار. قدم ابن خلدون تصوراً عالمياً متطوراً من خلال الجمع بين النص والصورة. فلقد جمع ابن خلدون بين خبرة العرب ومعرفتها في وقته، وبين اعتماده على بعض الاستشهادات من "بطليموس"^{١٢١} وإسحاق ابن الحسن الهزدي^{١٢٢} والمسعودي،^{١٢٣} وآخرين.

في التمثيل العالمي الشامل للبحار، جاء البحر الأسود^{١٢٤} كبحر رابع مع البحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين، والمحيط الهندي (الذي يتضمن الخليج الفارسي والبحر الأحمر). ويقدم ابن خلدون العالم في صورة خريطة عالمية وليست إقليمية. لا يبحث عن روابط

بحرية في المقدمة ولا عن إمكانية تشكيل شبكة تجارية من خلال رحلة بحرية كما في حالة المسعودي، ولم يضع أي علامات لمرافئ السفن، كما هو الحال مع ابن حوقل وكتاب الفضول، ولا علاقات حدودية بين السيطرة البحرية السياسية والدينية كما في أماكن أخرى لديه. إن تقسيم العالم إلى أقاليم مناخية، والذي يعود إلى التقاليد القديمة،^{١٢٥} الموروثة والمقتبسة من خارطة الإدريسي، لا يُصنف الأرض والبحار طبقاً للناحية السياسية أو الدينية أو الاقتصادية. فنجد، أن في الأقليم المناخي الأول-] حيث قسم الإدريسي كتابه لأقاليم سبع]- البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي تقريباً. وأحتوى الأقليم الثاني علي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. أما الأقليم الرابع فورد البحر الأبيض المتوسط مع بحر قزوين، وهكذا. وجاء بعد تمثيل البحار بالكلمات والصور في تشكيل بنية العالم بأسره، تخصيص قسم ملحق للبحر الأبيض المتوسط فقط، دون إرفاق خريطة، دون أن يوجد قسم مماثل للبحار الأخرى. وجاء صف البحار الأخرى كجزء من التاريخ الأساسي لابن خلدون، وأكثر تحديدا في تاريخ الأدميرالية(إمارة البحار).^{١٢٦}

في هذا السياق، أنشأ ابن خلدون عرضاً بانورامياً تاريخياً للحكم العربي البحري من مرحلة صدر الإسلام حتى عصره. هنا، تكتسب المعالم منظوراً عربياً، على وجه التحديد البحر الأبيض المتوسط، إنه حقاً يمثل تمكين عربي ذاتي في تاريخ البحر الأبيض المتوسط أو تاريخ الملاحة العربية والهيمنة البحرية على البحر الأبيض المتوسط. دعونا نلخصها بإيجاز: حسب ابن خلدون،^{١٢٧} فإن بدايات الملاحة البحرية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط- "بحر الروم" أو "بحر الشام"، البحر البيزنطي أو السوري-امتازت بالتحفظ وبالتشكك، في حين أمتلك الأخرى- أي القوط والبيزنطيين والفرنجة- المعرفة والخبرة في التجارة البحرية، وأيضاً في الحرب البحرية، وهو ما كان علي عكسه المسلمين في البداية. وطبقاً لابن خلدون، فإن هذا الخوف أو الجهل بالبحر من المسلمين في البداية، كان نتيجة منبع العرب ذو الأصل البدوي (الصحروي).^{١٢٨}

ومن ثم، كان البحارة في أعلي البحار بمثابة "ديدان على قطعة من الخشب"،^{١٢٩} كما جاء في وصف الفاتح المسلم الأول لشمال أفريقيا عمرو ابن العاص. بل أن ثاني الخلفاء الراشدين "عمر ابن الخطاب" نهى المسلمين عن الإبحار. ولم يحدث تغييراً في هذا المسار

إلا في عهد الأمويين، وبالتحديد خلال ولاية معاوية ابن أبي سفيان، وهو الخليفة الأموي الأول في سلسلة الأسرة الأموية الحاكمة في بلاد الشام وعاصمتهم دمشق. لم يسمح معاوية بالملاحة البحرية فحسب، بل أجبر المسلمين أيضاً على الجهاد في البحر. ووفقاً لابن خلدون، سرعان ما اكتسب العرب المعرفة البحرية، بل وقاموا بتعيين خبراء أجانب متخصصين في بناء السفن والملاحة البحرية، وبهذه الطريقة أصبحوا هم أنفسهم خبراء. وأخيراً، نجحوا في غزو صقلية كبداية لمرحلة جديدة (من عصر الملاحة الإسلامية- العربية).

ومن ثم، فقد مرت القوة البحرية العربية بخبرات ومراحل رائعة في البحر الأبيض المتوسط في زمن الأمويين والفاطميين والأمويين في أيبيريا (الأندلس). فتحت حكمهم، سيطر العرب على البحر الأبيض المتوسط بأكمله "و لم يستطع أحد فعل أي شيء حيال ذلك، ومن ثم استسلمت جميع الجزر، أي مايوركا، مينوركا، بانتييليريا، مالطا، كريت وقبرص،^{١٣٠} كلاً حسب وقت مهاجمته.^{١٣١} ومن وجهة نظر ابن خلدون، لم يعد بإمكان القارب المسيحي البقاء في البحر الأبيض المتوسط. فقط عندما ضعفت هذه الدول وتضاءلت القوة العربية البحرية أيضاً؛ نجح المسيحيون في استعادة السيطرة على تلك الجزر مرة أخرى، ثم احتلال بلاد الشام بما في ذلك القدس والمواقع المركزية على الساحل المغربي. ووصولاً للقرن الحادي عشر، لم يكن هناك أي عربي تقريباً في البحر الأبيض المتوسط، وكان المسيحيون يسيطرون عليه، تغير هذا مرة أخرى في ظل دولة الموحدين (المهدية) في القرن الثاني عشر. خلال هذه الفترة، حسب رأي ابن خلدون، نمت الحكم البحري العربي إلى مستوى لم يعرف من قبل أو من بعد.^{١٣٢} عقب حكم الموحدين، واصلت الدولة المرينية نجاح الحكم العربي المتوسطي للمرة الأخيرة. وبعد ذلك، رثى ابن خلدون قائلاً، بدأ التدهور حتماً، وتُسيب المعرفة البحرية،^{١٣٣} وهيمنت أساليب الحياة البدوية، وفي النهاية فقد المسلمون جميع المتطلبات البحرية.^{١٣٤}

تم وضع ملاحظات ابن خلدون عن البحار بعناية في نهاية المصادر الجغرافية والتاريخية. فمن الناحية المعرفية لعالم عربي في أواخر العصور الوسطى كان لديه معرفة بالأعمال القديمة متضمناً أيضاً المعرفة العربية، مثل الإدريسي أو المسعودي. قبل كل

شيء، فهذه المصادر تجمع بين تمثيلات وتصورات مختلفة تجمع بين "التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط في علم التأريخ وعلم رسم الخرائط (الكاتوغرافيا)". فمن ناحية تؤرخ لتأريخ العرب بصفتهم فاعلين أساسيين ينفي البحر (هيمنة البحر، التجارة، الحرب)، ومن ناحية أخرى تناول تاريخ التصور العربي للفضاء البحري من خلال التوضيح الخرائطي والنصي الوصفي ذات التداخلات المتشابكة بينهم.

تعتبر خريطة ابن خلدون وخريطة وصف العالم مثلاً حياً لوصف العالم من منظور عربي عالمي، فإن تاريخ البحر الأبيض المتوسط ينبثق من رؤية عربية تمركزت حول البحر الأبيض المتوسط. يمكن هنا رواية التاريخ من منذ الاقتراب العربي تجاه البحر وحتى سيادته والهيمنة عليه، انتهاءً بفقدان تلك السيادة مرة أخرى. هناك علاقة تشابكية بين البحر وتاريخ السلالات التاريخية الإسلامية الكبرى، أي الأمويين في سوريا وشبه الجزيرة الأيبيرية وكذلك الفاطميين والموحدين المهديين والمرينيين في شمال إفريقيا. من ناحية أخرى، فإن الدولة العباسية في بغداد قد سقطت من رواية ابن خلدون دون إبراز للمحيط الهندي في تاريخ العرب البحري.

وهكذا يمزج المؤرخ تاريخ العرب في البحر الأبيض المتوسط مع تاريخ الأسرات الحاكمة إجمالاً في جزء ملحق في كتابه "المقدمة" ودمجه في مفهومه العام لقصص صعود وسقوط الحضارات.^{١٣٥} لم يكن بإمكان ابن خلدون أن يكتب فصلاً مشابهاً عن المحيط الهندي أو بحر قزوين، لأن دخول العرب إلى عالم البحار حدث في ظل ظروف مختلفة تماماً. لم يتشكل ذلك بسبب الحرب والتنافس الديني والسلطة فحسب، ولكن وقبل كل شيء، جاء ذلك نتيجة النشاط التجاري كذلك. على عكس البحر الأبيض المتوسط، كان المحيط الهندي "بحر السلام".^{١٣٦} ويأخذ ابن خلدون التجارة أيضاً في الحسبان، ولكن الأمر في جوهره يتعلق بالهيمنة السياسية والدينية من خلال وجود أسطول بحري يتحكم في مركز القوي. ويُعزى صعود وسقوط القوى البحرية الإسلامية والمسيحية في البحر الأبيض المتوسط إلى حركات مضطربة وغير مستقرة.^{١٣٧} كما أن علاقات القوة بين مختلف الحكام الدينيين والسياسيين تميزت بالتغيير المستمر مراراً وتكراراً، حتى في أشد الفترات تعصباً مثل الحروب الصليبية

والجهاد الإسلامي (المضاد). ومع ذلك، فإن احتمالات تجاوزها تظل واضحة، على سبيل المثال من خلال عملية النقل أو التحول المعرفي.

وعلى الرغم من ذلك وفي الوقت الحاضر، يجب عدم الإنسياق لروايات ابن خلدون ونظرياته حول صعود وهبوط بعض الأسر الحاكمة المنفردة في البحر أو لاستبطنه لأسباب تدهورها. فمن وجهة النظر الحالية، فإن المواجهات المسيحية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط تقع في منطقة متوترة عالقة بين الصراع والتواصل بشكل معقد للغاية. كما أن تاريخ الحكم البحري أواخر العصور الوسطى الإسلامية - لكن ليست العربية - والتجارة البحرية، على سبيل المثال بين المماليك والأتراك (١٢٦٠-١٥١٧)، كانت متباينة للغاية أيضاً.^{١٣٨} فقد ظلت القاهرة المملوكية مركزاً مهماً للبضائع الآسيوية إلى بيزنطة وأوروبا الغربية.^{١٣٩} ومع ظهور فاعلين تجاريين آخري ينفي مجال التجارة البحرية في شمال البحر الأبيض المتوسط و هما المدن الساحلية الإيطالية والأراجونية، أقام المسلمون اتصالات معهم.^{١٤٠} وبدأت تتطور العلاقات التجارية علي الأقل في شكل شبكة مثلثية قطرية بين الغرب و الشرق و الشمال.^{١٤١}

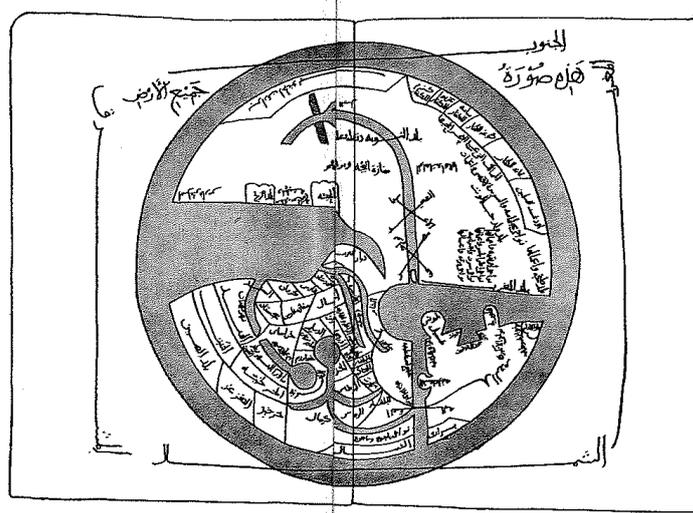
بعد سنوات قليلة من وفاة ابن خلدون، بدأ عصر الأستعمار الأوروبي للعالم. و من ثم أدى ذلك إلى حدوث تغييرات جذرية في علاقة المسلمين بالبحار، خاصة المماليك و العثمانيين. فبمجيء العثمانيين سيطرت دولتهم على منطقة البحر الأسود، مع استمرارية نشاطها في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة في بحر إيجه وفي مجالها التجاري مع آسيا.^{١٤٢} من ناحية أخرى، تقدم البرتغاليون إلى منطقة المحيط الهندي، على الرغم من أنهم لم يقطعوا التجارة البحرية العربية هناك، إلا أنهم حولوا مسارها (عبر طريق رأس الرجاء الصالح). ومع الوصول إلي المحيط الأطلسي، قبل نهاية عام ١٤٩٢،^{١٤٣} انفتح عالم غير معروف حتى الآن ، وكذا منطقة بحرية جديدة، وعلي المدى الطويل أصبح من النادر إبحار أي سفن عربية أو إسلامية فيها.

ملخص: التصور العربي للبحر الأبيض المتوسط

يقيم هذا البحث العلاقة العربية بالبحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى. والحجة الرئيسية هنا أنه نتيجة إلي التجارب المبكرة لتجار العرب في المحيط الهندي منذ ما قبل

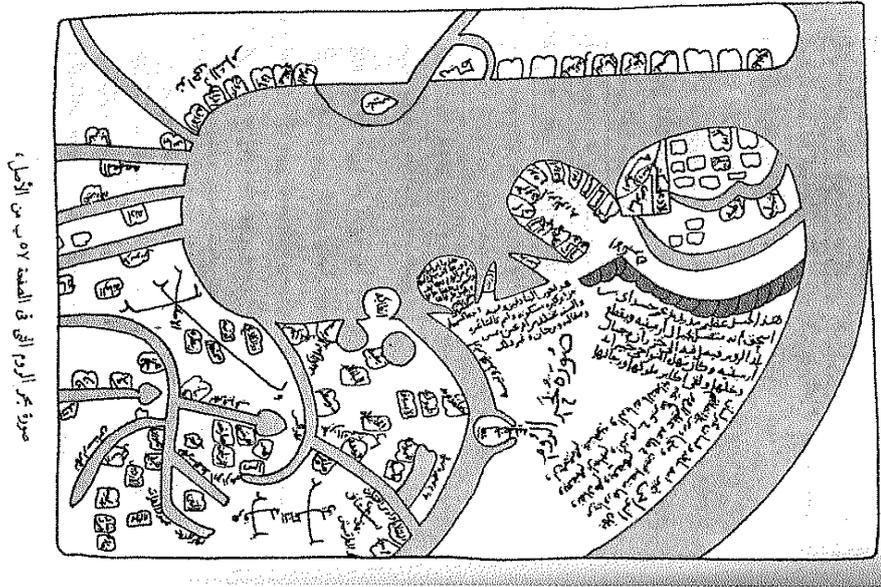
ظهور الأسلام وحتى التوسع العربي الإسلامي العالمي، فلا يمكن تحليل هذه العلاقة بدون نظرة ثاقبة أوسع على النهج العربي العام تجاه البحر، بمعنى آخر المحيط الهندي و بحر قزوين. إن ألقاء نظرة سريعة على النصوص الدينية مثل القرآن و الحديث يوضح أبعاد نقدية هامة للعلاقة بين العرب والبحر. فمن خلال تحليل المصادر التاريخية-الجغرافية وتحليل الخرائط (الرسوم الكاتوغرافية) خلال العصور الوسطى؛ مثل مروج الذهب و معادن الجواهر لعلي ابن حسن المسعودي (٨٩٦ - ٩٥٦) وكتاب صورة الأرض لابن حوقل (٩٧٧) وكتاب المؤلف المجهول كتاب "غرائب الفنون و ملاح العيون" (١٠٢٠-١٠٥٠) و مقدمة ابن خلدون (١٤٠٦) ، سنجد أن هناك فروق طفيفة فيما يتعلق ببعض التفاصيل. ويمكن اجمال الأسئلة الرئيسية للبحث كما يلي: (١) كيف تصور هذه النصوص و الخرائط المختلفة التي كتبها و رسمها مؤلفون من العصور الوسطى في شمال أفريقيا والعراق العلاقة العربية تجاه البحر، وخاصة تجاه البحر الأبيض المتوسط ؟ (٢) كيف قدمت المصادر الجغرافية التاريخية والخرائطية العربية في العصور الوسطى هذه البحار بشكل منفصل وكذلك من خلال علاقتها وربطها ببعضها البعض؟ (٣) ما الدور المحدد الذي لعبه البحر الأبيض المتوسط في التأريخ العربي و علم رسم الخرائط (الكاتوغرافيا) في العصور الوسطى؟

الملاحق:



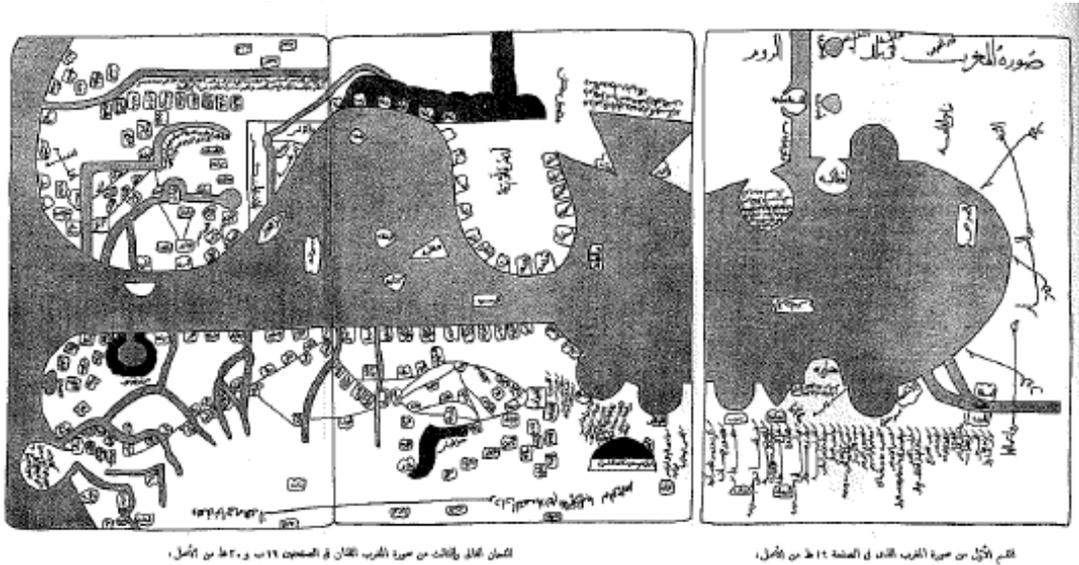
شكل ١: خريطة العالم لابن حوقل في:

Ibn Hauqal, Kitāb Šūrat al-ard , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (Bibliotheca Geographorum Arabicorum), Leiden 1938, S.8).



شكل ٢: خريطة المغرب لابن حوقل:

Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS
(.(BibliothecaGeographorumArabicorum), Leiden 1938, S.66



شكل ٣: خريطة ابن حوقل للبحر الأبيض المتوسط:

Ibn ḤauqalMittelmeerkarte (abgedruckt in: Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat
al-arḍ , hg. von Johannes Hendrik KRAMERS
(.(BibliothecaGeographorumArabicorum), Leiden 1938, S. 196



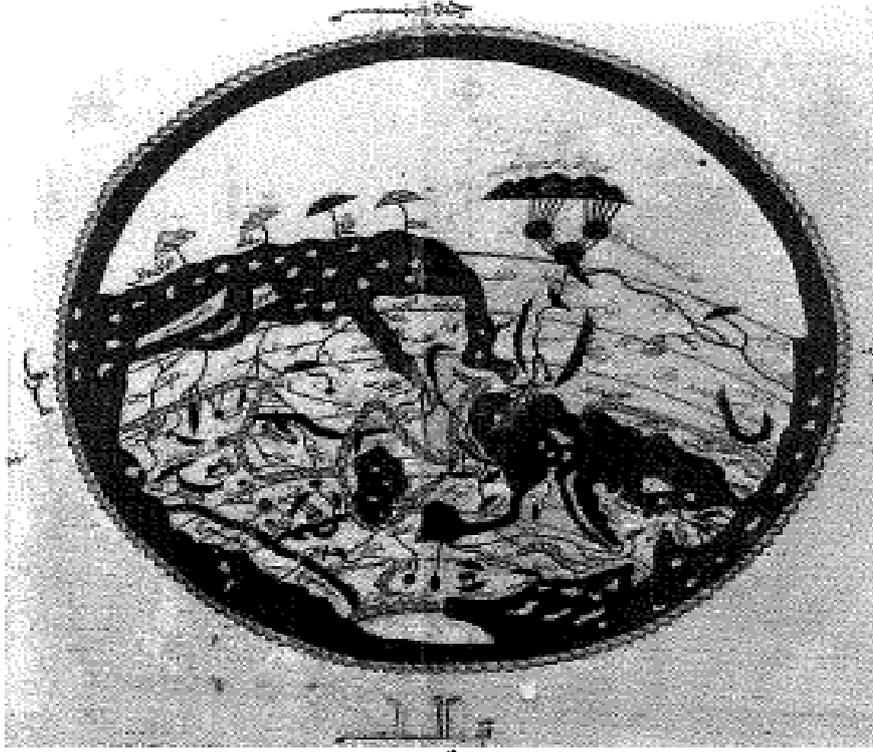
شكل ٤: خريطة العالم المربعة

Eckige Weltkarte, Buch der Kuriositäten (MS Arab.c.90 fols. 23b-24a)

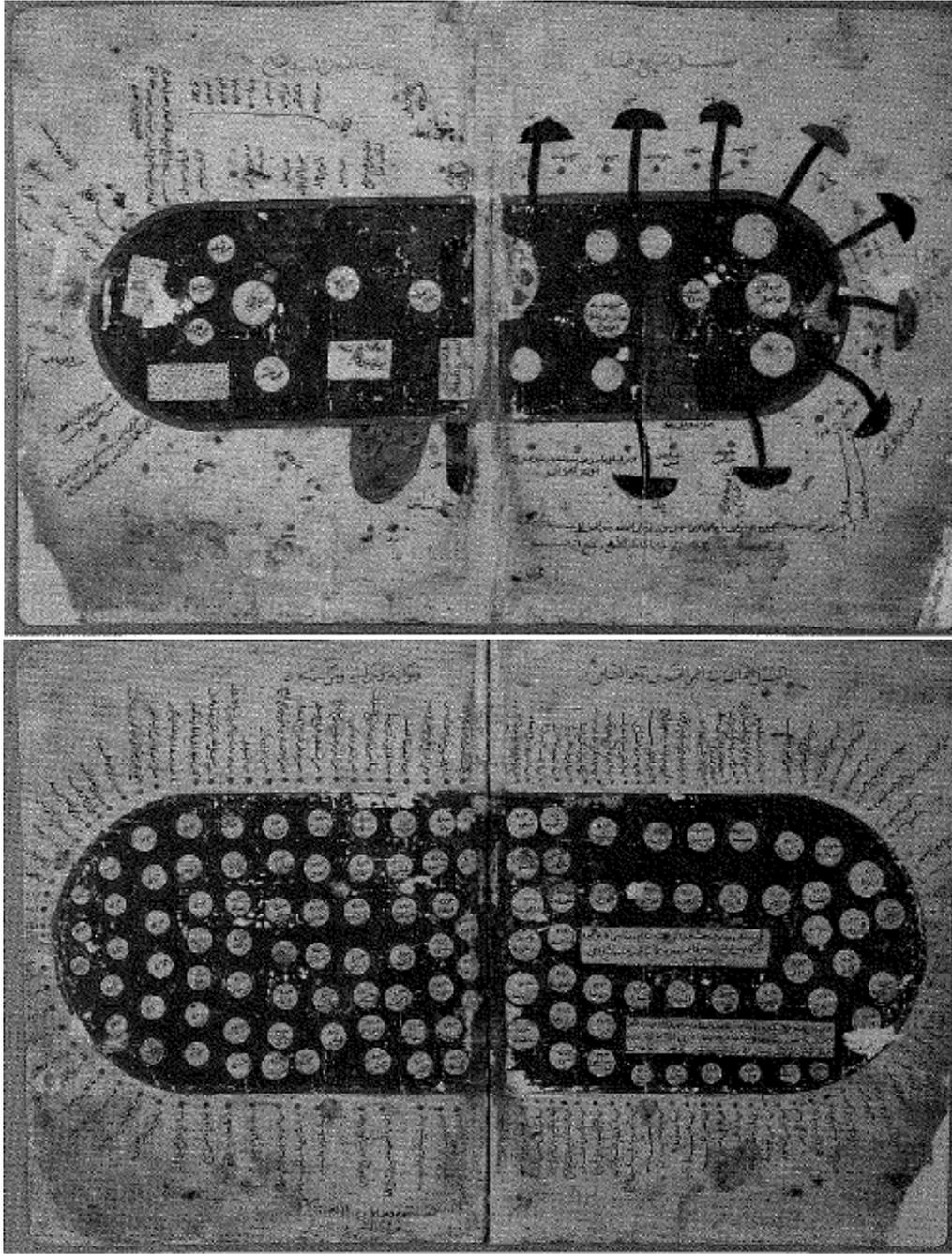


شكل ٥: خريطة العالم الدائرية

Runde Weltkarte, Buch der Kuriositäten (MS Arab: c.90, fols 27b-28a)



شكل ٦: خريطة العالم للإدريسي



شكل ٧ و ٨: خريطة البحر الأبيض المتوسط وخريطة المحيط الهندي
AMS Arab. c. 90, fols 31b-32a) und Karte des Indischen Ozeans (MS
Arab. c. 90, fols- 29b-30a)

الهوامش:

* نُشرت هذه المقالة باللغة الألمانية للمرة الأولى تحت عنوان:

Dieser Artikel wurde erstpubliziert unter dem Titel: Arabische Darstellungen des Mittelmeers in Historiographie und Kartographie“, in: Borgolte, Michael; Jaspert, Nikolas (Hg.): Maritimes Mittelalter. Meereals Kommunikationsräume, Ostfildern: 2016, S. 149-180. Ich danke den Herausgebern Prof. Dr. Michael Borgolte und Prof. Dr. Nikolas Jaspert sowie dem Thorbecke Verlag für die freundliche Genehmigung der Zweitpublikation in arabischer Sprache. Der Artikel wurde von Dr. Ahmed Sheir übersetzt; auch ihm gilt mein Dank.

وأشكر المحرران أ.د. ميشائيل بورغولتي والبروفيسور د. نيكولاس ياسبيرت ودار نشر توريك فيرلاغ (Thorbecke Verlag) لموافقتهم الكريمة على نشر المقال باللغة العربية. والشكر موصول للدكتور أحمد شعير (Ahmed Sheir) لترجمة هذا المقال إلي العربية.¹ القرآن، سورة البقرة، أية ١٤٢ و ١٤٣.

² Jürgen OSTERHAMMEL, Die Verwandlung der Welt. Eine Geschichte des 19. Jahrhunderts, München 2010, S. 131.

³ سرعة الاقتراب العربي السريع نحو البحر وركوبه، يتناقض مع تحفظات الخلفاء الراشدين الأوائل على ركوب البحر والتي وصلت في بعض الأحيان إلى حد حظر الإبحار، كما حذرت بعض السور القرآنية من البحر، على سبيل المثال السورة العاشرة "سورة يونس" والثانية والعشرون سورة "الحج" أو السورة الرابعة والعشرون سورة "النور" و الاربعون سورة "غافر". وبحسب رواية ابن خلدون، فقد حظر عمر بن الخطاب (ثان الخلفاء الراشدين) المسلمين من الإبحار. أنظر: مقدمة ابن خلدون.

Ibn Ḥaldūn, Muqaddima. Prolégomènes d'Ebn Khaldoun. Textearabe, publié, d'après les manuscrits de la bibliothèque impériale, hg. von M. QUATREMÈRE, Paris 1858.

والمزيد أنظر: Albrecht FUess, Verbranntes Ufer. Auswirkungen mamlukischer Seepolitik auf Beirut und die syro-palästinensische Küste 1250-1517 (Islamic History and Civilization 39), Leiden u.a. 2001; Wilhelm HOENERBACH, Araber und Mittelmeer. Anfänge und Probleme arabischer Seegeschichte (Veröffentlichungen der Schleswig-Holsteinischen Universitätsgesellschaft zu Kiel 48), Kiel 1967.

حول أقوال ابن خلدون عن البحر – القسم الخامس، مقالة ابن خلدون في كتابه "مقدمة" منظور العصور الوسطى المتأخرة عن منطقة البحر المتوسط، استخدمت الأمثلة التي تحذر من البحر في فترة صدر الإسلام، مع الإشارة إلى بعض الآيات القرآنية في البحث كدليل على صحة النظرية القائلة بأن الإسلام والبحر يتعارضان. أنظر:

Xavier DE PLANHOL, L'islam et la mer. La mosquée et le matelot. VIIe – XX- siècle, Paris 2000.

⁴ Christophe PICARD, Le calife Umar interdit la Méditerranée aux Arabes : peur de la mer ou raison d'État?, in: Un Moyen Âge pour aujourd'hui: pouvoir

d'État, opinion publique, justice: mélanges offert à Claude Gauvard, hg. von Olivier MATTEONI und Nicolas OFFENSTADT, Paris 2010, S. 247-257.

5 Maria Kowalska, Die Seekämpfe zwischen Arabern und Byzantinern im Ostmittelmeer in den Jahren 649-717, in: Folia orientalia 37 (2001), S. 105-112

⁶ Alexander Daniel BEIHAMMER, The First Naval Campaigns of the Arabs against Cyprus (649-653), in: Graeci-Arabica 9/10 (2004), S. 47-68.

٧- لمزيد من المعلومات التاريخية عن أحداث التقارب العربي الإسلامي إلى (من السيطرة على) البحر الأبيض المتوسط والنزاع حول دور القيادة السياسية والعسكرية في هذا الحيز المكاني أنظر:

Ekkehard EICKHOFF, Seekrieg und Seepolitik zwischen Islam und Abendland. Das Mittelmeer unter byzantinischer und arabischer Hegemonie (650-1040), Berlin 1966; Tadeusz LEWICKI, Les voies maritimes de la Méditerranée dans le haut Moyen Age d'après les sources arabes, in: La navigazione mediterranea nell'alto medioevo. 14. - 20. April 1977, Bd. 1, hg. von Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo (Settimane di Studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo 25), Spoleto 1978, S. 439-480. Vgl. zu einer kritischen Zusammenfassung dieser Arbeiten Fuat SEZGIN, Geschichte des Arabischen Schrifttums, Bd. 11. Mathematische Geographie und Kartographie im Islam und ihr Fortleben im Abendland, Historische Darstellung, 2. Teil, Frankfurt am Main 2000, bes. S. 3-26.

⁸ George HOURANI, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times (Princeton Oriental Studies 13), Princeton 1951, S. 61

⁹ Vgl. Monica JUNEJA/Dietmar ROTHERMUND, Zwischen allen Meeren. Südasien, in: Die Welt 1250-1500, hg. von Thomas ERTL und Michael LIMBERGER (Globalgeschichte. Die Welt 1000-2000, Bd. 2), Wien 2009, S. 272-296, bes. S. 278. Vgl. auch HOURANI, Arab Seafaring (wie Anm.8), S. 63.

¹⁰ يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن تاريخ العرب والبحر الأبيض المتوسط من وجهة نظر كاتبي القرون الوسطى "الغربيين" يحمل في طياته خطر المساس ببعد الاتصال مع "الغرب" أو مسار التعامل مع الثقافة الغربية- الثقافة اللاتينية المسيحية أو الثقافة اليونانية المسيحية. ليس ذلك فقط من أجل التاريخ البحري للعرب بشكل عام، ولكن أيضًا بشكل خاص للتاريخ العربي المتوسطي، فمن الضروري أن الانتقال من شبه الجزيرة العربية نحو البحر الأبيض المتوسط و "أوروبا" ليس سوي أحد الدوافع للتوسع العربي.

¹¹ Osterhammel, Verwandlung der Welt (wie Anm.2), S. 131.

¹² المقصود هنا العدد الذي نشر فيه المقال في أصله بالألمانية: أنظر بداية المقال.

¹³ BORGOLTE/JASPERT, Maritimes Mittelalter, nach Anm. 26.

¹⁴ تفتح هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الأساسية المتعلقة بالعلاقة بين المكان والزمان والتاريخ، والمنشآت التاريخية ووجهات النظر العالمية في ذلك.

¹⁵ DE PLANHOL, L'Islam (wie Anm.3).

¹⁶ يشير DE PLANHOL في المقام الأول إلى الإسلام، ويزعم وجود علاقة إشكالية بين جميع الديانات التوحيدية السماوية: أنظر: المرجع السابق، ص ٤٥٧ وكذلك: Stefan WILD, in: HZ 272 (2001), S. 141-143.

¹⁷Vgl. Anne-Marie BIANQUIS, in: JESHO 45,2 (2002), S. 294-296; James HOWARD-JOHNSTON, in: EHR 470 (2002), S.118-120; Jean-Robert PITTE, in: Annales de Géographie 111 (2002), S. 219-220; vgl. zudem WILD (wie Anm.15).

¹⁸ في هذه المرحلة، نريد فقط الإشارة إلى التمييز الضروري بين العرب والمسلمين. انتقد توماس باور الباحث "يونجست" بتركيزه على استخدام مصطلح الثقافة الإسلامية، لأنه يشير إلى دين ذو مجموعة ثابتة من المعايير الدينية بالإضافة إلى ثقافة ليست متطابقة بأي حال من الأحوال. انظر:

Thomas BAUER, Die Kultur der Ambiguität. Eine andere Geschichte des Islams, Berlin 2011, S.193; Almut HÖFERT, Europa und der Nahe Osten. Der transkulturelle Vergleich in der Vormoderne und die Meistererzählungen über den Islam, in: Historische Zeitschrift 287 (2008), S. 561-597; Wolfram DREWS, The Emergence of an Islamic Culture in Early Abbasid Iraq, in: Cultural Brokers at Mediterranean Courts in the Middle Ages, hg. von Marc VON DER HÖH, Nikolas JASPERT, Jenny Rahel OESTERLE, Paderborn 2013, S. 47-62, der, was das abbasidische Kalifat betrifft, von „an imperial culture expressed in Arabic under the protection of Islam“ (S. 61).

¹⁹ يوجد عدد من الدراسات ذات الصلة في مجالات التجارة وتكنولوجيا السفن والحروب البحرية والقانون البحري في الإسلام أنظر:

, vgl. etwa Dionisius A. AGIUS, Classic Ships of Islam. From Mesopotamia to the Indian Ocean (Handbook of Oriental Studies. Section 1, The Near and Middle East 92), Leiden 2008; Matthew Benjamin HARPSTER, Shipbuilding and Trade in the Eastern Mediterranean during the 7th Century: Possible Effects of the Muslim Invasion, St. Andrews 1997; Hassan Salih KHALILIEH, Capacity and Regulations against Overloading of Commercial Ships in Byzantine and Islamic Maritime Practices, in: Journal of Medieval History 31 (2005), S. 243-263; Ders., Human Jettison, Contribution for Lives and Life Salvage in Byzantine and Early Islamic Maritime Laws in the Mediterranean, in: Byzantion 75 (2005), S. 225-235; Ders., Security Protection and Naval Escort during the 10th and 12th Centuries in the Islamic Mediterranean, in: Graeco-Arabica 7/8 (2000), S. 221-232; Gottfried LIEDL, Seefahrt im islamischen Westen. Spätmittelalter und Frühe Neuzeit, in: Seefahrt und früheuropäische Expansion, hg. von René Alexander MARBOE (Expansion, Interaktion, Akkulturation 15), Wien 2009, S. 61-92; Zaki M'BAREK, Le Jihad maritime en Méditerranée du XIe au XVIe siècle: conception islamique et conception occidentale, in: Aspetti ed attualità del poteremarittimo in mediterraneo secoli XII-XVI, hg. von Paolo ALBERINI, Rom 1999, S. 85-100; Medieval Ships and Warfare, hg. von Susan ROSE,

Aldershot 2008; Abraham L. UDOVITCH, An Eleventh Century Islamic Treatise on the Law of the Sea, in: *Annales islamologiques* 27 (1993), S. 37-54; Alan G. WALMSLEY, Production, Exchange and Regional Trade in the Islamic East Mediterranean: Old Structures, New Systems, in: *The Long Eighth Century. Production, Distribution and Demand*, hg. von Inge Lyse HANSEN und Chris WICKHAM (The Transformation of the Roman World 11), Leiden 2000, S. 265-343.

²⁰ Alī Ibn Ḥasan al-Mas'ūdī, *Les Prairies d'or*, Arabische Edition u. Französische Übersetzung des „Murūğad- Ḍahabwa-ma'ādin al-ğawhar“, hg. von Barbier DE MEYNARD und Pavet DE COURTEILLE, Paris 1861-77.

²¹ Ibn Ḥauqal, *Kitāb Ṣūrat al-arḍ*, hg. von Johannes Hendrik KRAMERS (Bibliotheca Geographorum Arabicorum), 2 Bde., Leiden 1938. Sofern nicht anders vermerkt, beziehen sich die Seitenzahlen in diesem

Aufsatz auf den ersten Band der Edition.

²² *The Book of Curiosities: A Critical Edition*, hg. von Emilie SAVAGE-SMITH und Yossef RAPOPORT, World-Wide-Web publication. (www.bodley.ox.ac.uk/bookofcuriosities).

²³ *Muqaddima. Prolégomènes d'Ebn Khaldoun. Texte arabe, publié, d'après les manuscrits de la bibliothèque impériale*, hg. von M. QUATREMERE, Paris 1858. Die Verweise in diesem Aufsatz beziehen sich auf die arabische Edition. Das Werk wurde ins Englische übertragen: *Ibn Khaldūn, The Muqaddimah. An Introduction to History*, hg. u. übers. von Franz ROSENTHAL, 3 Bde., New York 1958.

²⁴ ومع ذلك، فإن اختيار المصادر ليس مُمَثَلًا، كان ينبغي على مؤرخ لديه خبرة وتجارب مثل المسعودي أن يأخذ، على سبيل المثال، عن المؤرخين ذوي التوجهات الدينية مثل الطبري لمعرفة كيفية وصفهم للبحار والتعامل مع المعلومات المشككة عن البحر من المنظور القرآني وتتبعها منذ عصور الإسلام الأولى. ووفقاً لهدف البحث ذات التوجيه الموضوعي فإن المصدران الموجهان بقوة نحو منطقة البحر الأبيض المتوسط هما كتابا الفضول المصري لمؤلف مجهول وكتاب ابن خلدون. إلا أن المسعودي وابن حوقل ذو الأصول العراقية، على الرغم من أن الأخير قد يكون له اهتمام خاص بالبحر الأبيض المتوسط لأسباب تقاربهم مع جماعة الإسماعيلية والفاطميين. ولم يذكر رسام الخرائط البلخيون (بلخ) من العراق – بمن فيهم ابن حوقل- إلا بشكل عابر. ومن الجدير بالذكر، أن مدرسة بلخي ليست لها علاقة بما يسمى بجغرافي أو خبراء مدرسة الخليفة المأمون الجغرافية ذو التوجه الرياضي. عن رسم الخرائط الإسلامي ذو التوجه الرياضي/الحسابي أنظر: SEZGIN, *Geschichte des Arabischen Schrifttums* (wie Anm.7). Eine

يمكن العثور على مجموعة من المؤرخين العالميين والفراسيين والعرب وأعمالهم وملخصات موجزة لمحتوياتهم في:

Bernd RADTKE, *Weltgeschichte und Weltbeschreibung im mittelalterlichen Islam* (Beiruter Texte und

.Studien 51), Stuttgart 1992

²⁵ Ahmad M. H. SHBOUL, Al-Mas'ūdī and his World. A Muslim Humanist and his Interest in non-Muslims, London 1979; Tarif KHALIDI, Islamic Historiography. The Histories of al-Mas'ūdī, New York 1975; RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23).

²⁶ Al-Mas'ūdī, Murūğ (wie Anm.19)

²⁷ FRANZ ROSENTHAL, A HISTORY OF MUSLIM HISTORIOGRAPHY, LEIDEN ²1968, S. 28. ER GILT ALS EINER "DER UMFASSENST NEUGIERIGEN WELT-ERKUNDER, DIE DAS ISLAMISCHE MITTELALTER HERVORGEBRACHT HAT". VGL. LUTZ RICHTER-BERNBURG, DER FRÜHMITTELALTERLICHE HANDEL NORD- UND OSTEUROPAS NACH ISLAMISCHEN QUELLEN, UNTERSUCHUNGEN ZU HANDEL UND VERKEHR DER VOR- UND FRÜHGESCHICHTLICHEN ZEIT IN MITTEL- UND NORDEUROPA, TEIL IV, IN: DER HANDEL DER KAROLINGER- UND WIKINGERZEIT, HG. K. DÜWEL, Göttingen 1987 (Abhandlungen der Akademie der Wissenschaften in Göttingen, Phil.-hist. Klasse, Dritte Folge, Nr. 156), S. 667-685, bes.S.678

²⁸ ومع ذلك، فإن الوصف التفصيلي للبحار الفردية يحتوي على فصول عن الأرض والبحار ومنايع الأنهار والجبال وأقاليم المناخ السبعة والنجوم والمجالات، انظر:

.Mas'ūdī, Kap. 8, S. 179-202) sowie über sich verändernde Meeresläufe und Flüsse (Mas'ūdī, Kap. 9, S. 202-230) voran²⁹

²⁹ انظر نفسه، الفصل العاشر، ص ٢٣٠.

³⁰ في عمله الثاني "كتاب التنبيه والإشراف" يتناول المسعودي البحار. هنا أيضاً يشير إلى أسفاره الخاصة. في كتاب التنبيه، ذهب أولاً إلى المحيط الهندي، ثم إلى البحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين، وبعد ذلك بوقت قصير إلى البحر الأسود وأخيراً إلى المحيط الأطلنطي. في فصل البحر الأبيض المتوسط، يذكر قبل كل شيء الموقع الجغرافي للبحر وحجمه، والجزر المنفصلة مثل قبرص وكريت وصقلية بالإضافة إلى مجرى نهر النيل. انظر:

'Alī Ibn Ḥasan al-Mas'ūdī, Kitāb at-Tanbīh wal-išraf, hg. von 'Abdallāhismā'īlas-Šawī, Kairo 1983, Kap. 10, 11, 12 und 13. Vgl. RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23), S. 60.

³¹ Mas'ūdī, Murūğ (wie Anm.19). Folgende Kapitel- und Seitenangaben beziehen sich auf dieses Werk.

³² نفسه، ص ٢٣١.

³³ انظر ص، ٢٤٣، البحر الفارسي (بحر فارس)، البحر الأحمر (بحر القلزم)، البحر الحبشي، بحر اليمن وبحر الزنج على الساحل الأفريقي المقابل، وجزء آخر يسمى بحر السند، وبحر الهند، بحر الصين، بحر ملقا وبحر الكلا (Kalāh)، وكذلك وبحر الزباج بالقرب من سومطرة وجاوة.

³⁴ انظر، نفسه، ص ٢٣٠-٢٤٤.

³⁵ انظر، نفسه، الفصل ١١، ص ٢٤٤-٢٥٥.

³⁶ انظر، نفسه، الفصل ١٢، ص ٢٥٦-٢٦٠.

³⁷ انظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٦٢-٢٨٦.

³⁸ انظر، نفسه، الفصل ١٣، ص ٢٦٠-٢٦٢.

^{٣٩} أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٧١ وما بعدها.
^{٤٠} "يمكن العثور على نفس التسلسل في أعماله التاريخية الأخرى مثل، „Kitāb at-Tanbīh wal-išraf“ (wie Anm. 27)"

⁴¹Zu al-Mas'ūdīs Quellen siehe auch Tarif KHALIDI, Islamic Historiography. The Histories of al-Mas'ūdī, New York 1975.

^{٤٢} على سبيل المثال، فيما يتعلق بالبحار، بطليموس (Ptolemaios) راجع أيضاً: الفصل الثامن، ص ١٨٤:

al-Mas'ūdī referiert Ptolemaios' Annahme von fünf Weltmeeren). In seinem Werk „Kitāb at-Tanbīh wal-išraf“ zieht al-Mas'ūdī nach eigenen Angaben für die Meeresbeschreibungen Informationen aus den Werken des Ptolemaios, Kindī, Aḥmad Ibn aṭ-Ṭayyibas-Saraḥsī heran. Vgl. Mas'ūdī, Kitāb at-Tanbīh (wie Anm.27), Kap. 10 sowie RADTKE, Weltgeschichte (wie Anm.23), S. 60.

⁴³ Vgl. zur Ma'mūn-Geographie SEZGIN, GESCHICHTE des arabischen Schrifttums (wie Anm.3).

⁴⁴ Mas'ūdī, Murūḡ (wie Anm.19), Kap. 10, S. 234.

^{٤٥} خاصة عند حدوث خلاف حول العلاقة والصلات بين البحر الأسود وبحر قزوين، انظر، فصل ١٤، ص ٢٧٤.

^{٤٦} أنظر: المصدر السابق، الفصل ١٤، ص ٢٨٢.

^{٤٧} أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٢.

^{٤٨} أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٢ وما بعدها.

^{٤٩} أنظر، نفسه، الفصل ١٤، ص ٢٨٣.

^{٥٠} تعتبر المناقشات والجدليات بخصوص بحر قزوين - إلي حد ما- هي الخلاف الأكثر تفصيلاً. هنا يعتمد المسعودي على مصادره الشفهية والمكتوبة، ومع ذلك يعترف أيضاً بمخاطر الأخطاء.

^{٥١} غير ذلك. طرسوس، أضنة، ماسيسا، أنطاكية، اللاذقية، طرابلس، صيدا، صور علي الجانب البيزنطي والشامي وكذلك في الإسكندرية وطنجة وسبتة على ساحل شمال إفريقيا.

⁵² HOURANI, Arab Seafaring (wie Anm.8), S. 61.

Ulrike FREITAG, Islamische Netzwerke im Indischen Ozean, in: Der Indische Ozean. Das afro-asiatische Mittelmeer als Kultur- und Wirtschaftsraum, hg. von Dietmar ROTHERMUND und Susanne WEIGELIN-SCHWIEDRZIK (Edition Weltregionen 9), Wien 2004, S. 61-82.

⁵³ Vgl. al-Mas'ūdī, Murūḡ (wie Anm.19), Kap. 12, S. 257.

^{٥٤} انظر المرع نفسه، الفصل ١٤: ومع ذلك، يذكر المسعودي في فصله الخاص بالبحر، قبائل وشعوب وبلدان، وأحياناً أيضاً بعض المسؤولين السياسيين مثل أمير في الهند.

⁵⁵ OSTERHAMMEL, Verwandlung der Welt (wie Anm.2), S. 157.

⁵⁶ HORDEN/Nicholas PURCELL, The Corrupting Sea. A Study of Mediterranean History, Oxford 2000, S. 25 betont Osterhammel die „kleinteilige Fragmentierung“ des Mediterraneums; Römer,

⁵⁷ DEPLANHOL, L' Islam (wie Anm.3).

^{٥٨} لا يمكن تحديد نقاط تاريخية معينة وثابتة إلا من خلال أسماء المدن والبلدان الواقعة في المناطق الساحلية وكذلك الحكام المعاصرين للمسعودي.
^{٥٩} هذا المصطلح منقول عن:

Hagen KELLER, Ordnungsvorstellungen, Erfahrungshorizonte und Welterfassung im kulturellen Wandel des 12./13. Jahrhunderts, in: Ordnungskonfigurationen im hohen Mittelalter, hg. von Bernd SCHNEIDMÜLLER und Stefan WEINFURTER (Vorträge und Forschungen 64), Ostfildern 2006, S. 257-

⁶⁰ Ingrid BAUMGÄRTNER/Paul Gerhard KLUMBIES/Franziska SICK, Raumkonzepte. Zielsetzung, Forschungstendenzen und Ergebnisse, in: Raumkonzepte. Disziplinäre Zugänge, hg. von Ingrid BAUMGÄRTNER, Paul Gerhard KLUMBIES und Franziska SICK, Göttingen 2009, S. 9-25, bes. S. 11; Ingrid BAUMGÄRTNER, Die Welt als Erzählraum im späten Mittelalter, in: *ebd.*, S. 145-177.

^{٦١} عن التأثير المتبادل بين الخرائط وتقارير الرحالة/الرحلات أنظر:

Ingrid BAUMGÄRTNER, Reiseberichte und Karten. Wechselseitige Einflüsse im späten Mittelalter? in: In Spuren reisen. Vor-Bilder und Vor-Schriften in der Reiseliteratur, hg. von Gisela ECKER (Reiseliteratur und Kulturanthropologie 6), Berlin 2006, S. 89-124.

^{٦٢} تم إنشاء خريطة العالم إيبستورف حوالي عام ١٣٠٠، وكانت دائرية الشكل ذات قطر يصل لحوالي ثلاثة أمتار، إلا أنها تعرضت للدمار عام ١٩٤٣ أنظر:

Die Ebstorfer Weltkarte. Kommentierte Neuausgabe in zwei Bänden, hg. von Hartmut KUGLER, Berlin 2007.

⁶³ Al-Maqrīzī, Aḥmad Ibn 'Alī, Ittiāz al-ḥunafā' bi-aḥbār al-a'imma al-fātimīyīn al-ḥulafā', Kairo 1971-73, S. 292f. Zitiert nach der Übersetzung von Heinz HALM, Das Reich des Mahdi. Der Aufstieg der Fatimiden (875-973), München 1991, S. 332.

^{٦٤} كما أن استقبال ابن حوقل في البلاط الفاطمي يدل على ذلك، راجع:

Ibn Ḥauqal: Configuration de la terre (Kitab Surat al-ard), introduction et traduction avec index par J.H. Kramers/ G.Wiet, Paris/Beirut 1964, S. XVI, wonach der ägyptische Geograph Muhallabī (gest. 990) zur Zeit des fatimidischen Kalifen al-'Azīz (975-969) in seinen Händen ein Manuskript Ibn Ḥauqals hielt, mit dem Titel "Kitāb al-Buldān" („Buch der Länder“). Zum Geographen Muhallabī siehe auch den Artikel von Ch. Pellat, "al-Muhallabī.", in: Encyclopaedia of Islam, 2. Aufl., hg. v. P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, Brill Online, 2013.

^{٦٥} أنظر حاشية ٢١.

^{٦٦} أنظر حاشية ٢٢.

^{٦٧} أنظر: HALM, Das Reich des Mahdi (wie Anm.62), S. 304

^{٦٨} أنظر حاشية ٦٣.

^{٦٩} أنظر: Ibn Hauqal (wie Anm.20), S. 3.

⁷⁰ HALM, Das Reich des Mahdi (wie Anm.62), S. 304.

⁷¹ A. MIQUEL, Art. Ibn Hawkal, in: Encyclopaedia of Islam, Bd. 3, Leiden 1971, S.786-788, bes. S. 787

⁷² Gerald R. TIBBETTS, The Balkhi-School of Geographers, in: The History of Cartography 2,1. Cartography S. 108-136

⁷³ in the traditional Islamic and South Asian Societies, hg. von John B. HARLEY und David WOODWARD, Chicago 1992

^{٧٤} طبقاً لابن حوقل ، فإن ذلك يعتمد على خريطة العالم للقوطيين، أنظر:

Ibn Hauqal: KitābSūrat al-arḍ (wie Anm.), S. 5.

⁷⁵ Evelyn EDSON/Emilie SAVAGE-SMITH/Anna-Dorothee VON DEN BRINCKEN, Der mittelalterliche Kosmos. Karten der christlichen und islamischen Welt, Darmstadt 2005, S. 92.

تُصوّر الخريطة الجنوبية لطالب المدرسة البلخية الاضطخري (علي سبيل المثال المرجع نفسه ص ٩٦) سطحاً دائرياً للأرض محاطاً بمحيط ويظهر ثلاثة بحار. يلتقي البحر الكبير- المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط- تقريباً في منتصف الكتلة الأرضية اليابسة. ويُظهر بحر قزوين على أنه بحر قاري داخلي. بالإضافة لذلك فيمكن التعرف على خليج القسطنطينية (خليج البوسفور) والنيل بالإضافة إلى ثلاث جزر في البحر الأبيض المتوسط بشكل دائري: قبرص وكريت وصقلية.

⁷⁶ Jürgen OSTERHAMMEL, Raumbeziehungen. Internationale Geschichte, Geopolitik und historische Geographie, in: Internationale Geschichte. Themen - Ergebnisse - Aussichten, hg. von Wilfried LOTH und Jürgen OSTERHAMMEL (Studien zur internationalen Geschichte 10), München 2000, S. 287-308, hier S. 291.

⁷⁷ Ibn Hauqal: KitābSūrat al-arḍ (wie Anm.20), S.11.

^{٧٨} أنظر نفسه، ص ١٠: وبموجبها تنقسم الأرض إلى نصف شمالي وجنوبي عن طريق (البحر) المحيط، ومن الصين عبر بحر الصين والهند، مروراً بالجزء الرئيسي الخاضع للحكم الإسلامي حتى الغرب، حيث يُقسم البحر المحيط نفسه إسبانيا ووطنجة إلى نصفين.

^{٧٩} سورة ٥٥ (الرحمن)، الآية ٢٠ و ٢١ "بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذَّبَانِ(٢١)"

⁸⁰ Ibn Hauqal, KitābSūrat al-arḍ (wie Anm.20), S. 12.

^{٨١} ذكر "كتاب الفضول" فيما يتعلق بخريطة العالم، بعض طبائع جزيرة أوروبا

Andreas KAPLONY, Ist Europa eine Insel? Europa auf der rechteckigen Weltkarte des arabischen, Book ofCuriosities', in: Europa im Weltbild des Mittelalters: Kartographische Konzepte, hg. von Ingrid BAUMGÄRTNER und Hartmut KUGLER (Orbis mediaevalis. Vorstellungswelten des Mittelalters 10),Berlin 2008, S. 143-156.

⁸² Ibn Hauqal, KitābSūrat al-arḍ (wie Anm.20), S. 18-41.

⁸³ Vgl. Halm, Das Reich des Mahdi (wie Anm. 62), s. 200.

⁸⁴ Ibn Hauqal, KitābSūrat al-arḍ (Anm.20), S.205.

^{٨٥} يحتوي الكتاب، من بين أمور أخرى، على ملاحظات حول روما وأثينا وأمالفي ومعلومات عن البابا، الذي تم وضعه في مرتبة البطارقة المسيحيين والذي لوحظ أهميته للحكم المسيحي.

⁸⁶ Ibn Ḥauqal, KitābṢūrat al-arḍ, Bd. 2 (wie Anm.20), S. 386ff.

^{٨٧} هذا الموقع المركزي، الذي تأسس دينياً أيضاً، أكدته بالفعل ابن حوقل في ملحق عمله عندما بدأ، بعد وصف العالم، بوصف وخريطة شبه الجزيرة العربية.

^{٨٨} أنظر حاشية 21.

^{٨٩} أنظر ، على سبيل المثال ، الملاحظات على المهديّة ، العاصمة السابقة للفاطميين في شمال إفريقيا.

⁹⁰ Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6.

^{٩١} نفسه.

⁹² Vgl. SEZGIN, Geschichte des Arabischen Schrifttums (wie Anm.7), S. 92-97.

⁹³ Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6

⁹⁴ Ibn Ḥauqals Ausführungen über das Kaspische Meer als Binnenmeer werden vom Autor des „Buchs der Kuriositäten“ wörtlich übernommen. Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (حاشية ٢١), II, Kap. 2. Einer Gegenüberstellung beider Passagen findet sich bei Yossif RAPOPORT/Emilie SAVAGE-SMITH, The Book of Curiosities and a Unique Map of the World, in: Cartography in Antiquity and the Middle Ages. Fresh Perspectives, New Methods, hg. von Richard J. A. TALBERT und Richard W. UNGER (Technology and change in history 10), Leiden u.a. 2008, S. 121-138.

⁹⁵ Vgl. „Buch der Kuriositäten“ (wie Anm.21), II, fol. 29a, Kap. 6.

⁹⁶ Vgl. dazu KAPLONY, Ist Europa eine Insel? (wie Anm.80).

⁹⁷ Emilie SAVAGE-SMITH: Das Mittelmeer in der islamischen Kartographie des Mittelalters, in: Das Meer, der Tausch und die Grenzen der Repräsentation, hg. von Hannah BAADER und Gerhard WOLF, Zürich-Berlin 2010, S. 239–262, hier S. 257.

⁹⁸ Hubert HOUBEN, Roger II. von Sizilien. Herrscher zwischen Orient und Okzident (Gestalten des Mittelalters und der Renaissance), Darmstadt 2010.

^{٩٩} يشير هذا إلى طريقة استخدمها الجغرافي سهراب في القرن العاشر. انظر المرجع نفسه، ص ٩٦.

^{١٠١} أنظر: 6 Kap. 29a, fol. II (wie Anm.21) „Buch der Kuriositäten“

^{١٠٢} نفسه

^{١٠٣} اسم البحر العربي في العنوان هو "البحر الغربي" (بحر الغرب)، أي "البحر السوري" (بحر الشام). انظر: Buch der Kuriositäten (حاشية ٢١)، ٢، ص ٣٠ ب-٣١ أ، الفصل ١٠.

¹⁰⁴ SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm. 96), S. 251, bes. Anm. 26.

¹⁰⁵ SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm. 96), S. 251, bes. Anm. 26.

^{١٠٦} فيما يخص الأسطول الفاطمي أنظر:

vgl. Yaacov LEV, State and Society in Fatimid Egypt (Arab History and Civilization 1), Leiden u.a. 1991, insbesondere Kapitel 6 „The Fatimid Army and Navy and the Crusades“, S. 93-121. Vgl. auch David BRAMOULLE, Activités navales et infrastructures maritimes: les éléments du pouvoir fatimide en Méditerranée orientale (969 – 1171), in: Les ports et la navigation en Méditerranée au Moyen Âge: actes du colloque de Lattes, 12.-14. Novembre 2004, Musée Archéologique Henri Prades, hg. von Ghislaine FABRE, Daniel LE BLEVEC und Denis MENJOT, Paris 2009, S. 257-274.

¹⁰⁷ فقط خرائط العالم في "كتاب الفضول" تحتوي علي جزر

¹⁰⁸ SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm.96), S. 251.

¹⁰⁹ فيما الأخبار عن "شارلمان"، فقد أخبر مؤرخه "أينهارد" عن وجود طاولة فضية في منزله مرسوم عليها خريطة العالم، تحدث أيضًا عن خرائط العالم المماثلة لدي حكام آخرين أنظر:

Ingrid BAUMGÄRTNER/Stefan SCHRÖDER, Weltbild, Kartographie und geographische Kenntnisse, in: WBG Weltgeschichte. Eine globale Geschichte von den Anfängen bis ins 21. Jahrhundert. Bd. 3: Weltdeutungen und Weltreligionen. 600-1500, hg. von Johannes FRIED und Ernst-Dieter HEHL, Darmstadt 2010, S. 57-83, hier S. 74.

¹¹⁰ Vgl. Ingrid BAUMGÄRTNER, Europa in der Kartographie des Mittelalters. Repräsentationen- Grenzen-

¹¹¹ Vgl. Verena KLEMM, Die Mission des fatimidischen Agenten al-Mu'ayyadfi Din in Shiraz, Frankfurt/Main 1989.

¹¹² Der vollständige Titel lautet „Kurzweil dessen, der die Welt durchschweifen möchte“ (Nuzhat al-muštāqfiḥtirāq al-āfāq), vgl. SAVAGE-SMITH, Das Mittelmeer (wie Anm.96), S.260.

¹¹³ Heinz HALM, Die Kalifen von Kairo. Die Fatimiden in Ägypten 973-1074, München 2003, S. 206-209.

¹¹⁴ Aziz AL-AZMEH, Ibn Khaldun, London 1990; DERS.: Ibn Khaldun. An Essay in Reinterpretation, Budapest 2003; Michael BRETT, Ibn Khaldun an the Medieval Maghrib, Aldershot 1999; Walter J. FISCHER, Ibn Khaldun in Egypt. His Public Functions and his Historical Research (1382-1406), Berkeley u.a. 1967; Allen James FROMHERZ, Ibn Khaldun. Life and Times, Edinburgh 2010; Muhsin MAHDI, Ibn Khalduns Philosophy of History. A Study in the Philosophic Foundation of the Science of Culture, London 1957; Nassif NASSAR, La pensée réalisted'ibn Khaldun, Paris 1967; Heinrich SIMON, Ibn Khalduns Wissenschaft von der menschlichen Kultur (Beiträge zur Orientalistik 2), Leipzig 1959

¹¹⁵ Ibn Ḥaldūn, Muqaddima (wie Anm.22).

¹¹⁶ Vgl. zum heutigen wissenschaftlichen Gebrauch dieses Begriffes im Bezug auf Ibn Ḥaldūns Werk Abdesselam CHEDDADI Ibn Khaldun et le Science de la Civilisation, Paris 2001

¹¹⁷ Ibn Ḥaldūn, Muqaddima, I, (wie Anm.22), S. 73-81.

¹¹⁸ أنظر، نفسه، ص 87.

¹¹⁹ أنظر، نفسه، ص 88-90.

¹¹⁹ للخريطة أنظر هنا:

EDSON/SAVAGE-SMITH/VON DEN BRINCKEN, Der mittelalterliche Kosmos (wie Anm.74), S. 100: „Wenn das Buch der Kuriositäten in den Jahren 1020-1050 zusammengestellt wurde, worauf momentan alles hindeutet, stammt die allgemein als „Karte des al-Idrisi“ benannte Weltkarte nicht von ihm, sondern wurde bereits vor seiner Geburt entworfen.“ Möglicherweise, so vermuten die Forscherinnen, wurde die Karte dem Werk des Idrisi nur beigefügt; Idrisi selbst nämlich erwähne diese Karte nicht. Ebenso „könne aber auch an eine gemeinsame Quelle gedacht werden, die dem Typ von Weltkarten zuzuordnen sind“ (ebd.).

¹²¹ Ibn Ḥaldūn, Muqaddima, I, (wie Anm.22), S. 88

¹²² نفسه

¹²³ نفسه ص 93.

¹²⁴ Andrew C. S. PEACOCK, Black Sea Trade and the Islamic World down the Mongol Period, in: The Black Sea. Past, Present and Future. Proceedings of the International, Interdisciplinary Conference, Istanbul, 14.-16. October 2004, hg. von GüldenERKUT (Monograph. British Institute of Archaeology at Ankara 42), London 2007, S. 65-72.

¹²⁵ Eratosthenes von Kyrene, Hipparchos von Nicäa und Poseidonios von Apameia.

¹²⁶ أنظر، المرجع السابق، ص 33.

¹²⁷ نفسه، 34.

¹²⁸ Ibn Ḥaldūn, Muqaddima, II, S. 32-40

¹²⁹ أنظر، نفسه، ص 33.

¹³⁰ نفسه، ص 35.

¹³¹ نفسه، ص 36.

¹³² أنظر، نفسه، ص 38.

¹³³ أنظر، نفسه، 40.

¹³⁴ أنظر، نفسه، 40.

¹³⁵ Zum Zivilisationskonzept Ibn Ḥaldūnsvgl. Anm. 115.

¹³⁶ HOURANI, Arab Seafaring (wie Anm.8), S. 61.

¹³⁷تظهر الاختلافات الإسلامية الداخلية أو النقاط المحورية طبقاً للمصالح البحرية. فعلى سبيل المثال، يؤكد ابن خلدون أن التطلعات إلى القوة البحرية ومعرفة البحر تركز فقط على السلالات الحاكمة في شمال أفريقيا وأيبيريا.

¹³⁸FUESS, Verbranntes Ufer (wie Anm.3), vgl. dazu auch FROMHERZ, Ibn Khaldun (wie An.113), S. 24.

¹³⁹Michael BORGOLTE, Kommunikation - Handel, Kunst und Wissenstausch, in: WBG Weltgeschichte. Eine globale Geschichte von den Anfängen bis ins 21. Jahrhundert, Bd. 3: Weltdeutungen und Weltreligionen. 600-1500, hg. von Johannes FRIED und Ernst-Dieter HEHL, Darmstadt 2010, S. 17-56, hier S. 21.

¹⁴⁰Vgl. Nikolas JASPERT, Austausch-, Transfer- und Abgrenzungsprozesse. Der Mittelmeerraum, in: Die Welt 1250-1500, hg. von Thomas ERTL und Michael LIMBERGER (Globalgeschichte. Die Welt 1000-2000, Bd. 2), Wien 2009, S. 138-174.

¹⁴¹FROMHERZ, Ibn Khaldun (wie Anm.113), S. 24.

¹⁴²BORGOLTE, Kommunikation (wie Anm.138), S. 21.

¹⁴³Felipe FERNÁNDEZ-ARRESTO, Before Columbus. Exploration and Colonisation from the Mediterranean to the Atlantic 1229-1492, London u.a. 1987.

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة
الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر
الميلادي،، دراسة تاريخية)

د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي

أستاذ مساعد / قسم التاريخ والحضارة الإسلامية / كلية الآداب والعلوم
الإنسانية والاجتماعية / جامعة الشارقة

Dr. Saleh Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi
Assistant Professor
[Department of History and Islamic Civilization](#)
College of Arts, Humanities, and Social
Sciences
University of Sharjah

البريد الإلكتروني smahmood@sharjah.ac.ae

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر
الهجري / السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

د. صالح محمد زكي محمود الهبي

ملخص البحث

عُرِفَ عن الحضارة الإسلامية اهتمامها بصناعة الكتاب فظهرت لنا المخطوطات بهذا الشكل البهي الذي يبين كيف استخدم الوراقون والنساخ ومن قام بكتابة هذه المخطوطات كافة التقنيات اللازمة لإخراجها بهذا الشكل، وتعود أهمية البحث لكونه يبرز دور الحضارة الإسلامية في توظيف جملة أدوات وجوانب جمالية أسهمت في وجود هذا التراث العلمي المخطوط بهذا الشكل الاستثنائي؛ لذا سيسعى هذا البحث لتحقيق مجموعة أهداف، ومن أهمها: إبراز كيفية توظيف الأقلام في إخراج المخطوطات بهذا الشكل الاستثنائي حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وتحديد طرق الكتابة المثلى التي أخرجت المخطوطات بهذا الجمال، وتبيان نوع الأدوات الموظفة في هذه الصناعة الحضارية، ثم تسليط الضوء على أبرز المصطلحات في مجال الكتابة والتي تداولها صناع المخطوطات.

الكلمات المفتاحية : (مخطوط، أدوات، كتابة، تاريخ)

مقدمة

عُلِمَ من تاريخ الكتابة وصناعة المخطوطات أنها جاءت عبر جهود كبيرة استخدمت فيها أدوات وأساليب ومعدات وتقنيات كثيرة أثرت العمل في صناعة المخطوطات فأخرجت لنا كتباً بهية مصنوعة بشكل استثنائي راعى فيها صناعاتها الجوانب التقنية والجمالية في أدق التفاصيل بما في ذلك استخدام العطور وماء الورد ونحوه لتكون المخطوطة عملاً مبهراً متناسقاً من اختيار الخط إلى نوع الحبر وكيفية التعامل مع الأحبار ثم الخطوط وأنواعها والأدوات وطبيعتها وصولاً إلى الكتابة تبعاً للحاجة التي تستخدم فيها المخطوطة أو الجهة

المقصودة من قراءة المخطوطة، هذا فضلاً عن جوانب جمالية كثيرة روعيت فيها كل
الاعتبارات التي تجعلها استثنائية وخالدة وشاهدها ما وصلنا منها ليكون دليلاً على تاريخ
صناعة المخطوط في الحقب التاريخية التي امتدت عبرها الحضارة الإسلامية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس الذي نسعى للإجابة عنه، وهو: كيف تطورت كتابة
المخطوطات بهذا الشكل الاستثنائي عبر الحضارة الإسلامية والطرق التي وظفت فيها
الأدوات الكتابية بحيث خلقت كماً من المصطلحات الخاصة بهذا المجال؟

تساؤلات البحث:

يسعى البحث للإجابة عن تساؤلات عدة من أبرزها: ما الأسباب التاريخية التي منحت
استخدام الأقلام كل هذا الحيز في الحضارة الإسلامية؟ وكيف كان لأنواع وأشكال الأقلام
هذا الأثر في تطور صناعة المخطوطات؟ وما هي أهم وأبرز الأدوات التي ساعدت في
صناعة المخطوطات، وكيف كان ظهورها خلال العصر العباسي؟ وما هي أهم
المصطلحات التي ارتبطت بالأقلام وأدوات الكتابة عبر الحضارة الإسلامية؟ .

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث لكونه يبرز دور الحضارة الإسلامية في توظيف جملة أدوات وتقنيات
وجوانب جمالية جعلت للكتاب والكتابة أهمية استثنائية أورثت لنا كل هذا التراث العلمي
المخطوط.

أهداف البحث:

يعمل البحث على تحقيق مجموعة أهداف، ومن أهمها: إبراز كيفية توظيف الأقلام في
إخراج المخطوطات بهذا الشكل الاستثنائي، وتحديد طرق الكتابة المثلى التي أخرجت
المخطوطات بهذا الجمال، وتبيان نوع الأدوات الموظفة في هذه الصنعة الحضارية، ثم
تسليط الضوء على أبرز المصطلحات التي تداولها صناع المخطوطات في مجال الكتابة.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج التاريخي؛ وذلك لمعرفة الحيثية والتطور الذي حصل للكتابة وأدواتها وصولاً للمكانة الاستثنائية للمخطوطات، متضمناً التحليل والربط والاستنتاج للحصول على إجابات عن تساؤلات البحث ووصولاً للنتائج المرجوة.

حدود البحث:

يمتد الحد المكاني للبحث ليشمل عموم رقعة الدولة المسلمة خلال اتساعها وما بعد ذلك، أما الحدود الزمانية فحتى نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

تقسيم البحث:

تبعاً لمعطيات البحث سنقسمه كما يلي:

المبحث الأول: الأقلام، مكانتها واستخداماتها في صناعة المخطوط.

المبحث الثاني: الأدوات التي استخدمها الوراقون والنساخ في صناعة المخطوط.

المبحث الثالث: أبرز المصطلحات التي استخدمها صناع المخطوط.

المبحث الأول: الأقلام، مكانتها واستخداماتها في صناعة المخطوط:

للأقلام شأن واضح في الحضارة الإسلامية، فلا يخفى على المتتبع للفظة القلم وأماكن ورودها، والحالات والأوصاف والاستخدامات التي وظف فيها القلم مدى اهتمام المسلمين به، لذا نجد المصنفات التي عرجت على ذكره وكذلك الأبيات الشعرية التي كتبت فيه، هذا فضلاً عن الحديث في كيفية صناعة الأقلام والعمل على تطويرها، وذكر فضلها، والتميز بينها تبعاً لخصائصها ونحو ذلك من دلالات شاخصة في كتب التاريخ والأدب، وكلها تنبئ عن مدى الاهتمام والحرص على توثيق مكانة القلم في الحضارة الإسلامية وتعدد أدواره واستخداماته؛ لذا سنركز في هذا المبحث على القلم من حيث مكانته لدى المعنيين بالفكر والعلم والتأليف عبر التاريخ الإسلامي إلى المصنعين للأقلام والمشتغلين بصناعة الوراقة والنساخت وإخراج المخطوطات وما يرتبط بذلك عبر التاريخ الإسلامي.

المطلب الأول: مكانة القلم في الحضارة الإسلامية:

إن إطلالة سريعة على بروز مكانة القلم منذ فجر الحضارة الإسلامية يعطي الانعكاس الواقعي لمكانته؛ فذكر القلم في القرآن الكريم وإفراد سورة له على الرغم من أن الوحي ينتزل على أمة أمية قل فيه عدد الكُتَاب يعطي دلالة قوية على أهمية القلم وارتباطه بالحالة القادمة التي سيصير إليها حال الأمة حيث الاعتناء بالقراءة والكتابة والتأليف، ومن هنا نجد الإشارات المتعددة للقلم وفي أكثر من آية (سورة القلم، آية ١ ؛ وسورة العلق آية ٤ ؛ وسورة آل عمران آية ٤٤)، وهكذا نرى أن بدايات الحضارة الإسلامية ارتبطت بإشارات قوية للقلم. وهناك أقوال عديدة في سبب تسمية القلم يمكن أن نستشف منها البدايات التاريخية لصناعته، فمن هذه الأقوال الذي يذهب إلى أنه سمي بذلك لأنه قُلم أي قطع منه^(١)، وقيل: القلم ما يُبرى وإلا فهو قصب^(٢).

وانطلق الاهتمام بالأقلام في عصر النبوة حيث نجد إشارات مهمة عن مكانة القلم، فورد في الحديث الشريف: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ... الحديث)^٣.

لذا نجد بعض ممن عاشوا في عصر النبوة بدأوا بوصف القلم بأوصاف استثنائية حتى أن بعضهم عد القلم بأنه أشرف وأنبل أدوات الكتابة، فهو الأصل والبقية بمرتبة الأعوان له في تدوين العلم وتثبيته^(٤).

ونجد أن الاهتمام البالغ بالقلم وتشجيع الناس على اقتنائه واستخدامه ورد ذكره من بعض الخلفاء العباسيين مثل الخليفة المعتز بالله بن المتوكل (٢٤٧-٢٩٦هـ/ 861-847م)؛ إذ يقول هذا الخليفة الذي اشتهر بمؤلفاته واهتماماته المعرفية بأنه أي القلم: يخدم الإرادة ولا يمل الاستزاده، يسكت قائماً وينطق ساكناً على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيئ^(٥).

ويتحفنا القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) بمحاسن أخرى للقلم إذ ينقل عن أبي حفص أحمد بن برد الأندلسي^(٦) (ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) قوله: " ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلفظ نوراً، وقد يكون قلم الكاتب أمضى من سيف المحارب، وقد يكون سيفاً ينفذ في المقاتل، وشفرةً تُطبخُ المفاصِلَ " ^(٧).

ومن هذا نستشف أن المكانة الفكرية للقلم شغلت مساحة ممتدة حتى أن الخلفاء والأمراء والوزراء أضفوا عليه صفات قلما تعطى لغيره أو يوصف بها سواه.

كما تغزل الشعراء عبر التاريخ الإسلامي بالقلم ووصفوه بأنبيل الكلمات وأجزلها، فمثلاً يقول أبو الفتح البستي^(٨) (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م) :

كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة * * * * * مدى الدهر إن الله أقسم بالقلم^(٩)

أما وصف الشاعر المعروف أبو تمام الطائي (ت 231هـ/٨٤٥م) له في قصيدته المعروفة فدلالة قاطعة على المكانة التاريخية التي بلغها القلم لا سيما في العصر العباسي، حيث يقول في أبيات منها^(١٠):

لك القلم الأعلى الذي بشبابه * * * * * تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

لُعاب الأفاعي القاتلات لعابه * * * * * وأري الجني اشتارته أيد عواسل

فصيح إذا استنطقته وهو راكب * * * * * وأعجم إن خاطبته وهو راجل

إن ما سلف من كلام وأقوال وأبيات وشواهد تاريخية تجعلنا نقف على مدى ارتباط القلم بالحالة العلمية والفكرية التي تزامنت مع ارتفاع الحضارة الإسلامية لاسيما في العصر العباسي، حيث بدأت تجليات صناعة المخطوط تأخذ مداها ومكانتها.

المطلب الثاني: أثر تعدد الأقلام وصفاتها وانعكاس ذلك في المخطوط:

تبارى المؤرخون والوراقون والنساخ والعلماء عبر التاريخ الإسلامي في ذكر صفات القلم ومواصفاته، وكيف يختارون أحسنها، وما هي المقادير المميزة لها ونحو ذلك من أساليب الاعتناء بالأقلام، لذا لا نعجب من وجود كل هذه المخطوطات العظيمة التي ورثناها والتي استخدمت فيها كل أساليب التتميق والتزويق بأقلام وخطوط متنوعة خلد ذكرها حتى اليوم. فيقول المعز بن باديس: " والأقلام إذا كانت مستوية جاء الخط خفيفاً غير مليح، وإذا كانت محرفة جاء الخط ضاويماً، فأحسنها وأجمعها لخصال الجودة المتوسط بين الطول والقصر والرقعة والغلظ..."

والجيد من الأنابيب ما كان معتدلاً في طوله وصلابته ... وحق هذا القلم إذا كان على هذه الصفة أن يُبْرِى من رأسه وهو الموضع الغليظ من الأنبوب، وإذا كان ضد ذلك فهو ضعيف" (١١).

إن المتتبع لهذه الأوصاف يستنتج أن التعامل مع الأقلام بدقة أنتج لنا أجيالاً من النساخ والكتاب أصبحت ذات شأن في مجال الكتابة وصناعة المخطوط بعد أن أدركت خواص القلم فنقلتها لأجيال جاءت من بعدها؛ بل توجه بعضهم للتأليف في أدوات الكتابة مما شكل نقلة نوعية في تاريخ الصناعة إذ لم يتوقف هؤلاء عند صناعة الأقلام وما يتصل بها من أدوات وعدة النسخ بل بدأوا بالتفنن في الصناعة والتأليف فيها وهذا يعد من مميزات الحضارة الإسلامية، فمثلاً ألف المعز بن باديس (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) كتاب (عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب)، وألف القلقشندي كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) وغيرها من المؤلفات المهمة في هذا الجانب الحضاري والتي توضح تاريخ صناعة المخطوط.

ونجد في أوصاف القلم الحسن المستخدم في الكتابة ما ذكره أشهر الخطاطين ومنهم مثلاً الخطاط الشهير في العصر العباسي ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٢٨م) إذ يقول: " خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشر إصبعاً إلى إثني عشر، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة إلى الخنصر، وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها" (١٢).

ويقول ابن المقفع في وصفه لأنبل الأقلام وأفضلها في الاستخدام: " القلم من نعم الله الجليلة، ومواهبه الجزيلة ... فهو صلب ليان صاد ريان بين الفهم والأهيف والأصم والأجوف" (١٣).

المطلب الثالث: أنواع الأقلام وأشكالها:

حصل تطور لافت عبر التاريخ الإسلامي في الكتابة وأدواتها لاسيما الخطوط وأنواعها ما أدى إلى ظهور أشكال من الخطوط وبالتالي برزت الأقلام غير المعهودة سابقاً، ويلاحظ هذا التطور التاريخي منذ القرن الثالث الهجري؛ لذا تولى بعض الخطاطين والنساخ مهمة تصنيفها حيث قام ابن مقلة بهذا وأشار إلى أنها ستة خطوط وهي: النسخ والتلث والريحان والتوقيع والمحقق والرقاع (١٤).

لكن هناك من صنفها بطريقة أخرى، حيث يذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) بأنها: التوقيع والرقاع، الطومار، الثلث الثقيل، الثلث الخفيف، والغبار^(١٥).
ونجد لحاجي خليفة تصنيف آخر حيث يرى بأنها: النسخ والثلث والريحان، التعليق، المحقق، والرقاع^(١٦).

وقد تمكن بعض الخطاطين من استخدام مختلف الأقلام مع أنواع الخطوط ووظفها في ديوان الإنشاء ونذكر منهم مثلاً الخطاط ياقوت المستعصي^(١٧) (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).
كما نجد من المتمرسين بالخط من بين لنا طبيعة كل قلم ومدى صلاحيته للكتابة ونوع ورق المخطوط المستخدم، لذا تعددت تقسيمات الأقلام، فمنهم من يقسمها إلى أصليين وكما يلي:
الأول: قلم المحقق:

ويعد الأول و به يبدأ الكاتب حيث تتحقق الحروف بشكل واضح مثل الواو والتاء والميم المفتوحة، وتتحقق الحروف وتأخذ حقها بالرسم والشكل، وعن هذا القلم يتفرع قلم آخر وهو الريحاني والنسخ^(١٨).

الثاني: قلم الثلث:

وهو أصل للكتابة المنسوبة، ويعد الأساس في إتقان الكتابة على أصولها، وعن هذا القلم تفرعت عبر التاريخ الإسلامي مائة وثمانين قلماً، وتتفرع منه قلما التوقيعات والرقاع، أما التوقيعات وهو القلم الذي يستخدم في توقيعات السلطان وتفرع عنه الرقاع وبه تكتب المراسلات في ديوان الإنشاء والشرطة^(١٩)، لذا نرى بأن القلم المحقق هو المتحققة حروفه أما التوقيع فهو المتداخلة حروفه، وهو خلاف المطلق^(٢٠). كما ينبغي الإشارة إلى أن بلاد المغرب الإسلامي كان لها أقلامها الخاصة التي استخدمت في الكتابة لكن أكثرها شيوعاً هي: الطومار والنسخ والثلث^(٢١).

المبحث الثاني: الأدوات التي استخدمها الوراقون والنساخ في صناعة المخطوط:

المطلب الأول: الأدوات المستخدمة في تهيئة الورق للكتابة:

استخدم الوراقون والنساخ عبر التاريخ الإسلامي أدوات عدة لاستكمال عملهم لذا نجد في بطون العديد من المصادر التاريخية إشارات كثيرة لأدوات كانت رائجة في دكاكين الوراقين ولدى النساخ والخطاطين ومنها:

١ - السكين:

ويراد بها الأداة التي يُسن بها القلم ويشدّ عندما يصل القلم لحالة لم يعد معها يصلح للكتابة، وللسكين مواصفات تميزه لبري الأقلام، فأحسنها ما أرهف حده، وعرض صدره ولم يفصل عن القبضة نصابه^(٢٢).

ويصف الصولي السكين وصفاً دقيقاً يبين لنا كيف كان استعمالها ومدى أهميتها للعمل في مجال الوراقة وصناعة المخطوط لتكون قاطعة فيتمكن من استخدامها في البري ليظهر القلم بعدها صافياً نقياً وليس فيه خلل كالنتشي ونحو ذلك، كما أنه لا ينبغي استخدامها في غير البراية؛ حتى لا تتأثر وتفسد وتصبح عديمة الفائدة في بري الأقلام، وهو بهذا يؤكد ما قاله ابن مقلة بخصوص استخدام السكين، إذ ينصح بحد السكين بعناية فائقة ليظهر القلم بأفضل شكل، لأن رداءة السكين تعني رداءة القلم والخط^(٢٣).

٢ - المقط:

إن المنتبع لأدوات الكتابة يجد استخدام المقط بشكل واضح يجلي أهميته وأثره في تاريخ الوراقة والنساخت عند المسلمين.

فنجده ابن مقلة يقول: "إذا قطعت فلا تقط إلا على مقط أملس صلب غير مُثَّم ولا خشن؛ لئلا يشطى القلم"، ويؤكد الصولي هذا الكلام وبأن المقط ينبغي أن يكون صلباً فتمضي القطة بشكل سليم فلا تكون متشظية بل مستوية^(٢٤).

بل إن من النساخ من حدد كيف ينبغي أن يكون شكل وأصل المقط بحيث يكون من عود صلب كالعاج، وينبغي ألا يكون الوجه الذي يقط عليه مستديراً بل مسطحاً؛ لأن

المستدير يسبب تشطي القلم، وقد يؤدي هذا لتلف في القلم وتظهر فيه شعيرات وزيادات تؤثر في شكل القلم والكتابة^(٢٥).

كما ينبغي أن يكون القط والبري لترشيق القلم بحيث لا يكون ممثلي الرأس فيفسد الخط، كما أن المقط يستخدم عادة مع قلم الرياشي، والذي يعد أغلظ الأقلام، وقد استخدم هذا النوع من الأقلام في كثير من المخطوطات^(٢٦).

كما ينصح النساخ بأن يتأكدوا من سن القلم عند قطه، فإذا طال سن القلم كان خطه نحيفاً وضعيفاً، أما عندما يكون القلم قصيراً فيكون خطه أثقل وأوضح وأقوى، والأفضل أن يكون قط القلم لجعله وسطاً بين كل ما ذكر حتى تخرج الكتابة بأجمل وأبهى صورة^(٢٧).

وبعد أن يصبح القلم جاهزاً للكتابة، فلا بد من تعلم تقنية الكتابة بالشكل الصحيح بحيث يظهر الانسجام بين القلم والخطاط؛ لذا وصلتنا المخطوطات بهذا الشكل الاستثنائي الجميل بسبب هذا الفهم، وقد نُقلت لنا أبياتاً شعرية بهذا الخصوص، فيقول السنجاري (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)^(٢٨) (٢٩):

ثم اجعل الإبهام والسبابة * * * * والأصبع الوسطى لذا الكتابة
ولتكن الوسطى لها كالفرس * * * * تجري لدى اليرعان مثل النفس

٣-الممسحة:

وتستخدم هذه الأداة لمسح الحبر من القلم عقب استخدامه؛ حتى لا ينشف الحبر عليه فيفسده، وتتكون المسحة من خرق متراكبة ذات وجهين من صوف أو حرير أو غيرهما من القماش وتكون هذه الآلة غالباً مدورة ومثقوبة من الوسط، أو مستطيلة الشكل^(٣٠)، ونظراً لأهميتها وكثر استخدامها فقد قال فيها العلماء والوراقون والنساخ أشعاراً، مثل قول المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر^(٣١) (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م)^(٣٢):

وممسحة تناهى الحسن فيها * * * * فأضحت في الملاحظة لا تبارى

ولا نكر على القلم موافي * * * * إذا في وصلها خلع العذارا

كما قال فيها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني^(٣٣) (ت ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م)^(٣٤):

ممسحة نهارها يجن ليل الظلم **** كأنها مذ خلقت مندبل كم القلم

٤- الدواة:

هي مكان حفظ الأقلام، وكانت تشكل أهمية بالنسبة للوارقين والنساخ، وطرق صناعتها متنوعة فأحياناً تضم الأقلام والحبر، وأخرى تخصص للأقلام فقط، وقد يصل عدد الأقلام بداخلها إلى أربعة، ويمكن أن تحوي في داخلها الأدوات الأخرى المستخدمة في الكتابة مثل السكين والمقطة، واختلفت تصاميمها عبر العصور الإسلامية وبين المشرق والمغرب^(٣٥).

وفي فائدها يشير ابن مقلة بأن على الكاتب الماهر الذي لا يريد أن يعيق عمله شيء أن تكون دواته جاهزة بالأقلام المبرية والمعدة للكتابة؛ حتى لا يتأخر بالبراية وإعداد القلم^(٣٦).

٥- المفرشة:

وهي التي توضع تحت الأقلام عند الكتابة حتى لا يسيل الحبر على الأرض أو يلصق بالقلم شيء مما على الأرض، وعادة تكون من الكتان أو الصوف ونحوه، وأحياناً تكون المفرشة داخل الدواة التي توضع فيها الأقلام^(٣٧).

المطلب الثاني: المواد المساعدة في تجميل المخطوط:

استخدم المزخرفون والمزوقون أدوات عدة للمساعدة في إظهار أعمالهم بأفضل شكل وحال، حيث أن للأحبار والألوان التي استخدمت في كتابة هذه الكتب خواص معينة تستلزم معها تعاملاً معيناً يناسب كل مخطوطة، وعلى سبيل المثال فقد اشتهرت في العصر العباسي مجموعة أدوات وظفها صناع المخطوطات في عملهم، ومنها على سبيل المثال:

١- المصقلة:

وكانت تستخدم من قبل المذهبين عند تحليتهم للمخطوطة بالذهب، إذ لا بد من صقل الذهب وتنعيمه حتى يكون بالشكل المثالي داخل المخطوط^(٣٨).

٢-المرملة:

وتعرف كذلك باسم المترية وتكون ضمن الدواة لكن ترتب بشكل مناسب؛ حتى لا يدخل الرمل على الحبر أو الأقلام الموجودة، ويوضع الرمل بداخلها لاستخدامه في تنشيف الحبر إذا سال أو لمنعه من الانتشار والتعدد باستخدام الرمل، وأحياناً يستخدم التراب^(٣٩).

وفي هذا يقول القاضي شهاب الدين ابن بنت الأعز^(٤٠) (ت ٦٦٥هـ/٢٦٧م)^(٤١):

كأنها من ذوي الألباب خاشعة **** تبكي الدماء على ما سطر القلم

٢-الرمل:

استخدمت خلال الكتابة في العصر العباسي أنواع من الرمال المعروفة والتي كانت تزيد في إشراقه اللون والحبر المستخدم فيظهر المخطوط بهياً، وقد سعى الكتاب لأجود هذه الرمال والتي كانت تستجلب من مناطق محددة، وقد سعى الفلقشندي لتحديد لها فهي إما أن تجلب من الواحات في مصر وتكون طبيعتها شديدة الحمرة، وفي أساسها متحجرة ثم تفتت لتكون ناعمة وقابلة للاستخدام، والنوع الآخر يجلب من الجبل الأحمر القريب من المقطم ويعد هذا النوع هو الأكثر جودة وشيوعاً في الاستخدام، ونوع آخر يجلب من إحدى جزر بحر القلزم ويكون مائلاً للصفرة ويعطي للكتابة بريقاً وبهجة، وآخر فيه ذات الصفات ولكنه يمزج بين الحمرة والصفرة الذهبية مما يشكل رونقاً في الكتابة يجعل المخطوط استثنائياً في جماله^(٤٢).

إن ما أسلفناه من الكلام يوحي بأن التقدم في أدوات الكتابة كان بشكل كبير وملحوظ في أواخر العصر العباسي وما يليه وصولاً للقرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وإن البحث عن أجود المواد وأكثرها رونقاً وبهاءً في إعداد المخطوط كان من خلال توليفة مواد جمعت من أماكن عدة وعبر القرون التي حكم فيها العباسيون حتى ظهرت المخطوطات بهذا الشكل.

المطلب الثالث: أدوات التعامل مع الأحبار:

١- الليقة:

وهي قطعة من القطن أو الصوف أو الحرير التي كان الكُتّاب والنُساخ يستخدمونها ليمسحوا بها الحبر عند غمس القلم به استعداداً للكتابة، فنجد بعض الروايات التاريخية تشير لاستخدامها من قبل من يمتنون الوراقة أو العلماء ونحوهم، ومن ذلك مثلاً ما جرى بين الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) والشاعر الشهير الأصمعي (ت ٢١٦هـ/٨٣١م) بعد أن غاب الأصمعي عن الرشيد مدة، فلما سأله الرشيد عن سبب غيابه قال: " ما لقتني نحوك أرض يا أمير المؤمنين، فسكت الرشيد ثم سأله ماذا يقصد بما لقتني، فأبلغه الأصمعي: أي حبستني؛ وذلك لأن الليقة توضع أيضاً داخل الدواة لمنع سيول الحبر من رأس الأقلام^(٤٣).

وقال الجاحظ فيها بأنها لا يمكن لقطعة القطن أو الصوف أو الحرير أن تسمى ليقة حتى تلاق أي تغمس بالحبر^(٤٤).

وقد أشار بعض المعنيين إلى كيفية التعامل مع الليقة واستخدامها بالشكل الصحيح، فيقول السرمرى^(٤٥) (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)^(٤٦):

وجدد الليقة كل شهر **** فشيخنا كان بهذا يغري

لأجل ما يقع فيها من قذى **** فينتشى من ذاك في الخط أذى

٢- الملواق:

كان النساخ والكُتّاب يحرصون على سيولة الحبر في دواتهم حتى يبقى سهلاً ومطواعاً أثناء الاستخدام؛ لذا كانوا قد صمموا لهذا الغرض أداة الملواق من خشب الأبنوس؛ لأنه لا يتأثر بلون الحبر، ويبقى محافظاً على طبيعته.

أما شكل الملواق وصفته فهو عريض الرأس ونحيف في ذات الوقت، كما أنه يكون مستديراً ومخروطي الشكل^(٤٧).

٣- الجونة:

وهي مكان وضع الحبر داخل الدواة، أي هي المحبرة وغالباً ما تكون مستديرة الشكل، ولشكلها الدائري هذا سبب مهم يذكره المعنيون بالكتابة وذلك أن الشكل الدائري يمنع تجمع الحبر في الزوايا مما يؤدي بالتالي لفساد الحبر، أما إن كانت الجونة مستديرة فهذا يساعد على مزج الحبر بسهولة ويسر، لذا نرى أغلب أنواع الدواة على شكل دائري^(٤٨). وللجونة أو المحبرة مكانة خاصة ومحبة لدى العلماء والنساخ؛ فهي مرافقة لهم في مسيرتهم العلمية وتأليفهم لكتبهم؛ لذا قال بعضهم فيها شعراً وكما فعل أبو القاسم الشريف السبتي^(٤٩) (ت ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) حين قال^(٥٠):

وناصعة البياض تخيروها *** من العاج الموشح بالنضار
أقول وقد صببت الحبر فيها *** كذلك الليل يولج في النهار

٤- المسقاة:

كان النساخ والوراقون يمزجون الحبر ويخلطونه بالماء لكن كانوا يحرصون على عدم فساده أو إفساد الدواة عند إضافة الماء؛ فكثرة الماء للحبر تفسده، كما أن سكب الماء في المحبرة باستخدام إبريق أو إناء قد يؤدي إلى زيادة فيه فيتلف الحبر أو يخرج من المحبرة إلى بقية موجودات الدواة فيفسدها؛ لذا حرصوا على استخدام أداة محددة وهي المسقاة وغالباً كانت من الحلزون البحري، أو مصنعة من مواد أخرى بحيث يكون حجمها مناسباً لكمية الماء المراد إضافته^(٥١).

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب والوراقين والنساخ كانوا يستخدمون أنواعاً من المياه المخلوطة أو المستخرجة من بعض المواد، وغالباً ما يستخدمون ماء الورد؛ لأنه يترك رائحةً زكيةً في المخطوط، كما كانوا يستخدمون الماء المخلوط بالزعفران، وهذه المواد تكسب المخطوط رائحةً طيبة ولا تقصد الحبر أو الورق^(٥٢).

المبحث الثالث: أبرز المصطلحات التي استخدمها صناع المخطوط :

١- الآخ:

وهو بياض البيض وكان يستخدم في صنع الأحبار^(٥٣).

٢- الأسر:

وهو من الأشجار ذات الرائحة الطيبة التي استخدمت في صناعة الألوان إذ يُغير ماؤها لون الحبر ويجعله مائلاً للأخضر^(٥٤).

٣- آهار:

وهي كلمة تركية الأصل ويقصد بها عملية صقل الورق وبعد الانتهاء منها يتم تمهيرها^(٥٥).

٤- الإبرازة:

وهي المرة التي يُظهر أو يبرز فيها الكتاب، وهي تعني الطبعة في وقتنا الحالي^(٥٦).

٥- الإبرة:

وهي آلة خياطة الكتاب، ويستخدم بعضها للحبك والأخرى للخرم، وعلى هذا الأساس يختلف شكلها^(٥٧).

٦- إبط اللوحة:

ويقصد بها المسافة الفارغة التي تترك على جانبي اللوحة لأغراض الرسومات والزخارف ونحوها^(٥٨).

٧- إتراب الكتب:

هي عملية الترتيب أي إلقاء الرمل والتراب ونحوها على وجه الورقة لتجفيف الحبر^(٥٩).

٨- الإتمام:

هي عملية ضبط أوزان الخطوط المستخدمة من الخطاط بحيث يضبط دقتها وغلظها وقصرها وطولها ونحو ذلك^(٦٠).

٩- أرباب الأقلام:

هم الكتاب ويطلق عليهم أحياناً أصحاب الأقلام، ويسمون بذلك لأن عملهم يقوم على الكتابة والقلم، وقد شغلوا مناصب مهمة عبر التاريخ الإسلامي مثل كتاب السر وديوان الإنشاء ونحو ذلك^(٦١).

١٠- الإرسال:

هو مد الحرف وإطلاقه وإطالته دون ترويس^(٦٢).

١١- البديع:

هو الخط الكوفي الذي استخدمت فيه جوانب إبداعية متنوعة بحيث تظهر من خلاله صور جمالية في المخطوطات تسمى الطباق أو المقابلة^(٦٣).

١٢- البراية:

وهي بري القلم وقطه، وله أربع أشكال: الشق والنحت والفتح والقط^(٦٤).

١٣- البرس:

وهو القطن، ويراه البعض بأنه الليقة^(٦٥).

١٤- البشتر:

هي استعمال السكين في عملية الحك، إذ يتم خلالها حك وكشط وجه الرق القديم^(٦٦).

١٥- بطن القلم:

وهي الفتحة التي يقوم الناسخ بعملها في القلم عندما يبويه^(٦٧).

١٦- البوهة:

ويراد بها الصوفة المنقوشة، وتصنع للدواة قبل أن تبل، فإذا ما ابتلت صارت ليقة^(٦٨).

١٧- البيكار:

وتسمى كذلك البركار، وهي عبارة عن أداة تستخدم في رسم الأشكال الهندسية^(٦٩).

١٨- التانيق:

وهي عملية تحديد لطف القلم الذي تم بربه^(٧٠).

١٩ - التحلية:

هي استخدام الوراقين لماء الذهب من أجل تزيين المخطوطات^(٧١).

٢٠ - التدقيق:

عملية تحديد لأذنان الحروف وإعمال سن القلم وإدارته في الكتابة^(٧٢).

٢١ - الترقيش:

وهو عملية تسطير الصحائف^(٧٣).

٢٢ - التسطير:

هي عملية وضع خطوط على صفحة المخطوط لضبط الكتابة وجعلها وفق نسق واحد^(٧٤).

٢٣ - تعليق الخط:

هو ترك الحروف بلا نقط وبدون اكتمال^(٧٥).

٢٤ - ثلث طومار:

يراد به حجم مادة الكتابة التي كان يستخدمها الكُتّاب والعمال^(٧٦).

٢٥ - جريدتا القلم:

يراد بهما واجهتا البري في القلم^(٧٧).

٢٦ - الجلفة:

ويقصد بها ما بين سن القلم ومبراه، وقيل هي براية القلم^(٧٨).

٢٧ - الجؤنة:

ويراد بها الظرف الذي فيه الليقة والحبر^(٧٩).

٢٨ - الحبرية:

ويقصد بها المحبرة^(٨٠).

٢٩ - الحدق:

وهي المهارة والحدق في الكتابة ولها ارتباط ببري القلم^(٨١).

٣٠ - الحَصْرَمَة:

هي بري القلم^(٨٢).

٣١ - خثورة الدواة:

إذا أصبح حبرها ثخيناً^(٨٣).

٣٢ - الخِرْفَاج:

وهو قلم الثلثين الثقيل الصغير، يكتب به لدى أصحاب الشأن من الخلفاء والأمراء ونحوهم^(٨٤).

٣٣ - الخيري:

من النباتات متعددة الألوان، يستعمل لونه الأحمر في صناعة الحبر الريحاني^(٨٥).

٣٤ - الدَّوَادار:

هو الشخص الذي يحمل الدواة^(٨٦).

٣٥ - الذُّبَابِي:

ضرب من ضروب الصور التي تستخدم في المخطوطات^(٨٧).

٣٦ - الرِّصْمُ:

نوع من الزخرفة التي توضع في وسط الكتابة وقيل غير ذلك^(٨٨).

٣٧ - الرِّقْشُ:

وتحمل معاني عدة، ومنها: أنها تجويد الكتابة أو الكتابة والتتقيط أو الزخرفة النباتية والهندسية^(٨٩).

٣٨ - الزَّاج:

هو عبارة عن حبر خليط وله ألوان متعددة^(٩٠).

٣٩ - الزَّابِر:

ويقصد به الكاتب^(٩١).

٤٠ - الزرْكشة:

هي تزويق المخطوط باستخدام الذهب والأصباغ، والزرْكشة أو المزركشون هم أصحاب هذه الصنعة^(٩٢).

٤١ - الساسم:

هو نوع من الخشب الذي استخدم في صناعة الدواة^(٩٣).

٤٢ - الشجرة:

هو رسم بياني مشجر لبيان العلاقة بين النصوص^(٩٤).

٤٣ - الشفرة:

هي سكين كبير من حديد تستخدم للكشط من على وجه ورق المخطوط^(٩٥).

٤٤ - الصفيحة:

وهي آلة كانت تستخدم لنقش المخطوط^(٩٦).

٤٥ - الضرب:

وهي واحدة من أساليب إبطال الكلام بالضرب عليه من خلال وضع خط فوق الكلام المحذوف أو تحويطه بقوسين ونحوها من الطرق^(٩٧).

٤٦ - الطامس:

وهو سائل كان يستخدم لإزالة الألوان أو الأحبار من المخطوط^(٩٨).

٤٧ - الفُرْضة:

وهي المكان الذي يوضع فيه الحبر ويطلق عليه كذلك المَلِيق^(٩٩).

٤٨ - القانون:

وهي أداة كانت تستخدم لصناعة الصور والأشكال على غلاف المخطوط^(١٠٠).

٤٩ - القَرْمطة:

هو لفظ مأخوذ من القلم المستخدم في الكتابة، فيراد بها الأسلوب الدقيق في الكتابة من خلال تقارب الحروف، وقد شاع في الوثائق والمخطوطات العثمانية^(١٠١).

٥٠ - المائل:

هو من الخطوط التي استعملت في صدر الإسلام^(١٠٢).

٥١ - المضلف:

واحدة من الأدوات التي استخدمت للترصيع بالحلي في المخطوطات^(١٠٣).

٥٢ - النحت:

هو من أنواع بري القلم حيث تنحف حواشيه وبطنه^(١٠٤).

٥٣ - الوقبة:

وعاء المحبرة^(١٠٥).

٥٤ - اليراع:

وهو القصبة عندما تبرى لتصبح قلماً أو القلم الذي لم يبر^(١٠٦).

الخاتمة:

من خلال ما سبق وبمناقشتنا لموضوع أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، توصلنا لما يلي:

- ١- شهدت الكتابة وأدواتها ومصطلحاتها تطوراً استثنائياً عبر القرون الهجرية الأولى وحتى القرن العاشر الهجري.
- ٢- بلغ الاهتمام بالقلم أوجه في العصر العباسي الثاني حيث تعددت استخدامات القلم وبالتالي أشكاله وأنواعه وأسمائه.
- ٣- ظهرت مجموعة من الخطوط التي استخدمت فيها أقلام محددة وكانت تكتب بها الكتب والرسائل بنوع محدد من الخطوط تبعاً لطبيعة كل مخطوط والغرض منه.
- ٤- تمكن النساخ والوراقون من ابتكار مجموعة من الأدوات والآلات التي ساعدتهم في تطوير عملهم، وتعددت هذه الأدوات وازدادت بشكل كبير في العصر العباسي.
- ٥- ظهرت مجموعة من المصطلحات ذات الصلة بالنساخ والوراقين؛ فتعددت وتطورت بحسب الأزمنة والأمكنة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- ١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، الحلة السيرة في شعر الأمراء، ط ١ (الأردن، دار الفكر، د.ت).
- ٢- الإشبيلي، بكر بن إبراهيم (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، التيسير في صناعة التفسير، تحقيق: عبد الله كنون الحسني، ط ١ (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٠م).
- ٣- الألوسي، محمد شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، بلاط (بغداد، ١٨٩٦م).
- ٤- ابن باديس، المعز الصنهاجي (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب مايل الهروي، ط ١ (طهران، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة، د.ت).
- ٥- أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) ، [ديوان أبي الفتح البستي](#)، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، ط ١ (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت).
- ٦- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١ (المملكة العربية السعودية، مكتبة الريان، د.ت).
- ٧- المؤلف نفسه، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند ، ط ٢ (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م).
- ٨- الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم الأديباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ط ١ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).
- ٩- ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، لسان الدين محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط ١ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م).

- ١٠- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف (ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م)، صحيح السنن، ط ١ (بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩٨م).
- ١١- دُوزي، رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمّد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط ١ (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠م).
- ١٢- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
- ١٣- الشيباني، سلطان بن مبارك بن حمد، ألف باء المخطوطات العمانية، ط ١ (سلطنة عمان، ذاكرة عمان، ٢٠١٨).
- ١٤- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/٩٤٨م)، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجت، ط ١ (مصر، المطبعة السلفية، ١٩٢٨م).
- ١٥- الطيبي، محمد بن الحسن (توفي بعد ٩٠٨هـ/١٥٠٣م)، جامع محاسن كتابة الكتاب، تقديم صلاح الدين المنجد، ط ١ (بيروت، دار الكتاب الجديدة، ١٩٦٢م).
- ١٦- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، بلاط (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م).
- ١٧- ابن عساكر، علي بن الحسن، التاريخ الكبير، ترتيب وتصحيح: عبد القادر بدران، بلاط (دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٩٢٧م).
- ١٨- العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط ٢ (سلسلة من التراث العربي، ١٩٩٦م).
- ١٩- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط ١ (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٦م).

- ٢٠- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء، ط١ (القاهرة، دار لكتب المصرية، ١٩٦٦م).
- ٢١- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد المعروف (٣٦٣هـ/٩٧٤م)، المجالس
والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقهي، بلاط (بيروت، دار المنتظر، ١٩٩٦م).
- ٢٢- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، رسالة في الخط والقلم،
تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦، م ٣٩.
- ٢٣- النديم، محمد بن إسحاق (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفهرست، ط١ (لبنان، دار المعرفة،
د.ت).
- ٢٤- الميداني، أحمد بن محمد، السامي في الأسامي (١١٢٤هـ/١٧١٢م) بلاط (طهران،
بنياد فرهنگ، ١٩٦٧م).

المراجع العربية :

- ٢٥- بالنور، عبد الحق، الوسائل والأدوات المستعملة في تدوين التراث المخطوط بالمغرب
الإسلامي من القرن الأول إلى نهاية القرن السادس الهجري (١٣-٨م) دراسة
مخطوطية فنية، رسالة لنيل درجة الماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر ٢
٢٠١٢م.
- ٢٦- بنبين، أحمد شوقي المخطوط العربي وعلم المخطوطات، ط١ (الرباط، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م).
- ٢٧- بنبين وطوبي، أحمد شوقي ومصطفى، معجم مصطلحات المخطوط العربي،
ط٣ (الرباط، الخزانة الحسنية، ٢٠٠٥م).
- ٢٨- الجزائري، طاهر بن صالح، توجيه النظر إلى أصول النظر، تحقيق: عبد الفتاح أبو
غدة، ط١ (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٥م).
- ٢٩- البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، بلاط (مصر، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م).

- ٣٠- البهنسي، عفيف، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط ١ (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م).
- ٣١- ذنون، يوسف، نظرات في مصور الخط العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٥، ١٩٧٤م.
- ٣٢- الرصافي، معروف، الآلة والأداة، تحقيق: عبد الحميد الرشودي، ط ١ (بغداد، در الرشيد للنشر، ١٩٨٠م).
- ٣٣- سعيد، خير الله، وراقو بغداد في العصر العباسي، ط ١ (السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠م).
- ٣٤- المنوني، محمد، تاريخ الوراقة المغربية، ط ١ (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م).
- ٣٥- المؤلف نفسه، تاريخ المصحف الشريف في المغرب - الوراقة المصحفية، مجلة معهد المخطوطات العربية، ربيع الأول، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، م ١٥، ج ١.
- ٣٦- ناجي، هلال، بضاعة المجدود في الخط وأصوله لمحمد بن علي السنجاري (ت ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م)، مجلة المورد، العراق، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، م ١٥، ع ٤٤.
- ٣٧- المؤلف نفسه، منهج الاستطابة في معرفة الخط وآلة الكتابة للزفتاوي، مجلة المورد، العراق، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م، م ١٥، ع ٤٤.
- ٣٨- المؤلف نفسه، شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة لابن البصيص وابن الوحيد، مجلة المورد، العراق، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م، م ١٥، ع ٤٤.

المراجع الأجنبية:

- 39- Gacek, Adam, The Arabic Manuscript Tradition. A glossary of Technical terms and bibliography, (Brill, 2001).
- 40- Lemaire Jacques, Introduction a la codiacologie, (Louvain, La neuvem 1989).

41- Muzerelle, Denis, Vocabulaire Codicologique. CEMI (Paris, 1985).

الهوامش:

- (١) عبد الحق بالنور، الوسائل والأدوات المستعملة في تدوين التراث المخطوط بالمغرب الإسلامي من القرن الأول إلى نهاية القرن السادس الهجري (١٣-٨م) دراسة مخطوطية فنية، رسالة لنيل درجة الماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر ٢، ٢٠١٢، ص ٢١.
- (٢) محمد بن الحسن الطيبي (توفي بعد ٩٠٨هـ/١٥٠٣م)، جامع محاسن كتابة الكتاب، تقديم صلاح الدين المنجد، ط ١ (بيروت، دار الكتاب الجديدة، ١٩٦٢م) ص ١٤.
- (٣) سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف بأبي داود (ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م)، صحيح السنن، ط ١ (بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩٨م) حديث رقم ٤٧٠٠.
- (٤) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١ (المملكة العربية السعودية، مكتبة الريان، د.ت) ج ٦، ص ١١٠.
- (٥) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، بلاط (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م) ج ٢، ص ٧٢.
- (٦) هو أحد أشهر الشعراء الأندلسيين، عاش في زمن الدولة العامرية وأصبح وزيراً، وله أشعار معروفة؛ (ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم الأدياء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ط ١ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م) ج ١، ص ٤٩.
- (٧) أبو العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط ١ (القاهرة، دار لكتب المصرية، ١٩٦٦م) ج ٢، ص ٤٣٧.
- (٨) هو علي بن محمد بن الحسين الكاتب، المعروف في الدولة الغزنوية؛ (أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م)، [ديوان أبي الفتح البستي](#)، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، ط ١ (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت) ص ٣.
- (٩) م.ن، ج ٢، ص ٤٧٧.
- (١٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السيرة في شعر الأمراء، ط ١ (الأردن، دار الفكر، د.ت) ج ١، ص ٦٤.
- (١١) المعز بن باديس الصنهاجي (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب مايل الهروي، ط ١ (طهران، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة، د.ت) ص ٢٧.

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

- (١٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٤٤.
- (١٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٦هـ/٩٤٨م)، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجت، ط ١ (مصر، المطبعة السلفية، ١٩٢٨م) ص ٢٩.
- (١٤) بالنور، الوسائل، ٢٠١٢، ص ٢٧.
- (١٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٤٥.
- (١٦) يوسف ذنون، نظرات في مصور الخط العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٥، ١٩٧٤، ص ٥١.
- (١٧) هو ياقوت بن عبد الله المستعصي الأديب والخطاط الشهير، نشأ في دار الخليفة المستعصم بالله العباسي؛ ينظر: (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه: عبد القادر الأرنؤوط (دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٦م) ج ١ ص ٢٠٥.
- (١٨) هلال ناجي، بضاعة المجدود في الخط وأصوله لمحمد بن علي السنجاري (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)، مجلة المورد، العراق، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، م ١٥، ع ٤٤، ص ٥ وما بعدها؛ بالنور، الوسائل، ص ٢٨.
- (١٩) ناجي، بضاعة المجدود، ص ٢٦٩، وبالنور، ٢٠١٢، ص ٢٨.
- (٢٠) ناجي، بضاعة المجدود، ص ٢٧٠.
- (٢١) بالنور، الوسائل، ص ٢٨.
- (٢٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٥٦؛ بالنور، الوسائل، ص ٣١.
- (٢٣) الصولي، أدب الكاتب، ص ٥٤.
- (٢٤) الصولي، أدب الكاتب، ص ٥٥؛ بالنور، الوسائل، ص ٣٣.
- (٢٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٥٥.
- (٢٦) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ٢٩.
- (٢٧) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ٣٠.
- (٢٨) أبو السعادات بها الدين القاضي السنجاري العزازي نسبة إلى سنجار، وهو من الشعراء القضاة؛ (أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، ط ٢ (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م) ج ١٦، ص ٢٢٦.

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

- (٢٩) هلال ناجي، منهج الاستطابة في معرفة الخط وآلة الكتابة للزفتاوي، وينظر بحث: شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة لابن البصيص وابن الوحيد، مجلة المورد، العراق، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، م ١٥، ع ٤٤، ص ٢٥٠ وما بعدها؛ بالنور، الوسائل، ص ٢٨.
- (٣٠) بالنور، الوسائل، ص ٣٨.
- (٣١) شافع بن علي بن عباس العسقلاني ثم المصري، الإمام والأديب سبط الشيخ عبد الظاهر بن نشوان؛ كان يباشر الإنشاء بمصر زماناً؛ (جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٣٨٢م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بلاط (القاهرة، الحياة المصرية، ١٩٦٨) ج ٩ ص ٢٨٥.
- (٣٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٩٦.
- (٣٣) هو محي الدين عبد الرحيم بن الأشرف، الكاتب الشهير ووزير صلاح الدين الأيوبي؛ (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م) ج ٢١ ص ٣٣٨.
- (٣٤) م.ن، ج ٢، ص ٤٦٩.
- (٣٥) أحمد شوقي بن بدين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، ط ١ (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م) ص ١٤؛ بالنور، الوسائل، ص ٣٨.
- (٣٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ع ٤٤٩؛ أبو حنيفة النعمان بن محمد المعروف بالقاضي النعمان (٣٦٣هـ/٩٧٤م)، المجالس والمسائرات، تحقيق: الحبيب الفقي، بلاط (بيروت، دار المنتظر، ١٩٩٦م) ص ٣٢٠.
- (٣٧) بالنور، الوسائل، ص ٣٨.
- (٣٨) بالنور، الوسائل، ص ٨٠.
- (٣٩) القلوسي، تحف الخواص، ص ٨٤.
- (٤٠) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب العلامي المصري، الوزير، والفقير، له نظم جميل، تولى الوزارة مع القضاء بمصر؛ (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٨٢).
- (٤١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٩.
- (٤٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٩.
- (٤٣) الصولي، أدب الكتاب، ص ٦٥.
- (٤٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٠.
- (٤٥) أبو المظفر، جمال الدين السُّرْمَرِيُّ يوسف بن محمد بن مسعود، ولد بسامراء وتعلم ببغداد وتوفي في دمشق؛ (عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

- أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط ١ (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٦م) ج ٦ ص ٢٤٩.
- (٤٦) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، رسالة في الخط والقلم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦، م ٣٩، ج ٤، ص ١٦؛ بالنور، الوسائل، ص ٥٥٠.
- (٤٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٦؛ بالنور، الوسائل، ص ٥٦.
- (٤٨) المعز بن باديس، عمدة الكتاب، ص ٦٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٠؛ بالنور، الوسائل، ص ٥٤.
- (٤٩) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد، كان فقيهاً ومفتياً ثم أصبح كاتباً؛ (لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط ١) القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٩٧٤) ج ٢ ص ١٨٥.
- (٥٠) محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ط ١ (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م) ص ٣٣؛ بالنور، الوسائل، ص ٥٤.
- (٥١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٦.
- (٥٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٧٠؛ بالنور، الوسائل، ص ٥٦.
- (٥٣) علي بن الحسن بن عساكر، التاريخ الكبير، ترتيب وتصحيح: عبد القادر بدران، بلاط (دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٩٢٧م) ج ٢ ص ٢٤٩؛ أحمد شوقي بن بئين ومصطفى طوي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ط ٣ (الرباط، الخزنة الحسنية، ٢٠٠٥م)، ص ٢٨.
- (٥٤) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ٨٠؛ بن بئين وطوي، المعجم، ص ٢٨.
- (٥٥) بن بئين وطوي، المعجم، ص ٢٨.
- (٥٦) م.ن، ص ٢٩.
- (٥٧) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ١٥٤.
- (٥٨) عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط والخطاطين، بلاط (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م) ص ٣.
- (٥٩) بن بئين وطوي، المعجم، ص ٣٠.
- (٦٠) البهنسي، المعجم، ص ٤.
- (٦١) محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، بلاط (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م) ص ١٣٦.
- (٦٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ص ١٥٨.

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

- (٦٣) محمد المنوني، تاريخ المصحف الشريف في المغرب - الوراقة المصحفية، مجلة معهد المخطوطات العربية، ربيع الأول، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، م ١٥ ج ١، ص ٨٩ وما بعدها.
- (٦٤) الصولي، أدب الكاتب، ص ٣٥.
- (٦٥) بنين وطوي، المعجم، ص ٥٧.
- (٦٦) م.ن، ص ٦٠.
- (٦٧) م.ن، ص ٦١.
- (٦٨) معروف الرصافي، الآلة والأداة، تحقيق: عبد الحميد الرشودي، ط ١ (بغداد، در الرشيد للنشر، ١٩٨٠م) ص ٣٧.
- (٦٩) بنين وطوي، المعجم، ص ٦٤.
- (٧٠) أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط ٢ (سلسلة من التراث العربي، ١٩٩٦م) ص ٤١٤.
- (٧١) طاهر بن صالح الجزائري، توجيه النظر إلى أصول النظر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١ (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٥م) ص ٣٦٥.
- (٧٢) البهنسي، المعجم، ص ٢٠؛ بنين وطوي، المعجم، ص ٧٧.
- (٧٣) بنين وطوي، المعجم، ص ٨١.
- (٧٤) Muzerelle, Denis, Vocabulaire Codicologique. CEMI (Paris, 1985). p 10.
- (٧٥) خير الله سعيد، وراقو بغداد في العصر العباسي، ط ١ (السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠م) ص ٢٦١.
- (٧٦) Lemaire Jacques, Introduction a la codiacologie, (Louvain, La neuvem 1989) p211.
- (٧٧) J.Lemaire, Introduction a la codiacologic, p١٦.
- (٧٨) أحمد بن محمد الميداني (١١٢٤هـ/١٧١٢م)، السامي في الأسامي، بلاط (طهران، بنياد فرينك، ١٩٦٧م) ص ٢٩.
- (٧٩) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٦٩.
- (٨٠) بنين وطوي، المعجم، ص ١٢٥.
- (٨١) سعيد، وراقو بغداد، ص ٦٨.
- (٨٢) محمد شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، بلاط (بغداد، ١٨٩٦م) ج ٣، ص ٣٨٨.
- (٨٣) م.ن، ج ٣ ص ٣٨٦.

(أدوات ومصطلحات كتابة وصناعة المخطوط في الحضارة الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي،، دراسة تاريخية)

- (٨٤) محمد بن إسحاق النديم (384هـ/ 994م)، الفهرست، ط ١ (لبنان، دار المعرفة، د.ت) ص ١١.
- (٨٥) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ١٠٦.
- (٨٦) البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٣٩.
- (٨٧) بنين وطوي، المعجم، ص ١٦٧.
- (٨٨) عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط ١ (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م) ص ٦٣.
- (٨٩) م.ن، ص ٦٤.
- (٩٠) ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ٨٠.
- (٩١) بنين وطوي، المعجم، ص ١٨٥.
- (92) Gacek, Adam, The Arabic Manuscript Traditionm. Aglossary of Technical terms and bibliografhy, (Brill, 2001) P. ٦٣.
- (٩٣) رينهارت بيتر آن دُوزي (ت ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمّد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط ١ (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠) ج ١ ص ٦٢١؛ بنين وطوي، المعجم، ص ١٩٤.
- (٩٤) بنين وطوي، المعجم، ص ٢٠٨.
- (٩٥) الميداني، السامي، ص ١٤٨.
- (٩٦) بنين وطوي، المعجم، ص ٢٢١.
- (٩٧) م.ن، ص ٢٢٦؛ الشيباني، سلطان بن مبارك بن حمد، ألف باء المخطوطات العمانية، ط ١ (سلطنة عمان، ذاكرة عمان، ٢٠١٨) ص ٢١٩.
- (٩٨) البهنسي، المعجم، ص ٩٥.
- (٩٩) الميداني، السامي، ص ٣٠.
- (١٠٠) بكر بن إبراهيم الإشبيلي (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، التيسير في صناعة التفسير، تحقيق: عبد الله كنون الحسني، ط ١ (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٠م) ص ٣٢.
- (١٠١) بنين وطوي، المعجم، ص ٢٧٥؛ إدهام حنش، الخط العربي، ص ٥ وما بعدها.
- (١٠٢) النديم، الفهرست، ص ٩.
- (١٠٣) الإشبيلي، التيسير، ص ١١؛ الشيباني، ألف باء، ص ٣٦٣.
- (١٠٤) الصيداوي، وضاحة الأصول في الخط، ص ١٦٢.
- (١٠٥) بنين وطوي، المعجم، ص ٣٨٨.
- (١٠٦) م.ن، ص ٣٨٩.

الأفكار السياسية في صحيفة "الاستقلال"

م . د . رحيم خلف كاظم الشرع

جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

كلية الآداب _ قسم التاريخ

E .mail: raheem.kalaf@sadiq.edu.iq

١٤٤٣ هـ _ ٢٠٢٢ م

بغداد

رقم الموبايل : ٠٧٧٢٦٢٠٧٤٤٩

Dr. Rahim Khalaf Kazem
Imam Jaafar Al-Sadiq University (peace be upon him)
Faculty of Arts _ Department of History

E .mail: raheem.kalaf@sadiq.edu.iq

1442AH _ 2022 AD

Baghdad

Mobile number : 009647726207449

م . د . رحيم خلف كاظم الشرع

الملخص

كان صدور صحيفة "الاستقلال" في سنوات الانتداب البريطاني ضرورة ملحة وواجباً وطنياً أخذته على عاتقها ، وذلك عن طريق طرحها أفكاراً سياسية عدة لمقارعة الانتداب ، وكانت الأولوية في هذه الأمور الاستقلال للعراق ، ومن هذا المنطلق سميت بصحيفة "الاستقلال" ، ونتيجة المواقف الوطنية المشرفة والمتكررة اصطدمت كثيراً مع السلطات العراقية والبريطانية ، وتم إغلاقها عدة مرات ، حيث كان لها مواقف فكرية وسياسية منها تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة ، ومعاهدة ١٩٢٢م ، وانضمام العراق إلى عصبة الأمم مما جعل الحكومة العراقية تقوم بغلقها وذلك يوم ٧ شباط عام ١٩٣٢م لمدة أربعة أشهر بحجة نشرها ما يخل بالأمن الداخلي ويضر بالمصلحة العامة .

الكلمات المفتاحية : (الاستقلال ، الانتداب ، الحرية ، الأفكار ، الوطنية)

Abstract

The issuance of the newspaper "Al-Istiqal" during the years of the British Mandate was an urgent necessity and a patriotic duty that I took , It is upon itself, by presenting several political ideas to combat the mandate, and the priority was in these matters Independence is for Iraq, and from this point of view it was called Al-Istiqal newspaper. As a result of the bright and repeated national stances, it was very shocked with the Iraqi and British authorities. He made the Iraqi government close it on February 7, 1932 AD, for a period of four months, under the pretext of publishing something It violates internal security and harms the public interest.

Key words:(independence , mandate , freedom , thoughts , national)

الأفكار السياسية من المواضيع المهمة التي شغلت الرأي العام والحكومات منذ اختراع الطباعة ، وقد مكن هذا الاختراع الصحافة من جعل المعارف الإنسانية في متناول اكبر عدد من الأفراد بعد إن كانت وفقاً على فئة محدودة من الخاصة من النبلاء ورجال الدين .

إن حرية الفكر والتعبير والرأي تشكل أساساً ومطلباً وضرورة تاريخية وحياتية ، وإذا كانت حرية التعبير والفكر هي وجه من وجوه الحرية ، فإن الصحافة الحرة هي الأداة اللازمة لإيصال الصوت الحر إلى الرأي العام بل إلى أرجاء المعمورة كافة .

إن حرية الصحافة هي في الحقيقة تشبه الرأي العام لها اعتبارات عديدة سواء كان ذلك للمحرر والمتكلم أو للقارئ أو المستمع أو لجميع أفراد المجتمع ، كما إن اشتراط إجازة النشر والصحافة ظهر بأشكال متعددة خلال سجل التأريخ ، فالأفكار الخطرة يجب تحريمها عادة في نظر جميع الديكتاتوريين ، وكون صحيفة الاستقلال أول تجربة وطنية في ميدان الصحافة العراقية ، رغبت في تسليط الضوء على " الأفكار السياسية في صحيفة الاستقلال " مستنداً على مادة البحث المستمدة من دراسة أكاديمية موسومة (صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ م) للباحث صالح محمد حاتم ، حيث كان المصدر الأساس لهذه الدراسة أو هو في الحقيقة العمود الفقري لها ، إذ يحوي في باطنه الأخبار والمقالات والأحاديث والتصريحات وكل ما يتعلق بالموضوع ، ولهذا ركز الباحث اهتمامه على هذه الرسالة ، والتي امتازت بحسن التنظيم إذ بلغت الأعداد التي راجعها الباحث صالح محمد حاتم قرابة ألف وسبعمائة وثمانون عدداً ، وكان كل عدد يتكون من أربع صفحات ، وكذلك استخدام الوثائق الأجنبية المنشورة وغير المنشورة ، والمقابلات الشخصية فلم يأل الباحث صالح محمد حاتم جهداً في استفسار اقرب الناس صلةً بموضوع البحث .

توزعت مادة هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، تضمن المبحث الأول : نشأة صحيفة الاستقلال وتطورها ، وكيفية نشوؤها وتطور مسيرتها وإدارتها ، وتحدث المبحث الثاني : عن موقف صحيفة الاستقلال من ابرز القضايا الفكرية ، ومنها ثورة

العشرين وقيام الحكومة الملكية وموقفها من حرية الصحافة في العراق والتظاهر ، أما **المبحث الثالث** : فقد كان موقف صحيفة الاستقلال من ابرز القضايا السياسية ، ومنها تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة ومعاهدة عام ١٩٢٢م ، وانتخابات المجلس التأسيسي ودخول العراق إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٢م .

المبحث الأول : نشأة صحيفة الاستقلال وتطورها

بعد تردد ومماطلة من سلطات الانتداب البريطانية ، استطاع **عبد الغفور البديري** هو ضابط عراقي ممن شارك في الثورة العربية ، الحصول على امتياز إصدار "جريدة الاستقلال" ، التي صدر العدد الأول منها بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٢٠م ، ونشر العدد الأول في ٣٠ أيلول بسبب عطل المطبعة ، إذ جاور مقرها شاطئ النهر في صوب الرصافة قرب المحكمة الشرعية ، تمتع **البديري** بالحزم والقوة في إدارة الصحيفة وبذلك استطاع أن يجمع نخبة جيدة من أصحاب الأقلام الوطنية ليكونوا أسرة تحرير الصحيفة ، رئيس التحرير **محمود الشيخ علي** ، **وسامي خونده** ، **وطالب مشتاق** ، **ومهدي البصير** ، **ورشيد الصوفي** ... وغيرهم ، حيث كان يتصدى ويتحمل تبعة ما يكتبونه ويبرر في كل وقت للدفاع عنهم .
(علي الوردني ، ٢٠١٣م ، ص ١٠٥)

ويعود صدور جريدة "الاستقلال" إلى فترة الاحتلال البريطاني ، والتي صدرت نتيجة لسياسة خنق الحرية الفكرية ومنع إصدار أية صحيفة سياسية غير الصحف الرسمية لسلطة الاحتلال البريطاني .

لقد أغنتنا الصحيفة نفسها عن السؤال ، لماذا أطلق على الصحيفة اسم "الاستقلال"؟ ، إذ أوضح في عددها الأول الذي أعلنت فيه عن ميلاد جهادها الوطني ضد إدارة الاحتلال البريطاني في سبيل تحقيق الاستقلال الناجز للعراق والأمة العربية ، حيث سمحت سلطات الاحتلال البريطاني بإصدار صحيفة "الاستقلال" وفقاً لقانون المطبوعات العثماني . (صالح محمد حاتم ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤ ؛ GERTUCLE BELL , 1927 ,F.593)

لقد كانت "الاستقلال" خلال مدة مسيرتها في سنوات الانتداب البريطاني تمثل لسان حال الشعب العراقي ، والساعد الأيمن للحركة الوطنية ، كما أنها كانت أشبه بمنظمة سياسية يجتمع في دارها الوطنيون والمعارضون للحكومة وسياسة الانتداب التي تعد لفظة بغيضة غير مألوفة في نظر المجتمع العراقي . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ ؛ GERTUCLE BELL , 1927 , F.593)

كانت جريدة "الاستقلال" جريدة يومية عربية حرة ، هكذا كتب على صدرها ، وكانت تصدر في بداية الأمر مرة واحدة في الأسبوع في صباح يوم الأحد بصورة مؤقتة ، وبعدها أصبحت تصدر اعتباراً من عددها (الخامس) في ٢٠ تشرين الأول من ١٩٢٠م ، مرتان في الأسبوع صباح يوم الأحد والأربعاء ، ثم أخذت تصدر اعتباراً من عددها (العشرين) في ١ كانون الأول من ١٩٢٠م ، ثلاثة مرات في الأسبوع في صباح أيام الأحد والأربعاء والجمعة ، ثم أخذت تصدر يومياً بانتظام اعتباراً من عددها (الحادي والثلاثين) في ٥ كانون الثاني ١٩٢١م . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٢٧)

كان مقر الجريدة قرب المحكمة الشرعية ، وثن النسخة الواحدة (عانة واحدة) ، وكانت أعداد الجريدة تصدر بالتواريخ الهجرية والميلادية وعدد صفحاتها أربع صفحات ، وكانت الصفحة الأولى تكتب بكاملها لأخبار العراق عامة ، والصفحات الثانية والثالثة تنشر فيها أخبار العربية والعالمية ، أما الصفحة الأخيرة فكانت في اغلب الأحيان تترك للإعلانات. (جريدة الاستقلال ، العدد ١٠ ، ١٩٢٠م)

كانت السلطة الحاكمة آنذاك كانت تراقب عن كثب كل ما ينشر في جريدة "الاستقلال" ، إذ أغلقت العديد من المرات ، وأكثر من أية صحيفة عراقية أخرى دون أيما سبب سوى سيرها في مركب الوطنية الحقة ، ومقارعتها للباطل ونصرتها للحق ، كان أولها في ٩ شباط ١٩٢١م ، عندما فسرت ما قالته : "تهنئ الأمة العراقية بقدوم بعض منفيينا الكرام ونطالب إرجاع جميع المنفيين بلا استثناء" ، وكانت آخر مرة عطلت فيها "الاستقلال" في ٧ تموز ١٩٣٢م وحتى الأول من تشرين الثاني من العام نفسه بصدور عددها (١٧٢٩) ، بسبب الحقد في نفوس المستعمرين فأخذوا يكون الكراهية والبغضاء لها،

إذ بعدها استأنفت جهادها دون انقطاع بعددها (١٧٨٠) الصادر في ٣٠ كانون الأول ١٩٣٢م . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٣١)

وفي ختام الحديث في هذا المبحث ، لابد من الإشارة إلى أن قبل انتهاء الثورة ظهرت في بغداد صحيفة أصدرها الوطنيون ، لتعبر عن أهداف الوطنيين ، وتقود الرأي العام إلى التآلف والاتحاد في المطالبة لنيل الاستقلال التام ، ولتفاوض الإنكليز في تحقيق المطالب الوطنية ، مع العلم إن هذه الأفكار الوطنية والقومية لصحيفة "الاستقلال" قد انعكست بشكل واضح على مواقفها من أبرز القضايا الفكرية التي شهدتها العراق . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٣٢)

المبحث الثاني : موقف صحيفة الاستقلال من أبرز القضايا الفكرية

أ_ موقف صحيفة الاستقلال من ثورة العشرين :

أذيع خبر الانتداب البريطاني على العراق في بغداد يوم ٣ آيار ١٩٢٠م ، بيان أصدره ارنولد ولسن **Arnold Wilson** ((عمل مقيماً سياسياً في الخليج العربي ، وجاء مع الحملة البريطانية إلى العراق)) (علي الوردى ، المصدر السابق ، ص ٥٩_٦٤) ، وكيل المندوب السامي فأعلن الشعب معارضته واستنكاره ورفضه لكل انتداب أو وصاية أو حماية وتوتر الجو السياسي في العراق ، وعقد زعماء الحركة الوطنية سلسلة من الاجتماعات السرية ، وقرروا اتخاذ التدابير لحشد الجماهير الشعبية وراء الأهداف الوطنية الكبرى للحصول على الاستقلال التام ، وشكلوا هيئة من خمسة عشر زعيماً لعرض المطالب الوطنية ، وعقدت الاجتماعات المعروفة ب (المواليذ) في شهر رمضان المبتدأ في ١٦ آيار ، اشترك فيه الخطباء ، والمتقفين ، فتحولت إلى مهرجانات شعبية تطالب بالاستقلال وتتدد بالانتداب ، وحدثت مظاهرات جماهيرية واسعة في يوم ٢ حزيران عندما قابل ممثلوا الحركة الوطنية وكيل الحاكم الملكي وطالبوا بإجابة المطالب الآتية:

١_ إنشاء مجلس تأسيس (جمعية وطنية) تضع الدستور وتقرر شكل الحكم.

٢_ أطلاق حرية الصحافة . (أمين سعيد ، ١٩٤٧م ، ص ٨٤_٨٥)

نتيجة للضغط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي مارسه البريطانيون في العراق أثناء مرحلة الاحتلال ، وتكرها للوعود التي منوا بها الشعب العراقي بالاستقلال ، وتكوين حكومة وطنية ، قامت في البلاد انتفاضات متعددة توجت بالثورة الوطنية المسلحة في ٣٠ من حزيران ١٩٢٠م . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١١٠ ؛ فيليب ويلارد إيرلند ، ١٩٤٩م ، ص ٢٠١_٢٠٥)

على الرغم من إن صحيفة "الاستقلال" صدرت في ٢٨ أيلول ١٩٢٠م ونار ثورة العشرين مستعرة ، إلا أن صاحب امتيازها وجميع أفراد أسرة تحريرها قد عايشوا سياسة الاحتلال البريطاني ، بل وساهموا في إحداث المعارضة الوطنية ، ولذلك نلاحظ حين ولادة الصحيفة إنها حملت المعارضة في اسمها "الاستقلال" ضد الوجود البريطاني في العراق ، وقد فضحت صحيفة "الاستقلال" أساليب السياسة البريطانية الملتوية وبذلك تكون قد وضعت يد الشعب على مساوئ ومخاطر تلك السياسة ليكافحها . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٠٣)

إن صحيفة "الاستقلال" لم تصدر لخدمة أهداف الثورة فقط ، لأنها لو كانت كذلك لانقرضت بعد أن خمدت نار الثورة ، كما حصل لصحيفتي الثورة وهما : صحيفة "الفرات" وصحيفة "الاستقلال" النجفية ، بل صدرت "لخدمة أفكار العرب عامة والعراقيين خاصة" ، كما إنها لعبت دوراً بارزاً على مسرح أحداث الثورة لكونها ظهرت في بغداد قلب البلاد ، ومقر حكومة الاحتلال ، وقائد الرأي العام العراقي ، ومركز تجمع الفئة الوطنية ، لهذا كانت لكتاباتنا وقع السيف على سلطات الاحتلال البريطاني ، فكانت مقالاتها خلال الثورة تدافع فيها عن وجهة نظر الثورة والثوار ، وتطالب بالاستقلال التام ، وإنهاء السيطرة البريطانية على العراق ، كما نجدها تشدذ همم الثوار ، وترسخ الثقة بقدرتهم وبعزيمة الأمة وطاقتها ، وتشد أزهم بالتمسك "بالصبر والثبات" والمواظبة لخير الوطن . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١١١)

وعندما رأت الصحيفة أن بؤادر الثورة بدأ يخف ، نراها تذكر الشعب بالثورات الحرة في العالم ودور الشعوب في تخليص نفسها من براثن الاستعمار ، والسيطرة بواسطة هذه الثورة ، والضغط على الغاصب لكي يستجيب للمطالب الوطنية . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١١٢ ؛ أمين سعيد ، مصدر سابق ، ص ٤٢)

هكذا كان دور صحيفة "الاستقلال" في ثورة العشرين ، إذ في الوقت الذي كانت تشن بمقالاتها اللاذعة حرباً ضروساً على الاستعمار فإنها وقفت أيضاً وبكل جوارحها إلى جانب الثورة والثوار ، إلا إنها رغم ذلك كانت تساوهمم وتفاوضهم حسب قناعتها على إنهاء الثورة دون إراقة الدماء ، بالتفاهم وبصورة سلمية مقابل تحقيق المطالب الوطنية . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١١٦)

وبعد إن شعرت الحكومة البريطانية ولاسيما بعد قيام ثوره العشرين التي كلفتها الخسائر الفادحة بالأرواح والأموال ، بأن الحكم المباشر للعراق غير مجدٍ ، وان السياسة التي اتبعها ولسن غير رشيدة لاسيما وان هذه السياسة لم تستطع الصمود أمام انتقادات البرلمان البريطاني ، فسارعت إلى إبداله بالسير برسي كوكس ، إذ تقاتلت "الاستقلال" في هذا الجانب إن جميع العراقيين لا تتفق كلمتهم على قبول شخص عراقي يمتلك عليهم لأسباب لا تخفى ، وان كان ذلك الشخص في حد ذاته أهلاً للملكية . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٢٥)

بينما نراها رحبت في أن يكون ملك العراق عربياً من أسرة عربية شريفة ذات مناصب وطباع كريمة ، ونقصد بها (أسرة الشريف حسين) ، ويعود السبب إلى ذلك إن عبد الغفور البدري مؤسس صحيفة الاستقلال ممن شاركوا في الثورة العربية ١٩١٦م ، وقد برز هذا في عدة مقالات لها . (صالح محمد حاتم ، مصدر نفسه ، ص ١٢٨)

ب_ موقف صحيفة الاستقلال من عرش العراق وقيام الحكومة الملكية :

بعد أن ثبتت أركان الحكومة العراقية المؤقتة ، سعت الحكومة البريطانية لاختيار ملك للعراق ، وأثناء ذلك ظهرت وجهات نظر مختلفة فيمن عسى أن يشغل العرش العراقي ،

فكان هناك عدد كبير من المرشحين من العراقيين وغير العراقيين . (فيليب ويلارد ايرلند ، المصدر سابق ، ص ٢٣٧)

كانت "الاستقلال" إحدى الصحف الصادرة في ذلك الوقت ، فخاضت غمار المعركة السياسية الدائرة بحماس ملموس ، فقد كانت من أكثر الصحف الوطنية ميلاً للنظام الملكي ، ففي مقالاتها الافتتاحية الصادرة في ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠م قدمت فيه شرحاً وافياً للرأي العام عن أنظمة الحكم في العالم ، وركزت حديثها حول وجود نظامين هما النظام الملكي والنظام الجمهوري ، ورجحت أثناء كلامها النظام الأول على الثاني ، وكذلك أخذت تشير إلى الشخص اللائق لهذا العرش ، وحبذت أن لا يكون الملك عراقياً بعد ما ظهرت في قائمة المرشحين أسماء وبعض أعيان العراق ، كانت صحيفة الاستقلال تتادي بولاية فيصل على العراق وتنتشر مقالات ومواضيع في مدحه وتذم السوريين الذين أخرجوه من ولاية بلادهم ، ويذكر أن هذه الصحيفة قد نشرت في ١١ آب ١٩٢٠م برفقة بريطانية المصدر تناولت خبراً مفاده ، إن الأمير فيصل توجه إلى سويسرا لمقابلة رئيس الوزراء البريطاني الموجود هناك للمداولة في شأن إجلاسه على عرش العراق ، ويذكر أيضاً إن تولى الأمير فيصل حكم العراق في ذلك الوقت كان له من يؤيده أمثال الضباط العراقيين الذين شاركوا في الثورة العربية ، وأيضاً كان في العراق من يعارضون تولى الأمير فيصل عرش العراق ومنهم من كان يأمل في الاستئثار بالعرش لنفسه مثل السيد طالب النقيب الذي لم يقنع بمنصب وزير الداخلية في "أول حكومة عراقية ١٩٢١م" على الرغم من الامتيازات التي منحت له دون باقي الوزارات من حيث الراتب والمكانة الممنوحة لوزارته في بناية "القشلة" ، يقال إن السيد طالب عرض على عبد الغفور البدي مالك جريدة الاستقلال مبلغ اثنا عشر ألف ربيه مقابل التوقف عن مدح الأمير فيصل والترويج له عن طريق الصحيفة ، فرفض البدي تلك المساومة ولكن السيد طالب لن ينسى للبدي هذا الموقف ، حيث بقي يتحين له الفرص للإيقاع به وبصحيفته وقد نجح في ذلك بعد أن تهيأت له الظروف المناسبة ، ومن الجدير بالذكر حاولت الصحيفة الدفاع عن نفسها وطلبت الحماية من الحكومة وكان أهم ما طالبت به الصحيفة إطلاق حرية الصحافة ، والاجتماعات ، وإصدار العفو العام ، وإلغاء الإدارة العرفية ، مما أعد هذا بمثابة إعلان منهاجاً للكفاح السياسي لم يكد ينشر ذلك العدد بين

الناس حتى صدر الأمر من وزارة الداخلية التي يترأسها السيد طالب بإغلاق الجريدة وتوقيف صاحبها مع أحد عشر رجلاً من كادرها على الفور ، تدخل مستشار وزارة العدلية في وقتها بونهام كارتر واستنطاق إطلاق سراح سبعة من المعتقلين ثم أبعدت الحكومة اثنين آخرين منهم ، أما الثلاثة الباقون وهم عبد الغفور البدري صاحب الامتياز وقاسم العلوي رئيس التحرير ، ومهدي البصير المحرر سيقوا إلى المحكمة التي تعتبر أول محاكمة صحفية في تاريخ العراق الحديث ، حكمت المحكمة على البدري بسنة مع الأشغال الشاقة ، والبصير بتسعة أشهر ، أما العلوي فقد حكم بستة أشهر ، فيما صدر الحكم بتعطيل الصحيفة لمدة سنة كاملة ، بعدها يحكى أن السيد طالب مر بالبدري وهو يعمل في تكسير الاحجار في الشارع مع السجناء العاديين فقال له : " ايعجبك هذا يا عبد الغفور ؟ " ، فأجاب البدري : "ليس احب الي من التعذيب في سبيل وطني وشعبي ، انظر في تعذيبي ما شاء لكم الهوى ، والويل لكم من الشعب" . (علي الوردي ، المصدر السابق ، ٢٠١٣ م ، ص ١١١)

استأنفت صحيفة "الاستقلال" عملها بعد غلقها بعام واحد ، وصدرت الصحيفة مجدداً في ١٨ شباط ١٩٢٢م كتبت في أول عدد لها من ذلك العام مقالاً بعنوان "بعد حول كامل" رحبت فيه بتصيب الأمير فيصل ملكاً على عرش العراق ، إذ قالت : "إن العراقيين على اختلاف نزعاتهم لا تجتمع كلمتهم على غير هذه العائلة الكريمة ، فقدم سمو الأمير فيصل إلى العراق ومنحت الأمة الحرية التامة في انتخاب ملكها سموه ملكاً بالإجماع ٩٦% من السكان" . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١٣١ ؛ جerald دي غوري ، ١٩٦٣م ، ص ٢٤)

جـ. موقف صحيفة الاستقلال من حرية الصحافة في العراق :

اضطرت الحكومة العراقية إلى إصدار بيان في ٢ أيلول ١٩٢٧م ، طلبت من الصحف عامة الكف عن المكاتبات التي تضي إلى نتائج غير محمودة ، وأن تبعد عن كل ما يشم منه رائحة التفرقة أو يمس كرامة الأشخاص ، وعلى الرغم من هذا البيان فقد استمرت الصحف في مساجلاتها ، بل وحمي وطيسها في أوائل تشرين الأول عام ١٩٢٧م اثر إعادة

ثلاثة من المدرسين السوريين الذين تم الاستغناء عن خدماتهم في تظاهرات الطلبة في كانون الثاني عام ١٩٢٧م ، (فلاح حسن كزار ، ٢٠١٠م ، ص ١٢٦) ، فنشرت صحيفة "النهضة" عدداً من المقالات ضد الحكومة ، وبالمقابل أخذت صحيفة "الزمان" ترد على اتهاماتها ، وحين رأى مجلس الوزراء ذلك اتخذ قراراً في ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٧م يقضي بتعطيل صحيفتي "النهضة" و "الزمان" . (صالح محمد حاتم ، مصدر سابق ، ص ٢١١)

أما دور صحيفة "الاستقلال" في هذه المعركة الصحفية ، فهي لم تكن متفقة وصحيفة "النهضة" من حيث الخطة والسياسة والأهداف التي رسمتها هذه الصحيفة لنفسها ، (جريدة الاستقلال ، العدد ١١٨٧ ، ١٩٢٧م) ، ورغم إن "الاستقلال" أحبت أن تتخلص من صحيفة "النهضة" لكنها مع ذلك لم تتمالك نفسها من إعلان أسفها واستغرابها على تعطيل "النهضة" وزميلتها "الزمان" ، إذ قالت : "يسوؤنا جداً أن نجد الحكومة مهما تبدلت فيها الوزارات وتغيرت الرجال ، ناظرة إلى الصحافة بنظر الحذر الوجل ، وإن تجدها أيضاً تصدر قرارات التعطيل بشأنها من حين إلى آخر ، من دون أن تفكر في حرية الرأي وحقوق أبناء الشعب في هذه الحرية المقدسة والله شهيد على ما اعترانا من ألم حينما طرق سمعنا تعطيل صحيفة "الزمان" و "النهضة" ، والله شهد كم زفره صعدت من القلب المؤلم على أعمال الحكومة هذه ، وعلى تحديدها حرية الشعب الذي تنتمي إليه ، والمكلفة بتنحية مواهبه ومشاعره هذا التحديد المؤلم" . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٢١٦)

وفي عدد آخر اعتبرت "الاستقلال" قرار الحكومة بغلق الصحيفتين (قاعدة رجعية) ، ودعت إلى القضاء على ظاهرة "إغلاق الصحف وكبح الأفواه" لأن الصحافة هي لسان الأمة الذي ينطق برغبتها والقضاء عليها معناه إسكات الشعب لكيلا يسمع له صوتاً . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ٢١٦)

د ـ موقف صحيفة الاستقلال من التظاهرات الشعبية :

أيدت صحيفة "الاستقلال" بقوة تظاهرات الشعب عموماً ، كونها تعبر عن مواقف وطنية ، أكبرت الحركة الوطنية عامة وصحيفة "الاستقلال" خاصة موت الشيخ ضاري ،

وقامت بمظاهرات عنيفة في بغداد ، وقد تصدرت صحيفة "الاستقلال" قائمة الصحف العراقية ، إذ إنها تابعت قضية ضاري المحمود منذ أن القي القبض عليه وحتى وفاته ، ثم عقبته بوصف دقيق للمظاهرة الشعبية التي شيعت جنازة الشيخ ضاري بأسلوب أدبي رائع يهيج العواطف ويثير النفوس ، وأعلنت عن الهوسات والأهازيج التي هتف بها المتظاهرون ، وختمت مقالها بهذه العبارة : "لقد أنصفت بلادك في حياتك ، وقد أنصفت بلادك في مماتك وحياتك معاً ، فكلكما أدى واجبه ، وكلكما حر أبي" . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩-٢٥٠)

كما نشرت "الاستقلال" في عددها الصادر صباح ٨ شباط ١٩٢٨م ، نداء لإقامة حفلة تأبين ، كذلك نشرت الصحيفة استغراب الرأي العام العراقي من محاكمة الشيخ ضاري ، ووقوع حكم المحكمة عليه وهو في حالة صحية سيئة لا تسمح بمحاكمته ، كما أوردته النظريات الحقوقية بأن يكون المتهم عند المرافعة في حالة صحية يستطيع فيها الدفاع عن نفسه . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ٢٥١)

وفي الوقت نفسه تصدت "الاستقلال" بحماس لزيارة الزعيم الصهيوني الفريد موند إلى بغداد ، وبعد علم الشباب الوطني انه سيصل العاصمة في ٨ شباط ١٩٢٨م ، فقرروا القيام بمظاهرات منددة به تعبيراً عن سخطهم على الحركة الصهيونية ، وفعلاً في ظهر يوم ٨ شباط قاده طلاب المدارس مظاهرة كبيرة اجتاحت شارع الرشيد تحمل لافتات كبيرة مكتوب عليها شعارات تندد بالصهيونية وأقطابها ، واشتبك فيها الطلاب مع الشرطة انتهت بجرح عدد كبير من الطرفين . (خيري أمين العمري ، ١٩٦٩م ، ص ١٧٥-١٧٧)

أما أهمية دور صحيفة "الاستقلال" في هذه الحادثة فيأتي من كونها طلّت على الرأي العام العراقي في صباح يوم الزيارة ، بمقال مسهب بعنوان "هل تكون فلسطين اندلساً ثانية" ، ووشحت صدر هذا المقال بالعبارة التالية "فلسطين تباع للصهيونية ، فأين جهودكم أيها العرب ، ما هي مهمة السير فريد موند في بلادنا" ، (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ ؛ حنا بطاطو ، ١٩٩٢م ، ص ٤٩) ، لم تكتف جريدة "الاستقلال" بهذا الكلام بحسب بل زادت الصحيفة من فزع الجمهور عندما صرحت في مقال

نشرته "إن الهدف من وراء زيارة الفريد موند هو التبشير للصهيونية في العراق". (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥)

لم يكن مجرد صدفة ، إن لم تتح الفرصة للصحيفة لمتابعة أحداث هذه الزيارة وتطوراتها بسبب قيام الحكومة بتعطيلها في يوم ٩ شباط ١٩٢٨م ، وهذا يعد إن تعطيل الحكومة لهذه الصحيفة الوطنية طعن للحرية الفكرية في الصميم لا غير ، ولم يجدها نفعاً ، إذ ما ظهرت "الاستقلال" من جديد حتى عاودت نهجها السابق . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٦)

مما سبق يبدو واضحاً ، إن صحيفة "الاستقلال" كانت حريصة على أن تكون مواقفها لها تجاه القضايا الفكرية ، وقد ظلت تؤكد حرصها دوماً في مواقفها تجاه القضايا السياسية الداخلية التي شهدتها البلاد .

المبحث الثالث : موقف صحيفة الاستقلال من أبرز القضايا السياسية

أ_ موقف صحيفة الاستقلال من الحكومة المؤقتة

شعرت الحكومة البريطانية بصورة خاصة بعد ثورة العشرين ، أن حكمها للعراق بصورة مباشرة غير مجدٍ لما يكلفها من ثمن باهظ في النفقات والأرواح ، فسارعت إلى تشكيل حكومة مؤقتة "أشبه بمسرح خيال الظل" تحقق من ورائها مصالحها الذاتية ، وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠م فاتح السير برسي كوكس عبد الرحمن النقيب بقبول رئاسة الحكومة ، وبعد مشاورات أجراها السير برسي كوكس مع لفيق من وجهاء العراق وبعض الموظفين البريطانيين ، وافق كوكس في تأسيس أول حكومة عراقية برئاسة النقيب في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م مكونة من ثمانية وزراء واثني عشر وزيراً بدون وزارة . (متي عقراوي ، ١٩٣٦ ، ص ٤٠_٤١ ؛ عبد الرحمن البزاز ، ١٩٩٤م ، ص ٤٦)

قامت الحكومة المؤقتة بتقسيم العراق الى وحدات ادارية وتعيين موظف عراقي لكل وحدة ادارية ، والى جانبه مستشار بريطاني وسمحت بعودة السياسيين المنفيين من الذين ابعدوا لنشاطهم في خلال الثورة ، وعلى الرغم من ذلك فأن تشكيل هذه الحكومة لم يرضي طموح العراقيين الذين يطالبون بالاستقلال التام واقامة دولة مستقلة لهذا نظروا الى الحكومة المؤقتة بعين الشك في قدراتها على الاستجابة لمطامح العراقيين ، وأزدادت الانتقادات للأنكليز ولخططهم في العراق. (لـن كوتلوف ، ١٩٧١م ، ص ١٣٩-١٤٢)

اتضح موقف صحيفة "الاستقلال" فلم نجدها تؤيد تكوين حكومة مؤقتة ، بل كانت تهدف إلى تأليف حكومة وطنية خالصة بعيدة عن كل شائبة خضوع أو سيطرة استعمارية ، وكذلك عدم ثقنها بقدرة الحكومة المؤقتة إلى تحمل الأعباء الملقاة على عاتقها . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١١٧ ؛ عبد الرزاق عبد الدراجي ، ١٩٧٨م ، ص ١٢٧)

ولما شهدت الصحيفة أن الحكومة المؤقتة لا تملك زمام أمرها ، وان السلطات الفعلية بأيدي أصحاب النظارة ، وإنها لا تمثل أرادة الشعب ، غدت توجه لها للحكومة البريطانية الانتقادات اللاذعة وركزت بصورة خاصة على عبارة "تكوين الحكومة تحت نظارة المندوب السامي البريطاني" ، إذ قالت بصددها : "إن هذه الكلمة (النظارة) تقابل كلمة (ماندا) الأجنبية ، والتي تدل على الوصاية والانتداب والمساعدة وما غير ذلك من المعاني" . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٢٠)

وفي الواقع ، إن موقف "الاستقلال" من الحكومة المؤقتة كان امتداداً طبيعياً لخط الصحيفة ونهجها الثابت تجاه موضوع العرش العراقي ومستقبل نظام الحكم ، الموضوع السياسي المهم المطروح على بساط البحث على صعد مختلفة . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣)

ب_موقف صحيفة الاستقلال من المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٢٢م

بعد أن تم تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١م ، سارعت بريطانيا إلى فرض معاهدة على العراق عن طريق التفاوض بين الطرفين ابتعاداً عن هياج الرأي العام العراقي ، لاستبدال حكمها المباشر للعراق بحكم آخر مبطن تحكم به من وراء الستار لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية دون نفقات الاحتلال . (فاروق صالح العمر ، ١٩٧٧م ، ص ٣٨-٤٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ، ١٩٨٣م ، ص ٢٤)

ظهرت مجموعة من الأفكار السياسية في البلاد بعد تأسيس المملكة العراقية ١٩٢١م والتي حاولت فرض سيطرتها على الواقع العراقي ، فتعارضت تلك الأفكار مع السياسة البريطانية التي بدورها أرادت فرض واقعها السياسي فأخذ معظم رجال الحركة الوطنية الذين شكلوا حركة مناوئه واتخذوا موقفاً مضاداً للتوجهات البريطانية . (نقلاً عن تشارلز تريب ، ٢٠٠٦م ، ص ٣١-٣٣)

وقد أوضح الموقف البريطاني في تصريح فيشر المندوب البريطاني في العصبة ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١م ، الذي قال فيه : "إن المعاهدة المقترحة ستقوم فقط بتنظيم العلاقات بين حكومة صاحب الجلالة كدولة مندوبة وحكومة العراق العربية ولا يقصد بها أن تكون بديلاً عن الانتداب الذي سيبقى وثيقة عمل تعيين الالتزامات التي اضطلعت بأعضائها حكومة صاحب الجلالة عن عصبة الأمم" . (نقلاً عن جورج لنشوفيسكي ، ١٩٦٥م ، ص ١١)

أظهرت صحيفة "الاستقلال" براعة فائقة في توجيه الرأي العام وتحريك سير الأحداث للضغط على الحكومتين العراقية والبريطانية بهدف إلغاء الانتداب ، وتحقيق الاستقلال التام للعراق ، فنشرت الكثير من المقالات التي هاجمت بها بريطانيا والوزارات النقيبية الثلاث ، والمعاهدة والانتداب ، وطالبت بوجوب الاعتراف الرسمي باستقلال العراق قبل عقد المعاهدة، لأن المعاهدات لا تعقد إلا بين الشعوب المستقلة ، ومن هذا يتضح أن "الاستقلال" وقفت موقفاً صلباً خلال هذه المرحلة التي كان من شأنها أن تحدد مستقبل العراق السياسي . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٣٣)

تبلور موقف الحركة الوطنية عندما طرحت بريطانيا على الملك فيصل الأول عقد معاهدة ١٩٢٢م ، كصيغة بديلة عن الانتداب (نقلاً عن عبد الحليم الرهيمي ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤٤) ، وقوبلت هذه المعاهدة بمعارضة معظم القوى الوطنية ولاسيما بعد المشاورات الرسمية حول المعاهدة في ٢٩ أيلول ١٩٢١م (نقلاً عن رجاء حسين حسني الخطاب ، ص ٣٨-٤٩) ، لكن القوى الوطنية لم تقف مكتوفة الأيدي ابداً اعتراضهم مرة أخرى بعد إن أدركوا أن المعاهدة تمثل صك العبودية (جريدة الاستقلال ، العدد ٥٣ ، ١٩٢٢م) .

ومن المقالات التي أثارت دار المعتمد السامي وهزت البلاط الملكي ، المقال الافتتاحي الذي نشره عبد الغفور البديري صاحب "جريدة الاستقلال" تحت عنوان "الاستقلال يؤخذ ولا يعطى" ، وقد جاء هذا المقال في وقت كان الرأي العام كله يطالب فيه بالاستقلال الناجز وينادي بضرورة رفع يد المندوب السامي بيرسي كوكس من التحكم المفرط في سياسة الدولة الداخلية والخارجية خاصة بعد عقد الملحق الجديد للمعاهدة العراقية البريطانية في ٣ نيسان ١٩٢٣م . (خالص عزمي ، ١٩٦٩م ، ص ٨)

شرعت صحيفة "الاستقلال" خلال هذه الفترة تطالب الحكومة العراقية بإفراح المجال لتكوين الأحزاب والإسراع في السماح بتأليفها ، وذلك لقرب موعد انتخاب المجلس التأسيسي الذي سوف يصادق على المعاهدة فنجدها تقول : "الانتخابات بلا أحزاب" . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٤٣)

على أية حال ، سمحت الحكومة العراقية بتشكيل الأحزاب ، فظهر على الساحة السياسية حزبان معارضان هما : "الحزب الوطني العراقي" و "حزب النهضة" ، وقد حظي هذان الحزبان بدعم وإسناد صحيفة "الاستقلال" . (فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ١٩٧٨م ، ص ٦٦-٧١)

في حين ، طالبت "الاستقلال" الحكومة العراقية بإعطاء الحرية الكاملة إلى الشعب في أثناء إجراء الانتخابات ، فقالت : "نحن نود أن ينتخب مجلس تأسيسي بحرية كاملة لتعلن الأمة سلطتها وتظهر لأهلين والأجانب إنها مصدر السلطات وينبوع القوى التشريعية والتنفيذية وغيرها" . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، مصدر سابق ، ص ١٤٥)

ونتيجة لنداءات الصحيفة المتواصلة لبّت الحكومة تلك المطالب بإصدار بيانات وزارية لتنفيذها بلسان رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون في ١٥ تموز ١٩٢٣ م ، وفي الوقت الذي أيدت فيه صحيفة "الاستقلال" انتخابات المجلس التأسيسي انتقدت بشدة قانون الانتخابات وواضعيه ، لما لاحظت فيه من تفريق لوحدة الصف الوطني . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ١٤٧)

إن تأييد صحيفة "الاستقلال" لانتخابات المجلس التأسيسي احدث شرخاً في الحركة الوطنية استمر لفترة طويلة بعد ذلك ، خاصة في جانب القوى الحزبية ، إذ غاب عن الساحة السياسية أهم حزبين معارضين هما : "حزب النهضة" و "الحزب الوطني العراقي" مما أتاح الفرصة للحكومة العراقية لتمرير المعاهدة وتصديقها من قبل المجلس التأسيسي . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ؛ أحمد رفيق البرقاوي ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٠١-٢٠٦)

وبعد أن أصبحت الصحيفة أمام الحقيقة بأن مسودة المعاهدة لا تتفق مع المصالح الوطنية ، لم تستمر الصحيفة في مقاومة المعاهدة لكن لم نجد لها تستمر طويلاً بموقفها الراض ل هذه المعاهدة ، إذ قالت على لسان أحد محرريها ، وهو علي محمود الشيخ علي ، ما يلي : "لا أريد هنا أن أدعو أحداً إلى رفض المعاهدة ، أو إلى إبرامها لأن ذلك منوطاً بالنواب ولهم الخيار في إبرامها أو رفضها" . (نقلاً عن صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١٤٩)

وعلى ما يبدو إن هذا الموقف الأخير المعتدل للصحيفة من المعاهدة جاء على خضوعها للأمر الواقع بأن المجلس سوف يصادق على المعاهدة مهما كانت الظروف ، وأن أوان المعارضة قد فات ، هذا فضلاً عن إنها خشيت أن تغلقها الحكومة ، فكان ذلك تراجعاً آخره "الاستقلال" ، وقد التزمت صحيفة "الاستقلال" الصمت من قرار المجلس التأسيسي بالموافقة على المعاهدة في ليلة ١٠/١١ حزيران ١٩٢٤ م ، ولم تنوه بأي شيء عنها . (صالح محمد حاتم ، المصدر نفسه ، ص ١٥٠)

جـ. موقف صحيفة الاستقلال من دخول العراق في عصبة الأمم

بعد أن ناقشت لجنة الانتداب الدائمة التقرير الخاص الذي قدمه الوفد البريطاني عن التقدم الذي أحرزه العراق في المدة الممتدة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣١م ، أبدت موافقتها على قبول العراق عضواً في "عصبة الأمم" وإنهاء الانتداب عنه . (جريدة الثبات ، العدد ١٦٩٧ ، ١٩٣٢م)

وعلى اثر ذلك ، كتبت صحيفة "الاستقلال" مقالاً بعنوان "أهذا نصرهم العراق والضمانات المطلوبة منه؟" ، انتقدت فيه الوزارة والعصبة ، كما نشرت في العدد نفسه الضمانات السبع التي يجب توفرها في العراق ، معلقة كلاً على حده ، وعلى اثر مقال الصحيفة وجهت مديرية المطبوعات إنذاراً نبهت فيه مدير إدارتها بأن ما نشرته الصحيفة في هذا المقال قد مس به كرامة الحكومة ، وأوردت أموراً مخالفة للحقيقة ومضرة بالمصلحة العامة . (صالح محمد حاتم ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤)

وبالفعل فقد قرر مجلس الوزراء بعد ذلك تعطيل الصحيفة في ٧ شباط ١٩٣٢م لمدة أربعة أشهر بحجة نشرها ما يخل بالأمن الداخلي والخارجي ، ويضر بالمصلحة العامة . (جريدة الثبات ، العدد ١٦٩٨ ، ١٩٣٢م)

من خلال دراستنا إن الأفكار السياسية في صحيفة "الاستقلال" تبين لنا عدة استنتاجات أهمها : إن صحيفة "الاستقلال" لم تنشأ لخدمة مقاصد شخصية ، بل هي بنت محيطها ، أو وليد مبدأ سام تجاهد في سبيله هدفها مسماها "الاستقلال" ، ولم يتجسد هذا فقط في لفتها ونوعية المقالات والموضوعات والدراسات والتحقيقات التي نشرتها فحسب ، إذ إن لكل مضمون له شكله كما له فلسفته .

من هذا المنطلق ، إن صحيفة "الاستقلال" اندمجت جيداً في مجتمعها وأخذت تعبر عما يدور في خلد أبنائه ، بل وتحولت إن صح التعبير إلى مرآة عاكسة للرأي العام يرى نفسه فيها ، بتعبير أدق إنها كانت مرآة عاكسة لطبيعة المجتمع العراقي آنذاك بماديته وفكرياته وعواطفه وبظواهره الجائشة والباطنة ، وبمعنى آخر إنها حملت لنا واقع الصراع بأشكاله المختلفة القائمة يوم ذاك .

ثمة حقيقة تاريخية ، إن صحيفة "الاستقلال" قد أسهمت إسهاماً رائداً في التنقية النوعية للمجتمع وتحرره من الأمية المترسبة في واقعه بصورة وعي متخلف ، وقد واكبت بهذا رغبة المجتمع العراقي آنذاك في إدارة شؤونه بنفسه بحرية أوسع فكانت بذلك خير معبر عن هذه الرغبة .

هناك حقيقة طرحت نفسها في هذه الدراسة ، وهي إن صحيفة "الاستقلال" تمكنت بشكل أو بآخر من التأثير على آراء الرأي العام العراقي واتجاهاته ، ومن ثم إن "الاستقلال" وإن لم يكن لها سلطة تنفيذية تقوم بمهمة التغيير ، إلا إنها تمكنت من استخدام المؤسسات السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، لتحقيق غايتها .

ومجمل القول ، إن صحيفة "الاستقلال" صحيفة نموذجية إن لم نقل إنها مثالية قياساً بالصحف المعاصرة لها ، وأركان النموذجية فيها هي : الرأي الحر ، والنبأ الصادق ، والتمسك بهدف ثابت هو خدمة الشعب وتحقيق الاستقلال الكامل للوطن .

قائمة المصادر

أولاً: _ المصادر العربية والمعربة

١. أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، صيدا ، ١٩٤٨ م ، ص ٨٤_٨٥.
٢. تشارلز تريب ، صفحات من تاريخ العراق السياسي المعاصر ، ط ١ ، ترجمة : زينة جابر ادريس ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣١_٣٣.
٣. جورج لنشو فسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة : جعفر فرج ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٦٥ م ، ص ١١ .
٤. خالص عزمي ، من تاريخ الصحافة العراقية ، مقالات بارزة للرعييل الأول ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٩ م ، ص ٨ .
٥. خيرى أمين العمري ، حكايات سياسية من تأريخ العراق الحديث ، دار الطلال ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.
٦. رجاء حسين حسني الخطاب ، العراق بين ١٩٢١_١٩٢٧ م ، دراسة في تطور العلاقات العراقية البريطانية وأثرها في تطور العراق السياسي مع دراسة في الرأي العام العراقي السياسي ، مطبعة النعمان ، النجف ، سنة الطبع بلا ، ص ٣٨_٤٩ .
٧. عبد الحلیم الرهيمي ، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ، الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠_١٩٢٤ م) ، ط ١ ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٤٤.
٨. عبد الرحمن البزاز ، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
٩. عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، الطبعة السادسة ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
١٠. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩٢٠_ ١٩٢٤ م ، ج ٦ ، ق ١ ، دار الرشيد ، بيروت ، ٢٠١٣ م ، ص ١١١.
١١. فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية_ البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢_١٩٤٨ م ، س منشورات وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٧ م .
١٢. _____ ، الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١_١٩٣٢ م ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٧٨ م .

الأفكار السياسية في صحيفة "الاستقلال"

١٣. فيليب ويلارد إيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة : جعفر الخياط ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٩ م .
١٤. ل_ن ، كوثوف ، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق ، ترجمة : عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٧١ م ، ص ١٣٩_١٤٢ .
١٥. متي عقراوي ، العراق الحديث ، ترجمة : مجيد خدوري ، مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦ م .

ثانياً :- الرسائل الجامعية

١. صالح محمد حاتم ، صحيفة "الاستقلال" في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٥ م .
٢. فلاح حسن كزار ، حزب النهضة العراقية ١٩٢٢_١٩٣٠ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠ م ، ص ١٢٦

ثالثاً :- الصحف

١. "الاستقلال" جريدة ، بغداد ، العدد ٢٠ ، كانون الأول ١٩٢٠ م .
٢. "الاستقلال" جريدة ، العدد ١١٨٧ ، تشرين الأول ١٩٢٧ م .
٣. "الاستقلال" جريدة ، العدد ٥٣ ، ١٠ آذار ١٩٢٢ م .
٤. "الثبات" جريدة ، بغداد ، العدد ١٦٩٧ ، شباط ١٩٣٢ م .
٥. "الثبات" جريدة ، العدد ١٦٩٨ ، ٥ شباط ١٩٣٢ .
٦. "الثبات" جريدة ، العدد ١١ ، ١٣ نيسان ١٩٣٤ م .

موقف الاردن من الوجود الفلسطيني على

اراضيه ١٩٦٨-١٩٧٠

م. د. رياض خليل حسين

كلية التربية- جامعة سامراء

**Jordan's position on the Palestinian presence on
its lands 1968-1970**

**M. Dr.. Riyadh Khalil Hussein
College of Education - Samarra University**

م. د. رياض خليل حسين

المخلص:

يتناول البحث الموقف القومي للأردن الذي لم يتغير تاريخياً من القضية الفلسطينية خلال الأعوام ١٩٦٨-١٩٧١، رغم النتائج والتحديات التي واجهت الأردن بسبب التواجد الفلسطيني على أراضيه فإنه أعطى نموذجاً لثبات التوجه القومي العربي ورعايته سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

الكلمات المفتاحية: الأردن، القضية الفلسطينية، معركة الكرامة، أحداث ايلول، مشروع

روجرز

Summary:

The research deals with the national position of Jordan, which has not changed historically regarding the Palestinian issue during the years 1970-1968, despite the results and challenges that Jordan faced because of the Palestinian presence on its lands.

Keywords: Jordan, the Palestinian cause, the battle of dignity, September events, Rogers project

المقدمة:

امتازت الاردن بمواقفها القومية العروبية ولا سيما وتعهد الامير عبدالله بن الحسين إذ سعى الاخير الى المطالبة بحقوق الفلسطينيين الى جانب امارته بما يمتلكه من فكر سياسي بالرغم من الاحتلالات التي تعرضت لها المنطقة العربية برمتها ، وقد احتضنت الاردن اللاجئين واحطهم بكل مايملك من امكانيات ووسائل الاخوة ، فأتاح لهم العيش بحرية في مناطقهم في ظل شعورهم بأن الاردن يوفر لهم الحماية نظرا للعلاقات الوطيدة بين الشعبين وقد كان لجلالة الملك دور كبير في سبيل القضية الفلسطينية ، لم تقف المواقف الاردنية على الامير وحده بل تعدى ذلك الى تعاون الشعب الاردني مع الفلسطينيين وتعاطفهم مع ابناء عمومهم (العرب) او دعمهم بالمال والسلاح فكان للاردن مسؤولية تأريخيه اخذها على عاتقه ليضع بصمة عربية أصيلة الى جانب المواقف العربية الاخرى

استمر الاهتمام الاردني بالقضية الفلسطينية رغم تعرض الاردن الى المتاعب بسبب ما تعرض له قواته من فتن ومضاربات بيئية وفلسطينية فضلا عن محاولة إضعاف موقفه القومي على التنافس على الزعامة العربية

ويتجلى موقف الاردن من تلك المواقف تجاه القضية الفلسطينية والتواجد على اراضيه

من خلال تصفح ورقات البحث الذي تناول العناوين الآتية :

اولاً: العلاقات الاردنية الفلسطينية

ثانياً: دور الاردن في معركة الكرامة ١٩٦٨

ثالثاً: اسباب احداث ايلول الاسود

رابعاً: احداث ايلول الاسود

خامساً: نتائج احداث ايلول الاسود

اولاً: العلاقات الاردنية الفلسطينية

تعد العلاقة بين الاردن وفلسطين علاقة تاريخية منذ مئات السنين اقتصادياً وادارياً، فقد كانت منطقة حوران تشكل اقليماً مرتبطاً بعلاقات بيئية مع الاجزاء القريبة من فلسطين، وينطبق الامر نفسه على وجود علاقة بيئية اجتماعية وتجارية بين نابلس والسلط، وبين الكرك والخليل وغزة، وتعايشت على تلك الارض فئات سكانيه بدوية وقروية زراعية، ومدنية

صغيرة، تتمتع بمكونات ثقافية، وعصبيات مختلفة تحدها في الاساس أنماط الحياة المختلفة لتلك الفئات السكانية، وأدى اقحام المنطقة في الصراعات الدولية الخارجية في تقسيم الارض الواحدة، إذ بدأ الاستعمار (الاسرائيلي) بوضع الاسس الموضوعية لأجل تفريق المجتمع العربي مما دعى العرب الى الاهتمام ببروز الهوية الوطنية والقومية^(١).

وفي نهاية آذار عام ١٩٢١ اقترح الامير عبدالله بن الحسين^(٢) اثناء اجتماعه في القدس مع وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل^(٣) أن تكون فلسطين وشرقي الاردن تحت حكم أمير عربي، لكن تشرشل رفض مقترحه مما دفع الامير عبدالله الى تثبيت دعائم كيان إمارته رغم عدم إهماله القضية الفلسطينية بوصفها مطلباً عربياً وبالإمكان استثمارها عنصراً مؤثراً في السياسة الخارجية الاردنية وفي العلاقة مع بريطانيا، وكان موقف الامير عبدالله من قضية فلسطين واضحاً وذلك من خلال المفاوضات التي عقدت في لندن عام ١٩٢٥ مع بريطانيا بخصوص استقلال شرقي الاردن، اذ عبر العرب والامير عبدالله عن خوفهم من تدفق المهاجرين اليهود الى فلسطين^(٤).

وعلى أثر ذلك شارك الاردنيون إخوانهم الفلسطينيين في التظاهرات ضد هجرة اليهود الالمان الى فلسطين عام ١٩٣٠، وقام سكان شرقي الاردن تزويد الفلسطينيين بالمال والسلاح وتجنيد المتطوعين للقتال الى جانب الثوار الفلسطينيين^(٥) ولذلك كانت العلاقة بين الاردن وفلسطين علاقة خاصة مرتبطة بالجغرافية والتاريخ، وتفاعل الأردنيون حكومة وشعباً مع القضية الفلسطينية منذ ظهورها فأثروا فيها وتأثروا بها، وبقيت أحداث فلسطين تثير ردود فعل قوية في الأردن مثلما كانت أحداث الأردن تجد صداها في فلسطين نتيجة لذلك تحملت الحكومات الأردنية مسؤولية الدفاع عن القضية الفلسطينية بالاشتراك مع الدول العربية الأخرى وتعرضت الى متاعب كثيرة في تصديها للاعتداءات (الإسرائيلية) المتوالية نتيجة ذلك^(٦).

بدأ مصطلح العلاقات الفلسطينية الأردنية يظهر بشكل واضح بعد قيام (إسرائيل) نتيجة لتحولات في الشرق الأوسط، وأدت الى قيام وحدة الضفتين في عام ١٩٥٠ بعد نجاح التيار الأردني الفلسطيني الداعي الى قيام تلك الوحدة، وساعدت تلك الوحدة في أضعاف الكيان الفلسطيني التي كانت تحت الإدارة المصرية، وذابت الهوية الفلسطينية في دولة الوحدة بين

الضفتين الشرقية والغربية حتى عام ١٩٦٤، حين عادت من جديد وبقوة بعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية بإعلان مسؤولياتها عن سلسلة من التفجيرات الموجهة ضد المباني الحكومية في عمان والقدس الى قيام الحكومة الاردنية يوم السابع من كانون الثاني عام ١٩٦٧ الى اغلاق مكاتب المنظمة في الأردن واعتقال مسؤوليها المتبقين في الأردن والى سحب الاعتراف بالمنظمة^(٧) وشكلت حرب عام ١٩٦٧ بعد احتلال (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية منعطفاً تاريخياً كان له آثاره الجذرية على صعيد العلاقة الأردنية الفلسطينية، ولأول مرة منذ الوحدة بين الضفتين ظهر ما يسمى بالعلاقة الفلسطينية الرسمية، وبرز التنافس على تمثيل فلسطيني أردني بين فصائل المقاومة الفلسطينية بأشكالها الأولية المختلفة وبين الحكم في الأردن انعكست العلاقة على المستوى الشعبي فبرزت الهوية الفلسطينية في الوسط الذي كانت تسعى الحكومة جاهدة لأردنته وحدث الشرخ الذي أسس البدايات للعمل السياسي المنظم على أساس إقليمي^(٨).

فقد ارتفعت الحركة الوطنية الفلسطينية بزعماء المنظمة الفلسطينية الى مكانة بارزة بعد حرب ١٩٦٧، وحاولت أن تستخدم الأردن كقاعدة لنشاطاتها، لكن عندما أصبحت الحركة الوطنية الفلسطينية تقوم بعملها كدولة داخل دولة حاولت بعض الجماعات أن تحول عمان الى عاصمة فعلية لها وضرخوا بقوانين الأردن عرض الحائط كما تحدوا السلطة الأردنية، وكان الفدائيون يسيطرون سيطرة تامة على مخيمات اللاجئين وقاموا بإظهار أسلحتهم بصورة مكشوفة^(٩).

ثانياً: دور الاردن في معركة الكرامة ١٩٦٨

تعد معركة الكرامة^(١٠) واحدة من المعارك الفاصلة وذلك لأن الجيش العربي المكون من الجيش الأردني والمنظمات الفلسطينية انتصر على (إسرائيل) وذلك عندما قامت (إسرائيل) بهجوم على أراضي الضفة الشرقية في الحادي والعشرون من آذار ١٩٦٨^(١١)، على الرغم من أن (إسرائيل) استخدمت الأسلحة الثقيلة من الدبابات ومشاة ولا يخفى دور سلاح الجو، فقد كان قادة المنظمات الفدائية على اطلاع تام بتلك الإجراءات، في عملية التنسيق المتبادلة مع القوات المسلحة الأردنية، وتم الاتفاق بين الطرفين على الصمود بوجه

القوات (الإسرائيلية) وإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوف العدو (الإسرائيلي) المعتدي، فضلاً عن ذلك قامت الحكومة الأردنية الى نقل سكان مدينة الكرامة لأماكن أكثر أمناً^(١٢).

وبدأت القوات (الإسرائيلية) بالهجوم على مدينة الكرامة لأنها عدتها معقل الفدائيين الذين يقومون بعمليات هجومية ضد (إسرائيل)^(١٣).

ويتمثل السبب المباشر لمعركة الكرامة في انفجار لغم على حافلة (إسرائيلية) تنقل طلاب المدرسة من تل أبيب في صحراء النقب، وفي آذار ١٩٦٨ أدى الى مقتل اثنين منهم وإصابة ثمان وعشرون آخرين بجروح بليغة^(١٤) مما دفع (إسرائيل) الى مهاجمة الأراضي الأردنية في عملية انتقامية تميزت بكثافة القوات المهاجمة حتى اعتقد الكثير أن (إسرائيل) تستعد لاجتياح الضفة الشرقية^(١٥).

وقام الملك الحسين^(١٦) بعقد اجتماع مع كبار قادة الجيش الأردني وقرر ذلك في الاجتماع مواجهة الاعتداء (الإسرائيلي) لأن خط الدفاع عن وادي الأردن والمرتفعات المطلة عليه هو خط الدفاع الأول والأخير، وثم الاتفاق بين الطرفين على ضرورة الصمود بوجه العدوان (الإسرائيلي)^(١٧) فكانت معركة لها عدة نتائج أسفرت عنها قيام الملك حسين بتنظيم القوات المسلحة الأردنية، فقام بعدة إجراءات منها إلغاء منصب القائد العام ومنصب نائبه وتبديله بمنصب هيئة الأركان ولا يخفى دور الملك الحسين في إدارة المعركة ومعاونيه العسكريين الفريق الركن عامر خماس واللواء المشهور حديثه الجازي^(١٨).

ومن منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات^(١٩)، وصلاح خلف والفريق خليل الوزير^(٢٠). كما أصبح الجيش الأردني متكاملًا من حيث التنظيم والتجهيز في العدة والعدد، جعلته يتميز بكفاءة عالية ومهارات قتالية متميزة^(٢١)، وكان لها أيضاً نتائج على الصعيدين العربي و (الإسرائيلي)، وأيضاً أعاد ذلك النصر الثقة بالنفس لدى الشعب العربي وأيقن أن عزيمته وشجاعته أقوى من التفوق العسكري (الإسرائيلي)، وكذلك عززت في اعتماد العرب على أنفسهم وتعبئتهم العسكرية والبشرية في اختيارهم القادة وتنظيمهم للجيش والخطط التي اتبعوها في المعركة^(٢٢).

ثالثاً: اسباب احداث ايلول الاسود

ازداد تحرك الولايات المتحدة الامريكية على نطاق المبادرات السياسية في المنطقة بعد تصاعد حرب الاستنزاف التي كبدت (إسرائيل) خسائر كثيرة، لذا تقدمت بمبادرات جديدة عن طريق وزير خارجيتها وليام روجرز^(٢٣)، الذي عرض مشروع تسوية ثنائية بين مصر و (إسرائيل) وكان أول ظهور لها في كانون الأول ١٩٦٩، واعلنت بصورة رسمية في التاسع عشر من حزيران ١٩٧٠، وجاءت في المرة الثانية لعرض تسوية ثنائية أخرى بين الأردن و (إسرائيل)، ويعتمد مشروع روجرز على وقف اطلاق النار لمدة تسعين يوماً وتطبيق القرار (٢٤٢) وتضمن نقاط قدمها الى الملك حسين تضمنت^(٢٤):

١- إنهاء حالة الحرب، وعدم القيام بأي عمليات هجومية أو التشجيع إليها عبر وثائق سلام دائمة يتم تقديمها الى الأمم المتحدة، وان تكون (إسرائيل) والأردن وفق ميثاق الأمم المتحدة.

٢- التأكيد على حرية الملاحة في الممرات المائية.

٣- ترسيم الحدود النهائية بين الاردن(واسرائيل) كما كانت ايام الانتداب البريطاني على فلسطين .

٤- إيجاد حل حقيقي لمعاناة اللاجئين، وأن تكون القدس موحدة لجميع الطوائف والأديان، رفضت (إسرائيل) المبادرة الأمريكية في بادئ الأمر لأنه لم يتضمن المشروع في مفاوضات مباشرة بشأن المشكلة، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر^(٢٥) في الثاني والعشرون من تموز ١٩٧٠ على المبادرة الأمريكية، والملك حسين في السادس والعشرون من تموز اعتماداً على قرار (٢٤٢) لأجل ضمان انسحاب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي المحتلة من دون استثناء، واستعادة الحقوق العربية وحقوق الشعب الفلسطيني^(٢٦) مما أدى الى إثارة عدد من الدول العربية ومنها سوريا والعراق، واتهمت المنظمات الفدائية الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر بخيانة القضية العربية، ونتيجة للضغوط السياسية داخل الحكومة (الإسرائيلية) والضمانات التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، لأجل قبول المشروع اضطرت (إسرائيل) لتغيير موقفها والموافقة عليه في الحادي والثلاثون من تموز ١٩٧٠^(٢٧)، أحدثت تلك المبادرة

شقاً واضحاً، وظهر خلاف بشكل حاد في وجهات النظر بين وجهات الملك الحسين والرئيس جمال عبد الناصر وذلك للتواصل الى حل سلمي للأزمة عن طريق المبادرة الدولية وبين نهج المنظمات الفدائية التي أعلنت رفضها لتلك الوساطة السياسية التي اتخذت من العمل

المسلح خياراً لاستعادة الأراضي المحتلة^(٢٨)، كانت مبادرة روجرز في الحقيقة خطوة أولى على طريق تجزئة الصراع العربي (الإسرائيلي) الى قضايا مصرية وأردنية على أساس القرار (٢٤٢)، وبإشراف الممثل الشخصي للأمم المتحدة يارنغ^(٢٩)، لأجل توجيه الصراع العربي (الإسرائيلي) بما يخدم مصالحها للحفاظ على ميزان القوى لصالح (إسرائيل)^(٣٠). في حقيقة الامر ان أحداث أيلول الأسود لم يكن أسود على الشارع الفلسطيني أو الأردني فقط، بل امتد سواده ليشمل كافة الساحة العربية^(٣١)، وكانت لهزيمة العرب في ١٩٦٧، والصراع الذي حدث بعد معركة الكرامة حينما انتصر العرب على (إسرائيل)، وكانت غاية (إسرائيل) وهدفها الوحيد المرسوم بدقة هو احتلال جبال السلط ومرتفعات جلعان المطلة على الضفة الغربية وجعلها جولان جديدة^(٣٢).

قام الفدائيون بتشكيل المنظمات الفدائية، لتحل محل الجيوش النظامية للدول العربية في مواجهة (إسرائيل) لإرجاع الأراضي المحتلة فكانت الأراضي الأردنية القريبة (إسرائيل) والضفة الغربية تشكل نقطة استراتيجية في نظر الفدائيين ليقوموا بهجمات على (إسرائيل)^(٣٣)

قامت المنظمات الفدائية ما بين عامي ١٩٦٨-١٩٦٩ بأكثر من خمسمائة اشتباك عنيف حدث بين الفصائل الفلسطينية، وقوات الأمن الأردنية، وأصبحت اعمال العنف والخطف تتكرر بصورة مستمرة^(٣٤) وإن حالة الشرخ العربي ظهرت بوادرها أثر موافقة الرئيس عبد الناصر على مشروع روجرز، ونظراً لأن المقاومة الفلسطينية كانت الطريق النضالي الوحيد الذي لا تحده قيود ولا انظمة ولا قوانين، فقد كانت تستقطب في كل يوم المزيد من الانصار على الساحة العربية لدرجة كادت فيها أن تسحب زعامة العالم العربي من الرئيس جمال عبد الناصر بعد موافقته على مشروع روجرز^(٣٥).

اتبعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، شكلاً جديداً من العمليات المتمثلة بخطف الطائرات الغربية، وإجبارها على الهبوط في الأراضي الأردنية^(٣٦)، إذ تم خطف طائرتين سويديتين في السادس من أيلول ١٩٧٠، تم إنزالهما في أحد مطارات الأردن واختطاف طائرة أخرى تابعة للخطوط الجوية الأمريكية هبطت في مطار القاهرة، وفي التاسع من أيلول خطف الفدائيون طائرة بريطانية تم إنزالها الى جانب الأخرتين في الأردن^(٣٧).

فقام المختطفون بإخلاء سبيل الرهائن، لكنهم اشتروا إطلاق سراح الذين يحملون جنسيات مزدوجة أمريكية و (إسرائيلية) مقابل إطلاق سراح الفلسطينيين المحتجزين في السجون الألمانية والسويسرية والبريطانية^(٣٨)، وتم تفجير الطائرات المختطفة في الثاني عشر من أيلول، على الأراضي الأردنية وتم إطلاق سراح الرهائن المحتجزين ما عدا اربع وخمسين رهينة^(٣٩).

أمر الملك حسين بنقل تعزيزات عسكرية الى عمان، لأجل الاستعداد لفرض سلطة الدولة الأردنية على اراضيه، وعلى أثر ذلك أنقسم مستشاروا الملك حسين الى فريقين في ذلك الشأن فبعضهم طالبوه باستخدام القوة في ردع الفدائيين، في حين حذر آخرون من أن ذلك الامر سيؤدي الى خسائر بشرية كبيرة من الفدائيين^(٤٠).

الا ان فقدان السلطة الفعلية للملك حسين جعلته ينساق الى العمل العسكري في معالجة اوضاع البلاد المتردية^(٤١).

وبما ان حركة^(٤٢) فتح تمتعت بأعداد شعبية كبيرة بين صفوف الفدائيين ولا سيما بعد ان اصبح ياسر عرفات رئيساً للمنظمة فان عملياتها ازدادت عبر نهر الأردن متجاهلين السلطة الأردنية، كما نشر الفدائيون شعارات رفع معنويات العمل الفدائي داخل الأردن، وكانوا يركبون سيارات غير مرخصة ويرفضون الوقوف في مراكز التفتيش ويتجولون بأسلحتهم في المدن، وتدرجياً نشأت ازدواجية في السلطة وصعب على الحكومة الأردنية احتواء العمل الفدائي لتفادي الفوضى في وقت مالت فيه المقاومة في الأردن أن تصبح دولة داخل دولة^(٤٣)، والذي زاد من تعقيد الامر وصعوبته أن بعض المنظمات الفدائية، أخذت تنافس السلطة الأردنية، بل أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين^(٤٤) التي يرأسها جورج حبش^(٤٥) عملت على قلب نظام الحكم في الأردن واسقاط الملك الحسين^(٤٦).

حاول الرئيس جمال عبد الناصر أن يفهم الفلسطينيين أن يتركوا الملك حسين وشأنه لأن اسقاطه ليس من صالحهم، وعندما زار ياسر عرفات القاهرة في الخامس والعشرون من آب ١٩٧٠ حذره عبد الناصر من استقزاز الحكومة الأردنية لأن ذلك يدفعها الى تصفية المقاومة في الأردن، ولم يكن الملك حسين يستمع عندها لنداءات الحكومة المصرية لأنه يعرف جيداً ان المقاومة تعمل على عزله عن العرش واغتياله^(٤٧).

بالرغم من التحذيرات التي وجهها الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين الى المنظمات الفلسطينية ألا أن ذلك لم يجد نفعاً إذ قام عدد من عناصر تلك المنظمات في الأول من أيلول ١٩٧٠ بإطلاق النار على موكب الملك حسين وهو في أحد الطرق محاولين بذلك قتله، وعلى أثر ذلك توترت الأمور وأخذ الجيش الأردني ينتشر في مناطق عمان بالمقابل نشط الفدائيون في تحصين مراكزهم وسد الطرق المؤدية اليهم ولم يمضي الوقت حتى حصل الصدام بين الطرفين^(٤٨). من أجل تهدئة الأوضاع وجهت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير في الثاني من أيلول برقية الى الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الخالق حسونة تطلب منه إشعار ممثلي الدول العربية بظروف الوضع الخطير في الأردن والعمل على منع نشوب حرب أهلية فيه، وقد ابدت الدول العربية رأيها بضرورة منع الصدام بين المقاومة والسلطة الأردنية، وفي يوم الخامس من أيلول قررت الجامعة العربية ارسال لجنة خماسية الى الأردن لحل الأزمة^(٤٩).

رابعاً: أحداث أيلول الأسود

يمكن وصف أحداث أيلول بالأحداث الدموية لأنها كانت مأساة حقيقية بين العرب انفسهم في تلك الفترة^(٥٠). اذ دارت المعارك في الشوارع استمرت لعدة أيام مع الفدائيين الفلسطينيين والجيش العربي الذي عسكر في محافظة المفرق الأردنية منذ حرب ١٩٦٧، تميزت بشدتها وعنفوانها طوال المدة التي استغرقتها الاشتباكات بين الطرفين، وفي الخامس عشر من أيلول ١٩٧٠ اعلنت المنظمات الفدائية مدينة أربد عاصمة لهم، وتتصيب ياسر عرفات، قائداً عاماً لمدينة أربد المستقلة التي عدوها منطقة محررة تحت إدارة شعبية^(٥١).

قام الجيش الأردني بمهاجمة مواقع معسكرات الفدائيين تمهيداً لطردهم خارج الاردن ولم يقف الامر عند ذلك الحد انما بادرت عدد من الدول العربية الى اعلان العداء مع الأردن نتيجة

للطريقة التي عالج فيه وضع الفلسطينيين في الأردن ومنها العراق الذي هاجم الحكم الأردني اعلامياً وبشدة الى جانب مصر وسوريا، وقامت القوات العراقية الموجودة في الأردن بالسيطرة على قاعدة المفرق ومنعت انطلاق الطائرات الأردنية من مطارها لمهاجمة المقاومة أو القوات المدرعة السورية التي تقدمت في شمال الأردن وقدمت المساعدات والتسهيلات للمقاومة الفلسطينية من الأردن^(٥٢)، ومن الطبيعي أن ينعكس تأثير تلك الأحداث نحو عودة العلاقات العراقية-الأردنية، التي اصابها الفتور والتباعد والاهمال، إذ كانت الرؤيا العراقية للأردن وأرضه بأنها معبر وقاعدة حشد وانطلاق لتحرير فلسطين وليس بضرب منظمة التحرير الفلسطينية، وأن ذلك الدور مصيري بالنسبة لها^(٥٣).

اتفق الملك حسين وياسر عرفات بعد ثلاثة أيام من المفاوضات على برنامج وقف اطلاق النار وفق الشرطين الآتيين^(٥٤):

- ١- اتفاق الجانبين على العودة الى القواعد.
- ٢- الالتزام بإطلاق سراح المعتقلين.

رفضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الانصياع لاتفاق وقف اطلاق النار، وقامت بمهاجمة فندقين في عمان، واحتجزت عدد من الرهائن الاجانب، وهددت بنسف البنائيتين، وقد طالبوا ناصر بن جميل^(٥٥)، والشريف زيد بن شاكر^(٥٦)، بحل وحدة القوات الخاصة وامام ذلك الأمر، ثم أصدر قراراً بإعفائهما، وتعيين اللواء مشهور حديثاً الجازي بدلاً منهما، الذي تسلم قيادة الجيش الأردني، ثم طالبت المنظمات الفدائية بإقالته بعد مدة وجيزة من تسلمه ذلك المنصب^(٥٧).

وسط تسارع الأحداث وجه هجومه الشامل على معازل الفدائيين^(٥٨)، وفي أنحاء البلاد، وكان ذلك الخيار الوحيد المتبقي لدى الملك حسين، بعد استنفاد وسائل الدبلوماسية كافة^(٥٩)، لكنه قبل ذلك، عين حكومة عسكرية، برئاسة محمد داود الذي ينحدر من اصل فلسطيني، إلا أنه كان حريصاً على سلام العرش الهاشمي^(٦٠).

اعلن الملك حسين الأحكام العرفية للسيطرة على الموقف، وتم اغلاق جميع المحلات التجارية، وإغلاق المجال الجوي الأردني، واعلان حضراً للتجوال في مطار عمان، وفي اليوم السابع عشر من أيلول انطلقت الدبابات والمدرعات الأردنية لإعادة السلطة الأردنية، وحدثت

اشتباكات عنيفة بين الجيش الأردني والفدائيون كان من نتيجتها وقوع عدد كبير من الضحايا بين صفوف الطرفين^(٦١).

واستمرت المعارك عدة أيام تخللتها مفاوضات بين الطرفين دون ان تؤدي الى حل للأزمة^(٦٢)، وفي الثامن عشر من أيلول، عبرت مدرعات ودبابات سورية الحدود الأردنية متجهة نحو مدينة أربد، واشتبكت القوات الأردنية مع المدرعات السورية، وبعد استهداف الطائرات الأردنية لتلك المدرعات فإنها تعرضت الى خسائر فادحة واضطرت الى الانسحاب في الثالث والعشرون من أيلول، والتي هدفت الى مساندة الفدائيين في الإطاحة بعرش الملك حسين، لذا عقد الملك حسين اجتماعاً مع حكومته، كان الغرض منه التشاور في شأن الحصول على مساعدة خارجية، لدرع الخطر السوري الذي يهدد البلاد^(٦٣).

وبعد تأييد الحكومة لذلك، أرسل برقية الى الدول الغربية إزاء التدخل السوري في شؤون البلاد، واستجابت الولايات المتحدة لطلب الملك حسين إذ أرسل وزير الخارجية الامريكى وليم روجرز تحذيراً الى الحكومة السورية تضمن إنذاراً من الولايات المتحدة الامريكية بعدم التدخل بشؤون الداخلية للأردن^(٦٤).

ارسل الملك حسن برقية اخرى الى الزعماء العرب، وضح خلالها السياسة السورية الفدائية ضد بلاده معبراً عم امله في الوصول الى اتفاق سلمي للأزمة^(٦٥).

خامساً: نتائج احداث أيلول الأسود

كان لأحداث أيلول ١٩٧٠ التي حدثت بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية الأثر الكبير في دفع الملك حسين الى التفكير في العمل على اعادة^(٦٦)، ترتيب البيت الأردني أثر الصدام المسلح بينها وبين فصائل المقاومة وانضمام جزء من العاملين في القوات المسلحة والاجهزة الأمنية من الأوربيين في الجيش والأجهزة المدنية^(٦٧).

وتم طرد مئات الموظفين خلال أربعة أشهر من شهر تشرين الثاني ١٩٧٠ الى آذار ١٩٧١، وقد اتهم ياسر عرفات حكومة وصفي التل^(٦٨) بتنفيذ سياسة أردنه الأردن، وعلى أثر ذلك قام الرئيس جمال عبد الناصر في يوم الثاني من أيلول بعقد مؤتمر في القاهرة^(٦٩)، لوقف إطلاق النار، واستجابت الدول العربية لتلك الدعوة ما عدا (الجزائر والمغرب

(والعراق)، وفي الثاني والعشرون من أيلول انعقد المؤتمر في القاهرة وسط توتر بالغ بسبب تلاحق الأحداث في الأردن^(٧٠).

وعلى أثر ذلك قام الرئيس عبد الناصر باتصال هاتفى مع الملك حسين واتفقا على ارسال وفد الى عمان ينوب عن المؤتمر برئاسة الرئيس السوداني جعفر النميري^(٧١). وعضوية السيد الباهي الأدغم^(٧٢)، رئيس وزراء تونس، والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح^(٧٣)، والفريق محمد أحمد صادق وكانت مهمة الوفد العمل على ايقاف اطلاق النار فوراً^(٧٤).

وعندما وصل الوفد في يوم الثالث والعشرون من أيلول اجتمع الملك حسين وبدأ بوضع شروط لوقف إطلاق النار تمثلت بحصر نشاط الفدائيين في خطوط الهدنة مع (إسرائيل) والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية دون غيرها من المنظمات، الا إن تلك الشروط رفضت من قبل ياسر عرفات، وبالتالي رجع الوفد دون أن يحقق أي نتائج^(٧٥)، عندما ظهر اتجاه تبناه الرئيس الليبي معمر القذافي^(٧٦) يدعو الى ارسال قوات مسلحة عربية للدفاع عن المقاومة الفلسطينية ضد القوات الأردنية واعتراض الرئيس عبد الناصر على ذلك محتجاً بأن مهمة الوفد هنا هي وقف القتال وليس توسيعه، وفي نهاية النقاش استطاع عبد الناصر أن يقنع المحتجين بضرورة استمرار الحوار مع الملك حسين وليس مقاطعته ومن هنا وافق المجتمعون إرسال وفد باسمهم الى عمان^(٧٧).

ومرة اخرى سافر الوفد الى عمان في يوم الرابع والعشرون من أيلول برئاسة جعفر النميري والتقى بالملك حسين في قصر الحمراء، وبعد إن أتم الوفد لقاءه مع الملك توجه الى مقر السفارة المصرية لمقابلة ياسر عرفات وخلال المباحثات طيلة اليوم استطاع الوفد أن يوقف القتال ويعود الى القاهرة، وفي اليوم التالي عاد بصباحة ياسر عرفات الا ان القتال لم يلبث ان تجدد^(٧٨)، عند ذلك ارتفعت حدة المناقشات داخل المؤتمر وطلب الرئيس الليبي من الرؤساء والملوك المجتمعين أن يعلنوا فوراً مقاطعة عربية شاملة للأردن، ولكن الرئيس عبد الناصر اعترض على ذلك الطلب مؤكداً خطورة ذلك الاجراء لأن المقاطعة تعني ترك الملك حسين يذهب في قتاله مع المقاومة الى آخر المدى، فضلا عن ان (إسرائيل) تنتهز تلك الفرصة عسكرياً وبشكل مباشر^(٧٩).

تمكن الرئيس عبد الناصر أن يقنع المؤتمرين بأن يرسل برقية باسمهم الى الملك حسين في يوم الخامس والعشرون من أيلول يؤكد فيها رفض المؤتمر استمرار عملية القتال ضد المقاومة مبيناً القلق الشديد الذي انتاب رؤساء الدول العربية جراء ما ورد في تقرير الرئيس جعفر النميري الذي كشف عن جملة حقائق من بينها ان هناك إصرار من جانب النظام الأردني على مواصلة القتال بالرغم من كل المحاولات التي بذلت^(٨٠).

بالمقابل رد الملك حسين على البرقية بمكالمة هاتفية أجراها مع الرئيس عبد الناصر أكد من خلالها أن ما ورد في تقرير جعفر النميري كان تحريضاً، ثم طلب من جمال عبد الناصر الحضور الى القاهرة ليوضح موقفه للزعماء العرب، وقد وعده عبد الناصر أن يهيئ الجو المناسب لحضوره، وبعد مناقشات طويلة استطاع عبد الناصر إقناع الزعماء العرب بضرورة حضور الملك حسين^(٨١).

وفي صباح اليوم السابع والعشرون من أيلول وصل الملك حسين الى القاهرة، وكان باستقباله الرئيس عبد الناصر وعلى الفور اجتمع الملوك والرؤساء بحضور الملك حسين وياسر عرفات، واستمر الاجتماع أكثر من خمس ساعات بذل خلالها الرئيس جمال عبد الناصر جهداً استثنائياً في تهدئة النقاشات وتقريب وجهات النظر الى ان تم التوصيل الى اتفاق جماعي رسمي عرف بـ (اتفاق القاهرة)^(٨٢)، تضمنت أربعة عشر بنداً وصادق عليها الملوك والرؤساء العرب المجتمعين وأهم ما جاء فيها هو إيقاف إطلاق النار، وإنهاء كافة العمليات العسكرية والحملات الاعلامية بين الطرفين مع انسحاب جميع القوات الأردنية والفدائية من عمان، وإطلاق سراح جميع المعتقلين لدى الجانبين، وان تتحمل سلطات الأمن الداخلي حفظ الامن الداخلي تحت أمارة المدينة، وتكليف لجنة برئاسة الباهي الأدغم رئيس الوزراء التونسي وعضوية شخصين أحدهما يمثل الحكومة الأردنية والثاني يمثل المقاومة الفلسطينية تقوم تلك اللجنة بالسفر الى الأردن لمتابعة تنفيذ الاتفاقية^(٨٣).

بعد ان تشكلت حكومة وصفي التل قام الجيش الاردني بمحاولات لبسط سيطرته على المناطق التي كانت تسيطر عليها قوات الفدائيين وفي شهر آذار عام ١٩٧١ انسحب بقايا فدائيين من احياء عمان واريد وبعد خروج الفدائيين من المناطق الاردنية بشكل نهائي فقدت

المقاومة الفلسطينية الجبهة الاردنية كمركز وانطلاق النشاط المسلح ضد (إسرائيل) داخل الاراضي المحتلة^(٨٤).

كانت أحداث أيلول ١٩٧٠ من أكثر السنوات شدة وخطورة في تاريخ الأردن المعاصر، لأن الخطر كان داخلياً وخارجياً في آن واحد واشتد يوماً بعد يوم بعد فشل المبادرات السلمية التي اتخذها الملك حسين مع الفدائيين الذين لم يتقيدوا بالقوانين السارية في البلاد وأصبحوا قوة تتنافس القوات المسلحة الأردنية، وعلى أثر ذلك أضطر الملك حسين على استعمال قوة جيشه لإعادة السلطة والامن في بلاده، مما أدى بالنهاية الى خروج الفدائيين من الأردن وبشكل نهائي واغلاق أهم جبهة عربية في وجه العمل الفدائي الذي كان أثرها على الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية (إسرائيلية)^(٨٥).

الخاتمة :

من خلال ما تقدم يمكن التوصل الى النتائج الاتية:

- ١- كان للأردن موقف موحد من القضية الفلسطينية قبل ولادتها الى خير الوجود وتحولها الى قضية دولية.
- ٢- شط الأردن بمواقفه العربي وتمسكه بفلسطين الجارة التي لا غنى عنها الى جانب مواقف اخوانهم العرب.
- ٣- امتاز الأردن بموقفه الموحد شعباً وحكومة من خلال المطالبة الرسمية تارة والدعم والقتال الى جانب فلسطين تارة ثانية.
- ٤- اظهرت المواقف العصبية التي مر بها العرب ولا سيما فلسطين حنكة امراء الأردن المتمثلة بالملك حسين في الإدارة والوقوف بوجه الاعتداءات التي تعرض لها الشعب الفلسطيني.
- ٥- لم تشن الانشقاقات التي تعرضت لها القوى المسلحة والانشطارات والاغراءات لم تشن عزيمة الأردن في توحيد جهودها من أجل ثبت مواقفها القومية ورعاية الفلسطينيين على اراضيها.

المصادر والمراجع:

- ١- علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر عن الأمانة ١٩٢١-١٩٤٦، عمان، ١٩٧٣، ص ١٠٤.
 - ٢- عبدالله بن الحسين (١٨٨٢-١٩٥١) هو الابن الثاني للشريف الحسين بن علي، أنهى دراسته في إسطنبول، مثل الحجاز في مجلس المبعوثان العثماني، وهناك بدأ اهتمامه بالقضية العربية، وفي شباط ١٩١٤، كلف بالاتصال باللورد كتنشر المندوب السامي البريطاني في مصر لأول مرة وطلب منه ن يبين له إمكانية مساعدة بريطانيا للشريف الحسين بن علي في حال ثورته على العثمانيين، كما كان أحد قوات الثورة العربية عام ١٩١٦، وتمكن من تحرير مدينة الطائف ثم عين بعد ذلك وزيراً للخارجية في الحكومة الحجازية، استطاع أن يؤسس دولة في الأردن في آذار عام ١٩٢١، أركان مهدي السعيد، العلاقات السياسية المصرية الأردنية ١٩٥٨-١٩٧٠، رسالة ماجستير (غير منشورة)، المعهد الدبلوماسي الأردني، ٢٠٠٣، ص ٨.
 - ٣- ونستون ليونارد سبنسر تشرشل: ولد في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٧٤-٢٤ كانون الثاني ١٩٦٥ في لندن، هو رئيس وزراء المملكة المتحدة من العام ١٩٤٠ وحتى العام ١٩٤٥، وفي عام ١٩٥١ تولى تشرشل المنصب ذاته الى عام ١٩٥٥، يعد تشرشل أحد أبرز القادة السياسيين الذين ظهروا على الساحة السياسية خلال الحروب التي اندلعت في القرن العشرين، قضى تشرشل سنوات حياته الأولى ضابطاً بالجيش البريطاني، ومؤرخاً، وكاتباً، بل وفناناً، محمد يوسف القرشي، ونستون ودوره في السياسة البريطانية حتى عام ١٩٤٥، ٢٠١٢.
 - ٤- سليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، (١٩٠٠-١٩٠٩)، عمان ١٩٨٨، ص ١٩٣.
 - ٥- بلال حسن التل، الأردن محاولة للفهم، عمان، ١٩٧٨، ص ١٢١.
 - ٦- علي محافظة، المصدر السابق، ص ١٠٧.
 - ٧- يزيد يوسف الصائغ، الأردن والفلسطينيون، دراسة في المصير والصراع الحتمي، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٨٧، ص ٥٢.
- مركز الدراسات الاستراتيجية، العلاقات الأردنية الفلسطينية " البعد الداخلي"، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥، ص ٧-٨، أدت حرب حزيران ١٩٦٧ الى خسائر اقتصادية لموارد الاردن الطبيعية وفرضت هجرة جماعية كبيرة من فلسطين الى الأردن فزاد عدد السكان والقوى المعاملة بشكل يفوق زيادة الموارد، كانت نتيجة عجز في الميزان التجاري، لذلك فقد الاعتماد على المساعدات والمنح والقروض الخارجية وفقد الأردن التكامل الاقتصادي مع الضفة الغربية وقطاع غزة ومنع دخول السلع الأردنية الى السوق الفلسطينية نظراً لتحكم (إسرائيل) بالحدود

- ٨- ينظر: إبراهيم بطاينة، العلاقات الاقتصادية بين المملكة الاردنية الهاشمية والسلطة الوطنية الفلسطينية، مجلة اليرموك، عمان، العدد ٦٦، ١٩٩١، ص ٤.
- ٩- أمين عواد مهنا بتي حسن، التحديث والاستقرار السياسي في الأردن، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٩٨٩، ص ١١٦. Public Record office, wise.
- Hussein king to London 1967, Refs, CAB 1331364, London, 1967, No.40, p.3.
- ١٠- الكرامة: مدينة واقعة في أراضي منخفضة في منطقة الاغوار الأردنية تحدها من الجانبين سلسلتين من الجبال الشرقية والغربية، وفي تلك الأراضي لا يصلح فيها عمل الآيات والمدركات وبين دور المنشأة ويكون أكثر فعالية، للتفاصيل ينظر: بكر عبد المجيد، سياسة الملك حسين بن طلال تجاه الصراع العربي (الاسرائيلي)، ١٩٦٧-١٩٧٣، جامعة سامراء، كلية التربية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ٢٠١٤، ص ٩٨.
- ١١- قاسم محمد صالح، الجيش العربي الهاشمي ودوره في الحروب العربية (الاسرائيلية)، عمان، ١٩٨٨، ص ٦٧-٧٠.
- ١٢- منشورات مؤسسة مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٩.
- ١٣- سليمان الصمادي، المختصر في تاريخ الاردن وفلسطين، مطبعة ريزونا-اربد، ١٩٩٨ ص ٤٧،
- ١٤- قاسم محمد صالح، المصدر السابق، ص ٧٠-٧١.
- ١٥- أحمد عطية الله، القاموس السياسي لعام ١٩٦٨، ص ٣٣.
- ١٦- الملك حسين: ولد في عمان وهو الابن الاكبر للملك طلال، درس في أكاديمية ساند هرست العسكرية في بريطانيا عام ١٩٥٠، أصبح ملكاً على الأردن في ١١ آب ١٩٥٢، ولم يكن يتجاوز السن القانوني، فشكل مجلس للوصاية على العرش حتى توج في ٢ آذار ١٩٥٣، ودخل في مفاوضات مع (إسرائيل) لإنهاء الحرب رسمياً بينهما عام ١٩٩٤، وتوفي عام ١٩٩٨، رولان دالاس، تاريخ ملء ومملكة الحسين ١٨٩٣-١٩٩٩، ترجمة جوليا صليبا، ١٩٩٩، ص ٢١.
- ١٧- أنور عبد الحفيظ، دور القوات في السياسة الخارجية الأردنية، ١٩٥٣-١٩٩٩، رسالة ماجستير (غير منشورة)، المعهد الدبلوماسي الاردني، ٢٠٠٣، ص ١٠١.
- ١٨- مشهور حديثه الجازي، قائد عسكري أردني، ولد عام ١٩٢٨، وهو من قبيلة الحويطات الأردنية، تخرج في المناصب العسكرية حتى وصل الى رتبة فريق ركن، وبرز دوره في معركة الكرامة ١٩٦٨، التي كان قائدها وهو برتبة عقيد www.aljazeera.net ياسر عرفات (

١٩٢١-٢٠٠٤) اسمه محمد ياسر عبد الرؤوف عرفات، ولد في القاهرة، واكمل دراسته الثانوية، دخل كلية الهندسة، الا انه ترك الجامعة عام ١٩٣٨، تطوع في احد فرق الاخوان المسلمين التي حاربت في غزة عام ١٩٥٦، حارب مع القوات المصرية ضد العدوان الثلاثي عندما دخل برتبة نقيب في أحد التشكيلات الفلسطينية، وبعد تسريحة هاجر الى الكويت واستطاع هناك ان يؤسس حركة فتح عام ١٩٥٩، وفي شباط ١٩٦٩ انتخب رئيساً لمنظمة التحرير عام ١٩٩٣، أعترف عرفات رسمياً (بإسرائيل) عندما عقد اتفاقية أوسلو بالمقابل اعترفت (إسرائيل) للمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

١٩- ياسر عرفات (١٩٢١-٢٠٠٤) اسمه محمد ياسر عبد الرؤوف عرفات، ولد في القاهرة، واكمل دراسته الثانوية، دخل كلية الهندسة، الا انه ترك الجامعة عام ١٩٣٨، تطوع في احد فرق الاخوان المسلمين التي حاربت في غزة عام ١٩٥٦، حارب مع القوات المصرية ضد العدوان الثلاثي عندما دخل برتبة نقيب في أحد التشكيلات الفلسطينية، وبعد تسريحة هاجر الى الكويت واستطاع هناك ان يؤسس حركة فتح عام ١٩٥٩، وفي شباط ١٩٦٩ انتخب رئيساً لمنظمة التحرير عام ١٩٩٣، أعترف عرفات رسمياً (بإسرائيل) عندما عقد اتفاقية أوسلو بالمقابل اعترفت (إسرائيل) للمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

٢٠- الحسين بن طلال، مهنتي كملك، (أحاديث ملكية) نشرها الى العربية فريدون ترجمة: غازي غريب، مؤسسة مصري للتوزيع والنشر، طرابلس، ١٩٨٧، ص ٢١١.

٢١- أرية شليف، خط الدفاع في الضفة الغربية، ترجمة غازي السعدي، دار الجيل للنشر، عمان، ١٩٥٨، ص ٥٢-٥٣.

٢٢- سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

٢٣- وليام روجرز: محام وسياسي أمريكي، ولد في ٢٣ حزيران ١٩١٣، في مدينة نورفوك في ولاية نيويورك، وبعد ان أنهى دراسته في جامعة كولجيت وكلية كورنيل للحقوق اجتاز اختبار نقابة المحامين في عام ١٩٣٧، في محاكم الجرائم المنظمة في نيويورك للمدة (١٩٣٨-١٩٤٠)، دخل البحرية الأمريكية عام ١٩٤٢، وشغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة في حكومة الرئيس نيكسون للمدة ١٩٦٩-١٩٧٣، حين قام بالمبادرة الى بدء مجهود احلال سلام دائم للصراع العربي (الاسرائيلي) عن طريق ما سمي بـ (مبادرة روجرز)، بكر عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٢٦.

موقف الاردن من الوجود الفلسطيني على اراضيه ١٩٦٨-١٩٧٠

- ٢٤- احمدو اللصاصمة، المستجدات العسكرية على الساحة الأردنية ١٩٦٨-١٩٧٤، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ٨٦.
- ٢٥- جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) ولد بالإسكندرية والتحق بالكلية الحربية ١٩٣٧، ورتقي ضابطاً عام ١٩٣٨، عين مدرساً بكلية الأركان، اشترك بحرب فلسطين عام ١٩٤٨، كان من المنظمين الى جماعة الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة تموز ١٩٥٢، تقلد منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في تموز ١٩٥٣ وفي شباط ١٩٤٥، عين رئيساً للوزراء وفي عام ١٩٥٥، كان له دور في مؤتمر باندونج، عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤، ص ١٩٨.
- ٢٦- عثمان فتحي صالح حمدي، العلاقات العراقية الأردنية، ١٩٦٨-١٩٩١، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية، جامعة الموصل ٢٠٠٧، ص ٧٤.
- ٢٧- مذكرات صادق الشرح، حروبنا مع إسرائيل ١٩٤٧-١٩٧٣، معارك خاسرة وفرص ضائعة، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧، ص ٥٢٧-٥٢٨.
- ٢٨- عباس مراد، الدور السياسي للجيش الأردني، ١٩٢١-١٩٧٣، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣، ص ١٣٢.
- ٢٩- غونار يارنغ: ولد في السويد عام ١٩٠٧، درس في جامعة لوند، حصل على الشهادة الدكتوراه عام ١٩٣٣، تخصص في اللغات التركية، عمل في سفارات بلاده في ايران، العراق ، الهند، الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، اثيوبيا، ثم ممثل السويد في الامم المتحدة بين عامي (١٩٥٦-١٩٥٨) بعد اندلاع الحرب العربية (الاسرائيلية) عام ١٩٦٧، عينه الامين العام للأمم المتحدة يوثانث الممثل الخاص لشؤون السلام للشرق الاوسط، بموجب قرار (٢٤٢) بهدف القيام باتصالات بين الدول العربية و (إسرائيل)، توفي عام ٢٠٠٢، اركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٤٩-٢٥٢.
- ٣٠- سهى سعود عبد العزيز، السياسة الامريكية في الصراع العربي الصهيوني ١٩٤٨-١٩٦٧، رسالة ماجستير (غير منشورة)، المعهد العالمي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٩٢.
- ٣١- سليمان المدني، الملف العربي في القرن العشرين، مكتبة المنارة، بيروت، ١٩٩٨، ج٧، ص ١٩٣.
- ٣٢- وثيقة طلب ومساندة للملك حسين في أحداث أيلول ١٩٧٠، ص ١، جمول. نت.

- ٣٣- رندا حبيب، الحسين أباً وبنياً (الأردن في الثلاثين عاماً)، ترجمة: صفاء كنج، السامي للنشر والتوزيع، عمان، ص ٤١.
- ٣٤- وثيقة طلب مساندة للملك حسين في أحداث أيلول ١٩٧٠، ص ٢، جمول. نت.
- ٣٥- ليمان المدني، المصدر السابق، ص ١٩٣.
- ٣٦- رولان دالاس، المصدر السابق، ص ١٤١.
- ٣٧- بكر عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٣٨.
- ٣٨- المصدر نفسه، ص ١٣٩.
- ٣٩- محمد عماد رديف، اثر مبدأ إيزنهاور، على العلاقات السورية الأردنية ١٩٥٧-١٩٧٦، مجلة مركز صلاح الدين الايوبي للدراسات التاريخية والحضارية العدد ٨، جامعة تكريت، أيلول ٢٠١١، ص ٢٩١.
- ٤٠- في شلايم، أسد الأردن (حياة الملك حسين في الحرب والسلام) ترجمة: سليمان عوض العباس، مركز الكتب الأردني، عمان، ٢٠٠١، ص ٣٧.
- ٤١- أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٣٨.
- ٤٢- حركة فتح: تألفت عام ١٩٦١ في الكويت برئاسة ياسر عرفات مؤسس الحركة، وانشأت جناحاً عسكرياً بإسم العاصفة، ولقيت دعماً وتشجيعاً من سوريا، عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، المصدر السابق ص ٤٠٣.
- ٤٣- مالكولم كير، عبد الناصر والحروب العربية الباردة، ١٩٥٨-١٩٧٠، ترجمة عبد الرزاق أحمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٩٠-٤٩١.
- ٤٤- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: هي منظمة انبثقت عن حركة القوميين العرب في كانون الأول ١٩٦٧ أمينها العام جورج حبش، لها نشاطات ملحوظة في الأراضي المحتلة، وتنطلق صحيفة الهاف الأسبوعية البيروتية باسمها انشقت من الجبهة الشعبية الديمقراطية في آب ١٩٦٨، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- ٤٥- جورج حبش (١٩٢٦-٢٠٠٨): ولد في فلسطين، درس الطب في الجامعة الامريكية في بيروت، وتخرج منها عام ١٩٥٦ أسس حركة القوميين العرب، أخذ ينتقل بين بيروت وعمان ويشرف على تنظيمات تلك الحركة وفي عام ١٩٦٧ أسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع وديع حداد ومصطفى الزبيري وشغل منصب أمينها العام، قام بعدة عمليات ضد (إسرائيل) وأشرف على عمليات أخرى كان من أبرزها عمليات خطف الطائرات ١٩٧٠ وفي عام ٢٠٠٠ تخلى عن

- منصبه في قيادة المنظمة، واستقر بعد ذلك في الأردن بسبب مشاكل صحية الى أن توفي في عمان ٢٠٠٨، أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٣٨-٢٣٩.
- ٤٦- رولان دالاس، المصدر السابق، ص ٢١.
- ٤٧- محمد علي عبودي، جامعة الدول العربية والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٥-١٩٩١، من تأسيس الجامعة الى مؤتمر مدريد، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٩٥-٤٩٦.
- ٤٨- جريدة الأنوار، العدد ٣٥٣٤، ٢ أيلول ١٩٧٠، ص ٧.
- ٤٩- يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص ٥١٨.
- ٥٠- موشيه زاك، المحادثات السرية بين الملك حسين و (إسرائيل) ١٩٦٣-١٩٩٣ ترجمة: غسان محمد، مكتبة دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٣٨.
- ٥١- سليمان المدني، المصدر السابق، ص ١٩٥.
- ٥٢- بكر عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٤١.
- ٥٣- حازم عبد المجيد النعيمي، العراق والأردن لدراسة العلاقات السياسية، مركز
- ٥٤- إفي شلايم، المصدر السابق، ص ٣٧١.
- ٥٥- ناصر بن جميل: ولد بالإسكندرية عام ١٩٢٧، وهو خال الملك حسين، تخرج من الكلية العسكرية في بغداد برتبة ملازم ضمن الدورة الرابعة والعشرين، وبعد اعتلاء المط طلال العرش عام ١٩٥١، اثر مقتل والده عبدالله، حضر الى عمان ليعزيه ويبارك نتويجه ملكاً، بقي في عمان وترك الجيش العراقي، وكان من المقربين من الملك حسين ومن مستشاريه، بقي ملازماً ومرافقاً للملك حتى وفاته في منتصف التسعينات، محمد حمدي الجعفري، ملكات هاشميات في دول المشرق العربي، مؤسسة مصر للكتاب العراقي، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٢٠.
- ٥٦- زيد بن شاكر: ولد عام ١٩٣٤، حصل على الثانوية في كلية فكتوريا، ثم التحق بكلية سانت هرسث العسكرية في بريطانيا عام ١٩٥٥، تخرج من كلية القيادة والاركان في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤، وقد تقلد مجموعة من المناصب المهمة منها مرافق الملك حسين عام ١٩٥٥، ومساعد الملحق ١٩٧٠، ورئيس اركان القوات المسلحة عام ١٩٧٦، ثم القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الديوان الملكي، ومستشار الملك الحسين ورئيس وزراء الاردن في عام ١٩٨٩، توفي عام ١٩٩١، رشيد ابو غيدا وعدنان بعيون، منشورات كتب تاريخ الاردن، (د.ن)، عمان، ١٩٩٥، ص ١٧.
- ٥٧- عبد المنعم حمزة محمود، أسرار وموقف وقرارات الملك حسين ما بين مؤيد ومعارض، بيروت، ص ١٢٨-١٣٠.

- ٥٨- سعد أبو دية، عمليات اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢١٨.
- ٥٩- يزيد يوسف الصائغ، المصدر السابق، ص ٥٧.
- ٦٠- أحمد اللصاصمة، المصدر السابق، ص ١٤٧.
- ٦١- بكر عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- ٦٢- هشام خضر، الاسرار الخفية للحكام العرب، مكتبة النافذة، عمان، ص ١٣١-١٣٢.
- ٦٣- إفي شلايم، المصدر السابق، ص ٣٨٢.
- ٦٤- علي محفوظ عزيز الخفاف، موقف مصر من القضية الفلسطينية، ١٩٦٧-١٩٧٠، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ١٣٢-١٣٣.
- ٦٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨، ص ١٩٣.
- ٦٦- أمين عواد مهنا بتي، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- ٦٧- أشرسر، الخط الاخضر بين الأردن وفلسطين- سيرة وصفي النل السياسة، ترجمة: جودت السعد، عمان، أزمنة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ١٣١.
- ٦٨- وصفي النل: ولد في مدينة اربد عام ١٩٢٠ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارس الاردن وتخرج من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٤١، والتحق بعدها بالكلية الحربية في بريطانيا وحصل على رتبة ملازم، انضم الى جيش الانقاذ عام ١٩٤٨، ثم التحق بالإدارة الاردنية منذ عام ١٩٤٩، وعين سفيراً في العراق عام ١٩٦١، ثم تقلد منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع في كانون الاول عام ١٩٦٢ الى آذار عام ١٩٦٣، ثم تقلد منصب رئيس الوزراء عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٧، من تشرين الاول ١٩٧٠ الى تشرين الثاني ١٩٧١، اغتيل في القاهرة على يد اربعة من عناصر منظمة أيلول الاسود، اركان مهدي السعيد، المصدر السابق ص ٢٠٣-٢٠٥.
- ٦٩- سليمان المدني، المصدر السابق، ص ١٩٤.
- ٧٠- عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، المصدر السابق، ص ١٩٦.
- ٧١- جعفر النميري: سياسي وعسكري سوداني، درس كلية العسكرية في الخرطوم، ثم تابع تحصيله في الولايات المتحدة، تزعم انقلاب عسكري في ٢٥ أيار ١٩٦٩ وأصبح رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للوزراء، أصدر أمر يحل محل الاحزاب المنتخب رئيساً للجمهورية في أيلول ١٩٧١م، عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٩٦.

- ٧٢- الباهي الادغم (١٩١٣-١٩٩٨): سياسي تونسي شغل منصب الوزير الأول بين ١٩٦٩-١٩٧٠، شهدت تولية المنصب بتجزئة التعقيدات ابتدأت التوجه الاشتراكي في تونس، لعب دور الوسيط بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية في تونس، أبان أحداث أيلول الأسود، أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٤٤.
- ٧٣- سعد العبد الله السالم الصباح (١٩٣٠-٢٠٠٨): هو أمير دولة الكويت الرابع عشر، اكمل دراسته الجامعية في كلية الشرطة في بريطانيا، تخرج برتبة ضابط ١٩٥٤ شغل منصب مدير الشرطة لأمن العامة عام ١٩٦١، ووزير الداخلية عام ١٩٦٢ ووزير الدفاع عام ١٩٦٤ وبقي في الوزارتين، الى ان شغل منصب رئيس الوزراء للمدة من (١٩٧٨-٢٠٠٣) وظل في المنصب الى عام ٢٠٠٦، أصبح أمير الكويت حتى وفاته ٢٠٠٨، أركان مهدي السعيد، المصدر السابق، ص ٢٤٤.
- ٧٤- من محاضر اجتماعات عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٢٥٦، يوسف هيكل، المصدر السابق، ص ٥٤٨-٥٤٩.
- ٧٥- مهند عبد العزيز عطية الشبيب، سياسة الأردن تجاه منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤-١٩٧١، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٩، ص ١٩٨.
- ٧٦- معمر القذافي: من مواليد ١٩٤١، سياسي وعسكري تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٦٥، قائد ثورة الفاتح من أيلول التي أنهت النظام في ليبيا، وقع مع مصر عام ١٩٧٢، اتفاقية الوحدة الاندماجية، عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، المصدر السابق، ص ٥٠٩.
- ٧٧- محمود رياض، مذكرات محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨)، البحث عن السلام في الشرق الاوسط، ط ٢، دار المستقبل، عام ١٩٨٥، ص ٣٠٠.
- ٧٨- من محاضر اجتماعات عبد الناصر، فلسفة الثورة، مطابع الدار القومية القاهرة، ص ٢٥٣-٢٥٥، جريدة الانوار، العدد ٣٣٥٥، ٢٣ أيلول ١٩٧٠.
- ٧٩- محمد رياض، المصدر السابق، ص ٣.
- ٨٠- جورج خوري نصر الله، (جمع واعداد) الحقائق الفلسطينية العربية، بيروت، ١٩٧٢، وثيقة ٧٨٩، ص ٨٢٩.
- ٨١- عمر نافع نوري، موقف مصر من قضايا المشرق العربي، ١٩٦٧-١٩٧٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠٠٩، ص ٩٥.

موقف الاردن من الوجود الفلسطيني على اراضيه ١٩٦٨-١٩٧٠

٨٢- خلدون ناجي معروف، مشاريع الحلول السليمة لحل أزمة الشرق الاوسط دراسة دبلوماسية (إسرائيلية) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الادارة والاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٤٨.

٨٣- الوثائق الأردنية، ١٩٧٠، وثيقة رقم ١٢٣، ص ٢٣٧-٢٣٩.

٨٤- عصام فرج، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٤-١٩٩٣، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٩٤-١٩٥.

٨٥- بكر عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)

أ.م. ميثم علي نافع

جامعة الامام جعفر الصادق (ع)

أ.م. ميثم علي نافع

ملخص البحث :

ان الثورات السورية كانت تعكس شيئاً اصيلاً في روح الدروز وكانت موضع اعجاب عظيم من اهل البلاد ، وقدمت ابطالها وشهائها الحقيقيين واصبحت حدثاً تاريخياً بطولياً في التراث الوطني السوري ، وكان القصف الفرنسي يعزز من روح المقاومة والوحدة الوطنية للسوريين . تم قطف ثمار هذه السنوات بالحصول على استقلالها والمحافظة على وحدتها وعدم تقسيمها الى دويلات كما ارادت فرنسا .

الكلمات المفتاحية : الدروز - الثورات - سوريا

Abstract

The Syrian revolutions reflected something authentic in the spirit of Druze revolutionaries , and the were the subject of great admiration from the people of the country . They presented their true heroes and martyrs and become a heroic historical event in the Syrian national heritage . The French bombing strengthened the spirit of resistance and national unity for the Syrians . And the fruits of these years were harvested by obtaining its independence , preserving its unity , and not dividing it into states as France wanted .

Keywords: Druze – Revolutions – Syria .

تمهيد:

تناول الكثير من الباحثين والمؤرخين الثورات السورية ، الا أنه لم اجد بينهم من تناول دور الدروز في هذه الثورات بشكل خاص ، ومن هنا جاء اختياري لموضوعة البحث (موقف الدروز من الثورات السورية ١٩٢٠-١٩٢٥) لابرار اهمية وبيان دورهم التاريخي ، وتطرق البحث الى الثورة العربية والحكومة الفيصلية لبيان دور الدروز عربيا ثم بعدها تناولت ثورة ١٩٢٠ وثورة ١٩٢٢ وثورة ١٩٢٥ الكبرى .

اعتمدت في كتابة البحث على المذكرات الشخصية لرجالالات الثورة وبعض الصحف التي صدرت في فترة مواكبة وقريبة من تاريخ الثورات ، اضافة الى كتب عربية واجنبية مترجمة تناولتها من وجهات نظر وارااء مختلفة ، اما الصعوبات تمثلت في قلة المصادر التي تشير الى دور الدروز في هذه الثورات .

الثورة العربية عام ١٩١٦

كان الكثير من زعماء جبل الدروز (العرب) قد انضموا الى الثورة العربية وشاركوا في معاركها، وكان سلطان الاطرش في مقدمتهم وقائدهم بل حرزهم وضمانتهم ضد اي عمل تعسفي وانتقامي تقوم به الحكومة ضدهم ، بدأت اتصالات سلطان الاطرش مع فيصل بن الحسين عندما كان يقيم في قرية القابون احدى القرى السورية التابعة لال البكري ، وقد زاره مع عدد من زعماء الجبل وتناقشوا معه في شأن الثورة على الاتراك وسبل قيادتها ونجاحها (سلطان ، ٢٠٠١، ص٤٦) .

من الجدير بالذكر ان مجموعة من زعماء جبل الدروز انضموا الى تنظيم (الجمعية العربية الفتاة) مثل اسعد مرشد وحسين نايف الاطرش وعارف الشهابي وغيرهم ، وحين بدا جمال باشا العثماني في ملاحقة احرار العرب في بلاد الشام ، التجى الاحرار الى جبل الدروز ومن بينهم الامير عبد القادر الجزائري ، في الوقت الذي لم ينظم سلطان الاطرش الى (الجمعية العربية الفتاة) ، الا انه كان يلتقي معها في الغاية ويعمل مع اعضائها في الساحة نفسها ويوفر لهم الحماية التي كانوا بامس الحاجة اليها ، ولان الظروف كانت تتوجب

العمل بشكل سري لكي يتحاشوا معرفة اسمائهم ، بالوقت الذي تملص الكثير من تقديم المساعدة لهم او ايوائهم والهروب من المسؤولية (الثورة العربية ، د. ت ص ٢٥٩) .
غادر فيصل دمشق واصبح نسيب البكري واسطة اتصال بينهما وبين سائر زعماء جبل الدروز وبعد مدة من الزمن حضر فيصل الى ام الرمان ونقل اليهم اعلان الثورة فباركوا الخطوة واعلنوا تاييدهم له (يقظة العرب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٢٢) ، وعلى اثر ذلك وزع سلطان الاطرش منشورا دعا الى اعلان الثورة وحث الهمم ، ثم احتفل برفع العلم العربي فوق داره بمباركة العديد من احرار العرب ، ودعا الى عقد الاجتماع في بلدته وكان من نتائج الاجتماع التحاق المزيد من الشباب الدرزي بالانضمام الى الجيش العربي في القصبية بعد ان كان متعب الاطرش وحسين الاطرش قد التحقا بالثورة في الحجاز مع الشريف حسين (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨)

وعندما عرفت السلطة العثمانية بالحملة التي قام بها الدروز ، طلبت السلطة العثمانية من اعيان وقادة قرى جبل الدروز (العرب) الحضور الى مدينة درعا ، لكن ذلك لم يؤثر في مقاتلي الحملة او الذين حرضوا عليها ، لان رجال الجبل قد استعدوا لتحدي اجراءات وتدابير الاتراك و حتى كان لهم الاستعداد لاعلان الثورة ضدهم وهذا ما جعل جمال باشا يضم الحقد والشر في نفسه لابناء جبل الدروز (التعريف ، ١٩٦٢ ، ص ٥٠-٥١) .

كان سلطان الاطرش يتابع مجريات الاحداث ويتابع زحف الجيش العربي نحو جهة الاردن وجيش الحلفاء وتقدمها باتجاه فلسطين ، فوصلته في اواخر شهر كانون الاول ١٩١٧ رسالة من نسيب البكري يقول فيها :

((الجيش الحجازي طهر مكة المكرمة من الاتراك ، وجيش الحلفاء المنضم اليه الجيش السوري قد افتتح بئر سبع عن طريق غزة في ٣١ تشرين الاول ١٩١٧ ويافا في ٢٦ تشرين الثاني والقدس في ٩ كانون الاول ، وعليه كن على استعداد مع رجال حزيك ، وقريبا سندخل جبلكم المنيع بواسطتكم ... الله ينصر العرب)) (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨) بعد انتصار الجيش العربي باتجاه الشمال وسيطرته التامة على منطقة الازرق وبمساعدة الدروز واتخاذها مقرا له وتعد هذه المنطقة مقدمة بادية الشام وغير مملوكة لاحد ،

لكنها تعد منطقة درزية وملحقا بالدروز في نظر قبائل البدو الرحل (خط الشام ، ١٩٧٠ ، ص١٥١) .

ويبدو لي ان الدروز اصبحوا يمثلون علامة ودلالة واضحة في اخلاصهم بعد ان مدوا يد العون للجيش العربي بالمال والجاه والسلطة فضلا عن ذلك مشاركتهم الفعلية في المعارك والذود بانفسهم في سبيل الحرية والاستقلال والخلاص من السيطرة الاستعمارية العثمانية ، لذا يستحقون كله التقدير والاحترام .

اتفق المؤرخون على ان سلطان الاطرش والدروز الذين اشتركوا في المعارك اول من دخل دمشق مساء الثلاثين من ايلول ١٩١٨ ، اي قبل دخول الجيش الاسترالي والجيش العربي (الصراع الدولي ، ١٩٧٧ ، ص٢١٦-٢١٧ ؛ الحركة العربية ، ١٩٧٧ ، ص٣٢٠) .

استنهض سلطان الاطرش الهمة والنخوة العربية في روح اتباعه وتسابقوا فيما بينهم لرفع العلم العربي في دمشق قبل وصول الانكليزي اليها ووعد بمكافأ مالية لمن يقوم بذلك ، فتنبرع داوود طربين لرفع العلم العربي على سراي الولاية (التعريف ، ١٩٦٢ ، ص٥٢) ، وفي هذه المناسبة انشد معدي المغوص احد مرافقي سلطان الاطرش ابيات شعرية اثناء رفع العلم العربي منها :

عرش المظالم انهدم	والعز طاب بلادنا
راحت عليكم يا عجم	خوض المعارك داينا
حنا حماتك يا علم	با ارواحنا واكبادنا

(تاريخ رجالات ، ١٩٦١ ، ص٣٢)

ويمكن القول بان هذه الابيات الشعرية شهادة تاريخية لدور الدروز الحقيقي في هذه المعركة التاريخية التي كانت بداية لصراع حقيقي بوجه المستعمرين الجدد .

ذكر سلطان الاطرش انه ((دخلنا المدينة من جهة الميدان في ٣٠ ايلول ١٩١٨ ووصلنا الى ساحة المرجه ورفعنا فوق دار الحكومة العلم العربي الذين كان يخفق في مقدمة

حملتنا منذُ خروجنا من الجبل من حيث كانت فلول الجيش العثماني تخلي المدينة وتنتسحب منها باتجاه الشمال)) (تاريخ الثورات ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٣) .

دخل فيصل بن حسين دمشق دخول المنتصرين الاحرار في الثاني /تشرين الاول /١٩١٨ وسط الفرح والحفاوة و الاستقبال عز نظيرها ، وذهب سلطان الاطرش للسلام عليه فقابله فيصل بحفاوة بالغة واثى على اعماله وبطولات فرسان جبل الدروز (العرب) وخدماتهم للثورة (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ٥٤) .

ويمكن القول ان فيصل بن حسين كان مدركا تماما لدور الدروز وقائدهم الفاعل والمؤثر في انتصار الثورة على الاتراك من خلال الاشادة به واتباعه .

الحكومة العربية الفيصلية في سوريا :

بعد خمسة ايام من تحرير دمشق من السيطرة العثمانية اصدر فيصل بن الحسين بيانا شكر فيه الشعب العربي السوري على ما ابداه من تعاون وتضحية مع الجيش العربي (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٥) .

اعلنت الحكومة العربية في ٣٠ / ايلول / ١٩١٨ في دمشق التي كان يرأسها فيصل بن الحسين شريف مكة عن تشكيل حكومة عربية دستورية مستقلة في جميع الاراضي العربية السورية ، وكان سلطان الاطرش الدرزي مستشارا لفيصل الى ان ترك دمشق بعد فترة قليلة من تشكيل الحكومة العربية لترفعه وزهده في المناصب وعدم قناعته ورضاه عن سياسة بعض اتباع فيصل ، لكن سلطان الاطرش ظل على اتصال بفيصل والتعاون معه ورفض تسلم اي وظيفة في الحكومة العربية بالرغم من الحاح فيصل عليه (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦) .

تشكلت لجنة كنج - كرين على اثر الاختلاف الذي حدث بين فيصل والصهاينة المدعومين من قبل فرنسا و بريطانيا في مؤتمر الصلح بباريس ١٩١٩ من قبل الرئيس الامريكي ولسن الذي اختار هنري كنج رئيس كلية اوبرك الامريكية والمستر تشارلس كرين الذي اهله لتلك المهمة تجربته الواسعة واستقلاله (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧) . وصلت اللجنة الى سوريا في ١٠ /حزيران/ ١٩١٩ وقامت بجولات وزيارات تحقيقية لمعظم

الولايات التي تشكل بلاد الشام ، وعدت تقريراً سلمته الى سكرتارية الولاية المتحدة الامريكية في باريس في ٢٨ / اب / ١٩١٩ ورفعت نسخة منه الى الرئيس ولسن في فترة لاحقه (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨) .

عقد المؤتمر السوري العام في دمشق في ٢ / تموز / ١٩١٩ الذي اصدر مجموعة من القرارات التي تحدد الاهداف الوطنية في سوريا وفلسطين والعراق منها :

الغاء اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور واي مشروع لتقسيم سوريا وانشاء دولة يهودية في فلسطين، ورفض جميع الوصايا السياسية وقبول المعونة الاجنبية الامريكية وبعدها البريطانية بشرط ان لا تتعارض مع الاستقلال الوطني والوحدة القومية ورفض المعونة الفرنسية في اي شكل من الاشكال (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩) .

ظهرت عملية التحدي العربي السوري للسيطرة الاستعمارية في اجتماع المؤتمر السوري العام في دمشق في ٦ / اذار / ١٩٢٠ واصداره قراراً اعلن فيه استقلال سوريا بما فيها فلسطين ولبنان وجعلها دولة ملكية دستورية ذات سيادة تحت حكم الملك فيصل بن الحسين ويحق للبنان الحكم الذاتي المكتسب داخل اطار الوحدة السورية (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ٢١) .

اجتمع المجلس الاعلى لدول الحلفاء في سان ريمو في ايطاليا بتاريخ ٢٥ / نيسان / ١٩٢٠ بفرض نظام الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩) .

وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في لبنان في ١٤ / تموز / ١٩٢٠ انذاره النهائي لفيصل ملك سوريا الذي تضمن شروطاً منها :

الغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي وقبول الانتداب الفرنسي قبولاً غير مشروط وتداول العملة التي فرضتها الادارة الفرنسية ومعاقبة الاشخاص الذين عرفوا بالاعمال العدائية ضد الفرنسيين (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ٢١) .

معركة ميسلون

عقد مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ للدول الكبرى في ايطاليا وكانت قراراته تثبتنا وتطبيقا وترسيخا للاتفاقيات السرية التي عقدت ابان الحرب العالمية الاولى منها اتفاقية سايكس-بيكو لضمان مصالح الدول الاستعمارية الكبرى .
وبعد انقضاء المؤتمر ، بدأت العلاقات بين العرب والفرنسيين تتوتر وتزداد سوءاً وبدأت الصدامات بين القوات العربية والفرنسية في تموز ١٩٢٠ بعد ان وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في ١٤/تموز / ١٩٢٠ انذارا نهائيا لفيصل بن الحسين ملك سوريا وتضمن خمسة شروط :

- ١- قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط .
- ٢- الغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي .
- ٣- تداول العملة التي فرضتها الادارة الفرنسية .
- ٤- تسليم سكة حديد رياق - حلب الى السلطة العسكرية الفرنسية .
- ٥- معاقبة الاشخاص الذين عرفوا بالتورط ضد الفرنسيين (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٥٨) .

وحدد الجنرال غورو فترة اربعة ايام للانذار ، وفي حالة قبول الشروط يجب ان لا تعرقل سير الجيوش الفرنسية لاحتلال سوريا ، اما اذا كان الجواب بالرفض فان مسؤولية الولايات التي ستتصب على البلاد يتحملها فيصل وستصبح فرنسا حرة في اعمالها ، وقد قبل فيصل بهذه الشروط مما تسببت في حالة هياج الرأي العام في سوريا .
فوجى السوريون بان الجيوش الفرنسية تتجه نحوه دمشق دون ان تصادف اي مقاومة بسبب تسريح الجيش السوري (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٦١) .

تقدمت القوات الفرنسية باتجاه دمشق واستطاعت في ٢٤/تموز / ١٩٢٠ من الانتصار على المقاومة العربية بفضل الفارق الكبير الذي امتلكه الجيش الفرنسي من الاسلحة والامكانيات العسكرية والاستعدادات قياسا لما امتلكته القوات السورية والمقاومة العربية وكانت معركة ميسلون معركة قوية حسمت لصالح المحتل الفرنسي وفتحت الطريق الى دمشق والتي استشهد فيها وزير الدفاع يوسف العظمة عند ممر ميسلون ولم تفلح

المقاومة العربية في ايقاف القوات الفرنسية ذات الامكانيات الضخمة فاستشهد الكثير من المقاتلين العرب ، فسقطت الحكومة العربية في دمشق وغادر فيصل في ٢٨/تموز /١٩٢٠ سوريا متجها الى اوربا بهدف مواصلة النشاط السياسي بشأن القضية العربية السورية (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص٢٢-٢٣) .

لم يتسنى لدروز حوران البالغ عددهم ثلاثة الاف مقاتل بقيادة سلطان الاطرش القتال بمعركة ميسلون بسبب تردد فيصل بين قبول الانذار او رفضه واتخاذ قرار السلم او الحرب، خلق بلبلة واضطرابات دامية في دمشق وعطلت كثيرا من قوى المواجهة وسهل غيابهم زحف الجيش الفرنسي نحوه دمشق (دروز سوريا و لبنان ، ١٩٩١ ، ص١٥٢) .

ثورة الدروز ١٩٢٠

بعد ان احتل الفرنسيون دمشق ، قام الجنرال غورو بزيارة قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي، ووقف امامه شاهراً سيفه وقال (بلغة التهكم والغرور، ها قد عدنا يا صلاح الدين، فانهض لترانا، ولقد ظفرنا باحتلال سورية) (تاريخ الثورات السورية، ١٩٦٠، ص١٧١).

يمكن القول من خلال موقف غورو والذي كشف عن نفسيته وما يحمل من حقد وضغينه اتجاه العرب وهو يمثل نفس سياسة دولته التي شاركت في اتفاقية سايكس - بيكو التي سلبت جميع حقوق العرب .

اسباب ثورة الدروز

هناك الكثير من الاسباب التي ادت الى قيام هذه الثورة والتي مهدت لثورات لاحقه وسوف اقتصر على بعض الاسباب منها :

- ١- رغبة السكان في الخلاص من المستعمر ونيل الاستقلال.
- ٢- وضوح المطامع الفرنسية في سوريا.
- ٣- نكث الحلفاء لوعودهم للعرب بالاستقلال بعد قيام العرب بالوقوف الى جانبهم ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى .

٤- العمل على تطبيق وعد بلفور بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين .
٥- تحول سياسة الفرنسيين من انتداب الى استعمار عسكري يقهر السكان وينهب خيرات البلاد .

٦- تجزئة الفرنسيين لسوريا الى دول (الحركة العمالية ، ١٩٧٣، ص٤٦؛ يقظة العرب ، ١٩٧٨، ص٤٩٦؛ الجهاد السياسي ، ١٩٤٦، ص٨٠-٨١).

اندلعت ثورة الدروز في الجبل في سبيل القومية الوطنية العربية بسبب سياسة الفرنسيين الحمقاء المرتجلة اصبحت وسيلة لقيام الدروز بثورتهم التي لم تكن وليدة فترة فجائيه ، بل كانت تتمخض منذ احتلال الفرنسيين لسوريا ، كما لم تقم الثورة بتدبير حزب من الاحزاب او بمؤامرات مع الانكليز للثورة على الفرنسيين (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠، ص١٨٣) .

شارك في الثورة جميع طبقات الشعب فالتحق بها الوجهاء والاثرياء والاطباء والضباط والتجار والفلاحون والعمال على اختلاف نزعاتهم ودرجاتهم تحت قيادة سلطان الاطرش واتباعه من الدروز الذي كان لهم اثر واضح في المصادمات التي حدثت مع القوات الفرنسية وادى الدروز فريضة الدم (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠، ص١٨٤).

استطاعت القوات الفرنسية من اخماد هذه الثورة بسبب فارق العدة والعدد واستخدام الاسلحة الحديثة قياسا لما امتلكه الثوار من اسلحة بسيطة وبسبب السياسة التي اتبعها الفرنسيون ، جعلت السوريون ينظرون لهم بعين الكره واليقظة والحذر وادت الى نشوب الثورات السورية المتوالية (يقظة العرب، ١٩٧٨، ص٤٩٨).

الدولة الدروزية

اكّد رئيس البعثة الفرنسية كاترو في دمشق وعد المندوب السامي في لبنان ،بمنح جبل الدروز الاستقلال الاداري وصياغة المشروع الاساسي لنظام دولتهم وتحديد طريقة تعاونهم مع السلطة الفرنسية المنتدبة ، وعقد اجتماع بين زعماء الدروز في السويداء بتاريخ ٢٠/كانون الاول / ١٩٢٠ لتحديد صيغة المشروع واتفقوا على عدة مبادئ اطلقوا عليها اسم (قراء السويداء) ، ذهب الوفد الذي حمل صيغة المشروع الى دمشق وتنازل عن بعضها و

وافق على التعديلات التي ادخلها الفرنسيون عليها والتي تخص اشراف الفرنسيين الكامل على جبل الدروز (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص ٧٣-٧٤).

وقعت الاتفاقية الدرزية-الفرنسية بتاريخ ٤/اذار/١٩٢١ والتي كانت سرية لمخالفتها قرار وتعليمات السويداء وتعارضها مع افكار الدروز لتحديد علاقتهم بالسلطة المنتدبة وسميت هذه الاتفاقية باسم (ابو فخر-دوكه) باسم الشخصين اللذين وقعا الاتفاقية هما الشيخ محمود ابو فخر الرئيس الروحي الذي وقع بالنيابة عن رؤساء الدين، وروبير دوكه الذي وقع بالنيابة عن المندوب السامي الفرنسي (جبل الدروز، ١٩٦١، ص ١٧٢).

عدُّ يوم ٥/نيسان/١٩٢١ اليوم الذي اعلن فيه استقلال الجبل عيداً رسمياً يحتفل به سنوياً بحضور المندوب السامي الفرنسي وكبار موظفيه المندوبية وبحضور الاهالي من قراهم تتقدمهم البيارق الى السويداء حيث تقام الاحتفالات وتدوي الهتافات من حين الى اخر ((تحيا فرنسا، تحيا الدولة الدرزية)) (الدروز ، ١٩٣٣ ، ص ١٦٦)، هذا الاستقلال الذي بالغ به الفرنسيون والتابعون لهم في التهليل والفرح ،وبدء لبعض الدروز انه استقلال داخلياً رسمياً شبيهاً بالاستقلال الفعلي الذي مارسوه ابان الحكم العثماني ، اما وجهة نظر سلطان الاطرش لهذا الاستقلال عبارة عن وهم مزيف وعبودية، والدولة التي عملوا لتكوينها مع الفرنسيين وفرحوا بولادتها ظهرت له كيان هزيل ينقصه الكثير من المقومات البشرية والاقتصادية (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص ٧٥).

يبدو لي ان هذا الاستقلال هو دعاية اعلامية اكثر منه واقعياً بدءاً من تقديم تحيا فرنسا على تحيا الدولة الدرزية في حالة الاستقلال الحقيقي تقدم التحية للدولة المستقلة وليس الدولة المستعمرة او المنتدبة هذا جانب ، اما الجانب الاخر فان هذا الاستقلال المزعوم لاجل تقسيم سوريا الى دويلات وخلق مشاكل داخلية بينهم واضاعفهم ليسهل حكمها والسيطرة عليها من قبل فرنسا.

ثار سلطان الاطرش وانصاره على الحكومة المحلية الدرزية واخذوا يوجهون الانتقادات اليها ويهزأون بها وكأنهم يوجهون الانتقادات والاستهزاء الى الحكومة الفرنسية باعتبارها المسؤولة عن الحكومة المحلية الدرزية ، وعمت الفوضى مدة شهرين واستمر سلطان الاطرش بثورته الفكرية على الحكومة الدرزية ورجالها الى ان انظم للسلطان اهالي

القرى الآتية: (القرى، أم رمان، بكا، حوط، صما، طيسا) واضطر توفيق الاطرش قائد الدرك ان يخلع ملابسه العسكرية وينضم اليهم (مذكرات سلطان الاطرش، ١٩٧٩، ص ٨٠).

ويمكن القول ان عملية خلع الزي العسكري هو رفض واضح للحكومة الفرنسية وتأييد لاهالي القرى التي أيدت الاطرش.

بدأ الوضع يتفاقم بين الحكومة المحلية الدرزية و سلطان الاطرش واتباعه مما جعل الفرنسيون في حالة من القلق مما اجبر السلطة الفرنسية ان تكلف الامير سليم الاطرش المتعاون مع الفرنسيين ان يعمل على استرضاء سلطان الاطرش وتسوية الامور معه، فذهب الى عرى واجتمع هناك به واتفق معه

على عقد مؤتمر درزي في السويداء، و انعقد هذا المؤتمر في اوائل عام ١٩٢٢ بحضور سلطان الاطرش والكومندان ادلمبوس عن الفرنسيين، وتقرر فيه عدة مطالب كان من شأنها لو تحققت ان تصحح مسيرة عمل الحكومة المحلية وتتخفف من وطأة الانتداب الفرنسي وتساعد في تأمين الاستقرار الامني (جبل الدروز، ١٩٦١، ص ١٧٤).

كانت هناك فترة متداخلة بين فترة الحكم الوطني الذي كان فيه على جبل الدروز (العرب) حاكما من اهله تميز عن الحكم الاستبدادي العسكري المباشر الذي بداه الفرنسيون عام ١٩٢٣ ولعب الكابتن كارييه دوره المشهور فيه، حيث قال سلطان الاطرش عن هذه الفترة ((انها استطاعت ان تتحمل بصبر وشجاعة عبء الانتقال بالمجتمع من نظام الحكم العشائري وتقاليد المتوارثه الى نظام الحكم المدني وشرائعه الحديثة المتطورة)) (سلطان الاطرش، ١٩٧٩، ص ٨٩).

كان على الدروز ان يختاروا حاكما بدلا من الامير سليم الاطرش الذي قتله الفرنسيون، ونجح كارييه الذي تسلم منصب المستشار لحكومة الجبل في تفريق كلمة الدروز وزرع الشقاق والفتنة بين المرشحين من زعماء الدروز وخلق لهم منافسا من غير عشيرتهم هو نجيب عامر، بعد ان اوحى اليه بأن لا مانع قانونيا من وصوله الى الحاكميه (خلال قرن، د.ت، ص ٢٣٦؛ مذكرات حسن، ١٩٦٥، ص ٢٣٧).

استند كارييه في تصرفاته الى الاتفاقية الدرزية الفرنسية التي تنص فقط على وجوب انتخاب حاكم للجبل من قبل المجلس النيابي الدرزي ولا تشير الى ضرورة انتخابه من دار عرى او حتى من الطرشان انفسهم نص البند الثالث من الاتفاقية الدرزية الفرنسية يرأس هذه الحكومية (حكومة جبل الدروز) حاكم اهلي يصير انتخابه بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة اربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصح انتخابه نهائيا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه (تمرد دمشق ، ١٩٧١ ، ص٧٨) .

ويمكن القول ان انتخاب الحاكم لمنطقة جبل الدروز مرهون بموافقة الدولة المنتدبة ، فهذا يعني اذا كان الحاكم المنتخب متعاون مع الفرنسيين فستتم المصادقة عليه والعكس صحيح ، فبذلك تصبح منطقة جبل الدروز خاضعة تماما للسيطرة الفرنسية التي تمثل مركز الحركة الوطنية ضد المحتل .

كان صمت سلطان الاطرش قد اثار الشكوك القوية والكبيرة لدى كارييه من اثر التزامه لبيته ، وكان يخشاه اكثر منما يخشى اليه ، ناقلا اليه رغبة فرنسا في التقرب منه والتعاون معه (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩ ، ص٩٢) .

حضر سلطان الاطرش الى السويداء لا بهدف رؤية كارييه ، ولا بقصد رد الزيارة له ، وانما من اجل تقديم الدعم للمرشح الامير حمد الاطرش للحاكميه والابقاء على منصبها بأيدي الدروز كما تنص على ذلك الاتفاقية الدرزية الفرنسية (مذكرات حسن ، ١٩٦٥ ، ص٢٣٧) .

نجح كارييه في تفريق كلمة زعماء الدروز ومن ثم استطاع الحصول على الحاكميه للجبل بالوكالة تمهيدا لتسلمها بالاصالة ، واقترح على المجلس النيابي ادخال حمد الاطرش المدعوم من قبل سلطان الاطرش عضوا في المجلس بدلا من التسليم بحقه بالحاكميه وتعويضه له ، فضلا عن ذلك انتزع موافقة المجلس على تحديد اعضاء الوفد الدرزي الذاهبون معه الى بيروت لمقابلة الجنرال فيفيان المندوب السامي ودعوته لحضور الاحتفال بذكرى استقلال جبل الدروز الثالثة (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩ ، ص٨١) .

فقد استطاع المتكلم بأسم الوفد الدرزي ان يطلب من الجنرال فيفيان المحافظة على استقلال الجبل فعليا لا اسميا ، واخذ رأي المجلس النيابي في استحداث الوظائف او الغائها

ومنحه حق المراقبة المالية وعدم التصرف في الشؤون المالية قبل اخذ رأيه ، وينتخب الحاكم بموجب استقلال الجبل مع مراعاة عاداته وامتيازاته الموروثة (البشير ، ١٩٢٤ ، ٣١٢٠ ؛ البشير ، ١٩٢٤ ، ٣١٥٨ ؛ البشير ، ١٩٢٤ ، ٣١٥٩) .

ويبدو لي ان هذه المطالب التي طلبها المتحدث بأسم الوفد الدرزي كان الغاية منها التأكيد على استقلال الجبل وتقليص نفوذ وسلطة وحكم كاريبه بشؤون الجبل وهي مطالب شرعية وقانونية لان اهل الجبل احق بحكم الجبل .

ان اول عمل قام به كاريبه عملية انتخاب مجلس نيابي جديد او بالاصح تعيينه عمل هذا المجلس بأىصال كاريبه الى الحاكميه بالاصالة وكوفىء من قبل فرنسا بتسليمه قيادة الجيش ورئاسة الاستخبارات ، ان هذه المسؤولية الجديدة فسحت له المجال من خلال الصلاحيات التي اعطيت له ولقب نفسه (امبراطور الجبل) (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩ ، ص ٨٣) .

لم يكتف كاريبه بسلب حق الدروز في الحاكميه بل اضطهد الطرشان وانصارهم واتباعهم والى الرأي العام عليهم واغلق دورهم في السويداء ومنع الاهالي من زيارتهم وتشيع جنازاتهم وزج المعارضين في مستودعات الفحم ولاحق اللاجئين الى الجبل خارقا حرمة المضافات وفرض غرامة مالية على السويداء مقدارها خمسة وعشرون ليرة ذهبية لضياح قطة الملازم موريل الفرنسي (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩ ، ص ٨٤) .

ويمكن القول ان الاجراءات والاساليب التي قام بها كاريبه ضد الدروز المعارضين له ، كي يحد من قوتهم ويعمل على التخلص منهم واذلالهم بشتى الوسائل التي استخدمها ، وهذا انعكس ايجابيا على الدروز بحيث اصبحوا مهينين لمواجهة كاريبه بشكل ثورة منتظمة بعد ان بدأ بينهم الاجتماعات السرية ولهجة السنتهم بالثورة .

ثورة ١٩٢٢

اصدرت الحكومة الفرنسية حكم الاعدام على ادهم خنجر* (هو من اسرة خنجر المعروفة التي تقيم في جبل عامل بقرية قرب صيدا ، ولد سنة ١٨٩٥ يحمل فكرة عربية اسلامية صادقة وكان في الخامسة والعشرين من عمره عندما ثار جبل عامل ، فقام بحركة

ثورية على المطار الفرنسي و حرق طائرة) (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٧)
ثائرا من جنوب لبنان ضد الفرنسيين بعد ان تمكنوا من سحق ثورة قومه في جبل عامل
١٩٢٠ ، واشترك في ٢٣ / حزيران / ١٩٢١ في محاولة اغتيال الجنرال غورو الحاكم
العسكري الفرنسي ، ففر الى الاردن ومكث هناك سنة ، في ١٧ / تموز / ١٩٢٢ كان
متوجها الى جبل عامل وفي طريقه تمرض برمد العين وغير طريقه الى جبل الدروز
(العرب) قاصدا دار سلطان الاطرش فالقي القبض عليه قبل ان يصل دار الاطرش (تاريخ
الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٨) .

كان سلطان الاطرش في بلدة ام الرمان عند صديقه حمد البربور ، حين حضر
شكيب وهاب احد رفاق ادهم خنجر واخبره ، بأن ادهم توجه الى القرية بقصد اللجوء اليه ،
فعاد سلطان الاطرش فورا الى بلده فلم يجد ضيفه في داره وعلم باعقاله في ٢٢ / تموز /
١٩٢٢ وانه اسير السلطة الفرنسية التي لم تحترم حق الضيافة وحرمة الدار فاسرع لاطلاق
صراحه مقابل فدية كبيرة من المال وازالة الالهانة التي لحقت به (اما ادهم فقد ارسل رسالة
اليه بواسطة النائب ضابط حمد البعيني يقول فيها انه اتى الى داره ضيفا ومشرفا) (بنو
معروف ، ١٩٢٤ ، ص ١٣٣) .

بدأ سلطان الاطرش تحركاته ، فافود سلطان اخاه علي الاطرش الى السويداء
للتفاوض مع المستشار الفرنسي ترانكا ، واخبره ان اعتقال ادهم يتعارض مع العادات
والتقاليد المحلية وكذلك يتعارض مع البند الثاني من الاتفاقية الدرزية الفرنسية التي تقول ان
طراز حكومة الجبل ان يكون ((منطقيا على العوائد المحلية)) فعد ترانكا ذلك تهويلا
واعترضوا على تطبيق القانون الذي تحرص وتسعى حكومته ان ياخذ مجراه بحق انسان
تعتبره مجرما ، مع هذا تابع سلطان اتصالاته مقدما كفالته الشخصية وكفالة توفيق الاطرش
مدير درك الحكومة ، كما ارسل سلطان متعب الاطرش رسولا ثانيا فرفض المستشار مقابلته
(الثورة السورية الكبرى ، ١٩٧١ ، ص ٩٤) .

فاجارة النزول في نظر سلطان الاطرش لها جانبان تقتزن بهما كرامته في الجبل وبين
العشائر ، صحيح ان سلطة القانون العادل هي افضل من هيمنة وسيطرة الاعراف والتقاليد

والعادات ولكن مجتمع جبل الدروز (العرب) ومحيطه انذاك لم يكن قد وصلا بعد الى مرحلة المجتمع المدني ، اصف الى ذلك ان قضية ادهم فيها ناحيتين :

اولاً :انه ضيف وعلى المضيف ان يحيمه جريا على العادات المتبعه المرتبطه بكرامة الجماعة والوطن.

ثانياً: انه وطني لا يمكن تصنيفه كمجرم ومعاملته معاملة الاشقياء من قبل دولة اجنبية دفعت الوطنيين الى الثورة عليها ، واعتماد حرب العصابات لاجراجها من البلاد (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ١٠٠ ؛ تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٥-١٨٦) .

لم يدخل اليأس في قلب سلطان الاطرش ، بل تابع اتصالاته فبعث ببرقية الى المندوب السامي غورو ولم يتلقى جوابا عليها ، فشلت جميع مساعي سلطان الاطرش لاطلاق صراح ضيفه كل الوسائل السلمية ، فلم يبق امامه الا استعمال السلاح (مقالة ، ١٩٧١ ، ص ٢٣) .

بيدوا لي ان سلطان الاطرش كان مقتنعا بأن الحقوق تؤخذ من الدول الاستعمارية بالقوة ، وانما استخدم كافة السبل والوسائل السلمية لاحقاق الحق لكي يقنع اتباعه ولا يقع عليه اللوم ، فيما بعد عند استخدامه الاسلوب الذي يفهمه الفرنسيون .

أخذ سلطان الاطرش قرارا خطيرا اجبر عليه في ظروف غير ملائمة وخطوة ارتجالية لم يسبقها اتصال او تمهيد او تهيئة ، هي ثورة الكريم اذا غضب والذي يطعن في كرامته والابي الذي يجرح اباؤه والمحق الذي يغتصب حقه ، فلا يحسب حساب الريح او الخسارة ، بل يبادر فورا الى رد الالهانة والجهاد من اجل تحصيل حقه ولو كلفه حياته ، فالواجب عليه يقضي انقاذ ضيفه ادهم ويحفظ كرامة الحمى المنيع الذي استباحه الفرنسيون في غفلة من الزمن ، مهما كانت التضحيات والنتائج (جبل العرب ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٣) .

قاد سلطان حملة مع نخبة من رفاقه ابرزهم اخاه مصطفى وحمد البربور وشكيب وهاب للاشراف على طريق السويداء وقطعها ، فعل سلطان كل هذا على الرغم من معارضة الحكومة المحلية للجبل واغلب الزعماء وحتى رؤساء الدين الحوا على ايقاف التدابير المنبه بالثورة .

ادرك الفرنسيون ان قواتهم الموجودة في السويداء لا يمكنها اختراق الحصار الذي فرضه الدروز ، وتأمين عملية نقل ادهم من السويداء الى دمشق ، فطلبوا المساعدة فارسلت اليهم السلطة الفرنسية قوة من درعا ، واجها رفاق سلطان في تل الحديد غربي السويداء ، ودارت بينهما معركة كانت نتيجتها مقتل الضابط بوكسان وثلاثة من جنوده وتعطيل مصفحة واسر اربعة جنود وتولى حراستهم شكيب وهاب (روز اليوسف ، ١٩٢٦ ، ص١٨).

وصل وفد من اعضاء المجلس النيابي في حكومة جبل الدروز وقائد الدرك حسني صخر بعد انتهاء المعركة ، كما وصل سليم ونسيب الاطرش قادمين من دمشق ، فاتفقوا مع سلطان بعد نقاش حاد كاد يؤدي الى صدام بينهم على ما يلي :

١- فك الحصار عن السويداء واعادة القوات المرابطة الى قراها .

٢- تسليم الاسرى الاربعة .

٣- ترك قضية ادهم خنجر ليعالجها الوفد بجو ودي وطريقة سلمية مع السلطة الفرنسية.

٤- يتعهد الوفد بتسليم ادهم لسلطان ورده سالما في اقرب فرصة ممكنة (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص٧٩) .

يبدو لي ان هذا الاتفاق كان الغرض منه افشال حركة سلطان الاطرش واجهاض ثورته وفك الحصار عن السويداء لان الوفد الذي جاء من دمشق كانوا من المتعاونيين والمؤيدين للفرنسيين وكان يجب على سلطان ان لا يثق بهم مطلقا .

ندم سلطان الاطرش على تسليم الاسرى الاربعة للوفد ، ولو ابقاهم رهائن عنده لكانوا خير فداء لادهم الذي نقلته السلطة بالطائرة الى دمشق ومنها الى بيروت حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فيه (البشير ، ١٩٢٢ ، ص٢٩٠١) .

بامر من الفرنسيين قامت الحكومة المحلية بمطاردة سلطان الاطرش ورفاقه واتباعه وفرضت الحكومة الفرنسية غرامة نقدية على القرى التي وقفت الى جانب سلطان الاطرش واوته ودفعت هذه الغرامة الى صندوق الحكومة في السويداء، وغالباً ما كان سلطان يتحاشى الاصطدام بمسؤولي القرى التي كان يتواجد فيها ، خوفاً على الدماء والارواح لان سلطان كان

أحرص عليها من الفرنسيين الذين نجحوا في تهديد الدروز بالدروز، فالذين يطاردونه هم أبناء الجبل الذين يحملون اسم عشيرته وهيبتها (البشير، ١٩٢٢، ٢٩٠١).

عمدت السلطة الفرنسية إلى أسلوب التهديد و التهويل والترغيب ولجأت إلى رؤساء الدين في الجبل على سبيل المثال (الشيخ حسن جربوع ، الشيخ محمود أبو فخر وغيرهم)، فأستعدتهم على سلطان الأطرش وحذروا الدروز من التعاون مع سلطان وادي من يساعده وجماعته سوف يكون تحت الجرم العظيم والسخط الجسيم (سلطان الأطرش، ١٩٧٩، ص١٠٦-١٠٧).

يمكن القول أن استخدام رجال الدين من قبل الفرنسيين لانهم يعرفون تأثير رجال الدين من خلال الفتوة على المجتمع العربي الاسلامي خاصة لذلك نجد الفرنسيون قد جندوا رجال الدين لمصلحتهم عن طريق الترغيب ومنح الهدايا والاموال .

امام هذا التحرك الواسع ضد سلطان ورفاقه من قبل السلطة الفرنسية والحكومة المحلية للجبل واعوانها ومن رؤساء الدين وقيامهم بهدم داره ودور رفاقه ، وجد سلطان نفسه مضطراً هو ومن معه إلى ترك الجبل مدركون تمام الادراك ان من وقفوا ضده ، فعلوا ذلك مجبرين ، اما امام الخوف الذي تعرضوا له من السلطة الفرنسية او لتحقيق مصلحة خاصة لهم ، وشعور سلطان ورفاقه بأن بقائهم فيه ضرر كبير عليهم وعلى اهل الجبل (رجالات جبل العرب ، ١٩٦١، ص٣٣).

لجأ سلطان الأطرش إلى الاردن، لكن الحكومة الفرنسية قلقت من وجوده بالاردن ، فأرسلت متعب الأطرش على رأس وفد من الجبل لاقتناعه بالعودة ((وقدم له ختم المستشارية الفرنسية دليلاً على رغبة السلطة بمفاوضته ومصالحته ، فرفض وعاد متعب مع الوفد المرافق له دون ان يتكلم مسعاه بالنجاح)) (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩، ص٨١).

استخدم الفرنسيون أسلوب الخديعة محاولين الايقاع به عن طريق صديقه يوسف الشوبري الذي كان يجهل نواياهم ومؤامراتهم الدنيئة المدبرة ضدتهما معاً ، ونقل رغبتهم بالتفاوض معه، وحددوا له بلدة سمح مركزاً للمفاوضة، ادرك سلطان بحدسه ان رغبة التفاوض هذه وتحديد المكان في سمح حيث توجد مواشيه التي ارسلها للرعي في الجبل ، هو استدراج له لمكان معين يحاصرونه فيه ويقضون عليه وعلى رفاقه ويستولون على مواشيه ، فأخذ

سلطان الحذر واحتاط للأمر وابتعد عن قرية سمج فلاحظ ان الجيش الفرنسي يطوقها قبل الموعد المحدد ويسوقون المواشي وبالرغم من قلة رجاله ، فأدرك سلطان الشر الذي يضمرونه له ، فنصب كمين لهم في مكان يسمى (دير الخريبة) ودارت بينهم معركة كبرى هزمهم فيها وانزل في صفوفهم تسعة قتلى وعشرين جريح واسترجع مواشيه واخذ اربعة عشر بغلاً محمل بالموئن والذخيرة ، فأنتقم الفرنسيون من يوسف الشوبري وسجنوه ، لكن سلطان حرره في ما بعد (جبل الدروز، ١٩٦١، ص١٨٧).

استأذن سلطان من الحكومة الاردنية ان تسمح له بالاقامة على ارضها فوافقت ، وكان ينتظر منها اكثر من استضافته اي تقديم مساعدة له ، للوقوف بوجه الفرنسيين واعداد ثورة عارمة تخرجهم من سوريا فذهب شكيب وهاب والتقى برضا الركابي رئيس وزراء الاردن لاغتنام الفوضى ودخول سوريا، الا ان الركابي لم يبد حماساً واهتماماً للفكرة (الثورة السورية الكبرى، ١٩٧١، ص٩٧).

قام سلطان الاطرش بنفسه بالاتصال بالحكومة الاردنية فقص الامير عبدالله بعد تركه الجبل في طلب مساعدته للوقوف بوجه الفرنسيين والقيام بالثورة، لكن الامير عبدالله رفض تقديم المساعدة له ، بل وجه بعض اللوم عليه وعلى عمله (المعرض، ١٩٢٢، العدد ١٣٧).

اصدرت السلطة الفرنسية حكم الاعدام على سلطان الاطرش في ٦/تشرين الاول ١٩٢٢/ محملة سلطان مسؤولية مقتل الملازم بوكسان وثلاث غيره في تل الحديد والعديد من جنودها اثناء تعقبه للقبض عليه واثناء غاراته على مراكزها ، ولو قدر للقوات الفرنسية ان تلقي القبض عليه بالقوة او بالحيلة والغدر لكانت نفذت فيه حكمها فوراً جزاءً له ،وعبرة لغيره حفاظاً على هيبتها ونفوذها وتخلصاً من المتاعب التي قد يسببها ثائر رفع السيف في وجهها لاول مرة في جبل الدروز (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩، ص١١١).

شكل وفد من زعماء جبل الدروز غايته الصلح ، مؤلف من ابراهيم الاطرش واسماعيل الحجلي وفواز عز الدين فوصل الوفد الى النتيجة الاتية :

ألغاء الحكم الصادر بحق سلطان الاطرش والعفو عنه وقبول عودته الى جبل الدروز(العرب)، عفت الحكومة الفرنسية عن سلطان الاطرش في ٤/نيسان/١٩٢٣ (سلطان الاطرش، ١٩٧٩، ص١١٢).

يبدو لي ان سبب الاعفاء يعود ربما الى تخوف الحكومة الفرنسية من بقاء الاطرش داخل الحدود الاردنية وعلى الاكثر سوف تجدد العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية من ما قد تسبب المزيد من الخسائر في صفوف قواتهم وهذا يؤثر كثيراً على الرأي العام الفرنسي.

عاد سلطان الاطرش الى السويداء في ٥/نيسان/١٩٢٣ ذكرى عيد استقلال الجبل، وقصد عين الزمان وهو اشهر المقامات الدينية عند دروز الجبل، فهرع الاهل والاحبة الى استقباله تاركين احتفال العيد، بحيث لم يبقى الى جانب المسؤولين الدروز والفرنسيين الا القليل، وساروا معه في تظاهرة وطنية كبرى الى مكان الاحتفال، وهذا ادى الى ازعاج المستشار الفرنسي ترانكا لما رافقها من اهازيج وزغاريد ونخوات، اما الاسباب التي دفعت سلطان للعودة فكثيرة منها ان العمل ضد الفرنسيين من الداخل اسهل واجدى من العمل من الخارج، وسكن الديرة افضل من سكن الجوار، وموقف الانكليز والحكومة الاردنية بات مشكوك فيه غير مضمون (سلطان، ١٩٧٩، ص١١٢-١١٣).

ثورة الدروز ١٩٢٥

كان سلطان الاطرش طيلة الفترة الممتدة بين ١٩٢٤ - ١٩٢٥ هي الفترة التي تمادى فيها كارييه في طغيانه وجبروته يفكر في الثورة وتزداد قناعته يوماً بعد يوم، ومنتظر اليوم الذي يبلغ التوتر حد الانفجار الشامل (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص٨٤).

ولما بلغ استياء السوريين من السياسة الفرنسية التي اتبعوها في الدويلات السورية وتكاملت اسباب ثورتهم، وبدؤوا عام ١٩٢٥ مستعدين للتجاوب مع الدعوة لها اكثر من اي وقت مضى، كان هنالك في جميع المناطق السورية احساس بأن الفرنسي تمادى في تحكمه وان الحالة اصبحت لاتطاق وأنه لا مفر من الثورة (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص١٢٠).

ويبدو لي ان هناك حقيقة واضحة للعيون المتجهة نحو جبل الدروز (العرب) الى اعلان الثورة مع بقية المناطق السورية وكانوا بحاجة الى قائد يعلنها ويفجرها ، كان سلطان الاطرش هو القائد الذي ينتظره السوريين .

كانت الشرارة التي اشعلت الثورة رفض ساراي مقابلة زعماء الدروز في السويداء في ٥/نيسان /١٩٢٥ ، وتجاهل الاتفاقية الدرزية الفرنسية في دمشق حين طلبوا تنفيذها وتعين حاكم اهلي (سكوت ساراي ، ١٩٣٦ ، ص ٦٩ ؛ دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص ١٦٥) ، مهددا بالعقاب كل من يطالب بها ، كما اساء استقبالهم في بيروت في ١٧/حزيران/١٩٢٥ (دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص ١٦٦) .

رجع الامير حسن الاطرش من دمشق ولديه خبر اعتقال الزعماء الثلاثة حمد وعبدالغفار ونسيب الاطرش الذين استدرجهم ساراي في ١٤/ تموز /١٩٢٥ (دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص ١٦٥) .

كان سلطان الاطرش في رساس يزور متعب الاطرش ، فأخذ قرار الثورة التي طالما فكر بها ، وبلغ الاستبداد الفرنسي اوجه وبلغ التذمر الدرزي اوجه ، وبارك شيوخ العقل قرار الثورة بلسان الشيخ علي الحناوي الذي نقل اليه قرار الثورة في ساعة متأخرة من ليل ١٧ / تموز / ١٩٢٥ وحصل القرار على تأييد الهيئة الروحية ، المؤلفة منه ومن الشيخ احمد الهجري والشيخ حسن الجربوع ويظهر ان الشيخ الرابع محمود ابو فخر لم يكن قد اقتنع بفكرة الثورة لانه كان من المواليين للفرنسيين (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ١١١) .

حاول حاكم جبل الدروز (توما مارتان) خداع سلطان بمكيدة ثانية لايقاعه فيها ، بعد ان فشلت مكيدة ساراي ، فأرسل الملازم فرتييه يجدد الدعوة له لبحث شؤون الوضع المتوتر فرفض واجاب ساخرا بما يلي : ((اتظنون ايها الفرنسيون اننا بسطاء الى هذه الدرجة ؟ تعتقلون زعماء البلاد وقادة الرأي فيها بالحيلة والغدر وتطلبون منا التشاور في الحلول السلمية ؟ من السهل علينا الان ان نقابل رؤساءك بالمثل فنلقي القبض عليك لتكون رهينة بيدنا ، ولكننا نأبى ان نتبع مثل هذا الاسلوب)) (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ١١٣) .

لم يكتف سلطان الاطرش بذلك الجواب ، بل قام بأصاله الى المكان الذي جاء منه مع فريق من رجاله ، كان سلطان مدركا تماما عقم الاتصالات والمفاوضات مع الفرنسيين وان اسلوب الاحتجاج والعرائض والمظاهرات وان كان محركا لشعور الجماهير ، لكن هذا لا يبدل من مواقفهم .

ان الاحزاب السياسية التي تأسست في سوريا (حزب الشعب و حزب الاستقلال) قد تكون اطرا لتنظيم العمل السياسي فقط ، لكن الثورة المسلحة وحدها هي التي تجعل الفرنسيين قلقين وتسلب راحتهم وان رصاصها هو الذي يزعج اذانه فيسمع مطالب الشعب المظلوم (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ١٥٣) .

كان سلطان الاطرش يفكر بالثورة منذ ان القى سلاحه اثر ثورته عام ١٩٢٢ ، لكنه كان يريدنا ناجحه تبدا بداية حسنة ، ولا تستقطب جميع الدروز في الجبل فحسب ، بل جميع السوريين لذا كان يؤجل تنفيذها الى يوم يمكنه فيه تأليب عدد من المؤيدين لانزال ضربة كبرى بالفرنسيين ، ويحسب الف حساب للمعركة الاولى ، وبخشي اذا هزم فيها الا يعقبها معارك اخرى ((فأى هزيمة تلحق بالدروز في المعركة الاولى تكون عواقبها وخيمة على جبل الدروز كله ، بل على سورية التي يعرف احرارها ، ويتربون اخبار الثورة التي ظهرت بوادرها في جبل الدروز وعلى نتائج المعركة الاولى يتوقف اندفاع الدروز جميعا في تأييد الثورة التي عزم على ان يخوض غمارها ويكون رمزها و قائدها)) (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص ١٦٥) ، وتميزت ثورة ١٩٢٥ بأنها اول حركة وطنية مسلحة عامة ، قابلت القوة بالقوة على شكل ادنى ان يوصف بالحرب المنظمة ، من ان يوصف بالاحتجاج والتظاهر (صانعوا الجلاء ، ١٩٩٧ ، ص ٣٤٥) .

وقد تحققت حسابات سلطان الاطرش في معركة الكفر ، فكان فخورا بالانتصار فيها واعيا ابعادها ونتائجها لا على صعيد الجبل فحسب ، بل على صعيد سوريا كلها ، لذا بادر من فوره للانتقال الى قنوات التي اتخذها مركز لقيادته ، ومنها بدأ الاتصال بقرى الجبل ودعا سلطان الى الثورة في تل الخروف في اواسط تموز / ١٩٢٥ ولقيت هذه الدعوة تجاوبا كبيرا من قبل فرسان الجبل على اثر الانتصار في معركة الكفر ، واذا بالجميع توافدوا الى

قنوات ليعلموا تأييدهم له ، ولينضوا تحت لوائه ليستعدوا للدفاع عن الجبل بعد ان بلغتهم انباء حشود الفرنسيين (قصة الكفاح ، ١٩٥٨ ، ص ٢١١) .

بقدر ما اعطى انتصار معركة الكفر رقما للثورة وتأييدا لسلطان ، بقدر ما احدث في اوساط الفرنسيين هلعا على مصير وجودهم في الجبل ومصير حاميتهم المحاصرة في السويداء ، وبقدر ما احدث من تاثير في نفس ساراي العصبي انفعالا وغضبا قاده الى اصدار الاوامر عند تلقيه انباء الهزيمة الى الجنرال ميشو ، فالموضوع عنده بات مقترنا باعتباره الشخصي ، تحدى زعماء الدروز واهانهم ، فرد سلطان على تحديه واهانته بمثلها وبسرعة ، لذا كان همه اخماد الثورة بسرعة والقبض على سلطان ومحاسبته ، وكان ميشو صورة صادقة عنه فهو لم يكثر لخصمه وظن ان الامر يتعلق بنزهة عسكرية فاختر اخطر طريق توصله الى السويداء (سكوت ساراي ، ١٩٣٦ ، ص ٨٣) .

بدات تحركات سلطان باتجاه القرى الدرزية ومعه مجموعة من الفرسان في ١٧/تموز/ ١٩٢٥ من الرقيا الى يكا وام الرمان وامنتان وملح ، وكان كلما وصل الى قرية لاقاه فرسانها بالنخوات والاهازيج واطلاق الرصاص ونسائها بالزغاريد وشيوخها بالدعاء ، واروع وصف لتنتقلات سلطان ، هو ما ذكره عبدالرحمن الشهبندر في مذكراته :

((ليس في تاريخ الثورة جميعا صفحة تليق قراءتها اكثر من خبر السياسة التي سلكها سلطان في التنقل)) ، فلما ذهب من امتنان الى ملح مثلا سار معه نحو اربعين فارسا لكنه ارسل رسلا قبله فأوهموا اهل ملح ان جميع الرجال القادرين على حمل السلاح في المقرن الجنوبي هبوا على قدم وساق لانقاذ شرف الطائفة الدرزية (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص ٥٨-٥٩) .

هذه التطورات التي تنبىء بعواقب وخيمة اقلقت السلطة الفرنسية ، فسارع الجنرال سول قائد الجيوش الفرنسية في دمشق وحوران وجبل الدروز لمعالجتها ووصل الى السويداء في ١٩/تموز/ ١٩٢٥ ،

وقرر فورا ارسال حملة في اليوم الثانية لتعقب سلطان الاطرش ومحاولة اللقاء القبض عليه وخنق الثورة في مهدها .

بدأت الثورة بعد قيام الثوار بأسقاط طائرتين فرنسيتين هاجمتا صلخد في ٢٠/تموز/١٩٢٥ واحرقوا بمساعدة اهلها دار البعثة الفرنسية ، فانطلقت في اليوم نفسه ، حملة فرنسية بقيادة نورمان الذي حسب نفسه انه يقوم بنزهة وتصور ان اللقاء القبض على سلطان امر سهل (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص١٦٤) .

كان سلطان الاطرش قد ارسل قاسم الاطرش وعبدالله العبد لمقابلة نورمان ونصحه بالانسحاب وتسليمه كتابا لينقله الى السلطة الفرنسية يحملها مسؤولية سياستها الاستبدادية في سوريا ، فكان جوابه الرفض وكرر التهديدات منها انه سيلقي القبض على سلطان واعوانه وانه بإمكانه ان يقتل ثلاثة الاف درزي بالرشاش الذي يحمله وان ترجمانه الملازم يوسف الصايغ يستطيع ان يسوق الدروز بعصاه من السور الكبيرة شمالا الى العانات جنوبا ، ثم التفت الى بقية اعضاء الوفد وقال لهم :

((اذهبوا الى سلطان ، وقولوا له انني بانتظاره على احر من الجمر)) (مذكرات

سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٨) .

نقلت اجوبة نورمان الى سلطان الاطرش فلم يدعه ينتظر طويلا ، وكان رده سريعا اذ ساره للحال في ٢١/تموز/ ١٩٢٥ من صلخد الى الكفر ، وكان هذا اليوم يصادف ذكرى ثورته عام ١٩٢٢ ، وقد بلغ من حماسة رجاله حدا لم يستطع معه تقرير اي خطة ، وكل ما فعله هو تنظيمهم الى فريقين ، المشاة ساروا في الطريق الوعر من ناحية الشرق ، والفرسان ساروا في طريق اقل وعورة من ناحية الغرب ، وهو امامهم يقتحم الردى وبدأت المعركة ظهرا ، لكنها لم تدم اكثر من نصف ساعة حتى انه لم تنتج لبعض الثوار الاشتراك فيها ، وحالت سرعة الهجوم وهول المفاجأة بين الفرنسيين ان تركوا اسلحتهم ، فسكتت رشاشاتهم واختلط الدروز بهم واعملوا السيف والخناجر في رقابهم ، فخر نورمان صريعا ولم ينج من جنوده الا خمسة او ستة لجأوا الى السويداء لينقلوا خبر هذه الكارثة الى توما مارتان (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١١٥) .

كان سلطان الاطرش قد حدد ٣٠/تموز/ ١٩٢٥ موعدا لاجتماع البيارق بجوار نبع قراصة للدفاع عن السويداء ، وجرى تباحث مع زعماء الدروز في كيفية مواجهة الجيش الفرنسي ، وصل عبد الغفار الاطرش الذي اطلق سراحه الفرنسيون ليفاوض بني قومه على

انهاء القتال ، فحاول اقناع الدروز بذلك ((فسبوه و شتموه علناً و اتهموه بالخيانة)) (مذكرات عادل ، ١٩٨٣ ، ص ٣٥١) .

نجح سلطان الاطرش في تحييته عن مكان الاجتماع واقناعه بالالتحاق بعائلته في بلدة قنوت وساعده سليمان نصار بأثارة حماسية الجماهير حين حرف رسالة بعثها زعماء حوران ، فاعلن استعدادهم لمساعدة الثوار بدلا من تحذيرهم اياهم بلوغ الاراضي الحورانية ، وياشر الثوار بانتشارهم وبادوا صباح اليوم الاول من اب ١٩٢٥ مناوشة الجيش الفرنسي في جهات بصرى الحرير لايعاقة تقدمه ، لكنه تابع زحفه حتى وصل الى تل الخروف .

وفي صباح اليوم الثاني من اب قاموا بهجوم عنيف فتصدى لهم فرسان الدروز وشاغلوهم لبعض الوقت وانسحب الجيش الفرنسي امامهم حسب خطة مرسومة من قبل الجنرال ميشو لاستدراجهم الى الكمين المعد لهم في تل الخروف حيث تساقط العشرات امام المتاريس والاستحكامات الفرنسية ولم ينج من طليعتهم الا القليل ، فيما كان سلطان يراقب سير المعركة ويذهل لهذه النتيجة غير المتوقعة ويؤلمه تحول الشجاعة الدرزية الى تهور ، بدأ الفرنسيون يقصفون نبع المزرعة تمهيدا لتقدمهم اليه ، انتقل سلطان الى نبع الفارعه ومنه الى بلدة سليم الاطرش للتشاور مع زعماء جبل الدروز لوضع خطة جديدة لوقف تقدم الجيش الفرنسي والدفاع عن السويداء ، اعتقد ميشو ان انتصاره قد حسم في اليومين من اب ، وان مقاومة الدروز قد سقطت بعد سقوط الكثير من نخبة فرسانهم وان طريق السويداء اصبح سالكاً ومفتوحاً ، وكان ميشو مضطرا ان يؤمن الماء لجيشه ، فجد في التقدم والمسير الى نبع المزرعة فاصلا بين مقدمة جيشه ومؤخرته ، مستهيناً بالدروز غافلا عما يخبؤه له القدر من المفاجآت ، واستغل الثوار هذه الفرصة وحرموه من نشوة الانتصار والسعادة التي كان يشعر بها ميشو (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص ٦٢-٦٤) .

انقض فرسان الدروز على مؤخرة الجيش الفرنسي حيث العتاد والذخيرة المؤنة ، وعملوا السيف في رقاب افرادها وبادوا معظمهم وعادوا الى قراهم بما استطاعوا ان يحملوا على ظهور الخيل والبغال من الغنائم ، ويسألون عن سلطان ليشرحوا له الامر بعد ان سبقتهم الرسل الى قرية سليم الاطرش ليبشروه بالنصر غير المتوقع (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص ٦٥-٦٦) .

اعتقد البعض ان التحام الدروز مع مؤخرة الجيش الفرنسي كان مصادفة وان المهاجمين لم يعلموا بهزيمة اخوانهم في الصباح لتعوقهم عن الحضور ، وان سلطان ادرك انهم ((التقوا مصادفة بمؤخرة الجيش والاستيلاء عليها)) (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص١٧٣-١٧٤) .

هنالك مجموعة من الآراء تختلف تماما مع هذا الرأي ، اي ان الهجوم كان مقصودا حتى يذكر سلامة عبيد ينسبه الى ((تحريض من زوج المجاهد عباس ابي عاصي في نجران بعد ان رفضت ان يمد اي تآثر يده الى الطعام الذي اعدته لهم الا اذا وعد بالعودة الى ساحة القتال)) واشتركت قرى الثعلة والسجن وعريقه وسميع ودروز المجدل وكفر اللحف وريم الفخور (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص١٤٣ ؛ الثورة السورية الكبرى ، ١٩٧١ ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ بنو معروف ، ١٩٥٤ ، ص١٦٢) .

ويبدو لي ان الرأي الثاني هو الاصول لان العملية مقصودة ومدبرة ومخطط لها من قبل الثوار ، لان سلطان الاطرش عندما وصل الى نبع الفارعة للتشاور مع زعماء الجبل لوضع خطة لوقف تقدم الجيش الفرنسي والدفاع عن السويداء ، وان الهزيمة التي تعرض لها الدروز في صباح اليوم الاول والثاني من اب لم تفشل وتقلل من عزيمة الدروز للانقضاض على مؤخرة الجيش الفرنسي ، فضلا عن القرى التي اشتركت في الهجوم على مؤخرة الجيش ساهمت مساهمة فعالة في سحق الجيش الفرنسي والاستيلاء عليه واخذ الغنائم .

عاد الامل الى نفس سلطان ونفوس المقاتلين النصر الذي تحقق ، فبادر فوراً الى ارسال الرسل الى القرى لاعلامها بما جرى واستنفارها وتجهيئتها لمعركة الغد لاتمام العمل الذي قام به ثوار الدروز والانضمام اليهم (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١٣١) .

بدأت معركة المزرعة في صباح اليوم الثالث من اب ١٩٢٥ وكان المقاتلون يزحفون بقيادة سلطان الاطرش الى نبع المزرعة ويحيطون بالجيش الفرنسي الذي خيم عنده ، واقام الاستحكامات حوله ، مشاة يتسللون بين الصخور السوداء وفرسان يهزمون خيولهم والجميع مستعد للاخذ بثأرهم من هزيمة الامس ولاشفاء الغليل في الصدور وتحقيق امنية في النفوس الا وهي قهر المحتل واجلائه عن البلاد (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١٣٢) .

بدأت المعركة حامية الوطيس وكان حظ الدروز من النجاح يبدو نظرياً اقل بكثير من حظ الاعداء لانهم مهاجمون مكشوفون واسلحتهم خفيفة وهؤلاء محصنون في خنادقهم متمركزون خلف استحكاماتهم واسلحتهم ثقيلة ، وطالما ظل بمقدور الفرنسيين استعمال مدافعهم ومصفحاتهم واسلحتهم الرشاشة ، ظل وضعهم حسناً يحصدون المهاجمين بنيرانهم ، لكن الوضع انقلب لمصلحة الدروز حين استطاعوا الالتحام بهم وبطل عمل اسلحتهم الثقيلة وحولوا المعركة في معظمها للقتال بالسلاح الابيض فاستطاع الدروز ان يبيدوا بالسيوف والخناجر والفؤوس وبعض البنادق حملة تفوقهم عدداً وعدة و يسيطروا على اروع ملحمة في تاريخ سوريا الحديث وغنموا اسلحة وذخائر سلحوا بها العزل وتمكنوا بواسطتها من متابعة القتال وتأروا لمعركة ميسلون وبرهنوا للجنرال غورو الذي وقف امام قبر صلاح الدين الايوبي بعد معركة ميسلون وقال ((ها نحن جننا و لن نخرج ، فاين جنودك يا صلاح الدين)) ، انهم احفاد صلاح الدين الذين سيخرجون الصليبيين الجدد من المشرق (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١٣٣) .

التجأ بعض الهاربين و التائهين من الجيش الفرنسي الى كناكر وضمن سلامتهم بن مختار كناكر وسلمهم الى سلطان الاطرش، وقد صدم الفرنسيون بهذه النتيجة و ذهلوا وعمدوا في البداية الى التضليل واخفاء الحقائق والتقليل من الخسائر ومن اهمية هذا الحدث ، ويذكر الكابتن بورون ((وفي المزرعة قضي على حملة ميشو القادمة لمعونة المحاصرين قضاءً مبرماً)) (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص١٣٨).

تطرق صاحب كتاب الذهبي لجيوش الشرق ((ان الحملة اضطرت ان تلتوي تاركَةً ورائها الخسائر الذريعة)) (لجيوش الشرق ، ١٩٣٩ ، ص١٤١) .

خسر الدروز الفرصة الذهبية في القضاء على الفرنسيين وطردهم نهائياً ، لو استثمروا انتصار معركة المزرعة الذي يوصف بأنه انتصاراً باهراً ، فلا سلطان امر ثواره بأكمال الهجوم على الفرنسيين الذين كانوا مشلولي القوى يجتازوا اخطر مرحلة واسوأ وضع منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولا القرى والمناطق السورية هبت لتكمل ما بداه الدروز او تسهم فيه بسرعة ، ولو حصل هذا لكان ادى الى طرد الفرنسيين نهائياً (مذكرات عبدالرحمن د.ت، ص٧١) .

قد تكون هناك اسباب منعت الدروز من مواصلة الهجوم على الفرنسيين منها :

١- وجود فرقة للفرنسيين في قلعة السويداء يمدونها بالذخائر والمؤن بواسطة الطائرات ويقصفون السويداء يومياً من البر والجو لتخفيف الضغط عنهم ، في حين يصر الدروز على مهاجمتها واحتلال القلعة لتطهير الجبل كلياً من الوجود الفرنسي والتخلص من اضرار مدافعها التي تشترك ايضاً في قصف السويداء .

٢- تحفظ سلطان المرور في الاراضي الحورانية بسبب تحالف قبائل السلوط مع الحكومة الفرنسية التي عقدت وطورت بتدخلاتها الخلافات القديمة بينهم وبين الدروز (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص ١٣٩).

٣- رفض زعماء حوران اقتراب الدروز من اراضيهم .

٤- عدم وجود اي اتفاق مسبق بين سلطان الاطرش و بين زعماء دمشق وسائر المناطق السورية ، يحدد فيها موعد الثورة وكيفية قيامها وتنسيق شؤونها وخطواتها (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ١٤٠).

يبدو لي ان النقطة او الفقرة الرابعة هي السبب المهم الرئيسي الذي منع الدروز من ملاحقة والهجوم على الفرنسيين ، والشيء الاخر انه لم تكن هناك استجابة فورية من سائر المناطق السورية التي كان يجب ان تبدأ بعد معركة الكفر او معركة المزرعة.

كلفت السلطة الفرنسية الكابتن رينو وترجمانه الندياق وعبد النجار باجراء مفاوضات الصلح مع الدروز وفي قرية الثعلة في دار نجم الدين، قدم سلطان الاطرش بعد الاتفاق مع الحاضرين في ٨/أب/١٩٢٥، شروط الدروز منها المدة القصوى للمفاوضات ثلاث ايام واشتراك الامير فؤاد ارسلان فيها ، اطلاق سراح المنفيين من زعماء الجبل والمعتقلين مقابل تسليم الأسرى الفرنسيين ،وقف القصف الفرنسي لقرى الجبل من قلعة السويداء وحوران (جبل الدروز ، ١٩٦١، ص ٤١٤).

رفضت هذه الشروط من قبل الفرنسيين لان رغبتهم كانت كسب الوقت لا للتفاوض وعقد الصلح وانهاء الازمة ، بل كان تخطيطهم سحق وانهاء الثورة الدرزية ، ريثما تصل قواتهم العسكرية الجديدة التي طلبوها من فرنسا ومن مستعمراتهم القريبة (جبل الدروز ، ١٩٦١، ص ٢٩٤-٢٩٥).

كان لحضور الوفد الدمشقي في اواسط آب ١٩٢٥ الى الجبل الاثر الكبير في توقف المفاوضات الدرزية الفرنسية وعملاً بمبدأ الاتفاق الذي توصل اليه مع زعمائه (لجيوش الشرق، ١٩٣٨، ص١٤٥).

ان تأخر قيام الثورة في دمشق وفي سائر المناطق السورية ، شهرين ونصف سمح للفرنسيين ان يستقدموا الامدادات من فرنسا عبر مرفأ بيروت ،ويتوجهوا الى الجبل بكل قواهم ، ويجهزوا حملة لتخليص الحامية الفرنسية المحاصرة في قلعة السويداء (سلطان الاطرش، ٢٠٠١ ، ص ١٤٣).

بدأت اولى محاولات توسيع نطاق الثورة مع الوفد الدمشقي الذي بايع سلطان بالقيادة العامة ، واتفق معه لنقل الثورة الى دمشق في ١٧/أب/ ١٩٢٥ ، وتاريخ الاتفاق يعتبر نظرياً تاريخ تحول الثورة الدرزية الى ثورة سورية كبرى ،اما عملياً فتحولها لم يحصل الا عند انتقال الثورة الى حماه، وتضمن الاتفاق ان تزحف قوات درزية نحو دمشق ويلاقيها الثوار الدمشقيون ،وان لا يعقد الدروز صلحاً منفرداً مع الفرنسيين ، وان يحتفظ الجبل بالقيادة (سلطان الاطرش، ٢٠٠١، ص١٤٨).

وفعلاً تم ارسال ١٥٠٠ مقاتل من جبل الدروز نحو دمشق وعند وصولهم الى منطقة العادلية هاجمتهم الطائرات الفرنسية و اوقفت زحفهم ولم يتقدم الدمشقيون لملاقاتهم حسب الخطة الموضوعة (فوزي القاوقجي، ١٩٧٥، ص٨٩).

ان جميع المفاوضات العلنية والشخصية بين (الدروز و الفرنسيين) قد وصلت الى طريق مسدود ، فلا القيادة العامة للثورة وافقت على ألقاء السلاح قبل الحصول على ضمانات ولا المندوب السامي عدل منهجه السياسي ، اذ انه كان يريد استسلاماً من الثوار لا سلاماً يثبت العلاقات بين البلدين على اسس متينه ، لذا كان لا بد من جولة عسكرية تنتقر على ضوءها مواقف جديدة (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩، ص١١٩).

كان واضحاً ان ثورة جبل الدروز لن تقلح في مواجهة اصرار الحكومة الفرنسية والقوات الفرنسية الا اذا ادت الى خلق حركة سياسية في اوربا قادرة على الضغط لتبديل السياسة الفرنسية (سوريا ولبنان ، ١٩٧٨، ص٢١٦).

اصدر المندوب السامي قراراً يقضي بمصادرة ممتلكات زعماء الثوار لانهم حرضوا اتباعهم على الثورة ، ولم يذكر سلطان بالاسم لكنه عناه، لانه زعيم زعماء الثوار ، وقد نفذ القرار وصادرت املاكه ، كما اصدر الفرنسيون حكم الاعدام على سلطان الاطرش للمرة الثانية ، كانت الاولى عام ١٩٢٢ اثر ثورته ، وهذه المرة عقب ثورته عام ١٩٢٥، بعد ان تم تشكيل المجلس العدلي الذي اصدر حكمه بالاعدام في ٢٧/ايار/١٩٢٦ (وثائق جديدة ، ١٩٦٥، ص١١٠؛ صانعو الجلاء، ١٩٩٧، ص٣٥٠-٣٥١).

اعلن المندوب السامي العفو في ١٢/حزيران /١٩٢٦ عن جميع مشايخ واعيان وعموم جبل الدروز (العرب) ، ما عدا خمسة منهم سلطان الاطرش ، متعب الاطرش ، زيد الاطرش، صياح الاطرش وعقلة القطامي (سوريا والانتداب ، ١٩٨٣، ص٢٠٦).

اصدر المفوض السامي في ١٦/شباط/١٩٢٨ فور تعيينه حكومة الشيخ تاج الدين الحسني قراراً بالعفو العام ، شمل الذين استسلموا سابقاً او يستسلمون خلال ثلاثين يوماً من توقيع المرسوم ، واستثنى من قرار العفو سلطان الاطرش ، عقلة القطامي ومحمد عز الدين الحلبي من جبل الدروز (سوريا و الانتداب ، ١٩٨٣، ص٢٠٧).

صدر قرار العفو عام ١٩٣٤ عن الزعماء واستثنى منه سلطان الاطرش ، عادل ارسلان ،شكيب ارسلان واحسان الجابري ، وبذلك يكون سلطان وبعض القادة قد استثنوا من العفو للاعوام (١٩٣٤، ١٩٢٨، ١٩٢٦) وظلوا بعيدين عن الوطن الذي بذلوا في سبيله التضحيات ورفضوا الاموال والارواح ، لكنهم عجزوا عن تحقيق امانهم في الوصول الى اهدافهم بتحرير وطنهم ، وان كانوا قد مهدوا لذلك وعبدو طريقه (مذكرات عادل ، ١٩٨٣، ص٦٤).

ويبدو لي ان عدم تنفيذ حكم الاعدام بسلطان يعود الى اعتقاد الفرنسيين بإمكان التفاوض معه واعادت الامور الى مجراها الطبيعي هذا جانب والجانب الاخر عدم قدرة الفرنسيين من الوصول اليه والامساك به وتنفيذ حكم الاعدام ، بل يمكن القول ان الشخصيات الوطنية التي لم يشملها العفو ، كان لهم تأثير فعال في مجريات الاحداث والثورات والمعارك ، مما تسببوا بخسائر كبيرة لفرنسا على الصعيد السياسي والعسكري

والاقتصادي ، فضلاً عنهم وجهوا رسالة بأن سوريا قد تخسر حرباً او معركة او تحتل ، لكن في النهاية سوف تحصل على الحرية والاستقلال عاجلاً ام اجلاً مهما بلغت التضحيات .

صدر مرسوم العفو عن سلطان الاطرش ورفاقه في ١٨/ايار /١٩٣٧ واتخاذهم قرار العودة الى ارض الوطن ، وشكلت لجنة لتكريمهم في عمان وتقاطرت الى سينما البتراء في عمان الالاف من الناس الذين لم تتسع لهم قاعاتها (وثائق جديدة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٤٤) .

صدر عن مجلس ادارة محافظة جبل الدروز في ٧ / ايلول / ١٩٤٤ القرار الاتي :

ان مجلس محافظة جبل الدروز قرر بالاجماع الاندماج النهائي بسوريا الام والغاء الامتياز المالي والاداري الذي كانت تتمتع به هذه المحافظة سابقا على ان تبقى احكام الشرع الدرزي مطبقة في المحاكم المذهبية الدرزية بدون مساس ، فكان ذلك انتصارا كليا لفكرة سلطان الاطرش الوجدوية ، وتحققت في عام ١٩٤٥ اهداف الثورة التي اشعلها سلطان الاطرش عام ١٩٢٥ والتي حالة ظروف محلية واقليمية ودولية دون نجاحها ، فاستكمل السوريون وحدتهم ونالوا استقلالهم وارسوا حكمهم على اسس دستورية منبثقة من ارادة الشعب (بنو معروف ، ١٩٥٤ ، ص ١٩٦) ، وتحولت دولهم بأستثناء الاسكندرونه الى محافظات تابعة للحكم المركزي في دمشق وبخسائر اقل وبجهود سياسية اكثر مما بذلوه عام ١٩٢٥ ، تمكنوا في ظروف دولية مؤاتية من الوصول الى دولة الاستقلال ويعود الفضل الاول الى الثورات العديدة التي كان للدروز البصمة والدور الواضح والكبير التي قامت بوجه الفرنسيين وخاصة الثورة السورية الكبرى لان ما جنى من ثمار نَعَم بها السوريون في الاربعينيات تم زرعه في العشرينيات بالتعب والعرق والدم والدموع ، وبهذا اصبح لسلطان لقبان مترادفان مع بعضهما ، القائد العام للثورة السورية الكبرى وبطل الاستقلال (الدروز ، ١٩٧٤ ، ص ٢٩٠) .

الخاتمة

- كان لجهاد الدروز وسلطان الاطرش خلال هذه الثورات نتائج منها :
- ١- لم يفسح للدروز المجال ليعبروا عن ارائهم ومبادئهم واهدافهم في ثورة ١٩٢٢ لان الوضع في الجبل وصل انذاك مرحلة التفجير الشامل .
 - ٢- كانت ثورة ١٩٢٥ اوسع مدى واطول زمناً واعظم تأثيراً ، وظهرت مبادئ الدروز واهدافهم بوضوح وعبرت عن واقعهم وطموحاتهم .
 - ٣- اكد الدروز على ان الحق يُؤخذ ولا يعطى واعتماد قوة السلاح لتحقيق المطالب.
 - ٤- كان جهاد الدروز في سبيل الوطن مقدس ومشروع والايمان بالسيف بعد ان سكت القلم لتحقيق الحرية والدفاع الوطن .
 - ٥- تحميل الفرنسيون مسؤولية سفك الدماء لانهم اجبروا الاهالي على حمل السلاح واللجوء الى العنف.
 - ٦- حث الدروز ، ان المستجيب لنداء الثورة وطني والمستتكف والمتخلف عنها خائن .
 - ٧- عمل الدروز على ان تكون الثورة سورية وطنية شريفة والحث على ضرورة الاتحاد والتضامن الوطني والايقاء القومي ومحبة الوطن ، الدين الله والوطن للجميع .

الله ولي التوفيق

المصادر

اولا الكتب العربية :

- ١- ادهم الجندي ، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٠ .
- ٢- اسماعيل احمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٠ .
- ٣- امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، طبع عيسى الحلبي ، البابيني و شركاء ، ١٩٧٧ .
- ٤- حسن الحكيم ، مذكراتي ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ٥- حسن امين البعيني ، دروز سوريا و لبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٣ ، دراسة في تاريخهم السياسي ، المركز العربي للابحاث و التوثيق ، بيروت ، ١٩٩١ .
- ٦- حسن امين البعيني ، سلطان باشا الاطرش ، مسيرة قائد في تاريخ امه ، ط ٢ ، بيروت ٢٠٠١ .
- ٧- حنا ابي راشد ، جبل الدروز، منشورات مكتبة الفكر العربية و مطبعتها ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ٨- خيريه قاسميه ، ((مذكرات فوزي القاوقجي)) جزءان ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٧٥ .
- ٩- زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط و ولادة دولتي سوريا و لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ١٠- سعيد الصغير ، بنو معروف ، الدروز في التأريخ ، بيروت ، ١٩٥٤ .
- ١١- سلامه عبيد ، الثورة السورية الكبرى ، دار الغد ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ١٢- سلطان الاطرش ، (مذكرات سلطان الاطرش) ، جزءان ، مطبعة الشرق العربية، القدس ، ١٩٧٩ .
- ١٣- شبلي العيسمي ، التعريف بمحافظة جبل العرب ، دمشق ، ١٩٦٢ .

موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)

- ١٤- ظافر القاسمي ، وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ١٥- عبدالله حنا ، الحركة العمالية في سورية ولبنان ١٩٤٠-١٩٤٥ ، دمشق، ١٩٧٣ .
- ١٦- عبدالله النجار ، بنو معروف في جبل حوران ، المطبعة الحديثة ، دمشق، ١٩٢٤ .
- ١٧- عبدالرحمن الشهبندر، (مذكرات الزعيم الشهيد الدكتور عبدالرحمن الشهبندر-ثورة سوريا الكبرى) ، دار الجزيرة ، عمان ، د.ت .
- ١٨- عبدالرحمن الكيالي ، الجهاد السياسي ، حلب ، ١٩٤٦ .
- ١٩- علي رضا ، قصة الكفاح الوطني في سورية ، حلب ، ١٩٥٨ .
- ٢٠- فؤاد غصن ، مذكراتي خلال قرن، بيروت ، د.ت .
- ٢١- محمد كرد علي ، خطط الشام ، ثلاثة اجزاء ، دار الملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٢٢- منير الرئيس ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي- الثورة السورية الكبرى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٢٣- نجاة قصاب حسن ، صانعوا الجلاء في سورية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، ١٩٩٧ .

ثانياً الكتب الأجنبية :

- ٢٤- بول كوبلنز ، سكوت ساراي ، ترجمة فريدريك زريق ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦ .
- ٢٥- جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد و احسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ٢٦- ستيفن همسيلي لونغريغ ، سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ترجمة بيار عُقل ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

ثالثاً الصحف و المجلات :

- ٢٧- صحيفة البشير ، العدد ٢٩٠١ في ١٧/اب/١٩٢٢ .
- العدد ٣١٢٠ في ١٢/كانون الثاني / ١٩٢٤ .
- العدد ٣١٥٨ في ١٠/نيسان/ ١٩٢٤ .

موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)

- العدد ٣١٥٩ في ١٢/نيسان/١٩٢٤ .
- ٢٨- جريدة المعرض ، العدد ١٣٧ في ٧/ايلول/١٩٢٢ .
- ٢٩- روز اليوسف ، مجلة ، العدد ١٨ ، اذار ، ١٩٢٦ .
- ٣٠- يوسف ابراهيم يزبك ، مجلة الضحى، مقالة بعنوان (سلطان باشا الاطرش البطل) ، عدد ايار ، ١٩٧١ .

**النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة
غرناطة (٥٤٠-٨٩٧هـ / ١١٤٥-١٤١١م)**

م.م . وفاء عويد مثكال
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة / الثالثة
Remax.mazxum@gmail.com

النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة

(٥٤٠-٨٩٧هـ/١١٤٥-١٤١١م)

م.م . وفاء عويد مثكال

الملخص:

تعد النقود في بلاد الاندلس امراً مهماً من الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والمالية، اذ انها تعكس لنا وضع هذه الجوانب من جانب القوة والضعف، والازدهار والانهييار، كما ان النقود قد اختلفت من جانب الوزن ، والقطر، والشكل ، والنقوش الكتابية التي تنقش بها من عصر الموحدين وعصر سلطنة غرناطة ، ومن عهد الى اخر، وهذا الاختلاف يبرز لنا السيادة السياسية والاقتصادية داخل بلاد الاندلس ، وقد تميزت نقود هذا العصرين من الذهب والفضة بالقبول والاقبال على تداولها داخل الأسواق بلاد الاندلس حتى أواخر عهود عصر سلطنة غرناطة التي استبدلت النقود بالنقود القشتالية الاسبانية التي اعتبرت اكثر اماناً بعد سقوط بلاد الاندلس لتعكس لنا السيطرة الاسبان من الجانب السياسي والاقتصادي على غرناطة اخر معقل للمسلمين .

Coins in Andalusia during the Almohad era and the Sultanate of Granada

(540-897 H/1145-1411 AD)

M. M . Wafaa Awaid Mithkal

Master's Islamic History

University of Baghdad / College of Arts - Department of History

Abstract:

Money in the country of Andalusia is an important matter of the political, economic, and financial aspects, as it reflects to us the status of these aspects in terms of strength and weakness, prosperity and collapse, and that money has differed in terms of weight, measurement, shape, and inscriptions that are engraved with it from the era of The Almohads and the era of the Sultanate of Granada, and from one era to another, and this difference highlights to us the political and economic sovereignty within the country of Andalusia. The coins of these two eras of gold and silver were characterized by the acceptance and demand for their circulation

within the markets of Andalusia until the end of the era of the Sultanate of Granada, which replaced the money with the Spanish Castilian coins that It was considered safer after the fall of Andalusia, to reflect the political and economic control of the Spaniards over Granada, the last stronghold of the Muslims.

المقدمة :

تعد النقود من الأمور التي تلقي قبولاً من الجانب الاقتصادي، لتعكس لنا جانباً من القوة والضعف في الجانب السياسي ونقش أسماء الحكام وولي عهدهم وبعض من النقوش الدينية ، لكن لماذا اقتصت هذه الدراسة بالعصرين الموحدين وسلطنة غرناطة؟ ، وهل تغيرت النقود من عصر الى اخر ومن عهد الى اخر؟ ،من ناحية الشكل النقدي المتعارف عليه في التاريخ الإسلامي ، وهل تغيرت النقوش والكتابات والاوزان والقياس ؟ ، وما هو الخط الذي استخدم في النقش على النقود وهل اختلف عما سبق او خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة؟ ، وهل لاقت هذه النقود قبولاً في الاسواق الاقتصادية ؟ ، وماهي المدن التي وجدت فيها دور لسك هذه النقود هذا ما سنحاول الإجابة عنه في اثناء هذا البحث.

ان دراسة "النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة

(٥٤٠-٨٩٧هـ/١١٤٥-١٤١١م)" لها أهمية خاصة ؛ لان النقود في هذين العصرين تعكس لنا الواقع الاقتصادي ، والسياسي ، والديني ، كما ان النقوش والكتابات قد اختلفت من عصر وعهد الى اخر ، وكذلك الاوزان وهذا يرجع حسب الحالة الاقتصادية وأيضاً شكل النقود نجدها تتخذ الشكل المربع او المكن ، واقتصرت قليلاً على النقود المستديرة ذات الرسم المربع ، اما الخط نجد اختلف عن الخطوط التي استخدمت في سك النقود في العصور التي سبقت عصر الموحدين وأستمر الخط النسخي الى سقوط غرناطة بيد الاسبان واستبدلت بالنقود الاسبانية القشتالية ، وعليه فمن هذا المنطلق اختير موضوع هذا البحث ((النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة(٥٤٠-٨٩٧هـ/١١٤٥-١٤١١م))) ، اما لماذا اختص هذا البحث في النقود في بلاد الاندلس وخلال العصر الموحدين وسلطنة غرناطة هذا ما سنوضحه فيما يلي:

أولاً: النقود في اللغة والاصطلاح.

النقود في اللغة: النقود جمعها نقد، واصلها صحيح كل من النون، والقاف، والدال وهي تدل على "إِبْرَازِ شَيْءٍ وَبُرُوزِهِ"^(١)، ويقال نقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم، أي اعطيته فانقدتها، أي قبضها، ويقال انتقدت الدراهم انتقدتها، أي تميز الدراهم و أخرج الزيف منها لتدل على النقود^(٢)، ونقد الدراهم الذي يكشف عن حال وجود النقود او غير ذلك، ودرهم النقد أي وزنه جيد للنقود^(٣).

وورد ذكر كلمة النقود في القران الكريم، اذ نجدهم قد استخدموا كلمة " الاثمان " و" الدينار " المصنوع من الذهب، و" الدرهم " المصنوع من الفضة و" الفلوس " المصنوع من النحاس وغيرها للدلالة على النقود المضروبة من الذهب او الفضة و النحاس^(٤)، ونجد هذه الالفاظ في القران الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ أَنْ تَأْمَنَهُ بِنِظَارِ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنِظَارِ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الزَّهْدِيتِ﴾^(٦).

وهذا ما يبرز ان النقود جمعها نقد وهي تدل على الذهب والفضة كل من الدينار والدراهم، ونجد ان كلمة النقود ذات مدلول لغوي الدينار والدرهم، والفلس والتي استخدمت في ذلك العصر التاريخي ونجدها ايضاً في القران الكريم.

اما النقود اصطلاحاً: وهي تدل على الذهب والفضة سواء مسكوكاً او لا وقد اعتبر كل منهما مقياس يقدر بالنظر اليه اثمان الأشياء وقيمتها يعدان الثمن لهما وتسمى النقود^(٧)، او يعرف بأنه كل شيء يجري اعتباره في العرف والعادة، ويلقى قبولاً عاماً كوسيط للتبادل السلعة بالنقود من الذهب والفضة والنحاس^(٨).

وفي الاحاديث النبوية الشريفة ورد ذكر الدينار والدرهم، اذ قال رسول الله (ﷺ): (الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما)^(٩).

وهذا يدل على ان النقود في النهج الاقتصادي هي كل شيء يلقي قبولاً عند البيع والشراء من الذهب والفضة والنحاس مسكوكاً ومعمولاً به في الأسواق.

ثانياً: النقود في عصر الموحدين (٥٤٠-١١٤٥/١١٤٥-١١٢٣م).

١. النقود في عصر الموحدين.

بعد قيام دولة الموحدين في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م في بلاد الاندلس واخضاعها تحت سلطتهم^(١٠)، اذ توجهت انظارهم الى تطوير النقود بشكل ووزن يختلف عما سبق عصرهم في تاريخ بلاد الاندلس^(١١)، وهذا التطوير والتغيير امر به الأمير الموحدين المهدي بن تومرت^(١٢)، (٥١٥هـ/١١٢١م)^(١٣)، ونجد أشاره الى سك نقود جديدة خلال عهد يوسف بن عبد المؤمن^(١٤)، (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م)، وعهد يعقوب بن المنصور^(١٥)، (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٣-١١٩٨م) والتي تنسب للدنانير اليعقوبية له، وخلال هذين العهدين تطورت النقود الموحدية بشكل كبير^(١٦)، واستمر الموحدين بسك عملاتهم النقدي مع تولي كل امير بعد الاخر الى سقوط دولتهم وكلها ضمنت على أسمائهم وبعض من الشعارات الدينية^(١٧)، ونجد ان الموحدين قد ضربوا الفلوس المصنوع من النحاس أيضاً، وتم تداوله في بلاد الاندلس^(١٨)، وقد شهدت النقود الموحدية في بلاد الاندلس شهرة واسعة من جانب التداول والقبول وتسميتها كانت تسمى باسم الخليفة الموحي التي سبها وكما انها امتازت بارتفاع قيمتها^(١٩).

نستنتج مما سبق تطور النقود الموحدية بشكل كبير ويختلف عما سبق من العصور الاندلسية اذ اكتسبت شهرة كبيرة من جانب القبول والتداول، وسك الموحدين نقودهم مع تولي كل منهم للحكم.

وتواجدت اهم دور السكة في هذا العصر في مدينة مالقة^(٢٠)، و مدينة مرسية^(٢١)، ومدينة قرطبة^(٢٢)، ومدينة ميورقة^(٢٣)، وغرناطة^(٢٤)، والمرية^(٢٥)، ومدينة أشبيلية^(٢٦) الاندلسية^(٢٧).

٢. شكل وخط النقود في عصر الموحدين.

لقد قام الموحدين بتغييرات على النقود الاندلسية من ناحية الشكل، اذ انها جعلت مركنة أي مربعة الشكل، وهي خلاف ما كانت عليه النقود في العصور التاريخية الاندلسية قبل عصر الموحدين^(٢٨)، وتم هذا الامر في عهد المهدي بن تومرت (٥١٥هـ/١١٢١م)، والذي

عرف بصاحب الدرهم او الدينار المركز أي مربع الشكل^(٢٩) ، ويسعفنا ابن خلدون في هذا الامر في قوله : "ولمّا جاءت دولة الموحّدين كان ممّا سنّ لهم المهديّ اتّخاذ سكّة الدرهم مربع الشكل ... وكانت سكّتهم على هذا الشّكل لهذا العهد ولقد كان المهديّ فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع..."^(٣٠) .

وهذا الامر وضح لنا التميز النقدي في عصر الموحدين من جانب الشكل النقود من الدنانير والدرهم من اجل ابراز مكانة الدولة الموحدية من الجانب الاقتصادي للنقود العربية. وقد سك في هذا العصر ايضاً بعض من الدنانير الموحدية والتي هي تمتاز بالشكل الدائري ايضاً ، ويوجد نقش بداخلها مربع الشكل قرب حافاتها الدائرية التي تشكل أربعة اقواس والتي تحتوي على زخارف هندسية^(٣١) ، ونجد في هذا العصر الفلّس المصنوع من النحاس الذي لا يختلف شكلة عن الدينار والدرهم المركنة او المربع الشكل^(٣٢) . اما الخط لقد اختلف عما سبق من عصور التي سبقت الدولة الموحدية اذ كانوا يستخدمون الخط الكوفي في الكتابة والنقش على النقود في حين استخدم الموحدين الخط النسخي الاندلسي في الكتابة والنقش على نقودهم^(٣٣) ، واستمر شكل وخط النقوش على النقود الموحدية حتى سقوط دولتهم في بلاد الاندلس^(٣٤) .

ومن خلال ما تقدم برز لنا تغير كبير في العملة النقدية الموحدية من جانب الشكل والخط من اجل ابراز شخصية الدولة الاقتصادية في سوق تبادلها بالسلع والبضائع .

٣. اوزان النقود في عصر الموحدين.

بلغ وزن النقود في عصر الموحدين الذي يتراوح وزنها من الدنانير بين حين واخر ،ومن عهد الى اخر فنجد ان الوزن قد ثبت حتى عهد ابي يوسف يعقوب (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٣-١١٩٨م) (٢,٣٠ غرام) بالضبط^(٣٥) ، ونجد تراوح في بعض الأحيان في ذكر وزن بعض العملة الموحدية بين (٢,٢٧ غرام) ، و(٢,٥١ غرام) ، وقطرها تراوح بين (١٩ او ٢٢ ملم)^(٣٦) ، وهذا ما يؤكد انخفاض وزن النقود الطبيعي وهو (٤,٢٥ غرام) ، الذي يرجع الى الحروب الداخلية والخارجية مع نصارى اسبانيا التي استهلكت منهم مصاريف مادية كبيرة من اجل تثبيت حكمهم في بلاد الاندلس^(٣٧) ، ووجدت نقود موحدية من الذهب اذ

بلغ وزنها (٤,٧٢ غرام)، وتأكد المؤرخين في سنة ١٤٤٢م من هذا الامر وهو اكثر وزناً من الدينار الذهبي في بداية الحكم العربي لبلاد الاندلس الذي بلغ (٤,٢٥ غرام) واكثر من العصور التي جاءت بعد الفتح (٣٨).

وقام الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف بزيادة وزن الدينار الموحدى (٣٩)، ويرجع في تعليل ذلك من اجل دعم القيمة النقدية لعملة الموحدين فكان لذلك نتائج إيجابية في تحسين الحالة الاقتصادية لبلاد الاندلس (٤٠).

ووجد ايضاً اوزان الدراهم الموحدية فان وزنها يتراوح بين (١,٤٠ غرام) ، وكذلك بعضها نجد وزنها (١,٦٠ غرام) وهذا يرجع حسب الحالة الاقتصادية في البلاد وتأثره بالجانب السياسي (٤١)، وايضاً وجد بعض الدراهم الموحدية فقد بلغ وزنها بين (١,٤٥ غرام الى ١,٥٥ غرام) (٤٢)، ووجد درهم مضاعف الوزن الذي يزن (٣,٠٤ غرام)، وقطرها (١٤ ملم) (٤٣). وهذا ما يبرز لنا ان وزن النقود من الدنانير والدراهم الموحدية قد اختلفت في الوزن والقياس وهذا يرجع حسب الوضع السياسي والاقتصادي من جانب الزيادة يدل على الاستقرار الوضعين والنقصان يدل على اضطرابهما .

٤. النقوش النقدية في عصر الموحدين.

لقد نقش الموحدين على النقود مجموعة من الكتابات التي تدل على دولتهم و وحكامها ومكان سكها ، فهي تعبر عن استقلاليتهم في الحكم ، اذ كتب داخل نقودهم المركنة نقش دائري الشكل ، وكتب في مركز النقود عبارة بشكل منفصل " لا إله إلا الله، محمد رسول الله" ، اما حاشية مركز اعلى الوجه اربع عبارات محاطة بالأقواس في مركزها ذكر عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" ، وشمالها عبارة " صلى الله على محمد" ، ومركزها عبارة "واله الطيبين" ، وفي يمينها عبارة " الطاهرين" متكونه بشكل عامودي ، اما ظهر النقود وجد داخل المكن او المربع بشكل منفصل عبارة " المهدي أماننا، الأمة القائم، بأمر الله" ، ووجد فيه اقواس أربعة ومرتبة كما يلي : " أبو محمد" ،بعده " المؤمن بن علي" ، بعده " أمير المؤمنين" ، بعده " الحمد لله رب العالمين" متكونه بشكل عامودي (٤٤)، ويؤكد لنا ابن خلدون في نقش النقود الموحدين في قوله : " وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملاً من أحد

الجانبين تهليلاً وتحميذا ومن الجانب الآخر كتب في السّطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحّدون" ، وزيد بعد ذلك على الوجه البسملة والالقباب ودور الضرب (٤٥) .

واستمر تغير النقوش والكتابات على النقود الموحدية فتغير كتابات مركز الوجه اذ ذكر فيه اربع اقواس مكون من سورة البقرة اية (١٣٦) بشكل اقواس كما يلي : الأول ذكر فيه " والهكم" ، والثاني "إله واحد" ، اما الثالث " لا إله إلا هو" ، والرابع "الرحمن الرحيم" متكونه بشكل عامودي ، أحياناً نجد القاب الأمير الموحدية بشكل اربع اقواس كما يلي : الأول " أمير المؤمنين" والقوس الثاني " ابو حفص بن" والثالث " الامير الطاهر" والقوس الرابع "أبي إبراهيم" متكونه بشكل عامودي (٤٦) ، اما الظهر فنجد في مركز النقود نجد نقوش كتب فيها اسم والقاب مؤسس الدولة الموحدية " محمد بن تومرت " ، او لقبه "القائم بأمر الله" ، مع ذكر الاسم الأمير متكونه بشكل عامودي (٤٧) ، في حين نجد بعض النقود الموحدية تحمل عبارات دينية على وجه الدراهم التي تمجد فيها الدين الإسلامي في عصرهم وهي كما يلي : " لا إله إلا الله" ، "الأمر كله لله" ، "لا قوة إلا بالله" ، وبعض من كلمات الشهادة كما يلي : " لا إله إلا الله" ، "محمد رسول الله" ، "الأمر كله لله" ، ونجد كلمات " الأمر كله لله" ، قد حذفت وعوضت بـ"لا قوة إلا بالله" متكونه بشكل عامودي (٤٨) ، اما مركز ظهر الدراهم الموحدية فنجد انها قد حملت عبارات " الله ربنا" ، "محمد رسولنا" ، "المهدي إمامنا" متكونه بشكل عامودي ، وأحياناً ينقش في مركز الظهر ، أسم ولقب وأسم ونسب الأمير الذي ضرب في عصره الدراهم المركنة الموحدية (٤٩) ، كما في عهد يوسف بن عبد المؤمن الذي نقش اسمه على الدنانير الموحدية (٥٠) .

اما الدراهم الموحدية فقد نقش عليها من جهة الوجه عبارة " لا إله إلا الله" ، "الأمر كله لله" ، "لا قوة إلا بالله" او "لا إله إلا الله" ، "محمد رسول الله" ، "الأمر كله لله" بشكل عامودي في دارهم الموحدين ، اما ظهرها فقد نقش عليها " الله ربنا" ، "محمد رسولنا" ، "المهدي إمامنا" بشكل عامودي ايضاً (٥١) ، ووجد بعض الدراهم الدائرية الشكل التي حوت على نقش "الحمد لله رب العالمين" في المركز مع وجودها داخل مربع يمس أطرافها الدائرية ، كما ان الاقواس المحيطة تحتوي على زخارف هندسية ، اما الظهر فنجد انه نقش عليه أسم الأمير ، ولقبه ، وكنيته ، ونسبه ، وولي عهده (٥٢) ، اما الفلّس النحاسي مربع الشكل اذ نقش على الوجه

عبارة " لا إله إلا الله "، "الأمر كله لله "، "لا قوة إلا بالله" ، وعلى الظهر "الله ربنا" ، "محمد رسولنا" ، "المهدي إمامنا" كلها بشكل عامودي قد نقشت^(٥٣) ، واستمر الموحدين بنقوشهم مع تولي كل امير منهم للحكم في نقش اسمه وبعض الآيات القرآنية عليها كل من الدرهم والدينار والفلس^(٥٤) .

نستنتج مما تقدم ان وجه دراهم الموحدين قد حمل عبارات سياسية ودينية التي تدل على سيادة حكمهم السياسي والديني ومع تبركهم بكلمات الدينية في الجانب الاقتصادي ودليلاً على توحيدهم وجهادهم ، وكذلك أسمائهم لتخليد حكم حكامها وولي عهدهم .

ثالثاً: النقود في عصر سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/١١٤٤-١٤٩١م).

١. النقود في عصر سلطنة غرناطة.

تعتبر النقود في عصر سلطنة غرناطة (دولة بني الأحمر) (٦٣٥-٨٩٧هـ/١١٤٤-١٤٩١م) استمرار للعملة النقدية لعصر الموحدين من جانب التعامل بها وتداولها في الأسواق الاندلسية كل من الدينار المصنوع من الذهب والدرهم المصنوع من الفضة وغيرها من العملات النقدية التي ظهرت في هذا العصر المتمثلة بالنصف والربع واقل من ذلك^(٥٥) ، ونجد ان عملة الفلوس قد استمرت أيضاً في هذا العصر وتسمى المحقرات في الكتابات التاريخية لأنها تصنع من النحاس^(٥٦) .

وقد مره هذا العصر بالأزمات الاقتصادية النقدية في سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، مما دفع السلطان أبو الحسن علي^(٥٧) ، الى سك عملات نقدية جديد لمعالجة هذه الازمات النقدية^(٥٨) ، وتحسنت أحوال السوق واصبح ازدهار اقتصادي في عهد هذا السلطان وإنقاذ الناس من غلات الأسعار لذلك سميت هذه العملة بالطيبة^(٥٩) ، وفي نهاية هذا العصر اخذت العملة الغرناطية بالتدهور بشكل كبير ، مما حتم على اهل غرناطة استعمال النقود الاسبانية (القشتالية) ، لكونها اكثر ضمان من العملات العربية الغرناطية ، وهذا يؤكد الانحلال والتدهور السياسية والاقتصادي في الفترات المتأخرة من هذا العصر او خلال سقوط غرناطة بيد الاسبان سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م^(٦٠) ، اما مكان ضرب النقود في هذا العصر هي في مدينة غرناطة^(٦١) .

نستنتج مما تقدم استمرار النقود على نفس طراز الموحدين وهذا برز لنا أهمية النقود في هذا العصر، وسكها، وكيفية معالجة الازمات الاقتصادية النقدية لكن سرعان ما بطل استعمالها وحلت محلها النقود القشتالية الاسبانية بسبب سقوط البلاد بيدهم.

٢. شكل وخط النقود في عصر سلطنة غرناطة.

استمر شكل النقود في هذا العصر فترة من الزمن على شكلها المربع او المربع ومنها الدراهم الفضية المربعة الشكل داخلها شكل الدائري مدة من الزمن، لكن تغيرت بعد ذلك ليكون شكلها مستدير وفيها نقش المربع وهي دراهم الفضية والدينار من الذهب (٦٢) ،وبسعنا في هذا الامر ابن الخطيب في قوله: "وصرفهم فضة خالصة، وذهب إبريز طيب محفوظ، ودرهم مربع الشكل" (٦٣)، وفي سنة ٨٧٩هـ / ٤٧٤م، وجدت بعض النقود التي تتميز بشكلها الدائري (٦٤).

اما الخط فقد استخدم للنقود الغرناطية الخط النسخي وهو استمرار للخط دولة الموحدين (٦٥).

ومن خلال ما تقدم يبرز لنا استمرار الشكل النقدي في عصر سلطنة غرناطة في اول الامر لكن سرعان ما تغير الشكل من المربع الى الدائر، لغرض ابراز شخصية الاقتصادية النقدية لهذا العصر او الاستفادة من الأركان التي ازيلت منها في زيادة انتاج عملة نقدية اخر لزيادة عددها وهو ما يبرز احتياجهم لعدد من النقود، مع استمرار الخط للعصر السابق ربما لجماليته.

٣. اوزان النقود في عصر سلطنة غرناطة.

استمر وزن النقود في عصر سلطنة غرناطة كما كان معمولاً به في عصر دولة الموحدين (٦٦)، ووجد بعض الاختلاف في وزون بعض العهود سلطنة غرناطة والتي بالغ وزنها (٠,٤٠ غرام)، اما قياسها (١١×١١ ملم) (٦٧)، ووجد أيضاً بوزن (٠,٣٠) اما قياسها (١١×١١ ملم) (٦٨)، ووجد أيضاً بوزن (٠,٨٧ غرام)، وقياسها (١٤×١٤ ملم)، وكذلك

وزنها (٠,٧٣ غرام)، وقياسها (١٢×١٣ ملم)، ووزنها (٠,٥٢ غرام)، وقياسها (١٢×١٢ ملم)^(٦٩).

نستنتج مما تقدم اختلاف وزن وقياسات العملة النقدية في هذا العصر وهذا الامر يرجع حسب الحالة الاقتصادية والسياسية للنقود في تقليل الوزن او نقصانها من اجل زيادة اعداد العملات النقدية والاستفادة من الوزن المستخرج من العملة لصنع عملات أخرى وكما اشرنا سابقاً .

٤. النقوش النقدية في عصر سلطنة غرناطة.

اختلفت النقوش النقدية في عصر سلطنة غرناطة ،فيذكرها لنا ابن الخطب الذي كان معاصراً لها في قوله : " فعلى عهدنا، في شقّ: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" ، وفي شقّ آخر: "لا غالب إلا الله، غرناطة"، ونصفه وهو القيراط، في شقّ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، وفي شقّ: "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ"، ونصفه وهو الربع، في شقّ: "هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى"، وفي شقّ: "وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى" ، ودينارهم في الأوقية منه، ستة دنانير وثلاث دنانير، وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية، وفي شقّ منه: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ... بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ"، ويستدير به قوله تعالى: "وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"، وفي شقّ: "الأمير عبد الله^(٧٠)، محمد بن يوسف بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر، أيّد الله أمره"، ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء: "لا غالب إلا الله" ولتاريخ تمام هذا الكتاب، في وجهه: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"، ويستدير به: "لا غالب إلا الله"، وفي وجهه: "الأمير عبد الله الغني بالله، محمد بن يوسف^(٧١)، بن إسماعيل بن نصر، أيّد الله وأعانته" ، ويستدير بربع: "بمدينة غرناطة حرسها الله"^(٧٢) .

وفي عهد السلطان أبو الحسن علي سكة عملة نقدية سميت بالطيبة والتي كانت تحمل نقوش كتب على وسط الوجه فيها عبارة " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، وعلى ظهرها عبارة " عبد الله بن علي الغالب بالله غرناطة" ، ووجد البعض منها تحمل عبارات على والوجه " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، وفي الظهر " ولا غالب إلا الله تع غرناطة" ، وأيضا

في الوجه " لا غالب إلا الله تع غرناطة"، وفي الظهر " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، ونجد بعض الدراهم قد نقشت عليها عبارة في الوجه " الحمد لله رب العالمين"، وفي الظهر " وما النصر إلا من عند الله" (٧٣)، وفي سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م وجدت بعض النقود التي تتميز بشكلها الدائري ونقشها البسيط والمختلف وقد نقش على وجهها " طبع بغرناطة عام " ، واما ظهرها فنقش "ثمانئة وتسع وسبعون" (٧٤) .

ومن خلال ما تقدم برز لنا ان حكام هذا العصر أرادوا تخليد أسمائهم وسيادهم على ما بقي من أراضي بلاد الاندلس بيدهم وكذلك عكس الوضع السياسي على كتابات العملة النقدية من الجانب الجهادي ضد الاسبان .

الخلاصة

من خلال دراستنا " النقود في بلاد الاندلس خلال عصر الموحدين وسلطنة غرناطة (٥٤٠-٨٩٧هـ/١١٤٥-١١٤١م)" يتبين لنا ان النقود في هذين العصرين قد اختلفت وتطورت عما سبق ويأتي هذا التطور كما يأتي:

١. ضربت النقود خلال العصر الموحدين وسلطنة غرناطة بشكل مرن او مربع الشكل ، ويحوي على شكل الدائرة بداخله يلامس الأركان الأربعة ، وهو يختلف عن العصور السابقة.

٢. ضربت بعض النقود خلال العصرين بشكل دائري وداخلها رسم مربع يلامس الشكل الدائري ، وهذا قد يرجع للاستفادة من الأركان المربعة التي فقدت من النقد المربع الشكل، لغرض الزيادة في سك النقود ، وهذا يرجع الى معالجة الازمات الاقتصادية .

٣. نجد النقوش قد اختلفت من عصر الى اخر وأيضا في العهود فقد حوت على أسماء ، والقباب حكام دولة الموحدين وسلطنة غرناطة ، وولي عهدهم، وبعض النقوش الدينية ، وآيات قرآنية وهي تختلف وتدل على سيادة حكم للسلطان ودولته في بلاد الاندلس .

٤. قد اختلفت الاوزان النقدية ومقاسات النقود من عصر الى اخر ، ومن عهد الى اخر ، وهذا يرجع حسب الحالة الاقتصادية للعصر وللدولة، من اجل معالجة الازمات التي مرت بها بلاد الاندلس .

٥. لقد لاقت النقود خلال العصرين الموحيدي وسلطنة غرناطة القبول النقدي في الأسواق الاقتصادية ، وتداولها فيها .
٦. سكت النقود في دور السك في مدن مختلفة خلال العصر الموحدين ، لكن في عصر سلطنة غرناطة نجد دار السك في غرناطة هي من اقتصر سك النقود فيها ، وهذا يرجع بسبب سيطرة الاسبان على بقية المدن الاندلسية .
٧. في نهاية عصر سلطنة غرناطة استبدلت النقود العربية بالنقود الاسبانية خوفاً من ابطال التعامل فيها داخل الأسواق ، مما افقدها القبول على التداول بها .
٨. استخدم خلال العصرين الخط النسخي الجميل في النقش على النقود من دينار ودرهم وفس وهو مخالف للخط المستخدم خلال العصور السابقة .

الملاحق



(ز)



(ر)



(ص)



(س)

بعض النقود مربعة او مكنة الشكل للدولة الموحدين التي يبرز فيها نقوش وكتابات وهي

محمد رسولنا

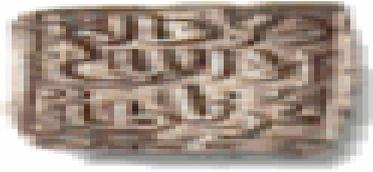
لا اله الا الله

القران

الامر كله لله

امامنا^(٧٥)

لا قوة الا بالله



ولا غالب
إلا الله تع
غرناطة



لا اله الا
الله محمد
رسول الله



لا غالب
إلا الله تع
غرناطة



لا اله الا
الله محمد
رسول الله



طبع بقرناطة عام



ثمانئة وتسع وسبعون

نقود في عصر مملكة غرناطة^(٧٦).

قائمة المصادر والمراجع .

١. المصادر الاصلية .

القران الكريم .

- ❖ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).
 ١. المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
 - ❖ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م).
 ٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
 - ❖ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م).
 ٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، (بيروت : دار السراج، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م).
 - ❖ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
 ٤. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : يوسف علي الطويل ، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ).
 - ❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
 ٥. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، (بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨).
 - ❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
 ٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت : دار صادر، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م).
 - ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٧. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٣، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ❖ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
٨. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- ❖ ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، (بيروت: دار الجبل، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- ❖ ابن عذاري، ابي العباس احمد ابن محمد المراكشي (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م).
١٠. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: امبروسي هويسى مرندة واخرون، (الجزائر: دار كرديمائيس، ١٩٦٠م).
- ❖ ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
١١. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ❖ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٢. اثار البلاد واخبار العباد، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- ❖ المقري، شهاب الدين أحمد بن محد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
١٣. نفع الطبيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: أحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- ❖ المقرئ، تقي الدين أحمد بن عبد القادر، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
١٤. النقود الإسلامية، (القسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٢٩٨م).
- ❖ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ/١٣١١م).
١٥. لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- ❖ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).
١٦. المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
١٧. معجم البلدان، ط ٢، (بيروت: دار صادر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٢. المراجع العربية .

- ❖ حسن، احمد.
١٨. الأوراق النقدية في الاقتصاد الإسلامي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م).
❖ الديبان، أبو عمر ديبان بن محمد.
١٩. المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي واخرون، ط ٢، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ).
❖ رمضان، عاطف منصور محمد.
٢٠. الشكل والمضمون في النقود الإسلامية دراسة في الزمان والمكان، (القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٤م).
❖ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق.
٢١. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، د.ت).
❖ فرحات، يوسف شكري .
٢٢. غرناطة في ظل بني الأحمر: دراسة حضارية، (دار الجيل، ١٩٩٣م).
❖ الكركجي، نغم عدنان احمد.
٢٣. الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، (دار الكتاب الثقافي، د.ت).
❖ مبارك، علي باشا .

٢٤. من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط١، (الاميرية : المطبعة الكبرى ، ١٣٠٦هـ).

❖ أبو مصطفى ، كمال السيد.

٢٥. تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين (الإسكندرية :مركز الإسكندرية للكتاب ، د.ت).

❖ وناس، زمان عبيد.

٢٦. النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ / ١١٤٤-١٤٩١م)، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).

٣. المراجع المترجمة.

❖ أفندي ،علي حيدر خواجه أمين .

٢٧. درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، ط١، (دار الجيل، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

❖ ستالبي، لين بول.

٢٨. قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، (القاهرة : كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ت).

٤. الرسائل والأطاريح الجامعية.

❖ العمري ، يحياوي .

٢٩. الدارهم المغربية والأندلسية المربعة من خلال مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير (غير منشورة) ،جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥ م.

❖ العيفة، عبد الحق.

٣٠. تطور النقود في التاريخ الإسلامي منذُ صدر الإسلام و الى نهاية الحكم العثماني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، أريد، ٢٠١١م.

❖ بن محمد، عبد النبي .

٣١. مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، اشراف : عبد الرحمن فهامي محمد، رسالة ماجستير (غير منشورة) في الحضارة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدارسات الإسلامية، مكة المكرمة ، ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م.

٥. المراجع الأجنبية .

❖ Carlos V ،Palacio de.

32. Arte islámico en Granada : propuesta para un Museo de la Alhambra ، (Granada : Patronato de la Alhambra y Generalife ، 1995).

❖ Cuenca،Vicente Salvatierra.

33. vida económica y artes tradicionales en Al-Andalus y Marruecos،(Madrid : Lunweg ،1995).

الهوامش :

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٥، ص٤٦٧.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م) ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ،ج٢، ص٥٤٤؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، د.ت.)، ج٩، ص٢٣٠.

- (٣) الجوهرى ، الصحاح ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ ؛ ابن فارس ، معجم ، ج ٥ ، ص ٤٦٧ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، ط ٣ ، (بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج ٣ ، ص ٤٢٥ .
- (٤) حسن ، احمد، الأوراق النقدية في الاقتصاد الإسلامي ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٩م) ، ص ٣٠ .
- (٥) القرآن الكريم ، سورة ال عمران ، اية ٧٥ .
- (٦) سورة يوسف ، ص ٢٠ .
- (٧) أفندي ، علي حيدر خواجه أمين ، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام ، تعريب: فهمي الحسيني، ط ١ ، (دار الجيل، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، ج ١ ، ص ١١٧ .
- (٨) الديبان ، أبو عمر ديبان بن محمد، المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي واخرون، ط ٢ ، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ) ، ج ١٦ ، ص ٨٣ .
- (٩) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) ، المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ .
- (١٠) مبارك ، علي باشا ، من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط ١ ، (الاميرية : المطبعة الكبرى ، ١٣٠٦هـ) ، ج ٢٠ ، ص ٣٦ ؛ ستالي، لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، (القاهرة : كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ت) ، ص ١٢١ .
- (١١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢ ، (بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ؛ مبارك ، من الخطط التوفيقية، ج ٢٠ ، ص ٣٦ .
- (١٢) المهدي بن تومرت: وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري، والمصمودي، الهرغي (٤٨٥-٥٢٤هـ / ١٠٩٢- ١١٣٠م) ، الخارج بالمغرب، الشيخ الإمام ، الفقيه الأصولي الزاهد المدعي أنه علوي حسني ، وأنه الإمام المعصوم المهدي، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب ، رحل من السوس الأقصى شاباً إلى المشرق، فحج وتفقّه، وحصل أطرافاً من العلم، وكان أماراً بالمعروف، نهى عن المنكر، قوي النفس، زعراً شجاعاً، مهيباً قوالاً بالحق ، عمالاً على الملك، غاوباً في الرياسة والظهور ، ذا هيبة ووقار، وجلالة ومعاملة وتألّه، انتفع به خلق، واهتدوا في الجملة، وملكوا المدائن، وقهروا الملوك. ينظر: ابن خلكان، أبو

العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، ج ٥، صص ٤٥-٥٦؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٣، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ١٩، صص ٥٣٩-٥٥٠.

(١٣) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٣٢٤؛ رمضان، عاطف منصور محمد، الشكل والمضمون في النقود الإسلامية دراسة في الزمان والمكان، (القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٤م)، ج ٦، ص ٣٦٩.

(١٤) يوسف بن عبد المؤمن: وهو أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب استقل ولده يوسف بالملك، وكان ولي العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن، وكان يوسف المذكور فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب وبقية العلوم، وكان جماعاً مناعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها، وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين، فنزل بأشبيلية. ينظر: ابن خلكان، وفيات، ج ٧، صص ١٣٠-١٣١؛ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ج ٤، ص ٣٠٧.

(١٥) يعقوب بن المنصور: وهو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالمنصور أمير المؤمنين أبو يوسف القيسي المراكشي سلطان المغرب أمه أم ولد ملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة وعمر بمراكش بيمارستانا غريباً أجرى فيه مياه كثيرة وغرس فيه من جميع الأشجار وزخرفه وأمر له في كل يوم بثلاثين ديناراً للأدوية وكان يعود المرضى فيه في كل جمعة، وكان محباً للعلماء محسناً إليهم مقرباً لهم ولالأدباء مصغياً إلى المديح، وكان يعقوب هذا صافي السمرة جداً إلى الطول ما هو جميل الوجه أعين شديد الكحل ضخم الأعضاء جوهرى الصوت جدل الألفاظ أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وأقام الحدود حتى على أهله وعشيرته وقام بحملات جهادية ضد نصارى إسبانيا في بلاد الأندلس. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد

الأرنأوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٢٩، صص ٥-١٠.

(^{١٦}) ابن خلكان ، وفيات ، ج ٧، صص ١٣٠-١٣١؛ الصفدي ، الوافي ، ج ٢٩، ص ٥؛ العيفة، عبد الحق، تطور النقود في التاريخ الاسلامي منذ صدر الإسلام و الى نهاية الحكم العثماني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، أريد، ٢٠١١م، ص ٣٣.

(^{١٧}) بن محمد، عبد النبي ،مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، اشراف : عبد الرحمن فهمي محمد، رسالة ماجستير (غير منشورة) في الحضارة الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدارسات الإسلامية ،مكة المكرمة ، ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م ، صص ١٩١-١٩٣.

(^{١٨}) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٦.

(^{١٩}) رمضان، الشكل ، ج ٦، ص ٣٧٠؛ العيفة، تطور النقود، ص ٣٣.

(^{٢٠}) مالقة: مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها ، وهي حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة، ولها رمضان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها واد يجري في زمان الشتاء وليس بدائم الجري. ينظر :ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان ، ط ٢، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ٥، ص ٤٣؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، (بيروت : دار السراج، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٥١٧.

(^{٢١}) مرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمير الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الأول، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وبها كان منزل ابن مردنيس وانعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥، ص ١٠٥؛ ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط ١، (بيروت : دار الجبل ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج ٣، ص ١٢٥٨.

(٢٢) قرطبة: مدينة عظيمة في وسط بلاد الأندلس، كانت سرير ملك بني أمية، دورتها أربعة عشر ميلاً وعرضها ميلان، على النهر الأكبر الذي يعرف بوادي الكبير وعليه جسران. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٩٠٠؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، اثار البلاد واخبار العباد، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص ٥٥٢.

(٢٣) ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، بالنون، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٦٧.

(٢٤) غرناطة: دينة بالأندلس قديمة بقرب البيرة، من أحسن مدن بلاد الأندلس وأحصنها، ومعناها الرماننة بلغة الأندلسيين، يشقها نهر يعرف بنهر قلوب، وهو النهر المشهور الذي يلفظ من مجراه برادة الذهب الخالص. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٥؛ القزويني، اثار البلاد، ص ٥٤٧.

(٢٥) المرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٦٤.

(٢٦) أشبيلية: مدينة بالأندلس بقرب لبة كبيرة. تباينت بلاد الأندلس بكل فضيلة وامتازت عنها بكل مزية من طيب الهواء وعضوية الماء، وصحة التربة والزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل نوع وصيد البر والبحر. ينظر: القزويني، اثار البلاد، ص ٤٩٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨.

(٢٧) الكركجي، نغم عدنان احمد، الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، (دار الكتاب الثقافي، د.ت)، ص ٢٠٨؛ أبو مصطفى، كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت)، صص ٣١٩-٣٢١؛ العيفة، تطور النقود، ص ٣٣.

(٢٨) الكركجي، الأزمات، ص ٢٠٨.

(٢٩) رمضان، الشكل، ج ٦، ص ٣٦٩.

(٣٠) ديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٣٢٤.

(٣١) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٤، ١٨١.

(٣٢) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٦.

- (٣٣) رمضان، الشكل، ج ٦، ص ٣٧٠؛ العمري، يحيى، دارهم المغربية والأندلسية المربعة من خلال مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥ م، ص ٢٠٨.
- (٣٤) بن محمد، مسكوكات، صص ١٩١-١٩٣.
- (٣٥) رمضان، الشكل، ج ٦، ص ٣٦٩.
- (٣٦) بن محمد، مسكوكات، ص ٤٣.
- (٣٧) بن محمد، مسكوكات، ص ٤٤.
- (٣٨) مبارك، من الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ٣٦.
- (٣٩) ابن عذاري، ابي العباس احمد ابن محمد المراكشي (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: امبروسي هويسبي مرندة واخرون، (الجزائر: دار كريدمايس، ١٩٦٠م)، ج ٤، ص ١٥٤؛ الكركجي، الأزمات، ص ٢٠٨.
- (٤٠) أبو مصطفى، تاريخ الاندلس، ص ٣١٩؛ الكركجي، الأزمات، ص ٢٠٨.
- (٤١) بن محمد مسكوكات، ص ٥٢.
- (٤٢) رمضان، الشكل، ج ٦، ص ٣٦٩.
- (٤٣) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٤.
- (٤٤) بن محمد، مسكوكات، ص ٤١.
- (٤٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ج ١، ص ٣٢٤.
- (٤٦) بن محمد، مسكوكات، ص ٤٢.
- (٤٧) بن محمد، مسكوكات، صص ٤٢-٤٣.
- (٤٨) بن محمد، مسكوكات، صص ٥٢.
- (٤٩) بن محمد، مسكوكات، صص ٥٢.
- (٥٠) ابن خلكان، وفيات، ج ٧، صص ١٣٠-١٣١.
- (٥١) رمضان، الشكل، ج ٦، ص ٣٧٠.
- (٥٢) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٤، ٥٥، ١٨١.
- (٥٣) بن محمد، مسكوكات، ص ٥٦.
- (٥٤) بن محمد، مسكوكات، صص ١٩١-١٩٣.
- (٥٥) أبن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٩؛ فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر: دراسة حضارية، (دار الجيل، ١٩٩٣م)، ص ٧٠، ٧١، ١٢٥؛ وناس، زمان عبيد، النشاط

الاقتصادي في سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ / ١١٤٤-١٤٩١م)، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)، ص ٢١٥.
(^{٥٥}) فرحات، غرناطة، ص ١٢٥.

(^{٥٦}) المقرئزي، تقي الدين أحمد بن عبد القادر، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)، النقود الإسلامية، (القسطنطينية : مطبعة الجوائب، ١٢٩٨ م)، ص ١٧، ١٨؛ وناس، النشاط الاقتصادي ، ص ٢١٧.

(^{٥٧}) أبو الحسن علي: أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الأحمرري، استقل بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الأندلس، وجاهد المشركين، وافتتح عدة أماكن ، ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر، وخافوه، وطلبوا هذنته، وكثرت جيوشه، فأجمع على عرضها كلها بين يديه، وأعد لذلك مجلساً أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة. ينظر : المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: أحسان عباس (بيروت : دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج ٤، ص ٥١١.

(^{٥٨}) وناس، النشاط الاقتصادي ، ص ٢١٧.

(^{٥٩}) وناس، النشاط الاقتصادي ، ص ٢١٨.

(^{٦٠}) وناس، النشاط الاقتصادي ، ص ٢١٨.

(^{٦١}) العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٦.

(^{٦٢}) فرحات، غرناطة، ص ١٢٥.

(^{٦٣}) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٩.

(^{٦٤}) Cuenca، Vicente Salvatierra ، vida económica y artes tradicionales en Al-Andalus y Marruecos، (Madrid : Lunweg ، 1995)، p183.

(^{٦٥}) العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٦.

(^{٦٦}) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٩.

(^{٦٧}) العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٦.

(^{٦٨}) العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٧.

(^{٦٩}) Cuenca ، vida económica p182.

(^{٧٠}) الأمير عبد الله: يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس، لقب أبو الحجاج، كان أبيض أزهر، أيّداً، برّاق الثنايا، أنجل، رجل الشّعْر أسوده، كثّ اللحية، تقع العين منه على بدر تمام، وافر العقل، عظيم الهيبة، إلى ثقب الذهن، وبعد الغور، والتفطنّ للمعاريض، والتّبريز في كثير من الصنائع العملية، مائلا إلى الهدنة، مزجيا للأمر،

كلفا بالمباني والأثواب، جماعة للخلي والذخيرة، مستمياً لمعاصريه من الملوك، تولى الملك بعد أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء، ضحوة يوم الأربعاء ١٣ من ذي الحجة في سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، واستقل بالملك، واضطلع بالأعباء، وتملاً الهدنة ما شاء. ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٢٨٠.

(٧١) محمد بن يوسف : بن يوسف أبي الحجاج بن اسماعيل بن فرج بن نصر ثاني ملوك دولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس ، تولى ملك الأندلس بعد وفاة أبيه في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤ م، وكانت وفاته غرة في سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م. ينظر : المقري، نفح الطيب ، ج ٧، ص ١٩٦.

(٧٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٣٩؛ العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٦.

(٧٣) وناس، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٨؛ العمري ، الدراهم ، ص ٢٣٦؛

Carlos V ،Palacio de، Arte islámico en Granada : propuesta para un Museo de la Alhambra ،(Granada : Patronato de la Alhambra y Generalife، 1995)،P227؛ Cuenca ، vida económica ،p182.

(74) Cuenca ، vida económica ،p183.

(٧٥) العمري، الدراهم ، ص ٢٧٤ وما بعدها لمزيد من التفاصيل؛

Cuenca ، vida económica ،PP181-183.

(76) Cuenca ، vida económica ،PP182-183.

**حضارات بلاد اليونان القديمة
(الحضارة الايجية والحضارة المسيانية)
النشأة والزوال**

**م.م. زمن احمد عباس
المديرية العامة لتربية ذي قار**

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية)

النشأة والزوال

م.م. زمن احمد عباس

المقدمة

يرى اغلب الباحثون ان مصطلح الحضارة الأيجية يعني الحضارتين الكريتية التي ظهرت في جزيرة كريت والميكينية التي ظهرت في شبه جزيرة البيلويونيز في جنوب بلاد اليونان بينما يرى باحثون آخرون بأن المصطلح يشمل أيضاً مايسمونه حضارة طوادة نسبة الى مدينة طروادة (ول، ١٩٦٨، ص ٥٩)، التي تقع في الزاوية الشمالية الغربية لآسيا الصغرى (ثيودور، ١٩٦٦، ص ٣٦) والحضارة الكيلادية نسبة الى مجموعة جزر الكيلاديس التي تقع في البحر المتوسط شمال جزيرة كريت والى الجنوب الشرقي من بلاد اليونان (ثيودور، ١٩٦٦، ص ٣٨) ونعتقد ان هذا الرأي الأخير يبتعد قليلاً عن الموضوعية في تناول التطورات التي ظهرت في مدينة طروادة وجزر الكيلاديس ما هي الاصدى أو انعكاس للتطورات الحضارية الكبيرة والواسعة التي ظهرت في كل من كريت وميكيني وان تلكما الحضارتين اي (حضارة طروادة) و (حضارة جزر الكيلاديس) كانتا تمثلان فرعين صغيرين للحضارتين الكريتية والميكينية لذلك فأني سأقصر بحثي على دراسة التطورات السياسية والحضارية للحضارتين الكريتية والميكينية وايضاً سنعرض اهم الهجرات التي تسببت في انهيارها.

الفصل الاول

المبحث الاول

الحضارة الكريتية (٣٠٠٠-١٤٠٠ ق.م)

للتعريف عن الحدث التاريخي وفهمه بصورة واضحة لا بد لنا أن نتعرف على المسوح أو المكان الذي جرى عليه ذلك الحدث اي لا بد لنا من التعرف على الطبيعة الجغرافية لمكان الحدث ومكان وميدان التطورات الحضارية الكريتية كان جزيرة كريت.

❖ موقع جزيرة كريت وطبيعتها الجغرافية

كريت هي جزيرة تقع في شرق البحر الابيض المتوسط وهي من أكبر خمس جزر فيه (ثيودور، د.ت، ص ٤٢) وتحتل مكاناً وسطاً بين بلاد اليونان في الغرب وساحل آسيا الصغرى والساحل السوري في الشرق وسواحل مصر في الجنوب وهي لا تبعد عن تلك السواحل التي ذكرناها كثيراً فقد كان الوصول اليها عن طريق البحر من تلك السواحل لا يستغرق أكثر من يومين او ثلاثة أيام بوسائط تلك الازمان. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢٦٦)

اما وصف جزيرة كريت الجغرافي فهي جزيرة مستطيلة الشكل تمتد ممن الشرق الى الغرب يبلغ طولها (٢٥٥) كم وأقصى أمتداد لعرضها هو (٥٠) كم وتبلغ مساحتها (٨٣٣١) كم^٢ وترتفع أرضها في الوسط حيث تنتشر الجبال في سلسلة تمتد من الشرق الى الغرب ويصل ارتفاع بعض قممها الى اكثر من (٢٤٥٦) م وتوجد في الجزيرة سهول ساحلية تجري فيها بعض الانهار القصيرة والسريعة الجريان. وتتكون سواحلها الشمالية من مجموعة من الخلجان يمكن ان تكون موانئ طبيعية ومعظم مدتها كانت موانئ على السواحل. (ثيودور، ١٩٦٦، ص ٥٨)

ويتميز مناخ جزيرة كريت بوجود منطقتين مناخيتين الاولى تمثل مناخ البحر المتوسط وتتركز في شمال الجزيرة والثانية تمثل مناخ الشمال الافريقي وتتركز في جنوب الجزيرة ومناخ الجزيرة بصفة عامة معتدل تسقط فيه الامطار على كافة أنحاء الجزيرة وتهطل الثلوج في قمم الجبال. (جورج، ١٩٧٨، ص ٢٠٤)

❖ التسمية

أطلق على كريت تسميات عديدة ويرجع ان أسسها مشتق من لفظة (كورينيس Curetes) وهو اسم أحد الشعوب التي سكنت كريت قديماً ويعتقد انه من الاسم (كريس) وهو اسم اول ملك حاكم في الجزيرة. (جون، د.ت، ص ١٨٠) وقد ورد أسم كريت في المدونات المصرية القديمة بصيغة (كيفيتو Keftiu) اما الحضارة التي ظهرت في هذه الجزيرة فقد أطلقت عليها تسميات عديدة فقد سميت الحضارة الكريتية نسبة الى اسم الجزيرة وسميت بالحضارة المنسوبة نسبة الى (مينيوس) وهو لقب الملك الكريتي وسميت بالحضارة الايجية نسبة الى البحر أيجة. (توييني، ١٩٨١، ص ٢١٠)

❖ السكان

سكن الانسان جزيرة كريت منذ أزمنة قديمة وقد جاء هذا الانسان الى جزيرة كريت على صورة هجرات متعددة جاءت من مناطق مختلفة وقد قدمت أغلب تلك الهجرات من آسيا الصغرى وقد تعرضت كريت أيضاً الى هجرة جاءت من ليبيا وأستقرت في سهل (ميسارا Messara) (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١١٠) وقد اصطلح على تسمية تلك الشعوب التي أستقرت في كريت وفي غيرها من جزر البحر المتوسط وجزر بحر أيجة بـ(شعوب البحر المتوسط) ولم يستطيع الباحثون تحديد هوية القوم الذين أنشأوا الحضارة الكريتية لكن المرجح أن أحد شعوب البحر المتوسط هو الذي كان وراء ظهور تلك الحضارة. (يرن، ١٩٨٩، ص ٩٦)

عصور الحضارة الكريتية وأمتدادها الزمني

اتفق الباحثون على تقسيم الحضارة الايجية او الكريتية الى ثلاثة عصور ينقسم كل منها بدوره الى ثلاث مراحل تستند جميعها الى الملك مينوس الذي كان سيد كريت وملكها ويقسم الباحث الاثار (ارثر أيفانس) زمن الحضارة الكريتية الى عصور ثلاث هي:

العصر المينوي المبكر ٢٦٠٠-١٨٠٠ ق.م

العصر المينوي المتوسط ١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م

العصر المينوي المتأخر ١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م (لطي، ١٩٩٠، ص ٨١)

وقد بلغت الحضارة الكريتية أوجها في المدة (٢٠٠٠-١٧٠٠ ق.م) وهو ما يسمى (عصر الازدهار الاول) ثم في العصر المينوي المتأخر (١٦٠٠-٤٠٠ ق.م) الذي يسمى (عصر الازدهار الثاني). (الناصري، ١٩٨٧، ص ١٢٠)

❖ عوامل قيام الحضارة الكريتية

يعد موقع جزيرة كريت من أهم عوامل قيام الحضارة في تلك الجزيرة حيث تعرضت كريت وبحكم موقعها القريب نسبياً من مواطن الحضارات القديمة في كل من مصر وبلاد الشام ومن ورائها الحضارة العراقية القديمة الى تأثيرات تلك الحضارات فقد كانت كريت محطة من محطات التجارة البحرية وكانت تمر بها السفن التجارية التي كانت تمر عبر

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

البحر المتوسط حاملة معها تاثيرات حضارات الشرق القديمة وكان أقوى تلك التأثيرات هو تأثير الحضارة المصرية. (سامي، ٢٠٠٣، ص ٦٨)

يعود تاريخ العلاقات المصرية الى العصور الحجرية القديمة وفق ماورد في المدونات المصرية القديمة والكريتية ايضاً التي تؤكد على وجود علاقات وثيقة قامت بين الطرفين وأقدم تلك المدونات يعود الى عهد الاسرة الثالثة (٣٠٠٠ ق.م) (الشيخ، ١٩٧٧، ص ١٢٣) وقد أستمرت تلك العلاقات في عهود الاسر التي حكمت مصر ومن الدلائل المؤكدة على وجود تلك العلاقات المكتشفات الاثرية للموضوعات المصرية لاسيما التحف المصنوعة من العاج والتي وجدت في كريت وتشير تلك الكتابات بانها وجدت في مدينة (طيبة) المصرية تعود الى عهد السلالة او الاسرة الثانية عشر (٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م) (حسني، د.ت، ص ١٤٣) الى شعوب البحر كشعوب حليفة لمصر ولم تتأثر تلك العلاقات بأحتلال الهكسوس لمصر بل ان العلاقات استمرت وتطورت في هذا العهد حيث عثر على ابنية في قصر (كنوسوس) تحمل شارة ملك الهكسوس (خيان) (١٦٦٣ ق.م) (حسني، د.ت، ص ١٤٣)

وقد بلغت قوة العلاقة بين مصر وكريت درجة كبيرة من القوة والمتانة والتطور والانتساع في زمن الفرعون المصري (تخوتمس) الثالث (١٤٧٥-١٤٣٥ ق.م) الى درجة جعل الباحثين يعتقدون ان كريت كانت في تلك الفترة احد البلدان الفاتحة لمصر (الشيخ، ص ٩٦) حيث عثر على نقش يصور جماعات من ام اجنييه جاءت الى مصر لتقديم الهدايا الى الفرعون ومن بين تلك الجماعات وفد (كفتي) اي كريت وتشير الكتابات ايضاً الى ان اسطول (كفتي) اي كريت كان ينقل الاخشاب من (بيلوس) اي جيبيل الى مصر تلبية لطلب الفرعون لحاجته اليها

(سليم، د.ت، ص ١٣٣)

ومن اقوى الدلائل التي يوليها الباحثون اهميه خاصه في تاكد عمق التأثير الحضاري المصري في الحضارة الكريتية في بلاد اليونان فيما بعد هو (قصر كنوسوس) الشهير الذي نسجت حوله الاساطير حيث نجد تاثيرات العمارة المصريه واضحه في بناء ذلك القصر وفي الرسوم والنقوش والكتابات الموجوده على جدرانه (عبد اللطيف احمد علي ١٩٧٤ ص

١٥١) وقد وصلت التأثيرات الحضارية لحضاره وادي الرافدين الي كريت عن طريق سوريا وسواحل البحر المتوسط اسيا الصغرى (الاحمد، ٢٠٠٣ ص ١٣٥) وقد استمرت تلك العلاقات الى عام (١٤٠٠ ق.م) اي نهايه العصر المينوي الحديث الثالث حيث اختفت كلمه (كيفيتو) من النصوص المصريه وهي اشاره الي نهايه الحضاره الكريتيه وافول نجمها حيث كان ذلك العام هو عام سقوطها و زوالها (بريستد، ١٩٢٦، ص ١٢٦)

❖ ابرز مظاهر الحضارة الكريتيه

١- نظام الحكم

كان نضام الحكم في كريت في بدايته نضاماً قبلياً عشائرياً حيث كان رئيس القبيله هو الذي يدير شؤونها ويشاركهم في ذلك بعض التيلاء وكان هؤلاء يحكمون البلاد حكماً اقطاعياً وقد تبدلت الجال في العهد المينوي حيث يبدو ان احد زعماء الاسر الكبيره استطاع السيطرة على السلطه وعلى رؤوساء القبائل الاخرين واصبح ملكاً عليهم اطلقوا عليه لقب (مينوس) (بريستد، ١٩٢٦، ص ١٣٣)

وقد استمد ملوك كريت سلطتهم من الالهة فالملك هو الكاهن الاعلى ويحمل الشارات الملكييه المكونه من العصا وزهره الزنبق و السيلطة ذات الحدين وكان على الملك ان يجدد سلطته الالهية كل تسع سنوات وذلك بالصعود الى الجبل المقدس ودخول الى مغاره الاله الثور والاتصال به (ديورانن، ١٩٦٨، ص ١١٧)

وكان الهرم الاداري لاداره الدوله مكون من الملك الذي يقف على رأس الهرم ويأتي من بعده عدد كبير من الموظفين والكتاب لكل منهم مهمته ووظيفته الخاصه ولكل منهم ختمه الخاص الذي يحمل اسمه يصادق به على المعاملات القليله الاهميه (الالوسي، ١٩٨٦م ص ٢٢٠) اما المعاملات ذات الاهميه الكبيره والخاصه فلا بد ان تذبل بتوقيع الملك وختمه وكان الملك الكريتي يسمك بيديه بالاضافه الى السلطتين الدينيه والاداريه فإنه كان القائد العسكري الاعلى وكان ابرز مظهر من مظاهر القوة العسكريه الكريتيه هو الاسطول الذي كان ذراع كريت الذي استخدم على نطاق واسع في التجاره وفي تأسيس المستعمرات التي أنشائها الكريتيون خارج الجزيره حيث انتشرت مستعمراتهم على سواحل البحر المتوسط المختلفه (يحيى، ١٩٩٧م ص ١٥٠)

٢- الديانة الكريتية

عبد الكريتيون قوى الطبيعه وعناصرها وكانت عقيدتهم هي عباره عن مزيج من الايمان بالقوى الخفيه والخرافات وقوى الطبيعه وقد خصوا الثيران والافاعي بقديسه خاصه لاعتقادهم بقدرتها التناسليه الكبيره وكانوا يقصدون الحياه لذلك فقد قدسوا كل ما يدمجها ويمدها بالاستمراريه والبقاء كالخلق والاحصاب والتناسل (كرم، ١٩٦٦، ص ٢٦٢) وقد عبد الكريتيون الالهة الام التي كانت تشيرلديهم الى الحياه وقد جاءت صورها في موروثهم على شكل امرأة تحمل بين ذراعيها ابنها (فلنما توس) والذي ولدته في احدى المغارات في الجبال وكان (فلنما توس) رمز لتجدد الحياه عندهم فهو يموت ويولد من جديد (كرم ص ٢٦٩) وتظهر صورته بنصف انسان ونصف ثور واطلقوا على الالهة الام تسميات متعدده لكن الاسم الغالب عليها كان (ريا Rhea) (خفاجه، ١٩٥٦، ص ١٠٢)

وكان الكريتيون يتقربون لالهتهم ببعض الطقوس والتعاويد والندوف وكانت تلك الطقوس تقام في البيوت او في الاماكن المقدسه وكانت لهم اعياد دينيه يقيمون بها المهرجانات ويمارسون الالعاب البهلوانيه منها مصارعه الثيران والشطرنج وكانت تلك المهرجانات تقام في مساح ذات مقاعد مدرجه منحوته من الحجر (خفاجه، ١٩٥٦، ص ١١٠)

٣-الكتابة الكريتية

لم يستطع الباحثون حل رموز الكتابه الكريتيه بشكل مفصل ودقيق لذلك لم يوقف الباحثون من الاحاطه بمعارف الكريتين المختلفه من طب وفلك وقوانين فقد بقيت هذه الامور طلاس بين طيات النقوش الكريتيه وقد استطاع الاثاري الانكليزيه (أرثر ايغانسي) من تحديد نوعين من الكتابه عثرعليها في كريت وفي المستعمرات المنتشره على سواحل البحر المتوسط (حاطوم، ١٩٦٤م، ص ١٣٣) اطلق عليها الكتابه التخطيطيه والكتابه التخطيطيه وكان النوعان يختلفان عن بعضهما اختلافاً كبيراً وقد تمكن العلماء من حل رموز المجموعه الاولى ويبدو ان الكتابه كانت منتشره بين افراد الشعب الكريتي وكان يمارسها عامه الناس على عكس الكتابه في مصر التي اقتصرت على طبقه الكهان (حسني، ١٩٦٠، ص ٦٥)

٤- مظاهر الحضارة الكريتية الأخرى

كانت كريت فقيرة بمواردها الطبيعيه وكانت الغابات تغطي مساحات واسعه من اراضيها وقد وفرت لهم هذه الغابات الاخشاب المطلوبه لصناعه السفن وكانت ابرز الاشجار في كريت هي شجره الزيتون التي استفاد الكريتيون من زيتونها وزيته كثيراً (يسري، ١٩٨٤، ص ٨٦) اما المواشي فقد رعى الكريتيون الابقار وكان الماعز من ابرز حيواناتهم وقد اخترعوا مهنة صيد الاسماك التي كانت تمثل مصدر العيش الرئيسي لهم (عياد، د.ت، ص ١٤٤) وقد دفعت هذه الموارد الثمينه الكريتين باتجاه البحر فركبوه وكانوا بارعين في هذا المجال وقد مارسوا من خلال اسفارهم البحريه التجاره مع الاقوام الاخرى حيث كانوا يبيعون منتجاتهم (ديورانتي، ١٩٦٨، ص ١٣٢) ويستوردون ما يحتاجونه من اطعمه و البسه وكان النحاس والحديد من ابرز المعادن التي جلبوها الى الجزيره في مبادلاتهم التجاريه حيث اتوا بالنحاس في وقت مبكر من جزيره قبرص (جزيره النحاس) وقد نجح الكريتيون في مزج تلك المعادن وصنعوا منها ادوات مختلفه ومتنوعه (سارنون، ص ١٨٠)

كانت ابرز الصناعات الكريتيه هي صناعه الخزف التي برعوا فيها براعه شديده وكان الخزف الكريتي مميز عن غيره ويتمتع بشهره طيبه واسعه وكان الخزف الكريتي مزين بالرسوم المختلفه والاشكال البديعه التي تدل على مهاره الحرفيين والكريتين وابداعهم وبرع الكريتيون ايضاً في مجال الحفر في الخشب وكانت لديهم مناشير صنعوها من البرونز (سارنون، ١٩٧٨، ص ١٩٦)

وصنع الكريتيون السفن الكبيره التي كانت تجوب البحر المتوسط وصنعوا العربات كذلك والادوات التي كانوا يحتاجونها في حياتهم اليوميه (علي، ص ١٧٢)

وقد برز الكريتيون وبشكل مميز في فن حيث شهد الفن الكريتي تطوراً وازدهاراً كبيراً وقد نجح الفنان الكريتي في ملاحظه طبيعه ومجاراتها والحفاض على النسب والتجانس بين مكونات الاشياء التي رسمها ويتمثل ذلك في الرسومات الفخاريه الرائعه والدقيقه حيث زين الفخار برسومات الازهار والاحياء البحريه (مصطفى، ١٩٨٨، ص ١٦٠)

لقد تميز الفن المينوي بدقته وصغر حجمه على عكس الفن المصري الذي أتصف بالضخامة وقد صنعوا التماثيل من الجبس او من الحجر او البرونز او العاج وكانت منحوتاتهم غاية في الدقة (مصطفى، ١٩٨٨، ص ١٦٧)

وقد امتازت حياة الفرد الكريتي بالرفاهية النسبية وكانت ملابس الكريتين تختلف حسب اختلاف الجنس والعمر حيث كان الرجال الكبار يلبسون أردية طويلة او عباءات اما ملابس النساء فتشبه الى حد كبير ملابس النساء في الوقت الحاضر حيث تتكون من صديري قصير الاكمام وفوقه بلوزة من نسيج ابيض رقيق ومن ازرار يشبه الناقوس في جزئه الاسفل او من (بيجاما) فضفاضة مزركشة الالوان. اما الشباب فكانوا يلبسون قطعة صغيرة من القماش تلف حول الوسط وحزام عريض من الجلد يلتف حول الخصر. وكان الكريتيون يلبسون الاحذية الجلدية التي تشبه الاحذية الحديثة المخصصة للجيش وكان الرجال ينتعلون أحياناً صندلاً من الجلد. وكانت السيدات يلبسن خفاً مصنوعاً من السيور الجلدية وذات الكعوب العالية ويضعن على رؤوسهن قبعات كبيرة مزركشة بألوان زاهية وكان الكريتيون رجالاً ونساءً أيتزينون بالحلي. (سارتون، ص ١٨٢)

اما لباس الحرب عندهم فيكون من خوذة مرتفعة من البرونز ويحملون درعاً من البرونز وسلاحهم السيف الطويل والرمح ويلطه ذات حدين قاطعين. (أ.سيزي، ١٩٧٧، ص ١٢٢)

٥- العمارة

برع الكريتيون في العمارة لاسيما في فن بناء القصور الذي يعد قصر كتوسوس مثلاً بارزاً للروعة والجمال فقد تضافرت الفنون كلها على بناء القصور الكريتيية ومنها قصر كتوسوس المشيد بالقوة السياسية والسيادة التجارية والثراء والترف وما تجمع في البلاد من ثراء وترف ورقة وسمو في الذوق كل هذا حتم على المهندس والبناء والصباغ والمثال والنجار وصانع الفخار والاوناني ان يجمعوا مواهبهم ليشيدوا مجموعة من حجرات ملكية ومكاتب ادارية وملاه وحليات العاب لتكون محور الحياة الكريتيية ودليل رفعتها وعظمتها. (بيرن، ١٩٨٩، ص ١١٠)

وعلى الرغم من ان كرييت كان يعوزها الكثير من متطلبات البناء لذلك بنوا القصور ومنها قصر كتوسوس بحجر الجير والجبس واستخدموا الخشب في انشاء الاروقة المقامة

على العهد. وكانوا يقطعون الكتل الحجرية قطعاً محدداً ودقيقاً وكان هذا القصر يحتوي على ما لاحصر له من الحجرات ومراكز الحراسة والحوانيت ومعاصر الخمر ومخازن ومكايين لتفريق شؤون الدولة ومساكن للخدم وحجرات للانتظار واخرى للاستقبال وحجرة عرش ديهو للسلطة المزدوجة ومخادع ومعبد وبالقرب من هذا كله دار للتمثيل ومقبرة. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٥٨)

وقد زين قصر كتوسوس ببارق وسائل الزينة حيث جملت بعض الحجرات بالزهريات والتمائيل الصغيرة وبعضها الاخر بالصور الملونة او النقوش البارزة والقوارير الحجرية وتحف من العاج والخزف والبرونز ورسومات وصور لنساء وحيوانات ونباتات. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٧٠)

لقد أمد قصر كتوسوس وبما يوجد فيه من رسوم ونقوش وزخارف وتحف الباحثين والمعنيين بشؤون الحضارة الكريتية بالكثير من المعلومات عن طبيعة ونمط الحياة الكريتية في ذلك الزمن. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٨٨)

٦- اهم المدن الكريتية

تذكر المصادر أن الارض الكريتية كان يتوزع عليها اكثر من (٩٠) مدينة إلا أن ابرز تلك المدن التي ذاعت شهرتها كعواصم سياسية كريتية ومراكز حضارية هي مدينة كنوسوس التي تقع في منتصف الساحل الشمالي لجزيرة كريت والمدينة الأخرى التي تأتي بعد كنوسوس في الاهمية هي (مניתوس) التي تقع في منتصف الساحل الجنوبي لجزيرة كريت. ومن المدن الأخرى بلايكاستر وموخولوس وابسير او غيرها أنهيان الحضارة الكريتية. (علي، ص ١٢٣)

بلغت الحضارة الكريتية شاناً عظيماً من التطور والازدهار وبينما كانت تلك الحضارة في اوج عظمتها ومجدها أنهارت بشكل مفاجئ وتلاشت عام ١٤٠٠ ق.م وقد بقيت أسباب ذلك الانهيار لغزاً يؤرق بال الباحثين ولم يتفقوا على السبب او مجموعة الاسباب التي ادت الى انهيار تلك الحضارة فبعضهم يرى ان السبب هو زلزال عظيم أصاب الجزيرة وأتى على معالمها ومراكزها. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢٠٣) الحضارية بينما يعزو البعض الاخر انهيار تلك الحضارة ونظامها السياسي الى ثورة وطنية أطاحت بالحكم تبعها اعمال شغب من حرق

ونهب وتخریب بينما يرى آخرون ان نهاية الحضارة الكريتية جاءت على أثر غزو قام به الميكليونيون للجزيرة حيث سيطروا عليها واخضعوها لسلطانهم ولم يستطيع اهلها الدفاع عنها لأنهم كانوا قد أسرفوا في تحديد النسل وان ازدياد الثروة والترف وما تسبب عنه من أنهماك في الملذات قد اضعف حيويتهم وارادة الدفاع لديهم. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢١٠).

المبحث الثاني

الحضارة الميكنية (المسينية) (١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م)

تعد الحضارة الميكنية الحضارة الثانية وللحضارة الكريتية في تكوين الحضارة الايجية وان كانت الحضارة الكريتية ذات صيغة اسبوية فقد أصطبغت الحضارة الميكنية بصيغة يونانية لانها ظهرت وتطورت في بلاد اليونان وكانت الاساس والركيزة التي قامت عليها الحضارة اليونانية فيما بعد. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ٢١٠)

وقد سميت الحضارة الميكنية بهذا الاسم نسبة الى اهم مراكزها وهي مدينة (ميكني) او (ميسيني) لذلك فهي تسمى أحياناً الحضارة المسينية. (علي، ص ١٤٠)

❖ موقع مدينة ميكني

تقع مدينة ميكني في الجهات الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز ليس بعيداً عن الساحل الشرقي والوصف الجغرافي لعموم شبه جزيرة البيلوبونيز هي أنها بلاد جبلية وعرة قليلة السهول وقليلة الموارد الاقتصادية الامر الذي دفع الميكني حال الكريتين الى التوجه نحو البحر للتعويض عن شحنه الموارد الاقتصادية بممارسة الصيد في البداية ثم التجارة فيما بعد. (سارتول، ص ١٩٠)

وقد استفادت كل من ميكني وتيرنس وهي المركز الثاني من مراكز الحضارة الميكنية من موقعها الجغرافي الذي جعلها في شرق البلاد وفي مواجهة كريت وعرضه لتأثيراتها الحضارية ومن خلال كريت كانت ميكني وبلاد اليونان عرضة لتأثيرات حضارات الشق المصرية والفينيقيّة والعراقية القديمة عن طريق التجارة والابحار. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢١٠)

❖ السكان

سكن الانسان بلاد اليونان وشبه جزيرة البيلوبونيز منذ القدم الا ان بناء الحضارة الميكينية هم اقوام يسمون (البلاسيجين) الذين يرجع استيطانهم لشبه جزيرة البيلوبونيز الى عصور موعلة في القدم ايضاً حتى باتوا يعدون بانهم سكان البلاد الاصليين وابرز مامتوفر عنهم من معلومات هو انهم كانوا البناء الاوائل للحضارة الميكينية وكان يسكن الى جانب البلاسيجين قوم آخرون هم (الليجين). (حاطوم، ١٩٦٤، ص ٣٧٢)

والبلاسيجين قوم لاينتمون الى الاقوام الهندو -اوربية وقد وفدوا الى البلاد التي ستعرف بلاد اليونان فيما بعد من جنوب غرب اسيا الصغرى وكانوا يمتون بصلة عنصرية الى السكان المعاصرين لهم في جزر السيكلادس وكريت وتنتمي الى لغتهم كلمات منتهية بلواحق او فيها بدايات معينة غير يونانية منها اسماء أماكن مثل كورنثوس وپرناسوس وميكيني واثيني واسماء اشخاص ونباتات وطيور جذورها غريبة عن اليونانية. (ديورانتي، ١٩٦٨، ص ١٧٣)

وكان البلاسيجين في هجرتهم الى بلاد اليونان يحملون بعض العناصر الحضارية فقد ادخلوا الفرن الذي يشوى به الفخار الذي تطورت صناعته كثيراً بدخولهم. يرن، ١٩٨٩، ص ١٦٢)

❖ ابرز مظاهر الحضارة الميكينية

١. نظام الحكم

لم تتوضح لدينا صورة دقيقة عن تطور نظام الحكم عند الميكينيين وعن البدايات الاولى لظهور الملوك لديهم وتلك بعض الروايات التي يختلط فيها ما هو حقيقي بما هو أسطوري ان الميكينيين كانوا ينظمون أنفسهم بواسطة شيوخ قبائلهم الذين كانت لديهم سطوة ومكانة عند الميكينيين الا ان احد الغزاة المسمى (ميلوبس) (علي، ص ١٨٣) الذي أجتاح البلاد قادماً من اسيا الصغرى واستقر في بداية الامر في شمال غرب البيلوبونيز ثم بسط نفوذه على شبه الجزيرة بأكملها هو وسلالته كانوا أول من أسس الميكينية في ميكناي حيث ان خلفاءه حكموا ميكناي وتزعموا كل بلاد الاغريق. (ديورانتي، ١٩٦٨، ص ١٧٨)

ويرى بعض الباحثين ان (بيلويس) هو اسم عرقي لقبيلة تسمى (البيلوبونين) وهي قبيلة معروفة التي ربما أشتق منها اسم شبه جزيرة البيلوبونيز. (علي، ص ١٦٤)

وقد ظهر عند الميكينيين ملوك اقوياء استطاعوا ان يمدوا نفوذهم الى مناطق بعيدة في البحر المتوسط وقد بلغ من قوتهم إنهم نافسوا الكريتيين في تجارتهم البحرية وانتزعوا منهم الصدارة حيث تذكر بعض الروايات إن الميكينيين هم الذين اسقطوا كريت وأزالوها من الوجود ليحلوا محلها في سيادة البحر المتوسط في اجزاءه الشرقية وفي بحر ايجة. (علي، ص ١٨٠)

٢. العمارة الميكينية

أشتهرت ميكيني بقصورها التي اكتشفت أطلالها في ميكيني وتيرنس وبيلوس ولازالت بوابة الدخول الى قصر ميكيني محتفظة بفخامتها اذ تتكون من حجر واحد وتعلوها صور اسود منقوشة في الحجر الجيري ويؤدي اليها طريق محفوف بجدارين شاهقين وكان سور القلعة يضم مساحة كبيرة بالاضافة الى مساحة القصر نفسه الذي يشغل قمة تل. وقد برع الميكيني في اقامة القلاع الضخمة والمحصنة تحصيماً جيداً مثل قلعه تيرنس التي تحتوي قصاً ملكياً رائعاً في تصحيحه وكانت الكتل الحجرية المستعملة في البناء بالغة الفخامة حتى لقد نسب الناس بناءها في القمص المتواترة الى (الكيلوبيس) تلك المخلوقات المتوحشة ذات العين الواحدة والتي كانوا يزعمون إنها أستدعيت من اسيا الصغرى لهذا الغرض فصار كل بناء يبني على نمط بناء قلعة تيرنس يسمى بالبناء (الكيلوبي) ولايزال الاسم مستعملاً الى وقتنا الحاضر. ومن البنايات الاخرى التي تدل على مدى تطور فن العمارة عند الميكش هي قاعة الاحتفالات الدينية الرسمية التي كانت تسمى (الجارون). (علي، ص ١٨٣)

لم تكن القلاع الميكينية قصراً ملكياً فحسب بل كانت أيضاً معقلاً عسكرياً وفي كل من ميكيني وتيرنس كانت المنطقة المحصنة تشتمل على مساحة واسعة خالية من المباني لكي تكون مكاناً كافياً لايواء السكان اللاجئين اليها في ساعات الخطر والهاربين اليها مع ماشيتهم من الريف ويلاحظ اتخاذ تدابير احتياطية لتسهيل الحصول على المياه في حالة تعرض المدينة لحصار شديد. ففي كل قلعة توجد ممرات خفية محصورة في الصخر ومدارج تؤدي الى صهريج. (علي، ص ١٨٤)

اما منازل الميكينيين فكانت متينة البنيان وفاخرة وذات نمط متشابه في طرق البناء والجدران والارضيات المطلية بالجص والزخارف المتنوعة وكان الميكينيون يبالبغون في زخرفة الموائد والمقاعد والمساحات في تلك المنازل وكان العاج يستعمل في صنع الصناديق المحضورة المقابض الزخرفية للمرايا الكبيرة وأجزاء من القيثارات وفي حفر التماثيل وكانت الادوات المنزلية كالقدور والمصابيح تزين برسومات جميلة وقد تفنن الميكينيون في زخرفة الذهب والفضة وكانت الاواني البرونزية شائعة الاستعمال عند الميكينيين. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢١٠)

الفخار الميكيني

اكتسب الفخار الميكيني شهرة واسعة ليس في بلاد اليونان وحسب بل في اغلب البلدان المطلة على سواحل البحر المتوسط المتوسط حتى وصل الى مصر وبلاد الشام وسواحل ترافيا والسواحل الغربية للبحر المتوسط. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٨١)

ويعد الفخار الميكيني من اجود اصناف الفخار وذلك لانه مصقول صقلاً جيداً ومحروق في درجة حرارة عالية مما يكسبه مزايا عملية وجمالية ولهذا راجت تجارته. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٨٤)

انتشار الحضارة الميكينية وصلاتها الخارجية

أمتد تأثيرها الى باقي مناطق بلاد اليونان ووصل الى اثينا في هضبة أتكأ والى تسامي شمال بلاد اليونان ثم واصلت تأثيرات الحضارة الميكينية أنتشارها لتصل الى اغلب جزر بحر ايجة والبحر الايوني. (ديورانت، ١٩٦٨، ص ١٨٥)

ولم يقف أنتشار الحضارة الميكينية عند هذا الحد بل أمتد حتى شمل مناطق بعيدة في الشرق والغرب ففي الغرب مثلاً انتقلت الاواني الفخارية الميكينية الى سواحل ايطاليا وشرقاً وصل التأثير الحضاري للميكينيين الى سواحل أسيا الصغرى والسواحل السورية والمصرية كما ذكرنا سابقاً. (بريستد، ١٩٢٦، ص ٢١٢)

انهيار الحضارة الميكينية

تعرضت بلاد اليونان عام ١٢٥٠ ق.م الى هجرة أقوام تنتمي الى الفرع الارمي ومن القبائل الهندو-أوربية يسمون (الأخائيون) حيث اجتازوا البلقان واستقروا في مقاطعة (تاليا)

شمال بلاد اليونان وذلك بعد عام ٢٠٠٠ ق.م وخلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م. وبعد ان ازدادت أعدادهم أنتشروا في باقي بلاد اليونان ولاسيما في شبه جزيرة البيلوبونيز التي تركز استقرارهم فيها واختلطوا بالبلاسيمين سكان البلاد الاصيلين بناء الحضارة الميكينية وبسطوا سيطرتهم على هؤلاء السكان واصبحوا الطبقة الحاكمة وذلك نحو عام ١٢٥٠ ق.م وقد أمتزجت أنماط الحياة لدى الجانبين في الطور الاخير من السيطرة الاخائية حتى اصبحت واحدة وتدرجياً تلاشت الحضارة الميكينية إلا ان الضربة القاضية التي تلقتها الحضارة الميكينية جاءت على يد أقوام أرية مهاجرة أخرى تسمى (الدوريون) وهم اقوام يتصفون بالقوة والخشونة دخلوا الى بلاد اليونان عام ١١٠٠ ق.م (حاطوم، ص ٢٧٣). وكان دخولهم الى بلاد اليونان سيلاً جارفاً مدمراً اكتسح كل شيء صادفه في طريقه من اقوام ومراكز حضارية. وبعد الغزو الدوري بمثابة الكارثة التي حلت ببلاد اليونان حيث تعرض مائتقى من مراكز حضارية ميكينية الى الدمار التام وتعرضت المدن الى التدمير والخراب والحرق فالتهمت النيران مدن الميكينيين مثل ميكيني وتيرنس وحولتها الى اطلال حزينة. (عياد، د.ت، ص ١٤٨)

الفصل الثاني

الهجرات الأغريقية

كانت بلاد اليونان قبل قدوم الاغريق اليها يسكنها قوم يسمون (البلاسيجيين Blasegen) (كيتو، ص ١٢)، الذين يرجع استيطانهم لشبه جزيرة اليونان الى عصور موعلة في القدم، حتى باتوا يعدون بأنهم سكان البلاد الاصلية (عياد، ص ٨٧) (ديورانت، ص ٥٩) ولايعرف عن هؤلاء القوم الا القليل. (بورتر، ص ٢٠١). وبرز مامتوفر عنهم من معلومات هو أنهم كانوا البناء الاوائل للحضارة (الميسينية Mycenai) (١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م) (عياد، ص ٦٨-٨٣) وكان يسكن الى جانب البلاسيجيين قوم آخرون هم الليجيين (Leges) (حاطوم، ص ٣٧٢) (توبيني، ص ١١٧)، اما الهجرات الاغريقية الى بلاد اليونان، فلم يحتفظ لنا قدامى الاغريق إلا بذكريات مبهمة عن تلك الهجرات. (تيري، ص ٩) وان ماتركوه لنا في اساطيرهم، ومجمل تراثهم، في هذا المجال لايعدو ان يكون الغازاً وأحاجي (حاطوم، ص ٣٧٢) لاتشفى غليل الباحثين، زد على ذلك إن الاغريق كانوا في بداية دخولهم بلاد

اليونان أقوام همجية (براستد، ص ١٩٢) تجهل الكتابة فلم يتركوا لنا ايه مدونات تفيدنا في التعرف على أحوالهم في اول استقرار لهم في شبه جزيرة اليونان. (براستد، ص ١٩٢)

وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع بعض الباحثين ان يثبت بعض الحقائق (حسني، ص ٣١) عن تلك الهجرات، وبرزها هجرتان هما هجرة الاخائين وهجرة الدوريين.

المبحث الاول

هجرة الاخائين

كان الاخائيون اول القبائل التي دخلت الى شبه جزيرة اليونان (سليمان والفتيان، ص ٣٩٥)، وذلك بعد عام ٢٠٠٠ ق.م، وكان أول استقرار لهم في مقاطعة تساليا شمال بلاد اليونان حيث سميت إحدى المناطق التي تقع جنوب تساليا بأسم (اخايا) (عياد، ص ٨٧)، وخلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، وبعد أن زادت اعدادهم انتشروا في باقي بلاد اليونان ولاسيما في شبه جزيرة البيلوبونيز (ديورانت، ص ٧٦) التي تركز استقرارهم فيها (براستد، ص ١٩٤) لذلك سميت احدى مقاطعات شمال البيلوبونيز باسمهم اي (اخائياً) (بورتر، ص ٢٠٧)، واختلطوا بالبلاسيجيين سكان البلاد الأصليين، وبسطوا سيطرتهم على هؤلاء السكان واصبحوا الطبقة الحاكمة وذلك نحو سنة ١٢٥٠ ق.م (عياد، ص ٨٩)، وفرضوا الكثير من مظاهر حياتهم على البلاسيجيين مثل لغتهم اليونانية وعقائدهم الدينية فحلت الهمتهم الجبلية والسماوية محل آلهة البلاسيجيين الارضية، وقد امتزجت أنماط الحياة لدى الجانبين في الطور الاخير من السيطرة الاخائية حتى اصبحت واحدة (براستد، ص ١٩٦)، وتدرجياً تلاشت الحضارة الميسينية، بعد ان اخذ الإغريق منها الشيء الكثير، واستطاع الاخائيون ان يمدوا سيطرتهم الى جزيرة كريت وعدد آخر من جزر بحر ايجيه. (عياد، ص ٨٥)

وقد ورد ذكر الاخائيين من الكتابات الحثية، في نهايات القرن الرابع عشر ق.م بصيغة (اخياوا) (عياد، ص ٨٧)، حيث يخاطب ملك الحثيين ملك الاخائيين وبصفة بالأخ ملك اخياو (Rostovtzeff, p17)، وتشير الكتابات المصرية القديمة (الهيروغليفية

(Hieroglyphie) (براستد، ص ٧٢-٧٤) (باقر، ص ١٢٠-١٢٣) التي تعود الى سنة ١٢٢٣ ق.م الى الآخائين بأسم (اقايوشا) (عياد، ص ٨٧)، وانهم كانوا من بين الأقوام التي شاركت الليبين في غزوهم لمصر (يرن، ص ٥٠)، وتصفهم بأنهم عصابات من الهمج. (عياد، ص ٨٧)

١. آراء بعض الباحثين في الآخائين

كان الاعتقاد السائد لدى اغلب الباحثين وعلى رأسهم (شليمان Heinrich Schlieman) (الالوسي، ص ١٧٦) (عياد، ص ٦٩-٧٢) بأن الحضارة الميسينية وحضارة الاخائين هي حضارة واحدة وانه ليس هناك ثمة فرق بين الحضارتين، وقد اعتمد شليمان واصحابه في اعتقادهم هذا على ماجاء في (أشعار هوميروس) في الإلياذة في وصف للحضارة الاخائية (الالوسي، ص ١٧٧)، إلا إن هذا الاعتقاد تززع عندما ظهر المؤرخ الانكليزي (السير وليم رد جواي Sir Williom Ridgeway) سنة ١٩٠١ (ديورانت، ص ٧٥) بآرائه التي تنفي أن تكون الحضارة الميسينية والحضارة الاخائية حضارة واحدة، وان كانتا متشابهتين في بعض النواحي، وقد ساق (ردجواي) لأثبات وجهة نظره أدلة مادية مفادها أن الآخائين كانوا يستخدمون الحديد، في حين إن الميسينيين لم يكونوا قد توصلوا الى استخدامه بعد، حيث كانت أسلحتهم برونزية (كيتو، ص ٢٣)، وان سيوف الآخائين كانت طويلة وتروسهم مستديرة، في حين لم يعثر في الآثار الميسينية على اسلحة بهذه المواصفات، وكذلك توجد اختلافات في الأزياء وفي انماط العيش الاخرى. (الالوسي، ص ١٧٧)

اما في مجال المعتقدات الدينية، فإن هوميروس يشير الى أن الاخائين كانوا يحرقون موتاهم، في حين نرى إن الميسينيين كانوا يدفنون موتاهم، حيث وجدت لهم قبور في مدينتي تيرنس وميسيني، وهذا يدل على الاختلاف في العقيدة الدينية وفي نظرة كل من الطرفين الى الحياة الآخرة (ديورانت، ص ٧٥)، وان آلهة الاخائين الاولمبية لا أثر لها في ديانة الميسينيين.

ويذكر (رد جواي) إن الاخائيين هم أقوام من (الكلت ealt)، نزحوا أوربا الوسطى واخترقوا مقاطعتي ابيروس وتساليا شمال بلاد اليونان، وذلك عام ٢٠٠٠ ق.م ثم زحفوا باتجاه مناطق بحر أيجة وشبه جزيرة البيلوبونيز ابتداء من عام ١٤٠٠ ق.م، ثم يورد رأياً غيبياً فيقول إن الآخائيين اخذوا اللغة اليونانية من الميسينيين (عياد، ص٨٨)، وهو رأي يشذ عن آراء اغلب الباحثين، الذين يرون بأن الميسينيين هم الذين اخذوا اللغة من الآخائيين. (ديورانت، ص٧٦) (باقر، ص١١٧)

٢. ملامح المجتمع الآخائي

رسم لنا الباحثون ومن خلال ملحمتين الإلياذة والاولديسا، بعض ملامح المجتمع الآخائي (باقر، ص٥٣٠)، وطبيعة الشخصية الاخائية التي تشير الى ان الاخائيين غزاة بعيدين عن الحضارة والفنون (كيتو، ص٢٣) ولا يعرفون الكتابة وكانت حياتهم تفتقر الى القيم الفكرية ومقتصرة على الحروب والغارات (عياد، ص٩٢)، وكانوا يفضلون منظر الدم على الحبر لذلك فقد تراجعت الحضارة في بلاد اليونان في عهدهم خطوات واسعة الى الوراء. (الشيخ، ص٣٤) (النجم، ص٢٠٢)

ويتصف الاخائيين بالكذب، وبمجموعة أخرى من الصفات الذميمة، لذلك نجدهم يعجبون باوديسيوس، بطل ملحمة الاوديسا لهوميروس إيما إعجاب ويعدونه قوتهم ومثلهم الاعلى على الرغم من الصفات المشينة التي يتصف بها وهي الكذب والغدر والخبث والخيانة، وصفات سيئة اخرى يفتخر بها اوديسيوس. (عياد، ص٩٣) (ديورانت، ص٨٥)

ويرتكز المجتمع الاخائي على اساس السلطة الأبوية المطلقة، حيث يكون الأب حراً في التصرف في شؤون اسرته بلا حدود، وعلى الرغم من ذلك فقد كان للمرأة دوراً هاماً في الحياة العامة، ولم تقتصر وظيفتها على الامومة وتربية الاطفال حيث كانت تقوم بالاعمال الزراعية، أما الطبخ فكان يقوم به الرجال (عياد، ص٩٤)، وكان يسمح للمرأة بالخروج والاشتراك في المناقشات مع الرجال. (ديورانت، ص٩٧-٩٨)

وكان الاخائيون يمتنون الزراعة (براستد، ص ١٩٧)، ولم تكن ملكية الارض الزراعية ملكية فردية بل ان ملكيتها تعود للقبيلة او الأسرة، اي إن الملكية الزراعية كانت شبه مشاعة، ولم يكن الفلاح فناً مرتبطاً بالأرض، لكنه كان عرضه لأعمال السخرة من قبل رئيس العشيرة او الملك كلما دعت الحاجة الى ذلك. (عياد، ص ٩٠-٩١)

٣. نظام الحكم عند الاخائيين

اما نظام الحكم عند الاخائيين، فيقوم على اساس الانتماء القبلي، حيث يكون رئيس لكل قبيلة ترتبط برابطة قوية (براستد، ص ١٩٧) او رابطة الجر الواحد (عياد، ص ٩٧)، ويقوم رئيس القبيلة هذا في قلعة حصينة تحف بها مجموعة من القرى التابعة لسلطته، وعندما يتطلب الأمر اتخاذ قرار مهم يلجأ رئيس القبيلة الى مجلس مكون من الشيوخ (براستد، ص ١٩٧) في القبيلة لاستشارته، وبعد ذلك يعرض الأمر على مجلس شعبي، يتكون من الاحرار من رجال القبيلة، الذين لهم حق القبول او الرفض (عياد، ص ٩٧)، ويتبع رؤساء القبائل هؤلاء من كان أكثرهم قوة وسطوة، فيكون ملكاً عليهم، ويبدو إن اتخاذ الاخائيين للملوك جاء بتأثير ما وجدوه عند الميسينيين من نظام الملك. (براستد، ص ١٩٧) (باقر، ص ٥٣١)

ولم تكن سلطة الملك عند الاخائيين ثابتة، بل إنها تتسع او تنقلص تبعاً لقوة الملك أو ضعفه، ويمكن ان يبدل الملك بالقوة من قبل أحد رؤساء القبائل الاقوياء، أو باتفاق مجلس الشورى، ويحدث أن يجعل بعض الملوك الحكم وراثياً فيعطونه الى أبنائهم، ولم تكن لهؤلاء الملوك في بداية أمرهم قوانين يرجعون اليها في حل المشاكل التي تنشأ في المجتمع، بل إنهم يلجأون الى الأعراف الاجتماعية، ويجمع الملك بين يديه جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ويقود الجيوش في حالة الحرب وكان ينظر اليه على انه الرئيس الديني الأعلى. (عياد، ص ٨٧)

وقد تطور نظام الحكم عند الاخائيين، بعد ان سيطروا على الميسينيين واختلط بهم، فظهر لدى الاخائيين خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م ملوك أقوياء اتسعت

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

سلطاتهم وتوسعت رقعة حكمهم لتشمل اغلب مناطق شبه جزيرة اليونان، ونذكر من هؤلاء الملوك ملك ميسيني الشهير اغامنون (Agammon) (هوميروس، ص ٣٣)، الذي كان من الشخصيات الرئيسية في ملحمة هوميروس (الايادة) حيث قاد حملة الاخائيين البحري المكونة من عدد كبير من السفن الحربية (كوليس، ص ١٠١) ضد طروادة سنة ١١٩٤ ق.م في الحرب الشهيرة التي سميت حرب طروادة (كيتو، ص ٢٥)، لقد بلغ ملوك الاخائيين في تلك الايام مكانة رفيعة، تضاهي مكانة ملوك الحثيين وملوك ميتاني (باقر، ص ٣٦٤-٣٦٦) (ساكرز، ص ٩٤-٩٥) (بارو، ص ٣٤١) ومصر وأشور (يحيى، ص ٨٨) ويسمى العصر الذي سيطر فيه الاخائيون على بلاد اليونان بعصر الأبطال.

وكانت قبائل يونانية أخرى مثل الأيوليين والايونيين والتي تربطها بالآخائيين وشائج القرى (حاطوم، ص ٣٧٣) قد هاجرت تباعاً وبصورة تدريجية الى شبه جزيرة اليونان بعيد هجرة الآخائيون اليها (عياد، ص ٨٥) وقد استقر الأيوليون في غرب بلاد اليونان، بينما استقر الايونيون في الجنوب الشرقي من البلاد. (خفاجة، ص ٩)

المبحث الثاني

هجرة الدوريين

تعرضت بلاد اليونان في حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م (ديورانت، ص ١١٨) (رويفن، ص ٢٠) الى تدفق موجه اخرى من المهاجرين وهم الدوريين (Hammond, p81)، الذين جاؤوا من الشمال، والدوريون (ومعنى اسمهم حاملوا الحرب) (كوليس، ص ١٠٢) قبائل كانت في طور البداوة (حاطوم، ص ٣٧٣)، تمارس الصيد والرعي وتعتمد في معيشتها على الماشية، ونادراً ماتمارس الزراعة (عياد، ص ١٠٢)، وهي قبائل متنقلة بعيدة عن الحضارة. (ديورانت، ص ١١٨)

١. صفات الدوريين

يمتاز الدوريون بأنهم طوال القامات (عياد، ص ١٠٢)، وبتصفون بالشجاعة والقسوة والخشونة (حاطوم، ص ٣٧٣)، ولديهم ميل دائم للقتال والحرب (الالوسي، ص ١٧٧)، لذلك

فان دخولهم الى بلاد اليونان كان سيلاً جارفاً ومدمراً اكتسح كل شيء صادفه في طريقه من أقوام ومراكز حضارية. (يحيى، ص ٩١)

٢. طريق هجرتهم

أخترق الدوريون في تقدمهم في بلاد اليونان مقاطعتي تساليا والسييرا، وتوجههم الى شبه جزيرة البيلوبونيز، فعبر قسم منهم خليج كورنثوس، اما القسم الآخر فقد مر من خلال برزخ كورنثوس عند مدينة كورنثوس (ديورانت، ص ١١٩)، ودخلوا شبه جزيرة البيلوبونيز من اتجاهين، الأول عن طريق البر من خلال مقاطعة ميغارا (Megare) في الشرق، أما الاتجاه الثاني فكان عن طريق البحر ومن الجهات الغربية من خلال مقاطعة أليس (Aleis) (عياد، ص ١٠٢)، ولم يستطع الميسينيون والاخائيون والايونييون الذين كانوا قد تحولوا الى زراع وتجار من الوقوف بوجه الدوريين الاشداء (حاطوم، ص ٣٧٣)، الذين كانت أسلحتهم مصنوعة من الحديد حيث كان استخدامه شائعاً لديهم اكثر مما لدى الميسينيون والاخائيون والايونيون، الذين كانت بعض أسلحتهم مصنوعة من البرونز. (الالوسي، ص ١٧٨) (كوليس، ص ١٠٢) (عياد، ص ١٠٢)

٣. سيطرتهم على شبه جزيرة البيلوبونيز

بعد أن سيطر الدوريون على شبه جزيرة البيلوبونيز، هاجر من استطاع من سكانها الى شبه جزيرة اتيكيا، التي بقيت في منأى من الغزو الدوري (بيرن، ص ٥٧)، فحاول الدوريون مهاجمتها والسيطرة عليها، إلا أن الاتيكيون استطاعوا صددهم ورددهم على اعقابها (ديورانت، ص ١١٩) (بورتر، ص ٢٠٧) وقد استولى الدوريون على جزيرة كريت وجزر أخرى في بحر ايجة مثل ميلوس (Melleos) وثيرا (Thera) وكيوس (Caus) ونيدس (Nedese) ورودس (Rodes). (عياد، ص ١٠٢)

يعد الغزو الدوري بمثابة الكارثة (ديورانت، ص ١١٩) (توبيني، ص ١١٧) التي حلت ببلاد اليونان، حيث تعرض ماتبقى من مراكز حضارية ميسينية او كريتية الى الدمار التام (يحيى، ص ٩١)، وتعرضت المدن الى التخريب والحرق (الالوسي، ص ١٧٨)، فقد التهمت

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

النيران مدن عريقة مثل ميسيني وتيرنس وكتوسوس (ديورانت، ص ١١٩) فحولتها الى اطلال حزينة، أما السكان فقد تعرضوا الى القتل والتشريد، ومن بقي منهم في البلاد تحولوا الى عبيد (عياد، ص ١٤٨) وحل في بلاد اليونان عصر مظلم (كوليس، ص ١١٥) (توبيني، ص ١٤٣) تدهورت فيه الحضارة (بتزي، ص ١١) واختفت الكتابة (يرن، ص ٦١) (براستد، ص ١٩٦)، وتدهور الأمن وساد الخوف وعدم الاستقرار، وتعطلت الزراعة والتجارة، وتوقفت كل النشاطات الاقتصادية الأخرى، فزاد الفقر والبؤس والتخلف. (الالوسي، ص ١٧٨)

كان استخدام الدوريون للحديد، سبباً من اسباب انتصارهم على سكان بلاد اليونان، لذلك اعتقد هؤلاء السكان بأن الحديد قد اضر بالإنسان، وانه السبب وراء كل الشرور التي اصابتهم، ويسمي الشاعر اليوناني هسيود (Hesiod) هذا العصر بعصر الحديد، ويصفه بأنه عصر فساد وانحطاط. (ديورانت، ص ١٢٠)

وتسمى الروايات اليونانية الغزو الدوري لليونان بـ(عودة الهرقليين) (عياد، ص ٩٨) اي عودة أبناء هرقل (وافي، ص ١٨) (Hercolles)، وهم الذين كانوا يقودون الدوريين في اجتياحهم للبلاد (يرن، ص ٥٦)، ويدعي هؤلاء بأن استيلائهم على بلاد اليونان، ماهو الا ممارسة لحقهم المشروع في العودة الى أوطانهم السابقة في البيلوبونيز، التي كانوا قد اجبروا على مغادرتها في الازمان الماضية، وقد اختلط ماهو حقيقي بما هو اسطوري في هذه الروايات، وليس هناك من يستطيع نفيها أو اثباتها. (ديورانت، ص ١١٩)

٤. نتائج الغزو الدوري لبلاد اليونان

حدثت نتيجة للغزو الدوري مجموعة من المتغيرات في بلاد اليونان، فبسبب أعمال القتل والاندмир، التي رافقت هذا الغزو، وحالة الفوضى والأضطراب التي سادت البلاد، فقد اضطر أغلب السكان الى ترك بلادهم، والهجرة الى جزر بحر ايجة والى المناطق المجاورة. (كوليس، ص ١٠٢) (عياد، ص ١٠٤)

وقد انطلقت بعض هذه الهجرات والمكونة من الاخائيين والابولييين من مناطق تساليا وبيوتيا والمناطق المحيطة بها، باتجاه الشرق، فاخترقوا بحر ايجة (ديورانت، ص ٢٣٥)

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

واستقروا في جزيرة لسبوس (Lesboes) (بتري، ص ١٠) وفي المناطق الشمالية الغربية من ساحل آسيا الصغرى (ديورانت، ص ٢٣٥)، بعدما تغلبوا على سكان البلاد الأصليين، واسسوا هناك ثلاثين مدينة، منها كيمي (Game) ومغنيسيا (Magnesai)، واطلق على هذه المنطقة اسم (ايوليس Ioules) (بتري، ص ١٠) أو (ايوليا Ioulia) (بورتر، ص ٢٠٧)

اما الايونيون فقد انطلقوا في هجرتهم من مناطق اتিকা وارغوليس (Argoles) (بتري، ص ١٠)، وعبروا بحر إيجه، واستقر بعضهم في جزائر السيكلادنييس (ديورانت، ص ٢٣٥) بينما واصل البعض الآخر هجرته باتجاه المناطق الوسطى من سواحل آسيا الصغرى (يرن، ص ٦٢)، اي الى الجنوب من المناطق التي استقر الايوليون، وهذه المنطقة عبارة عن شريط ساحلي جبلي طوله نحو (١٦٠ كم)، ويتراوح عرضه ما بين (٣٥-٥٠ كم)، محصور ما بين نهر هيرموس (Hermos) في الشمال ونهر مياندر (Meander) في الجنوب (بتري، ص ١٠)، وبعد ان استقر الايونيون في هذه المنطقة، أسسوا فيها اثنا عشر مدينة (الالوسي، ص ١٧٨)، ذاع صيت اغلبها في التاريخ، مثل مدينة افسوس (Aphsous) وازمير (Azmer) ومليتوس (Melletous)، وقد سميت هذه المنطقة بـ(ايونيا Iounia)، وقدر لها أن تؤثر تأثيراً كبيراً (بتري، ص ١٠) في بزوغ فجر الحضارة اليونانية، حيث استطاعت وبتأثير الحضارات الشرقية القديمة من عراقية وفينيقية ومصرية (عياد، ص ١٤٢)، وبالاعتماد على الخيوط الواهية، المتبقية من الحضارة الايجية (الالوسي، ص ١٧٨)، أن تتسج لليونان حلتها الحضارية القشبية، وان تكون أرقى مناطق العالم اليوناني حضارة وتطوراً (يرن، ص ٦٢)، وكانت مدينة مليتوس المنار الذي انطلق منه شعاع الفكر والفلسفة والعلوم الطبيعية (الالوسي، ص ١٧٩) اليونانية، ليشع على العالم بأسره

وقد شارك الدوريون في هذه الهجرات، فقد واصلوا اجتياحهم لجزر بحر إيجه، حتى وصلوا الى شواطئ آسيا الصغرى، ليستقروا في الزاوية الجنوبية الغربية منها، ويؤسسوا فيها ستة مدن (الأحمد والهاشمي، ص ٣٢٩)، منها مدينة هاليكارناسوس (Halecarnasus)، وقد سميت المنطقة التي استقروا فيها بأسم (دوروس Dorus) (بتري، ص ١٠).

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

وهاجر اليونانيون الى مناطق أخرى، مثل سواحل تراقيا وسواحل بحر مرمر (بروبونتس Propontes) والبحر الاسود (اليوكزين Allyoxen) (بتري، ص ١٠)، وتوجهت جماعات منهم الى الغرب، واستقرت في جزر البحر الأيوني وصقلية وايطاليا وسواحل بلاد الغال وايبيريا (ديورانت، ص ٢٣٥)، الأمر الذي أدى الى اتساع رقعة العالم اليوناني اتساعاً عظيماً (عياد، ص ١٠٤) كان له تأثيرات ايجابية على التطورات الحضارية التي حدثت في بلاد اليونان.

ومن النتائج الأخرى للغزو الدوري التي ظهرت في بلاد اليونان، هي شيوع استخدام الحديد على نطاق واسع وكان استخدامه عاملاً مهماً من عوامل تطور الحياة الاقتصادية (عياد، ص ١٠٤) ومن ثم قيام الحضارة اليونانية.

وترتب على الغزو الدوري اختلاط السكانية في شبه الجزيرة اليونانية، ونتج عن هذا الاختلاط وبعد قرنين من الزمن شعباً جديداً (ديورانت، ص ١٢٠) كان أكثر استعداداً لتحمل أعباء نهضة اليونان الحضارية بما يحمله من مواهب وإمكانيات. (براستد، ص ١٩٦)

الخاتمة

وفي نهاية المطاف ومن خلال ما استعرضناه في هذا البحث بات من الواضح لدينا اهمية هاتين الحضارتين لما تميزت به من عمران وتطور على جميع المستويات الاقتصادي والتجاري والسياسي وهذا ما ساعد على ذياع صيتها وتوسع مساحتها الجغرافية وبالوقت ذاته ماجعلها عرضة للمطامع الاستعمارية وللعديد من الهجرات اليها، تلك القبائل التي تفتقد الى روح الاستقرار والمدنية التي كانت تتميز به هاتين الحضارتين، حيث استولوا على مدنهم واستقروا فيها مجدين سكانها من كل ماكانوا يتمتعون به واخرجوهم الى مناطق اخرى، وفرضوا عليهم الكثير من مظاهر حياتهم حتى لغتهم الى ان تلاشت الحضارة المسيينية تدريجياً بعد ان تراجعت أوضاعها الى الوراء وسادت لغة الدم على الحبر وتعرضت المدن على اساسها الى الحرق والتخريب وقتل بعض سكانها وشرد البعض الاخر واخفت الكتابة وساد الجهل وتوقفت كل النشاطات الاخرى وساد البؤس والفقر. وبهذا كانت نهاية اعظم الحضارات اليونانية.

قائمة المصادر

١. ارنولد توينبي، تاريخ البشوية، ت: نقولا زيادة (بيروت: بلا مط، ١٩٨١م).
٢. أندرو روبرت يرن، تاريخ اليونان، ت: محمد توفيق حسني (بغداد: مديرية مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩م).
٣. أ.يزي، مدخل الى تاريخ الاغريق وآدبهم وأثارهم، ت: يوثيل يوسف عزيز (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧م).
٤. تيودور جيانا كوليس، اليونان شعبها وارضها، ت: أنس قريمة (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٦٦م).
٥. جورج سارتون، تاريخ العلم، ت: محمد خلف الله وآخرون، ط٣، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م).
٦. جون. أ. هامرتن، تاريخ العالم، ادارة الترجمة بوزارة المعارف (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بلان).
٧. جيمس هنري بريستد، العصور القديمة، ت: داود قربان (بيروت: المطبعة الامريكانية، ١٩٢٦م).
٨. حسام محي الدين الالوسي، بواكير الفلسفة مثل طاليس (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م).
٩. حسن سليم، مصر القديمة (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، بلات).
١٠. حسني الشيخ، اليونان (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٧م).
١١. سامي سعيد الأحمد، حضارات الوطن العربي القديم اساساً للحضارة اليونانية (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣م).
١٢. سيد احمد علي الناصري، الاغريق تاريخهم وحضارتهم (القاهرة: بلاط، ١٩٨٧).
١٣. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م).
١٤. لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العهد الهلنستي (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٧م).

حضارات بلاد اليونان القديمة (الحضارة الايجية والحضارة الميسينية) النشأة والزوال

١٥. محمد صقر خفاجة، تاريخ الادب اليوناني (القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٥٦م).
١٦. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان (دمشق: مطبعة الف باء الأديب، بلا ت).
١٧. محمد خضر خفاجة، دراسات في المسرحية اليونانية (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، بلا ت).
١٨. محمد كامل حسني، فلسفة العقيدة اليونانية (القاهرة: بلا مط، ١٩٦٠م).
١٩. مصطفى العبادي، العصر العنستي، مصر (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٨م).
٢٠. نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة (دمشق: بلا مط، ١٩٦٤م).
٢١. ول ديورانت، قصة الحضارة، ط٣، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٩٦٨م) مج٢، ج٢.
٢٢. يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط (الاسكندرية، نشأة المعارف، ١٩٨٤م).

التشكيل الإداري في العصر الآشوري

الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)

لمياء سعد عكار

أ.د. منذر علي عبد المالك

كلية الآداب / قسم التاريخ

Administrative formation in the Neo Assyrian Period
(911-612 BC)

Lamyaa Saad Agar
Dr. Munther Ali Abdul Malik

University of Baghdad / College of Arts / Department
of History

nwr325042@gmail.com

MOBILE: 07709889786

لمياء سعد عكار

أ.د. منذر علي عبد المالك

الملخص:

فرضت الدولة الآشورية هيمنتها السياسيّة على اصقاع واسعة من أرجاء المعمورة إبان الألف الأول قبل الميلاد فصارعت العيلاميين شرقاً والأورارتين شمالاً والأراميين ومصر غرباً، في حين مثلت بابل (جنوباً) العمق الاستراتيجي للدولة الآشورية فما إن تفرض سيطرة سياسيّه محكمه على مدينة بابل تكون عندها قد احكمت سياستها الادارية المطلقة على بلاد سومر واكد ثم انطلقت خارجاً واطلقت عنان سيطرتها السياسية شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً وبالتأكيد ماتت هذه السيطرة السياسيّه لولا وجود جهاز اداري محكم العمل متماسك من اكبر موظف فيه واعلاهم شأناً الى اصغر موظف وادانته الجميع بالولاء المطلق للملك ،لذا جاء تقسيم البحث الى ثلاث محاور سنتناول في المحور الاول نبذه تعريفية عن النظام الاداري في الدولة ثم سنتناول في المحور الثاني ابرز اركان الإدارة وهم: (الملك ومجلس الشيوخ والموظفين) اذ سنبيين كيفية اداء العمل الوظيفي لكل منهم وكيفية ارتباطهم مع بعضهم البعض واختتمت البحث بجملته من النتائج وقائمه بالمصادر والمراجع المستخدمه. الكلمات المفتاحية (النظام الاداري ، الدولة الآشورية الحديثة ، الوظائف

Abstract

The Assyrian state imposed its political dominance over a wide area of the globe during the first millennium BC. So, it's had been fought the Elamites to the east, the Urartians to the north, the Arameans and Egypt to the west. Babylon (to the south) had represented the strategic depth of the Assyrian state. So, when it had imposes tight political control over Babylon, its administrative policy would be tightened over Sumer and Akkad. Then it had proceeded outside and unleashed its political control over the north, south, east and west. For sure, this political control would be died without the

existence of a coherent administrative apparatus by its employees from its senior one till the smallest, where everyone owes an absolute loyalty to the king.

From this perspective, the dissertation has come to three axes: in the first, we will deal with an introductory profile about the administrative system in the Assyrian Empire, while in the second axis we will discuss the most prominent administrative pillars, of which are: (the king, the senate and employees), as we will show how did they perform their jobs, and how did they relate to each other. The research concluded with a set of results and a list of used sources and references.

Keywords (administrative system, the modern Assyrian state, jobs)

المحور الأول

النظام الإداري في الدولة الآشورية الحديثة :

إن الدولة الآشورية الحديثة التي تمتد بين (٩١١-٦١٢ ق.م) قد تمتعت بنظام إداري فريد من نوعه ، الذي ربما كان امتداداً حضارياً للعصور السابقة ولكنه كان أكثر نضجاً وترتيباً ، لذا عُرف النظام الإداري بأنه مجموعة من الأنشطة المحددة التي يقوم بها شخص معين يُعرف بالمسؤول وله مطلق الصلاحيات في عمله (حريم وآخرون ، أساسيات الإدارة، ص١٣) أما في اللغات القديمة فقد وردت مصطلحات عدة أطلقت بشكل ضمني على الإدارة وعلى المسؤول الإداري ومنها المصطلح (šapāru) وتعني المبعوث أو الإداري المسؤول (Black , J. and Others , CDA , p. p.357) وهناك مصطلح سومري (ŠA₃.TAM) ويقابله بالأكديّة (šatammu) وتعني حرفياً (الإداري أو مدقق حسابات لدى الحاكم)(Labat , R. , MDA , p.179 , no.384) أما الإدارة بالمفهوم العام فقد وردت تحت المصطلح (ridûtu) وتعني (الذي يدير) (Black , CDA , p.304) (علي ياسين الجبوري ، نظام الحكم ، ص٢٣٨) ويوجد مصطلح آخر وهو (šāpiru) التي من معانيها (الإداري أو المسؤول) (Black , CDA , p.357) وقد استندت هذه النظم الإدارية قديماً

إلى أسس عدة جاء تركيبها على شكل بناء هرمي تربع على قمته الملك ، إذ لا يمكن الكلام عن الإدارة من دون ذكر دور الملك فيها.

المحور الثاني (أركان الإدارة في الدولة الآشورية الحديثة ٩١١-٦١٢ ق.م)
أولاً - الملك (King) :

اطلق عليه بالسومرية (LUGAL) أي "الرجل العظيم" ، وعُرف بالأكدية (šarrum) (سليمان، اللغة الأكدية (البابلية - الآشورية)، ص ٣٣٧)

ويمثل الملك في الدولة الآشورية قمة الهرم في حين يقع السكان والعاملين كافة في القاعدة ، ويحق له التدخل في أي مسألة وعلى أي مستوى ، فهو أهم عنصر في النظام الإداري (John , .F.B.A. , CAH , vol. III , part 2 , p.200)

لذا يعد الملك ممثل الآلهة على الأرض فهو الحاكم الدنيوي للإله آشور الذي اختاره لينفذ قراراته ويبقى تحت قيادته ويسيره كيفما يشاء (Karen , The Assyrian ,

vol.1,p.221) ويتضح ذلك من خلال الخطابات الدينية للملوك الآشوريين الذين يوضحون فيها كيفية تسنمهم الحكم وإدارة دفة البلاد بأجمعها بأمر من الآلهة ورضاهم. (Karen , The Assyrian , p.221) فالملك هو الكاهن الأكبر الذي يقوم بجل الاعمال الطقسية فهو من يشيد ويرمم المعابد ويقوم بطقوس التطهير وتقديم الذبائح واستشارة الآلهة ويأمر بمراقبة وتفسير كافة الدلائل الممكنة كأحلامه والظواهر الفلكية واجوبة الآلهة وهو الذي يعين الموظفين بكافة المناصب الكهنوتية منها التكفير عن ذنوب البشر بالصوم والصلاة والاعتكاف وغيرها من المظاهر (إيمار وآخرون ، تاريخ الحضارات العام ، مج ١ ، ص ١٤١ ؛ سليم ، حضارة العراق القديم ، ص ١٩٠)

كما إن الإله يُعد المسؤول عن تعيين الملك فقط ، فيكون الملك هو المسؤول عن تعيين موظفيه وعزلهم كما يشاء أو يوكل إليهم قيادة الحملات العسكرية ، التي غالباً ما كانت تكون باسم الإله أو لكسب رضاه (الجبوري ، الإدارة ، ص ٢٤٣ ؛ كذلك ينظر :

(Karen, The Assyrian , p.221) وعلى هذا الأساس نجد هناك العديد من الرسائل التي ترسل من الملك إلى الآلهة عبر موظفين مستشارين اعدوا لهذا الغرض ونقصد

بهم الكهان والمنجمون اللذين أدوا دوراً مهماً في تسيير الحياة السياسية لعموم البلاد آنذاك
(Karen ,The Assyrian , p.221 .)

كان الملك قائماً على رأس الجهاز الإداري في الدولة الآشورية الحديثة فهو من يتولى رسم السياسة الإدارية للبلاد ويعمل جهده لتحسين النظام الإداري وذلك بفرض اصلاحات ادارية حسب حاجة البلاد واعادة تقسيمها الى وحدات اصغر في محاولة من بعض الملوك لربط السلطات الاقليمية وتقييد عملها بالسلطة المركزية) (Melanie , Innovation ... ,p.,252. فضلا عن استقباله الوفود والسفراء من كافة الدول وهم يضعون الهدايا امام قدميه ويستعرضون العبيد و نوارد الحيوانات (سليم ،حضارة العراق القديم ، ص ١٩١) هذا وقد كان أبرز الطقوس في هذا المجال هو مراسيم تأدية اليمين ، فمن المعروف في المجال الدولي قديماً وحديثاً هناك مراسيم تأدية اليمين الدستوري بعد كل تكليف ، وهذا ما نجده واضحاً عند الدولة الآشورية الحديثة ، إذ يذكر النص:

((إلى الملك ربي من خادمه عشتار - شن - ارش الصحة للملك ربي وليباركه نابو^(١) ومردوخ^(٢) لقد أدى يمين الاخلاص للآلهة في اليوم السادس عشر من نيسان ، الكتاب والكهان والسحرة والاطباء ومراقبو طيران الطيور، وموظفو القصر اللذين يسكنون في المدينة ويمكنهم الآن أن يؤدوا يمين الاخلاص للملك)) (إن ترجمة هذا النص أخذت من : كوننتيو ، الحياة اليومية ، ص ٣٦٠)

يشير النص إلى الكيفية التي تم بها تأدية اليمين والتسلسل الوظيفي لمجتمع الموظفين المعروفين آنذاك ، فضلاً عن إن هذه التأدية تكون للملك ، إلا أنها يجب أن تحظى بمباركة الآلهة العظام ثم الملك ، على أن تأدية هذا اليمين محصورة بطقوس معينة حسبما يشير النص:

((إلى الملك سيدي ... أما عن مسائل اليمين الخاصة ببابل والتي كتب لي فأقول إنني لم أكن موجوداً والسبب هو أن رسالة الملك التفتيشية ، ولم استطع أن أصل إلى بابل في الوقت المناسب لأداء اليمين لقد قابلت في رحلة العودة كبير موظفي البلاد ، وعندما يوجهني إلى الوركاء^(٣) التي تحميها آلهتهم سأكون قادراً على تلقي الولاء لسيدي الملك

((... (جورج كونتينو، الحياة اليومية ، ص ٣٦٠ ؛ الزبياري ، النظام الملكي ... ، ص ٧٨)

من خلال هذا النص يتبين أن مراسيم الولاء كانت تجري في مدن معينة وعادة ما تكون في المدن الرئيسية كمدينة بابل وأشور ، ويتطلب تأديتها حضور الملك نفسه ، لذا كان الملك من الناحية النظرية يمثل القوانين ويثبت التقويم والضرائب ويتخذ القرارات بشأن السلم والحرب فهو من يلتقي السفراء وجباة الضرائب الذين يأتون للدولة من الأرجاء شتى (كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٢٤٥)

هذا وقد كان الملك قائماً على رأس السلطة العسكرية فهو القائد الأعلى للقوات المسلحة والقائد الأعلى للجيش الدائم ، أما الحرس الملكي الذي تقع على عاتقه حماية الملك ، فكان من واجباته أيضاً تسيير السياسة الخارجية للبلاد ويأمر الجيش بالتحرك حيثما يشاء ، ثم هو المسؤول المباشر عن مخازن الأسلحة والمعدات والمؤن (الجادر ، المناصب والأزياء ، ص ٢٢٣) أما في وقت السلم فقد كان الملك يتولى رسم السياسة الخارجية للدولة وتوطيد الأمن وتشريع القوانين التي تحمي أفراد المجتمع والقيام بالأعمال العمرانية والاشراف على تنفيذها (سليمان و الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ، ص ١٨٢) لذا كان الملك يحظى بدرجة كبيرة من القدسية والاحترام من لدن الجميع وهذا ما نستشفه من النص الآتي :

((أنا كالرجل الميت تهاوى بعد رؤية الملك، سيدي وعندما أرى ملامح الملك سيدي تعود لي الحياة، على الرغم من أنني لا زلت جائعاً فأني أشعر بالانتعاش وعندما نلت شرف سماع الملك لي فغلبني الخوف فلم أجد كلمة أقولها)). (كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٦١)

يتبين أن ما سبق ذكره من هذه الاجراءات الإدارية كانت تتم جُلها في القصر الملكي الذي يمثل قاعدة الحكم آنذاك ومركز إدارة الدولة .

ثانياً - مجالس الشيوخ :

يعد مجلس الشيوخ أو مجلس كبار القوم أو مجلس الدولة ، كما تطلق عليه بعض المصادر كونه الأساس الثاني الذي استند إليه النظام الإداري في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) ، فهو يمثل مجلس الآلهة في مجمع الآلهة ، وكل صنف من هؤلاء

الموظفين يمثلون جانباً معين من قوة هذا الإله أو ذاك (Raija , SAAS.11 , vol,11,p.7)

إذ يعد مجلس الشيوخ إحدى المؤسسات الحكومية التي تقع داخل المدينة الآشورية وينتخب أعضائه من بين أغنياء أو نبلاء المدينة (الجبوري ، الإدارة ، ص ٥٥) أما واجباته فتكمن في حل المشاكل القانونية والمالية والدفاع عن المصالح والامتيازات الممنوحة لأبناء المدينة مثل اعفائهم من الضرائب وأعمال السخرة ، ويكونون هم المسؤولين عن أفراد المدينة أمام السلطتين : (السياسية) المتمثلة بالملك ، و(الدينية) المتمثلة بالمعبد ، لذا برزت أهمية هذا المجلس في أوقات الأزمات السياسية الداخلية والخارجية (الجبوري ، نظام الحكم ، ص ٢٣٨) فقد كان أعضاء مجلس الشيوخ من أغنى المواطنين وأكثرهم ثراءً ، فهو من يقوم بتسوية المسائل القانونية ، وأمور أخرى تتعلق بالملكية ، والدفاع عن امتيازات البلدية وجبايات العمل ، وأهم مهام المجلس هو الاتصال المباشر بالملك لأنهم يرجعون له في الشاردة والواردة (Parha , ArOr , vol.45 , no.3 , p.211)

ثالثاً - الموظفون :

انقسم المجتمع الآشوري في عمومه إلى طبقتين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، فالطبقة الحاكمة المتمثلة بالسلطة السياسية في البلاد فهم موظفو الإدارة الفعلية داخل الدولة الآشورية (للمزيد عن المجتمع الآشوري ينظر: ايمان هاني سالم علي ، الحياة الاجتماعية في بلاد آشور ، ص ١٢) وهم المنفذ الحقيقي لتلك السياسة التي اكتسحت بنظمها الإدارية معظم إدارات الدول القديمة في الشرق الأدنى القديم ، وعلى العموم فإن هؤلاء الموظفون كانوا ينتمون إلى طبقتين هما (الرباني rabānu) الحكام والمديرون والمحافظون (Black , p.294 CDA) و(الشاريشي ša rēšu) (Black , CDA , p.302) ويعني (خصي البلاط) (٤)

إذ كان لهذه الطبقة دوراً كبيراً في سياسة الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)، وهذا ما نستدل عليه من خلال مراجعة نصوص الارشيف الآشوري ، إذ تولى صاحب هذا المنصب العديد من المهام ، وقدم الكثير من الهبات وكافأه الملوك بأحسن المكافآت ، وقد تأكد ذلك من خلال النص :

((... قائد فوج اليسار ، سائقي العربة (الرجل الثالث) أيضاً البارز ، اثنان من حراس الملك من صنف (ša šēpi) في العربة الملكية ، سائق العربة للأمير الملكي ، أو أتباعه ، (...))

Fales , F.M. and Postgate , J.N. , part 1 ,SAA,vol. 7 , p. 6))

ويستمر النص بذكر أصناف الإداريين والقادة والحرس والمغنيين وغيرهم كثير ممن نالوا نصيباً من تكريم الملك .

لذا كانت الوظائف الإدارية والمراتب العسكرية مفتوحة لكل الفئات (Raija , SAAS , vol. 11 , p.133) وكانت هذه الإدارة تمثل : أما الإدارة السياسية التي تضم تدبير شؤون القصر ، أو الإدارة المحلية التي تضم إدارة المدينة وتدبير شؤون المعبد ، أما الإدارة الإقليمية فهي تمثل الإدارة الثانية للسلطة الآشورية وهذا ما سنأتي على تفصيله فيما بعد .

أما طبيعة الوظائف المناطة بهؤلاء الموظفين فهي تقسم إلى قسمين منها : استشارية ومنها إدارية ، وللسلطات الاستشارية دوراً كبيراً في رسم السياسة العامة للدولة الآشورية الحديثة (اسماعيل ، الحياة اليومية ، ص ٢٠) في حين مثلت السلطة الإدارية أداة تنفيذية مشرفة على الأعمال المناطة بهم كالأوامر والارشادات التي تصدرها السلطة التشريعية أي سلطة المستشارين ، لذا فقد كانت السلطة التنفيذية مسلوقة القرار أو فقط لإبداء المشورة للملك أو لولي العهد بأي شكل من الأشكال (الأحمد ، الإدارة ونظام الحكم ، ص ٣٠) ولكن أهم واجباتها هي حماية طرق المواصلات وجمع الضرائب والمحافظة على الأمن والنظام (احمد مالك الفتيان ، نظام الحكم ، ص ٣٥٥) أما طريقة تعيينهم فغالباً ما كانت محصورة بيد الملك نفسه ، ويتم ذلك بعد أن يختم الملك مراسيم التتويج كافة والخاصة به بواسطة الكهنة في معبد الإله آشور ، ويستلم شارات الملوكية (التاج والصولجان والعصا) وسط احتفالاً شعبياً عاماً بالمناسبة (رو ، العراق القديم ، ص ٤٥٦) وغالباً ما كان يتم التعيين من خلال طلبات تقدم إلى الآلهة واستشارتهم أو عن طريق الحاكم القائم على السلطة (Starr, I. , SAA , vol. 4 , p.299) إذ يتقدم الموظفون إلى منصة التتويج ويكون وقوفهم بصورة غير منتظمة لتقديم الولاء والطاعة للملك فينتزعون شاراتهم الوظيفية ويضعونها أمام الملك الذي يعمد لاختيار مستشاريه من بينهم ويقول في أحد النصوص :

((كل واحد يستمر في وظيفته)) (اسماعيل، الحياة اليومية ، ص ٢٣٤ ؛ الزبياري ، النظام الملكي، ص ٩٨)

وما أن يتم اختيار الموظفين لمناصبهم الجديدة حتى يجهزون بشاراتهم التي اعتبرت ركناً أساسياً بعملية التعيين هذه ك(الصولجان والخاتم الذهبي) ، ويمنح عادة للكاتب قلماً، فضلاً عن الملابس والزينات كافة ، ووسائل النقل مثل البغال ، والاختام لكل موظف ، وتعد علامة دالة على مكانته ورتبته من جهة ، ثم إنها تبين المخصصات الملكية التي تمنح للموظفين من جهة أخرى(Melanie, The Structure , pp.674-675)

يتضمن قانون التعيين هذا تجهيز الأفراد بشارات حملت طابعين (خاص وعام) ويعد تسلّم الشارة شيئاً مركزياً في التعيين التي تتضمن الأشياء الفاخرة كافة كالمجوهرات والملابس الممتازة والاختام والبغال والمساعدين ... الخ ، التي تسلّم إليهم وقت تعيينهم وتبقى معهم طيلة مدة ولايتهم ، وأحياناً يُسمون باسم جديد يتناسب مع منصبهم وولائهم الخاص تجاه الملك (Melanie , The Structure , p.674) وغالباً ما كان يُذكر هؤلاء الموظفين وتسميتهم وتسلسلهم في قوائم اللمو الآشورية (Millard , A. , The Eponyms ,P .8)

أما مدة تعيينهم فغالباً ما تكون ثلاثين عاماً ، فيكون الشخص فيها قد اكتسب خبرة إدارية أوصلته إلى قمة عطائه الفكري والعلمي ، وهذا ما ساعد على انجاح السياسة الإدارية للدولة الآشورية وأوصلها إلى أوج عظمتها (الفتيان ، نظام الحكام ، ص ٣٧٧ ؛ فرزات ومرعي ، دول وحضارات الشرق ، ص ١٨٤) فكان لهؤلاء الإداريين جناحاً خاصاً بهم داخل قصر الملك ، إلا أنه مفصول عن الجناح الملكي بمساحة كبيرة غالباً ، وما كانت تستعمل لأغراض استعراض الجند أمام الملك ، وهذا ما نستشفه من خلال العديد من الألواح الإدارية داخل غرف القصر (الراوي ، آشورناصربال الثاني ، ص ١٤٣-١٤٤) لذا نجد أن كثيراً منهم تلقى تدريبه في القصر الملكي ، وهذا واضح من خلال أسس العمل ومعرفتهم للقراءة والكتابة ، فضلاً عن إن كثيراً من الموظفين نجدهم كانوا يتولون مناصب عدة (Raija , SAAS , vol. 11 , p.135-136) ولا بد من التنويه هنا إلى أن هؤلاء الموظفين مثلما تميزوا في أماكن عملهم فقد تميزوا أيضاً بملبسهم الذي كان عادة ما يتكون من القميص الذي يصل الركبة وتوضع فوقه عباءة من الصوف أو الكتان وهي بألوان مختلفة وفوقها

رداء يشد إلى الرقبة يشبه رداء الكاهن ، وقد نصت القوانين أنه إذا ارتكب أحد رجال الحاشية ذنباً فإن عباة تُلْع منه كنوع من أنواع العقوبات التي تنزل بالموظف إذا ما أخل بشروط عمله (الراوي ، الأوضاع الاجتماعية ، مج ١ ، ص ٢٧٤) .

فضلاً عن عقوبات أشارت إليها العديد من النصوص المسمارية ومنها ما ذكره النص

الآتي :

((إلى مولاي الملك، خادمك بيل اقيشا Bel-iqiša، أرجو لمولاي الملك دوام الصحة، عسى أن يبارك كل من نابو ومردوخ مولاي الملك. منذ البداية، عندما قام الملك بإلقاء القبض عليّ، ما هو خطأي أمام مولاي ؟ فيما يخص ما كتب لي مولاي الملك وهو يقول: هل رجعت قلبك إلى قراره ؟ فأنا لم أقم بخطأ أمام الملك! أنا أجلس هنا (في نينوى) ... إلى Marubištu ... إلى المدينة ... ، إلى ... ، الموظف ... بحضور ... قمت بتقبيل قدمي الملك ، والآن وبعد كل شيء، لقد وقعت (عند قدم الملك) أقسم بألتهك بيل Bel وصاربانيتوم Zarpanitu ، بأنني لم أرتكب أي خطأ أمام الملك لقد قام مولاي الملك بسجني وأنا أموت من الجوع، أقسم بالإله بيل ونابو بأنني لم أكل الخبز منذ تسعة أيام. فيما يتعلق بالرسالة التي أرسلها الملك لي، فأنا لم أكتب للملك لأنني في السجن ، دعني أخضع لمحنة النهر، ودعني أرفع الفأس الإلهي، ولكنني أقسم بأنني لم أخطأ أمام (مولاي الملك)) (Parpola , S. ,SAA , vol. 21 , No.11)

نرى إن هذا النص من النصوص التي جاءت من بلاد بابل إلى البلاط الآشوري زمن حكم الملك آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) على شكل استرجاء عطف الملك للعفو عنه والسماح بالرجوع إلى منصبه لأنه لم يخطأ

وقد يكون سبب العزل بسبب شكوى كيدية نتيجة الصراع بين اعضاء الطبقات العليا في الدولة فيرغب شخصا ما بحرمان هذا الموظف او ذاك من منصبه فيقبل عندها على اقامة دعوى كيدية لأجل الايقاع به ثم الظفر بمنصبه واحيانا ينجح في مأربه هذا واحيانا يخفق في دعواه ((Tzvi ,Dismissal ,p.98))

مما تقدم يمكن القول أن بلاد آشور كانت ذا مجتمع متعدد الثقافات ، وهذا واضح من خلال موظفيها الذين كانوا يدينون وبجميع الأحوال لشخص الملك نفسه فوصفوا لدرجة كبيرة

من الاخلاص والتفاني في سبيل إطاعته وإعلاء شأنه ، وكانوا يرسلون أعمالهم على شكل تقارير مفصلة لاتخاذ قرار ملكي حول مسألة مستحدثة أو شائكة ، وغالباً ما كانت مثل هذه الرسائل عبارة عن بريقيات تهنئة تحمل في طياتها مشاعر المحبة والوئام كنوع من أنواع التودد لهذا الملك أو ذاك ، لذا عُد الموظفون بأنهم الأداة الفعلية الرسمية لتنفيذ أوامر الملوك بصورة عامة (الأحمد ، الإدارة ونظام الحكم ، ص ٢٩)

الخاتمة:

من خلال ماتم عرضه من التشكيل الاداري للدولة الاشورية الحديثه توصلت الى جملة من النتائج :

١- الملك قائم على رأس السلطتين التشريعه والتنفيديه في البلاد بوصفه ممثل الألهة على الأرض في حكم البشر فهو من يسعى لتعيين كبار الموظفين وصغارهم وهو من يسدي اوامره بكافة مفاصل العمل الاداري .

٢- يعتبر مجلس الشيوخ بمثابة الساعد الأيمن للملك فهو من يبيت في المسائل القانونية ويسعى اعضاءه كل حسب تخصصه ابراز عمله من اجل تقدم سير الخطى الادرية للدولة من جهة ولفلت نظر الملك اليهم وبالتالي سوف يغدق عليهم بالهدايا والمنح التي كان ابرزها الاراضي الزراعيه وماتتالها من اعفاءات وعلى العموم فأن هؤلاء الاعضاء ينتمون الى طبقة النبلاء.

٣- من خلال ماتم عرضه يتبين لنا ان جمهور الموظفين قد انقسموا الى قسمين منهم من ينتمي الى طبقة (النبلاء) وهم اقرباء الملك وخاصته ، والشاريشي (الذين غالبا مايستخدمون للعمل في اجنحة حريم الملك وكافة ملحقاتها) .

٤- تنوعت السلطات الاداريه داخل الدولة الاشورية الحديثه فمنها عسكرية واخرى مدنيه التي انقسمت بدورها الى عدة اقسام منها الادارة المحلية والادارة الاقليمييه .

٥- ان جل الأعمال الادارية التي يقوم بها الموظفون سالفوا الذكر كانت تدار في الاجنحه الاداريه داخل القصور الملكية المختصة بشؤون الحكم التي تنتشر في العواصم الاشورية والمقاطعات كافة .

المصادر :

- ١- احمد امين سليم ، حضارة العراق القديم ، (مصر : دار المعرفة الجامعية : ٢٠١١)
- ٢- اندريه ايمار واخرون ، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمه مج ١، ط٢ ، (بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٨٦م) .
- ٣- انطون مورتيكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعر: عامر سليمان وآخرون ، ط١ ، (دمشق: ١٩٩٧)
- ٤- ايمان هاني سالم علي ، الحياة الاجتماعية في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (الموصل: ٢٠٠٦)
- ٥- حسين حريم وآخرون ، أساسيات الإدارة ، (عمان ، الحامد للنشر والتوزيع : ١٩٩٨)
- ٦- جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، تر: وليد الجادر ، ط١ ، (بغداد: ١٩٧٣)،
- ٧- جان دي شايي- ريموند بلوش ، دليل حضارات الشرق الأدنى ، تر: سهى محمد حسن الطريحي ، ط١ ، (بغداد ، دار الجواهري: ٢٠١٣)
- ٨- خالد ناجي سوادي الكريماوي ، الإله مردوخ كبير الآلهة البابلية دراسة في العقائد الدينية ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (بغداد: ٢٠١٢) .
- ٩- جورج رو ، العراق القديم ، تر: حسين علوان حسين (بغداد: ١٩٨٤)
- ١٠- جورج كنتنيو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، ط١ ، (بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام : ١٩٧٩م)
- ١١- رجاء كاظم عجيل العكيلي، سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠-٢٣٧٠ ق.م) والثانية (٢٢٥٠-٢١١٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (بغداد: ٢٠٠٦)
- ١٢- سامي سعيد الاحمد ، الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق ، ج٢ ، ط١ (بغداد ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٥م) .

- ١٣- سامي سعيد الاحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ط٢ ، (بيروت، المركز الاكاديمي للبحوث: ٢٠١٣م) .
- ١٤- شعلان كامل اسماعيل ، الحياة اليومية في البلاط الآشوري خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب، قسم التاريخ ، (الموصل: ١٩٩٩)
- ١٥- شيبان ثابت الرواي ، آشورناصرال الثاني سيرته وأعماله ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد: ١٩٨٦) .
- ١٦- صلاح رشيد الصالحي ، شخصية الخصي (شا ريش) في العصر الآشوري الحديث ، بحث ضمن مركز احياء التراث العلمي العربي ، (بغداد: ٢٠١٩)
- ١٧- عامر سليمان واحمد مالك الفتیان ، محاضرات في التاريخ القديم ، ط١ ، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر: ١٩٧٨)
- ١٨- عامر سليمان ، اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية) ، ط١ (جامعة الموصل : ٢٠٠٥)
- ١٩- علي بشير حسن علي ، دور الإله نابو ومكانته في حضارة بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (بغداد : ٢٠١٤)
- ٢٠- علي ياسين الجبوري ، الإدارة ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، (الموصل: ١٩٩١)
- ٢١- علي ياسين الجبوري ، نظام الحكم ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، (جامعة الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر: ١٩٩١)
- ٢٢- فاروق ناصر الراوي ، الأوضاع الاجتماعية ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج١ ، ط١ ، (الموصل: ١٩٩١)
- ٢٣- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم سومر واكاد وبابل واشور وامورو وارانمو ، ط٢ ، (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٩٤)

- ٢٤- محمد صالح الزبياري ، النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (الموصل:١٩٨٩) .
- ٢٥- هبة حازم محمد مصطفى ، نساء القصر الآشوري ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (الموصل: ٢٠٠٢م)
- ٢٦- وليد الجادر ، المناصب والأزياء العسكرية الآشورية ، موسوعة الجيش والسلاح ، ج٢ ، ط١ ، (بغداد:١٩٨٨)

References:

- 1- Black , J. and Others , A Concise Dictionary of Akkadian , CDA , (Wiesbaden:2000)
- 2- Fales , F.M. and Postgate , J.N. , Imperial Administrative Records , part 1 : Palace and Temple Administration , SAA , vol. 7 , (Helsinki: 1992)
- 3- John Boardman , .F.B.A. , The Assyrian and Babylonian Empires and Other States of the Near East from the Eighth to the Sixth Centuries BC. , CAH , vol. III , part 2 , (Cambridge :1992)
- 4- Karen Radner , The Assyrian King and his Scholars : The Syro-Anatolian the Egyptian Schools, StOr , vol.1 , (Helsinki:2009)
- 5- Labat , R. , Manuel D' Epigraphie Akkadienne , MDA , (Paris:1994) , no.384 .
- 6- Melanie Gross , Innovation and Tradition Within the Sphere of Neo-Assyrian Officialdom , TINE , (Indiana :2015)
- 7- Melanie Maria Grob , The Structure and Organization on the Neo-Assyrian Household , Unpublished Mag. Thesis , (Wien:2014)
- 8- Millard , A. , The Eponyms of the Assyrian Empire (910-612 BC) , in The Neo-Assyrian Text Corpus Project , (Helsinki: 1994)
- 9- Parha , I.P. , The Administrative Organization of The Neo-Assyrian Empire , ArOr , vol.45 , no.3 , (1977)
- 10- Parpola , S. , The Correspondence of Assurbanipal , part 1 , : Letters from Assyria , Babylonia and Vassal States , SAA , vol. 21 , (Winona Lake:2018) , No.111 .
- 11- Raija Mattila , The King's Magnates A Study of the Highest Official of the Neo-Assyrian Empire , SAAS , vol.11 , (Helsinki:2000)
- 12- Starr , I. , Queries to the Sun God : Divination and Politics in Sargonid Assyria , SAA , vol. 4 , (Helsinki:1990)
- 13- Tzvi Abusch ,Dismissal by Authorities:"šuškunu" and Related Matters,JCS ,vol.37,no.1,(American Schools of Oriental Reseach:1985)

(١) نابو : ورد في النصوص السومرية بهيأة (PA) والذي يقابله في الأكديّة (Nabû) وربما معنى اسمه اللامع هو ابن الإله مردوخ واهمه صربانيتوم وزوجته الإلهة ناشميتوم تركزت عبادته في بورسبا وسمي معبده (أي-زيدا) (É.ZIDA)، ثم انتشرت عبادته في بلاد آشور ولاقت اهتماماً خاصاً ، للمزيد عنه ينظر : بشير، الاله نابو ؛ بوتيرو ، الديانة عند البابليين ص٥٦ ؛ الأحمد ، المعتقدات الدينية ، ص٣٦ ؛ مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى ، ص٢٩٣

(٢) مردوخ : الاله القومي عند البابليين وهو ابن الإله (إنكي/ايا) وابو الإله نابو، عُد الإله الرئيس في بلاد بابل خلال حكم الملك حمورابي البابلي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) ، للمزيد ينظر : ناجي، الإله مردوخ ، جان دي شايبي و ريموند بلوش ، دليل حضارات ...، ص٢٤٠

(٣) الوركاء : إحدى أقدم المدن في بلاد الرافدين وأهمها التي تقع على بعد ٣٠ كم جنوب مدينة السماوة وتضم العديد من التلول الأثرية ، حكمت فيها العديد من السلالات الحاكمة لكن أبرزها كانت سلالة الوركاء الخامسة التي قضت على الاحتلال الكوتي للبلاد بقيادة اوتوحيكال ، ينظر: كاظم ، سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠-٢٣٧٠ ق.م) والثانية (٢٢٥٠-٢١١٤ ق.م) ...، ص١٤٠

(٤) خصي البلاط: هم الرجال الفاقدين لقدراتهم الجنسية جراء عملية طبية تجرى لهم ويكونون عادة حليقي الرأس لغرض تمييزهم عن الرجال العاديين وكانوا يشغلون المناصب الرفيعة في البلاط الملكي وأقدم ذكر لهم جاء من مدينة لكش في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد ، إلا أنها أصبحت عادة متبعة منذ العصر البابلي القديم واتضح معالمها خلال العصر الآشوري الحديث والبابلي الحديث . ينظر: حازم ، نساء القصر الآشوري ، ص٥٢ ؛ كذلك : الصالحي ، شخصية الخصي (شا ريش) ،

ص٢-٤

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويج
عن النفس (٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦ - ١٥١٢ م) الفروسية
وسباق الخيل والصولجان انموذجا

زهراء عبد حسين

Zm091294@gmail.com

أ.د. صباح خابط عزيز

sabahkhabut@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية الآداب

قسم التاريخ

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٩١٨-٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ - ١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان انموذجا

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس (٩١٨-٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ - ١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان انموذجا

زهراء عبد حسين

أ.د. صباح خابط عزيز

**Games in the countries of the Islamic Maghreb, their ways and methods
for recreation (448-918 AH / 1056-1512 AD) Equestrian, horse racing
and scepter as a model**

Prof. Dr. Sabah Khabut Azeez Saeed By : Zahraa Abdel Hussein
University of Baghdad/ College of Arts - University of Baghdad/ College of Arts -
Department of history Department of history
sabahkhabut@coart.uobaghdad.edu.iq sabahkhabut@coart.uobaghdad.edu.iq

abstract

The games that the countries of the Islamic Maghreb knew were not the result of their era, as they were passed down from generation to generation, but of course they were added to according to the divergence of ages and the passage of time. By making a living from it in addition to its basic work as self-entertainment and promotion from it, then its types multiplied and its means and innovations multiplied until it became an essential part of the life of different societies, and the Islamic Maghreb was not excluded in it and the nature of their dealings with it, so what are these games and what are their content and nature and the impact that they had on that society.

Keywords: - games, horse racing, scepter.

الملخص

ان الالعاب التي عرفتها بلاد المغرب الاسلامي لم تكن وليدة عصرها فهي قد تناقلتها الاجيال بعد الاجيال لكنها بطبيعة الحال تم الاضافة عليها تبعا لتباعد العصور ومرور الازمان فكانت هذه الالعاب على تنوعها تمثل هي الاخرى نوعا من الترفيه عن النفس على ما يتخللها من ممارسات ربما جعلت البعض يفكر بالارتزاق منها فضلا عن عملها الاساسي كترفيه عن النفس والترويح منها فكثرت بعد ذلك انواعها وتعددت وسائلها وابتكاراتها حتى اصبحت جزءا اساسيا من حياة المجتمعات المختلفة، ولم يستثنى بلاد المغرب الاسلامي فيها وطبيعة تعاملهم معها، فما هي تلك الالعاب وما محتواها وطبيعتها والاثر الذي تركته على ذلك المجتمع.

عرفت بلاد المغرب الاسلامي في تاريخها عدداً من الالعاب التي مورست بقصد التسلية واللهو والترويح عن النفس، فضلاً عن أن البعض يمارس تلك الالعاب جزءاً منها أو جميعها أو واحدة منها، كان بدافع الارتزاق والحصول على المال.

الكلمات المفتاحية: - الالعاب، سباق الخيل، الصولجان.

اولاً:- الفروسية وسباق الخيل:

حظيت الفروسية بمكانة عالية لدى المجتمع المغربي بشكل خاص، ومن احب ضروب التسلية والترفية الى نفوسهم، وشغفوا بسباقات الخيول وعدوها من اهم السباقات التي تجذب الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فزاولوها بروح تواقه لاطهار البطولة والرجولة والهمة العالية والفروسية.

ويعد سباق الخيل والرهان من ابرز المظاهر الاجتماعية التي كانت سائده في المجتمع المغربي ولاسيما اهل البادية إذ اشتهروا بالشجاعة والفروسية (خلدون، صفحة ١٧٠) (Khalidun, page 170) وهذا ناتج إهتمام الاباء بتعليم أبناءهم الفروسية (يوسف، صفحة

٣٠٤ (Youssef, p. 304) ، إذ هي من الرياضات التي شُغف بها قبل انتشار الاسلام، وعندما جاء الاسلام عدل بعض الأسس التي كانت الفروسية قائمة عليها من قبل فحاء ذكر الخيل في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله سبحانه ﴿وَالْعَدِيدِ صَبْحًا ١﴾
﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ٢﴾ ﴿فَالْمُعِيرَاتِ صَبْحًا ٣﴾ ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾ (العاديات) (the ordinary ones)، فالعاديات تعني الخيل التي تعدوا في الغزو، ووحدتها : عادية من العدو وهو الجري، ومعنى (ضبحا) صوت انفاث الخيل عند عدوهم ، أما الموريات قدحاً فالمراد به ارتباط بها الخيل (التفسير للقران الكريم ، ج ١٠، ١٩٩٣م، الصفحات ١١٩٤ - ١١٩٣).
Interpretation of the Holy Qur'an, Vol. 10, 1993 AD, pages 1194-1193.) ثم أمر الله تعالى رسوله الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) برباط الخيل لقوله
تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الانفال) (Al-Anfal) اذ تنص الآية الكريمة على ركوب الخيل والفروسية وعلى المهارة في ركوب الخيل وبيعث القادرين منهم على بقية الخيل وعلى التنافس في عقائلها وان يكون فن السباق عندهم يسبق الفنون إتقاناً (العاصمي، صفحة ٢٨٤) (Al-Asami, page 284).

مما تقدم فقد اهتم المجتمع المرابطي(٤٤٨-٥٣٩ هـ / ١٠٥٦-١١٤٤م) اهتماماً كبيراً بسباق الخيل مثلهم مثل المجتمعات الاسلامية، إذ أولى خاصته وعامته أهمية فائقة بتربية الخيل وتجهيزها بعد خروجهم من الصحراء التي كان يغلب عليها تربية الابل، لاسيما إذا ما عرفنا أن الخيل كانت ضمن الهدايا التي اهداها يوسف بن تاشفين(٤٤٨-٥٠٠ هـ / ١٠٥٦-١١٠٦م) الى الامير أبي بكر بن عمر (الذيب، عيسى ، المغرب والاندلس عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠-٥٤٠ هـ / ١٠٥٦-١١٤٥م) (رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٠٠٩م، صفحة ١٨٩) (Al-Dhab, Isa, Al-Maghrib and al-Andalus Asr al-Murabati, Social and Economic Studies (480-540 AH/1056-1145 AD)) (Unpublished Masters Thesis, 2009, page 189) ، ومن هنا يبدو أن اهتمام الامراء المرابطين أنفسهم ، كان بتربية الخيل وركوبها إذ اشتهر

الامير علي بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧ هـ / ١١٠٦-١١٤٢ م) بالفروسية وركوب الخيل (بوتيش، صفحة ٩٥) (Botish, p. 95) والامير تاشفين بن علي (٥٣٧-٥٣٩ هـ / ١١٤٢-١١٤٥ م) كانت نهايته على فرسه المسماة ريحانة المشهورة بالسباق ،بعد ان هوت به وأنه كان فارساً بارعاً يهوى ركوب الخيل (المجهول، صفحة ١٣٣) (Al-Majhool, page 133) ، وهذا ما يفسره البيذق قائلاً " فخرج تاشفين راكبا على فرس له كانت تسمى عنده بريحانه... هو سائر على فرسه إذا بحافة فتركته فرسه في تلك الحافة ومات" (البيذق، صفحة ٥٩) (Al-Baydaq, page 59) (السلوي، صفحة ٦٤) (Al-Salawi, page 64).

ولم تكن الفروسية أو سباق الخيل وهوايتها مقتصرة على الخاصة وحسب، بل مارستها العامة كذلك ولاسيما الذين أعتادوا على التوجه للصحراء وقت النهار لاجراء سباق الخيل، إذ اشتهرت (بوتشيش، صفحة ٩٥) (Botschish, p. 95) قرية ام الربيع (الوزان، صفحة ١٤٧) (Aluzan, page 147) بالفروسية وسباق الخيول (بوتيش، صفحة ٩٥) (Botish, p. 95).

في عصر الموحدين (٥٣٩-٦٦٨ هـ / ١١٤٤-١٢٦٨ م) وجدنا اهتماماً كبيراً فيما يتعلق بالفروسية وركوب الخيل إذ كان الخليفة الموحي عبد المؤمن (٥٤١-٥٥٨ هـ / ١١٤٤-١١٦٣ م) يؤكد على اجراء تدريبات عسكرية بركوب الخيل وما يتعلق بها (المنوني، صفحة ٨٨) (Al-Manuni, page 88) ، إذ أن عبد المؤمن كان قد نشأ في الاصل في بستان غرب مراكش وكان يأخذ الطلبة كل يوم من اجل تعليمهم ركوب الخيل (الصلاة، الصفحات ٢١٤-٢١٥) (Al-Salaat, pages 214-215).

ومن العادات التي مارسها الامراء واولادهم والشيوخ والجماعات أنهم كانوا يخرجون الى باب الشريعة المتصلة بمراكش القديمة إذ يوجد فيها ابراج ،وهناك تجري مسابقات الخيل ويشارك به الفرسان يقومون بسباق الخيل يشاركونهم الامراء بانفسهم تضرب خلاله الطبول في ضحوة النهار، وتعم الأفراح والبهجة والسرور بين الناس ويقومون حفل التكريم للفائزين،

وبعد صلاة العصر يرجع الخليفة الى القصر العتيق (السلوي، صفحة ١٧٦) (Al-Salawi,) (page 176).

من الخلفاء الموحدين الذين اشتهروا بهذا النوع من السباقات ، الخليفة المنصور بن يعقوب (٥٨٠-٥٩٥ هـ / ١١٨٤-١٢٢٥ م)، إذ أشار إليه أحد الشعراء (الحنبلي) (الزركلي، صفحة ١٥٩) (Al-Zarkali, page 159) (الزركلي، صفحة ١٥٢) Al-Zarkali, page

(152) وهو يصف الخيل المنصور قائلاً (السلوي، صفحة ١٧٦) (Al-Salawi, page 176) :

له حلبة الخيل العتاق كأنها
عرانس أعتها الحبول عن الحلى
فمن يقن كالطراس تحسب انه
وأبلى أعطى الليلى نصفا
ورود تغشى جلده شفق الدجا
نتشأوى تهادت تطلب العزف والقصفا
فلم تبغ خلخالاً ولا التمسست وقفا
وان جردوه في ملاءمته التفافا
أهابهوغار عليه الصبح فاحتبس النصفافا
فأنحازه دلى له الذيل والعرفافا

في العصر الحفصي (٦٢٧-٩٨١ هـ / ١٢٧٧-١٥٧٣ م) نجد بعض الدراسات تشير إلى أن الحفصيين أثناء توليهم تونس قد حرصوا بشكل كبير على الاهتمام بالفروسية والدليل على ذلك إنهم أنشأوا مكان مخصص للخيل يسمى الميدان في قسنطينة إذ كانت تجري فيه الالعاب الرياضية (برنشفيك، صفحة ١٣٢) (Burnschiffk, p. 132).

وفي العصر الزياني (٦٣٣-٧٦٩ هـ / ١٢٣٦-١٣٩٣ م) أشارت المصادر التاريخية الى تفوق بني زيان على غيرهم في ركوب الخيل والفروسية، كما تعطينا انطباع عن الحالة الذهنية والنفسية في تعظيم العادات والتقاليد الراسخة لديهم، ففي التقاليد السائدة عندهم أنها تلحق العار بمن لا يتقن هذا النوع من الرياضات على وجهها الصحيح وهو ما عبّر عنه ابن الاحمر بدليل قاطع قائلاً: "ومن جنبه أنه مارثى يجري فرسه قط، فإن اعتذر ان ذلك من رزانتة فليس الامر كذلك، إذ من شأن الملوك الكبار الذين هم أكبر قدراً منه في الحسب وضخامه الملك ان يلعبوا مع خدامهم الموالى يجري الخيل بقصد الثقافة ومعرفة

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦ - ١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

ركض الخيل ،وهذه عادة مطرده لهم ومن لايفعل ذلك منهم فهو خوفاً على نفسه أن يقع عن الفرس من جهلة بالفروسية " (الاحمر، صفحة ٨٠) (Al-Ahmar, page 80)، كما يؤكد ابن الصباح الاندلسي على شهامة ملوك زيان الذين برعوا في مجال الفروسية في بلاد المغرب الاسلامي في قوله: " وبالخيل والكمال من ركوب السروج المذهبة والركاب يفتخر به سائر الملوك من ملوك المغرب بالعدة والشدة والقوة " (الله، ٢٠١١م، صفحة ٥٤) (Allah, 2011, page 54) .

شهدت مدينة تلمسان العديد من المهرجانات في سباق الخيل بظاهر المدينة فقد وجدت ملاعب تقام فيها هذه المسابقات، وكان سكان المدينة يخرجون كل يوم بعد صلاة العشاء لمشاهدة هذا السباق (خلدون، صفحة ١٢٨) (Khalidun, page 128) (تلمسان في العهد الزياني، ج ١، صفحة ٢٨٦) (Talmsan Fi Ahd Al-Zayani, Volume 1, Page 286) " وتقع هذه الملاعب امام باب القرمادين وملعب برج الكيفان شمال المدينة، وملعب اخر يقع شرق المدينة امام باب العقبة ،وآخر يقع ما بين الجياد ومدينة المنصورة جنوب المدينة (فيلاي، صفحة ٢٨٦) (Felali, page 286).

اشتهر السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن الاول (٧١٨ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٨ - ١٣٣٦ م) بسباق الخيول وكان مروضاً لها الخيول^(١) (شاوش، صفحة ٢٦) (Shawish, page 26) وبرع ابو حمو موسى الثاني (٧٦٠ - ٧٩١ هـ / ١٣٥٩ - ١٣٨٩ م) برياضة الفروسية وسباق الخيول (الصباح، صفحة ٥٥) (Al-Sabah, page 55) ، وهذا ما أكدته بعض القصائد الشعرية التي ذكرت بهذا الصدد وهي تشيد بفروسية بني زيان ذكرها المقرئ (المقرئ، صفحة ١٢٧) (Al-Maqri, page 127) :

بملعب الخيل الفسيح مجاله
فلحابة الأشراف كل عشية
فترى المجلي والمصلي خلفه
والمغرب كان في اكبر محنا
هذا يكرّ وذا يفِرّ فينتهي
من كل طرف كل طرف يسبتي
وردّ كأن أديمه شفق الدجى
أو من كميّ لا نظير لحسنه
أو أحمر قاني الأديم كعسجد
أو أدهم كالليل إلا غرّة
جمع المحاسن في بديع شياته
عقبان خيل فوقها فرسانها
فرسان عبد الواد آساد الوغى
وردّ كأن أديمه شفق الدجى
أو من كميّ لا نظير لحسنه
أو أحمر قاني الأديم كعسجد
أو أدهم كالليل إلا غرّة
جمع المحاسن في بديع شياته
عقبان خيل فوقها فرسانها

أجل النواظر في العتاق الحقل
لعب بذاك الملعب المتسهل
وكلاهما في جريه لا يأتلي
من ضيم الذل وزمان لغدر
عظفاً على الثاني عنان الأول
قيد النواظر فتنة المتأمل
أو أشهب كشهاب رجم مرسل
سام معمّ في السوابق مخو
أو أشقر يزهو بعرف أشعل
كالصبح، بورك من أعر محجل
مهما ترقّ العين فيه تسله
كالأسد تنقضّ انقضاض الأجدل
حامو الذمار أولو الفخار الأطول
أو أشهب كشهاب رجم مرسل
سام معمّ في السوابق مخو
أو أشقر يزهو بعرف أشعل
كالصبح، بورك من أعر محجل
مهما ترقّ العين فيه تسله
كالأسد تنقضّ انقضاض الأجدل
حامو الذمار أولو الفخار الأطول

في العصر المريني(٦٦٨ - ٨٦٩ هـ / ١٢٦٨-١٤٦٤ م) لم يختلف الحال كثيراً فالوتيرة
من الاهتمام مستمرة في هذا الجانب ، إذ اهتم الامراء منهم بالفروسية وركوب الخيل ولم
يقتصر الحال على الخاصة وحسب بل وشاركهم العامة ، إلا أن الامراء كانوا أكثر حرصاً
على إتقانها ويخصصون لها أوقات معينة، فكان من عادة السلطان ابي الحسن(٧٣١-

٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) اليومية وقت العصر يخرج الى مكان فسيح مشاهداً مطاردة الخيل مع بعضها وقيام التدريبات الرياضية والسباق فضلاً عن مبارزة الفرسان وبعد الانتهاء من هذه الممارسة الرياضية يعود السلطان مع عسكره الى مقره في القصر (القلقشندي، صفحة ٢٠٥) (Al-Qalqshindi, page 205)، وكان من عادة الجنود والفرسان ان يكونوا مهيين لذلك النشاط و يجتهدوا كثيراً لأداء هذه اللعبة قاصدين من وراء ذلك التدريب والتسلية (لوتورنو، صفحة ١١٨) (Loturno, p. 118)، كما ان اهميتها بالنسبة للبدو دفعت بهذه الممارسة الى أن تكون من افضل الهوايات والالعاب وأكثرها انتشاراً في الأعياد والأفراح والمناسبات ، لذلك نرى قد خصصت لها ميادين خاصة عرفت (خلدون، صفحة ١٧١) (Khalidun, page 171)، بالمضمار (سيده، صفحة ٩) (Sida, page 9) أوساحة اللعب .

ولاريب إذا كان العامة بمختلف طبقاتهم قد حرصوا على الاهتمام بهذه الالعاب وهذه الانواع من الفنون فهذا نابعاً من تعلق وبراعة وولع سلاطينهم وحكامهم بهذا الجانب ، كالسلطان ابو ربيع (٧٠٨-٧١٠هـ / ١٣٠٨-١٣١٠م) الذي كان بارعاً بالفروسية وركوب الخيل (القلقشندي، صفحة ٢٠٥) (Al-Qalqshindi, page 205) و السلطان ابو الحسن (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) الذي إعتاد أن يذهب إلى برج الذهب كل يوم اثنين وخميس ليشارك اجراء سباق الخيول بين الفرسان (المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ، ، صفحة ٦٤) (Al-Manuni, Warakat an-Hidarat Al-Marinayyin,) (page 64) فيما كان السلطان ابو عنان (٧٤٩-٧٥٩هـ / ١٣٤٩-١٣٥٩م) مولعاً وبارعاً بركوب الخيل .

أما السلطان ابو عمرو امير المؤمنين تاشفين بن الحسن (٧٦٢-٧٦٣هـ / ١٣٦٠-١٣٦١م) والسلطان المستنصر بالله بن عبد العزيز بن أحمد بن سالم (٧٩٦-٧٩٦هـ / ١٣٩٣-١٣٩٦م) اشتهرا بالفروسية والشجاعة (الاحمر، روضة النسرين، صفحة ٣٩) (Al-Ahmar, Ruzd Al-Nasreen, page 39) وكانا بارعين بالجري بالجياد (السلامي، صفحة ٨٠) (Al-Salawi, page 80).

وعلى وجه العموم فإن المجتمع العربي الاسلامي في المغرب كانت هوايتهم المفضلة الفروسية واللعب بالخيول ولاقت اهتمام كبيراً من قبل خاصتهم وعامتهم وكانوا يستخدمون الخيول في الحلبات من النوع الاصيل (كريخال، صفحة ٧١) (Karabakhal, p. 71) التي اشتهرت على نتائجها وتربيتها مزارع عدة ، ففي مدينة فاس الجديده كانت هناك مزرعة تدعى بالمصاره وفيها موضع للخيول (الوزان، صفحة ٢٨٢) (Aluzan, page 282) يكون ميداناً الالعاب الفروسية ، كما توجد تلك المزارع في مدينة تازة وهي مزارع عائدة لبني عبد الله وكانت ميداناً لخيول كذلك، كما توجد حدائق ومزارع في مدينة فاس الجديدة في الضاحية الشمالية منها إذ وجدت حديقة كانت ملعباً خاصاً لإقامة الفروسية (المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ، ، صفحة ٦٢) (Al-Manuni, Warakat an-Hidarat Al-Marinayyin, page 62).

ثانياً - لعبة الصولجان :

تعد لعبة الصولجان من الالعاب الرياضية المسلية التي عرفها المجتمع المغربي وتمارس هذه اللعبة فوق سهوات الخيل ،والعرب نقلها عن الفرس (حسين، ٢٠٠٦م، صفحة ٣٠٧) (Hussain, 2006, p. 307) ،والصولجان تسمى المحجن وهو اسم فارسي معرب (سيده، المخصص، ج٤، صفحة ١٥) (Sayedah, Al-Makhsaad, Vol. 4, Page 15) ،واسم العصا التي يلعب بها هي المضرب التي تضرب بها الكرة (الجوهرى، صفحة ٣٤٨) (Al-Juhri, page 348) ، وفي نهايتها رأس مايشبه مطرقة مصنوعة من الخشب، والكرة التي تستخدم في رياضة الصولجان كانت بحجم البرتقالة وتصنع من الجلد المضغوط ويتدافعها اللاعبون بمضاربهم وهم فوق خيولهم لادخالها بالمرمى.

مورست هذه اللعبة من قبل المجتمع المغربي الاسلامي (السوسي، ١٩٨٤م، صفحة ١٥) (Al-Soussi, 1984, p. 15) ، ففي العصر الموحيدي (٥٣٩-٦٦٨ هـ/١١٤٤-١٢٦٨ م) نجد الخليفة عبد المؤمن (٥٤١-٥٥٨ هـ / ١١٤٦-١١٦٣ م)

قد إهتم بهذه اللعبة إهتماماً كبيراً كما مارسها عامة المجتمع الموحدى هذه اللعبة بهدف الترويح عن النفس وإدخال البهجة والسرور إليها (نواره، ٢٠٠٩م، صفحة ١٧٠) (Nawara, 2009, p. 170)، ونتيجة للاهتمام من قبل سلاطين بني مرين (٦٦٨-٨٦٩ هـ / ١٢٦٨-١٤٦٤ م) اهتمام كبير بلعبة الصولجان وكانت تقام هذه اللعبة في المضمار أو الملعب المخصص لها (تيتاو، صفحة ٤٤٤) (Titao, page 444)، ومن خلال الاشارات الواردة في المصادر الاسلامية يتبين إنها كانت تمارس في ضواحي المدينة من قبل السلطان وخاصته وجنوده بشكل يومي والسلطان، إذ يركب فرسه في كل يوم ويتوجه الى النهر، وبعدها يذهب الى الصحراء ويقف على مكان مرتفع ليشاهد مطاردة الخيول أمامه في سبيل التمرين الحقيقي وأحياناً يكون لعباً وتدريباً في الوقت نفسه (محمد، الصفحات ٢٠١-٢٠٢) (Muhammad, pages 201-202).

كانت هذه الرياضة من الرياضات المفضلة عند الحكام وافراد المجتمع المغربي الاسلامي، كما عدت من الرياضات الملوكية التي لقيت إقبالا واسعا لدى فئات المجتمع الخاصة والعامة، حتى أن الشعراء قد أشادوا بها وذكروها في قصائدهم فهذا الشاعر ابو الحسن بن علي المشهور بابن الزقاق أشار الى هذه اللعبة قائلاً (سعيد، ١٩٦٤ م، صفحة ٣٢٨) (Said, 1964, p. 328):

يخنيه طوال ضرابة هام العدا حتى يرى بيديه منه صولج
من كل وقاد السنان كأنما في كل ذابلة ذبال يسرج

في حين أن الشاعر ابي مغيرة، كان له تشبيهاً غريباً للعبة الصولجان بين الهلال وكوكب الزهرة قائلاً (بشكوال، ١٩٥٥م، صفحة ٦٢١) (Bishkwal, 1955, p. 621):

ما رأيت الهلال منطويا في غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

١. الزجالي ، امثال العوام ، ج١، ص ٢٤٠- ٢٤١ ؛ دندش ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٣٢٤ .
٢. بوتشيش ، ابراهيم القادري ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين _المجتمع الذهنيات الاولياء ، دار الطليعة للنشر (بيروت ، ١٩٩٣ م) ، ص ٨٨ .
٣. ابي اسحاق ، ابراهيم بن حرب العسكري (ت بعد ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) ، الجزء الثاني من مسند أبي هريرة ، تحقيق: عامر حسن صبري ، دار البشائر الاسلامية ، (د م ، ٢٠٠٦ م) ، ص ٧٥ ؛ الهروي ، علي بن سلطان محمد (ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر (بيروت ، ٢٠٠٢ م) ، ج٤، ص ١٣٦٢ .
٤. التطيلي ، ابو جعفر الملقب بالاعمى (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) ، ديوان الاعمى التطيلي،جمعه وحققه : الدكتور محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب (بيروت ، ٢٠١٤ م) ؛ ابن قزمان ، محمد بن عيسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١١١ م) ، ديوان ابن قزمان، تحقيق: فيديركو كورينتي، تقديم محمود علي مكي ، المجلس الاعلى للثقافة المكتبة العربية (القاهرة، ١٩٩٥ م) ص ٣١٣ ؛ ابن عامر، احمد ، الدولة الحفصية صفحات خالدة تاريخنا المجيد ، دار الكتب الشرقية (تونس ، ١٩٧٤ م) ، ص ٧٩ .
٥. مؤلف مجهول، الطبيخ ، ص ٢١٧؛ ابن مريم ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، ص ١٥٩ .
٦. ابن القطان ، محمد حسن بن علي بن عبد الملك (ت منتصف القرن السابع الهجري / منتصف القرن الثاني عشر ميلادي) ، نظم الجمان الترتيب ماسلف من اخبار الزمان ، تحقيق: دكتور محمود علي مكي ، دار المغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٩٠ م) ، ص ٩٣ ؛ بروفنسال ، ليفي بروفنسال ، نخب تاريخية جامعة لخبار المغرب الاقصى ، مطبوعات لاروز (باريس ، ١٩٤٨ م) ، ص ٣٦ .
٧. طه ، الحياة الاجتماعية ، ص ٣٤٥ .
٨. فيلاللي ، تلمسان في العهد الزياني ، ص ٢٧٠ .
٩. ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج١، ص ١٦٨-١٦٩ .
١٠. فيلاللي ، تلمسان في العهد الزياني ، ص ٢٧٢ .
١١. الونشريسي، المعيار، ج٦، ص ٤١٥ .

الاعراب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦-١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

١٢. الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) الحوادث والبدع ، تحقيق: عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٩٠م) ، ص ١١٦ .
١٣. سورة التوبة ، الآية ، ٣٠ .
١٤. شلبي ، احمد ، الحياة الاجتماعية في الفكر الاسلامي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة (القاهرة ، ١٩٨٦م) ، ص ١٦٠ .
١٥. سورة الصافات ، الآية ١٠٢ .
١٦. بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص ٨٧ .
١٧. بروفسال ، نخب تاريخية ، ص ٥٧ .
١٨. ابن قزمان ، ديوان ابن قزمان ؛ ص ١٦٢ ، شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان ، ج ١ ، ص ٩٠ .
١٩. ابن قنفذ ، ابو العباس احمد بن حسن (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق: عبد المجيد ، محمد الشاذلي ، دار التونسية (تونس ، ١٩٦٨م) ، ص ١٤٠ .
٢٠. حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤١٩ .
٢١. ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص ١٦٩ .
٢٢. اهل الذمة: هم كل من يتدين بغير الاسلام ويعيش في حمايته وفي كنف المجتمع الاسلامي وسموا بالمعاهدين ، لانهم بعهد الله ورسوله محافظا على تدينه بغير الاسلام وان اهل الذمة يدفعون الجزية الى المسلمين مقابل الحماية على انفسهم واعمالهم وكتاب اهل الذمة التوراة والانجيل ، ينظر: المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٧ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٦٧ ؛ السلاوي ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٠ .
٢٣. ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ - ص ٢١١ ؛ النجار ، المغرب والاندلس عهد المنصور ، ص ٣٩٧ .
٢٤. المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٣ .
٢٥. حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
٢٦. شقرون ، محمد بن احمد ، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الادب المغرب في العصر المريني ، دار الثقافة (الدار البيضاء ، ١٩٨٥م) ، ص ٤١ .
٢٧. المعيار ، ج ١١ ، ص ١٠٣ .
٢٨. ابن خلدون ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦-١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

٢٩. النويري ، شهاب الدين احمد عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الارب في فنون الادب ،تحقيق: الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية (بيروت ،٢٠٠٤م)، ج١، ص ١٨٤؛ ابن عامر ، الدولة الحفصية صفحات خالدة تاريخنا المجيب ، ص ٧٩ .
٣٠. ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) المختصر تاريخ البشر ، المطبعة الحسينة المصرية (مصر ،٢٠٠٤ ت)، ج ١، ص ٨٨.
٣١. الونشريسي ، المعيار ، ج ١١، ص ١١ .
٣٢. ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢، ص ٧٥ .
٣٣. سيوان : حزيان ، ينظر: علي ، جواد ، المفصل في التاريخ قبل الاسلام ، ط٤، دار الساقى (د.م، ٢٠٠١م)، ج ١٦، ص ٨٨ .
٣٤. ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢، ص ٧٥ .
٣٥. شبون : شهر اب، ينظر: ابو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج ١، ص ٨٨ .
٣٦. ابو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج ١، ص ٨٨ .
٣٧. السامرائي ، تاريخ العرب وحضارتهم بالاندلس، ص ٤١٥ .
٣٨. الزجالي ،امثال العوام ، ج ١، ص ٢٤٠ .
٣٩. النويري ، نهاية الارب ، ج ١، ص ١٨٤؛ شحاته ، عطا علي محمد ، اليهود في بلاد المغرب الاقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة (دمشق، ١٩٩٩ م)، ص ١١١ .
٤٠. شحاته ، اليهود في بلاد المغرب الاقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، ص ١١٢ .
٤١. القلقشندي أبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى الانشا في صناعة ،المطبعة الاميرية(القاهرة، ١٩١٥م) ، ج ٢، ص ٤٢٦ .
٤٢. شحاته ، اليهود في بلاد المغرب الاقصى ، ص ١١١ .
٤٣. شحاته ، اليهود في بلاد المغرب الاقصى ، ص ١١٢ .
٤٤. مؤلف مجهول ، الطبخ ، ، ص ١٦٧ .
٤٥. شحاته ، اليهود في المغرب الاقصى ، ص ١١٣ .
٤٦. النويري ، نهاية الارب ، ج ١ ، ص ١٨٥؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢، ص ٤٢٦ ظاظا ،حسن ، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية (د.م، ١٩٧١م) ، ص ٢٠٢ .
٤٧. ظاظا ، الفكر الديني ، ص ٢٠٢ .
٤٨. النويري، نهاية في الارب، ج ١، ص ١٨٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى ، ج ٢، ص ٤٢٦

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦-١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

٤٩. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٢٧ .
٥٠. سورة البقرة ، الآيتان ٦٥-٦٦ .
٥١. الزعفراني ، حايميم ، يهود الاندلس والمغرب ، ترجمة: احمد شحلان ، مطبعة النجاح (الرباط، ٢٠٠٠م)، ج٢ ، ص ٥٢٦ .
٥٢. الزعفراني ، يهود الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٥٢٨ .
٥٣. شحاته ، اليهود في المغرب الاقصى ، ص ١١٥ .
٥٤. الزعفراني ، يهود الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٥٣٠ .
٥٥. شحاته ، اليهود في المغرب الاقصى ، ص ١١٦ .
٥٦. ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ / ١٢٨٢م)، المطرب من اشعار اهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الابياري واخرون، دار العلم (بيروت، ١٩٥٥م)، ص ١٠٥؛ المقري ، نفع الطيب ، ج٤ ، ص ١٩ .
٥٧. النويري ، نهاية في الارب ، ج١ ، ص ١٨٥؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٢٧
٥٨. ظاظا ، الفكر اليهودي ، ص ٢٠٨ .
٥٩. هو وزير ملك الفرس بابك الخرمي وكان اليهود يكونون له الحقد عند ، ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٢٧ .
٦٠. صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٢٧
٦١. شحاته، اليهود في بلاد المغرب الاقصى ، ص ١١٨
٦٢. مؤلف مجهول ، الطيخ ، ص ١٨٣
٦٣. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤٢٩
٦٤. النويري ، نهاية الارب ، ج١ ، ص ١٨٦
٦٥. ظاظا ، الفكر الديني اليهودي ، ص ٢٠٩
٦٦. شحاته، اليهود في بلاد المغرب الاقصى ، ص ١١٧
٦٧. بوتشيش ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص ٩٣ .
٦٨. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص ٤١٩ .
٦٩. الزجالي ، أمثال العوام ، ق ١ ، ص ٢٤١ .
٧٠. القدس :المقدسة المطهرة وسمي بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب وقيل سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين ، ينظر:ابن الجوزي ، فضائل القدس ، تحقيق : جبرائيل سليمان ، ط٢ ، دار الافاق (بيروت ، ١٩٨٠ م)، ص ٦٧ .

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦-١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

٧١. بيت لحم: ولد بها النبي عيسى عليه السلام ويقال: إن داود وسليمان عليهما السلام قبورهما فيه، وبهذه الكنيسة آثار وعمارة عجيبة من الرخام والفص المذهب والعمد، وتأريخ عمارتها يزيد على ألف ومائتي سنة، منقور في الخشب لم يتغير إلى زماننا هذا، وبه موضع النحلة المذكورة= في القرآن العزيز وَهَرَي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ. في سورة مريم، ينظر: الهروي، علي بن ابي بكر علي (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م)، الاشارات الى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠٠٢ م)، ص ٣٤.
٧٢. الزجالي، امثال العوام، ق ١، ص ٣٢٨.
٧٣. الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ٢٥٨.
٧٤. فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، دار الهدى (الجزائر، ٢٠١٤ م)، ص ١٦٨.
٧٥. فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط، ص ١٦٩.
٧٦. الزجالي، امثال العوام، ق ١، ص ٣٢٨.
٧٧. ابن اللبابة، ابو بكر محمد بن عيسى (ت ٥٠٧ هـ / ١١٣ م)، تحقيق: الدكتور محمد مجيد السعيد، ط ٢، دار الراية (عمان، ٢٠٠٨ م)، ص ٤٧.
٧٨. ابن قزمان، ديوان ابن قزمان، ص ٢٢٢.
٧٩. ابن قزمان، ديوان ابن قزمان، ص ٢٢٣.
٨٠. مؤلف مجهول، الطبخ، ص ١٦٨.
٨١. شاوش، باقة السوسان، ج ١، ص ٣٤.
٨٢. القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٣٧٩.
٨٣. دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحيين، ص ٣٢٧.
٨٤. المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ٥٤٧.
٨٥. ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ / ٩٩٧ م)، تاريخ إفتتاح الاندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط ٢، دار الكتاب المصري (القاهرة، ١٩٨٩ م)، ص ١٢٥.
٨٦. بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص ٩٣.
٨٧. الزجالي، امثال اعوام، ق ١، ص ٢٣٦؛ بلباس، الفن المرابطي والموحي، ص ٣٣.
٨٨. المقرئ، نفح الطيب، ج ٤، ص ١٢٥.
٨٩. دندش، الاندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحيين، ص ٣٢٩.
٩٠. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٢٣٨.

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦-١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

٩١. الوزان ، وصف افريقيا ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
٩٢. حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤٢٨ .
٩٣. المراكشي ، محمد بن محمد (ت ١٣٢٩هـ / ١٩٩١م) ، السعادة الابدية التعريف بالحضارة المراكشية ، مطبعة المصطفى البابي الحلبي واولاده ، (مصر ، ١٩٢٢م) ، ص ١٦ ، حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤٢٤ .
٩٤. الوزان ، وصف افريقيا، ج ١ ، ص ٢٨١؛ السلاوي ، الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٧٢ ؛ جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ص ١١٩ .
٩٥. الجزنائي ، علي الجزنائي (ت في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي) ، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب ابن المنصور ، ط ٢ ، مطبعة الملكية ، (الرباط، ١٩٩١ م) ، ٣٦ ؛ طه ، مدينة فاس ، ص ص ٤٠-٤١-٤٢ .
٩٦. ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٨٢ ؛ الوزان ، وصف افريقيا ، ج ٢ ، ص ٥٠ .
٩٧. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٣٠ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٨١ .
٩٨. ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .
٩٩. حسين ، حمدي عبد المنعم محمد ، مدينة سلا في العصر الاسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٩٣م) ، ص ٣٣ .
١٠٠. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٥ ، ص ١٢١ .
١٠١. بيلونش : وهي قرية مغربية بالقرب من سبتة من أجمل القرى تمتاز بطبيعة خلابة ، ينظر: البكري، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٧٨٤؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج ٥ ، ص ١٢١ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٠٣ .
١٠٢. الوزان ، وصف افريقيا، ج ١ ، ص ٢٤٨؛ حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤٢٤ .
١٠٣. حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤٢٤ ؛ اشباح ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة: محمد عبد الله عنان ، المركز القومي (القاهرة، ٢٠١١م) ، ج ٢ ، ص ٢٥ .
١٠٤. المنوني ، وريقات ، ص ٥٨ .
١٠٥. المقري ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ؛ السلاوي ، الاستقصا، ج ٤ ، ص ٨٩ .
١٠٦. السلاوي ، الاستقصا ، ج ٤ ، ص ٨٩ .
١٠٧. حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٤٣٠ .
١٠٨. جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية، ج ٢ ، ص ١٩٤-١٩٥ .

الالعاب في بلاد المغرب الاسلامي طرقها وأساليبها في الترويح عن النفس
(٤٤٨-٩١٨ هـ / ١٠٥٦ - ١٥١٢ م) الفروسية وسباق الخيل والصولجان اتمونجا

١٠٩. ابن عذاري ، البيان ، ج٤، ص ١٨٦ .
١١٠. جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج٢، ص ١٩٩ .
١١١. كريخال ، إفريقيا ، ج٢، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ غزالي، المجتمع التلمساني ، ص ١١٩ .
١١٢. الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٥؛ فيلالي ، تلمسان في عهد بني زيان ، ص ١٥٣-١٥٤ .
١١٣. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٧٦؛ فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ص ١٥٣ .
١١٤. فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ص ١٥٣ .
١١٥. ابن خلدون ، العبر، ج٧، ص ١١٣ .
١١٦. فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص ١٥٤ .
١١٧. فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني، ص ١٥٥ .
١١٨. ابن خلدون ، العبر، ج٦، ص ٣٩١ .
١١٩. الحميري، الروض المعطار ، ص ١٣٥؛ فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ص ١٥٤ .
١٢٠. لوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص ٢٠ .
١٢١. الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص ٢٧٩؛ مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب لي الامصار ، ص ١١٣؛ الحموي ، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٩؛ المروقي، محمد، قابس جنة الدنيا، مكتبة الخانجي (مصر ، ١٩٦٢م)، ص ٣٢ .
١٢٢. المنوني ، العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين ، ط٢، دار الغرب (الرباط ، ١٩٧٧ م) ، ص ٧٦

المصادر

- ابن القوطية ، ابو بكر محمد ابن عمر (ت ٣٦٧ هـ / ٩٩٧ م) :
- ١-، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني (القاهرة ، ١٩٨٩ م) .
- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) :

- ٢- المن بل الامامة ، تاريخ المغرب والاندلس عهد الموحدين ، تحقيق : الدكتور عبد الهادي الناري ، دار الغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٦٤م) .
- الوزان ، الحسن بن محمد الزياتي الفاسي (٩٥٧ هـ / ١٥٥٠م):
- ٣- وصف افريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الاخضر ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٨٣م) .
- الحميري ، ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م):
- ٤- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق : احسان عباس ، ط٢، مؤسسة ناصر لثقافة (بيروت ، ١٩٨٠م) .
- الزجالي ، ابو يحيى عبد الله بن محمد بن احمد (ت ٦٩٤ هـ / ١٣٩١م):
- ٥- أمثال العوام ، تحقيق : محمد بن شريفة ، ق ١ وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصيلي (الرباط ، ١٩٧٥م) .
- ابي اسحاق ، ابراهيم بن حرب العسكري (ت بعد ٢٨٢ هـ / ٩٠٤م):
- ٦- الجزء الثاني من مسند أبي هريرة ، تحقيق: عامر حسن صبري ، دار البشائر الاسلامية (د م ، ٢٠٠٦م) .
- الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م) :
- ٧- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٨م) .
- ٨- وصف افريقيا الشمالية مأخوذ من كتب نزهة المشتاق، تحقيق: هنري بيرييس، مكتبة معهد الدروس العليا (الجزائر، ١٩٧٥) .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م):
- ٩-،معجم البلدان، ط٢ ، دار صادر (بيروت، ١٩٩٥م) .

- ابي اسحاق ، ابراهيم بن حرب العسكري (ت بعد ٢٨٢ هـ / ٩٠٤ م):
- ١٠- الجزء الثاني من مسند أبي هريرة ، تحقيق: عامر حسن صبري ، دار البشائر الاسلامية (د٠ م ، ٢٠٠٦ م) .
- المراكشي، عبد الواحد علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م):
- ١١- المعجب في اخبار المغرب من لدى الفتح الاتدلس الى اخر عصر الموحدين الى اخر عصر الموحدين، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية (بيروت ، ٢٠٠٦ م) .
- التطيلي ، ابو جعفر الملقب بالاعمى ، (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م):
- ١٢-ديوان الاعمى التطيلي، جمعه وحققه : الدكتور محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب (بيروت ، ٢٠١٤ م) .
- ابن قزمان ، محمد ابن عيسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١١١ م):
- ١٣- ديوان ابن قزمان ، تحقيق: فيديركو ، تقديم : محمود علي مكي ، المجلس الاعلى للثقافة المكتبة العربية (القاهرة ، ١٩٩٥ م) .
- ابن القطان ، ابي محمد حسن بن علي بن عبد الملك (ت منتصف القرن السابع الهجري، منتصف القرن الثاني عشر ميلادي) :
- ١٤- نظم الجمان الترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تحقيق: الدكتور محمود علي مكي ، دار المغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٩٠ م) .
- ابن بطوطة ، شمس الدين ابي عبد الله اللوتي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م):
- ١٥- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظارفي غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تحقيق: عبد الهادي التازي ،اكاديمية المملكة المغربية (الرباط ، ١٩٩٧ م) .

- الونشريسي ، ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) :

١٦- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقيه والاندلس والمغرب ، خرجه
جماعتهمن الفقهاء باشراف الدكتور محمد حجي ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه
(الرباط ، ١٩٨١ م) .

- Ibn Al-Qutia, Abu Bakr Muhammad Ibn Omar (d. 367 AH / 997 AD)
- 1- The History of the Inauguration of Al-Andalus, investigation: Ibrahim Al-Abyari, 2nd edition, Dar Al-Kitab Al-Masry - Dar Al-Kitab Al-Lebanese (Cairo, 1989 AD).
- Ibn Sahib al-Salah, Abd al-Malik (d. 594 AH / 1198 CE):
- 2- Al-Mann Bil Al-Imamah, History of Morocco and Andalusia, the era of the Almohads, investigation: Dr. Abdul-Hadi Al-Nari, Dar Al-Gharb Al-Islami (Beirut, 1964 AD).
- Al-Wazzan, Al-Hassan bin Muhammad Al-Zayati Al-Fassi (957 AH / 1550 AD):
- 3- Description of Africa, translated by: Muhammad Hajji and Muhammad Al-Akhdar, 2nd edition, Dar Al-Gharb Al-Islami (Beirut, 1983 AD)
- Al-Humairi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul-Moneim (d. 750 AH / 1349 AD):
- 4- Al-Rawd Al-Muttar fi Khabar Al-Aqtar, investigation: Ihsan Abbas, 2nd edition, Nasser Foundation for Culture (Beirut, 1980 AD).
- Al-Zajali, Abu Yahya Abdullah bin Muhammad bin Ahmed (d. 694 AH / 1391 AD):
- 5- Proverbs of the Commonwealth, investigation: Muhammad bin Sharifa, vol. 1, Ministry of State in charge of the affairs of culture and original education (Rabat, 1975 AD).
- Abi Ishaq, Ibrahim bin Harb Al-Askari (d. after 282 AH / 904 AD)

- 6- The second part of Musnad Abu Hurairah, investigation: Amer Hassan Sabri, Dar Al-Bashaer Al-Islamia (D0 AD, 2006 AD).
- Al-Idrisi, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad (d. 560 AH / 1164 AD) :
- 7- Nuzhat al-Mushtaq fi Intkhiraq al-Afaq, The World of Books (Beirut, 1988 AD).
- 8- Description of North Africa taken from the books of Nuzha al-Mushtaq, investigation: Henry Peiris, Library of the Higher Studies Institute (Algeria, 1975.)
- Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah (d. 626 AH / 1228 CE):
- 9- Mu'jam al-Buldan, 2nd edition, Dar Sader (Beirut, 1995 AD).
- Abi Ishaq, Ibrahim bin Harb Al-Askari (d. after 282 AH / 904 AD):
- 10- The second part of Musnad Abu Hurairah, investigation: Amer Hassan Sabri, Dar Al-Bashaer Al-Islamia (D0 AD, 2006 AD)
- Al-Marrakshi, Abd al-Wahed Ali al-Tamimi (d. 647 AH / 1249 CE):
- 11- Al-Mujeeb fi Akhbar al-Maghrib from the time of the Andalusian conquest to the end of the Almohad era to the end of the Almohad era, investigation: Salah al-Din al-Hawari, the modern library (Beirut, 2006 AD).
- Al-Tatili, Abu Jaafar, nicknamed the blind, (died 525 AH / 1131 AD):
- 12- Diwan al-Ama' al-Tatili, compiled and verified by:Dr. Mohiuddin Dib, Modern Book Foundation (Beirut, 2014 AD).
- Ibn Quzman, Muhammad Ibn Issa (d. 555 AH / 1111 AD):
- 13- Diwan Ibn Quzman, investigation: Federco, presented by: Mahmoud Ali Makki, the Supreme Council for Culture, the Arab Library (Cairo, 1995 AD).
- Ibn Al-Qattan, Abu Muhammad Hassan bin Ali bin Abdul-Malik (d. mid-seventh century AH, mid-twelfth century AD) :

14- Al-Juman organized the arrangement of the predecessors from Akhbar Al-Zaman, investigation: Dr. Mahmoud Ali Makki, Dar Al-Maghrib Al-Islami (Beirut, 1990 AD).

-Ibn Battuta, Shams al-Din Abi Abdullah al-Luti (d. 779 AH / 1377 CE)

15- Ibn Battuta's Journey, called "The Masterpiece of Wonders, in the Strange Things of the Countries and the Wonders of Travel", investigation: Abdel-Hadi Al-Tazi, The Academy of the Kingdom of Morocco (Rabat, 1997 AD).

Al-Wansharisi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Yahya (d. 914 AH / 1508 CE) :

16- Al-Ma'arib al-Ma'arib wa al-Jami' al-Maghrib on the Fatwas of the People of Ifriqiya, Andalusia and the Maghrib, compiled by a group of jurists under the supervision of Dr. Muhammad Hajji, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs (Rabat, 1981 AD).

**مرويات الامام الباقر (عليه السلام)
في مؤلفات اهل المغرب والاندلس**

**ضحى علي حسين
أ.د. غنية ياسر كباشي**

جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد للعلوم الانسانية

مرويات الامام الباقر (عليه السلام) في مؤلفات اهل المغرب والاندلس

ضحى علي حسين

أ.د. غنية ياسر كباشي

الملخص

الامام محمد الباقر (عليه السلام) من افاذا العترة الطاهرة ومن اعلام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن ابرز رجال الفكر والعلم في الاسلام كان له دور في الثقافة الإسلامية وتأسيس الحركة العلمية في الاسلام ، إذ تفرغ لبسط العلم وأشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع أنحاء العالم الاسلامي، اما من الناحية السياسية، فقد ابتعد الامام عن تلك التيارات السياسية ابتعادا مطلقا فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم انذاك وأتجه صوب العلم فرفع مناره، ودراسة حياة الامام بكل ما فيها هو جزء لا يتجزأ من الحركة الفكرية والعلمية السائدة في عصره، تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن تراث الامام الباقر في مؤلفات أهل المغرب والاندلس.

كلمات مفتاحية: مرويات، الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، المؤلفات، المغرب، الاندلس.

Abstract

Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him) was one of the most distinguished of the pure family, one of the prominent imams of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), and one of the most prominent men of thought and knowledge in Islam. Intellectualism has spread all over the Islamic world, but from a political point of view, the Imam strayed completely away from these political currents. The prevailing intellectual and scientific movement in his time, the importance of this research lies in revealing the legacy of Imam Al-Baqir in the writings of the people of Morocco and Andalusia.

Keywords: Narratives, Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him), literature, Al-Maghrib, Andalusia.

أن جميع مرويات الامام الباقر (عليه السلام) عند اهل العلم حتى المقطوع^(١) منها تعد موصولة^(٢) وذلك لصدقه عنده وثقته، ولأنه لا يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ما ثبت عنه أنه قد قاله وأن لم يذكر سنده ويسم من روى عنه ذلك، وحجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحجة الوداع^(٣) لم يرووها الناس على التمام بما جاء فيها من السنن والاخبار، إلا عنه عن جابر بن عبد الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .^(٤)

إلا أن أهل المغرب والاندلس من روى روايات عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، منهم من يقول أنها مرسلة^(٥) وهناك الكثير من الاحاديث والمرويات عن الامام الباقر (عليه السلام) وسنتناول المرويات التي وجدناها في مؤلفات اهل المغرب والاندلس فقط دون غيرها من المؤلفات الأخرى الموجودة في المصادر الأخرى على اختلافها.

نماذج من تفاسير^(٦) الامام الباقر (عليه السلام)

أولاً: نماذج من تفاسير الإمام الباقر (عليه السلام) للقران الكريم

١- تفسير آيات عن الولاية^(٧)

عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال في قول الله عز وجل: {سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى} ^(٨)

قال : "لا يقول بولايتنا إلا من يخشى الله تعالى" .^(٩)

عنه أنه قال في قول الله تعالى: {وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} ^(١٠)

قال (عليه السلام): "اهتدى الى ولاية أهل البيت" ^(١١)

وكذلك عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال : نزل جبرائيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

بهذه الآية (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً)

قال : " بولاية علي (عليه السلام) " ^(١٢)

عن الامام الباقر (عليه السلام) في قول الله: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }^(١٣) قال: " نحن اهل الذكر".^(١٤)

وكذلك في قوله تعالى: {أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى} ^(١٥)

قال: " هو التارك لحقنا المضيع لما افترضه الله تعالى عليه من ولايتنا"

اما في قوله تعالى: (وما عليك إلا يزكى)

قال: " يقول ليس عليك يا محمد لا يصلي^(١٦) ولا يزكي^(١٧) فإنه إن عمل أعمال الخير كلها وأتى بالفرائض^(١٨) بأسرها ثم لم يقبل بولاية الاوصياء لم يزن ما عمل عند الله سبحانه جناح بعوضة".^(١٩)

سأل الامام ابا جعفر الباقر عن قوله تعالى: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ }^(٢٠) "نحن ههنا الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة"^(٢١)

وكذلك قال في قول الله: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }^(٢٢).

قال: " علم الله عز وجل إنهم ستفرقون بعد نبيهم (عليه السلام) ويختلفون فنهاهم الله عن التفرق، كما نهى من كان قبله وأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد (عليه السلام) ولا يتفرقوا".^(٢٣)

وجاء عنه أن رجلاً قال له يا ابن رسول الله أن الحسن البصري^(٢٤) حدثنا أن رسول الله (عليه السلام) قال: " أن الله أرسلنا برسالة فضاقة بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس فتواعدني أن لم أبلغها.

قال له الإمام الباقر (عليه السلام): فهل حدثكم بالرسالة؟

قال: لا أما والله إنه ليعلم ماهي ولكنه كتمها متعمداً.

قال الرجل: يا بن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟

قال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلوات مفسراً وفرض القرآن جملة ففسرها

رسول الله (ﷺ) واعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والزرع ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا مزه لأمته وبينه لهم، وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ففسره لهم رسول الله (ﷺ) وبين لهم ما يتقون في الصم وكيف يصومون، وأمر بالحج فأمر الله نبيه (ﷺ) أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنة، وأمر الله عز وجل بالولاية فقال لهم: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)^(٢٥)، ففرض الله ولاية ولاة الامر فلم يدروا ماهي وفأمر الله نبيه (ﷺ) أن يفسر لهم ما الولاية مثل ما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله (ﷺ) ذرعاً وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبون، فضاقت صدره وراجع ربه فأوصى إليه { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }^(٢٦) فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يوم غدير خم ونادى لذلك الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء تنزل الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }^(٢٧) قال الإمام الباقر (عليه السلام) : يقول الله عز وجل لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة قد أكملت لكم هذه الفرائض، ثم قال (عليه السلام) فوجبت ولاية علي (عليه السلام) على كل مسلم ومسلمة.^(٢٨)

تفسير آيات قرآنية اخرى

عن الامام الباقر (عليه السلام) عن ابيه انه قال : في العرش مثال كل شيء خلقه الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ }^(٣٠).^(٢٩)

وفي تفسيره لقوله تعالى: {بِمَا صَبَرُوا}^(٣١) قال : بما صبروا على الفقر والفاقة في الدنيا.^(٣٢)

وفي تفسيره لقوله تعالى: { وَأَنَّ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا }^(٣٣) قال : ليس الله تعالى جدّ، وانما قالته الجن للجهالة، فلم يؤاخذوا به .^(٣٤)

روي عن الإمام الباقر في قوله تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} (٣٥)، قال قوم وضعوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوه إلى غيره. (٣٦)

سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن قوله تعالى: {وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} (٣٧)، ما غضب الله تعالى ؟

قال : طرده وعاقبه ومن ظن إن الله يغيّره شيء فقد كفر .

وسئل عن قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} (٣٨)

فقال : الغرفة هي الجنة. (٣٩)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} (٤٠)، قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء .

وقال في قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} (٤١) الأواه هو الدعاء. (٤٢)

عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال في قوله تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} (٤٣)

قال : بما صبروا على الفقر على مصائب الدنيا . (٤٤)

قال في قوله تعالى: {قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا} (٤٥)، كان بينهما أربعون سنة. (٤٦)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قرأ {لَسْتَ مُؤْمِنًا} (٤٧) قال إذا أجرته فهو مؤمن. (٤٨)

قال جابر: سألت الإمام الباقر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ}. (٤٩)

قال : تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة ثم قرأ (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام) (٥٠)(٥١)

روي أن العلاء بن عمرو بن عبيد (٥٢) قام على محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يمتحنه بالسؤال فقال له : جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: { أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } (٥٣)

ما هذا الرتق والفتق؟

"قال له الإمام الباقر (عليه السلام) : كانت السماء رتقًا لا تنزل القطر وكانت الأرض رتقًا لا تخرج النبات ففتق الله السماء بنزول المطر وفتق الأرض بخروج النبات فسكت ابن عمرو ولم يرد جوابا ولم يجد اعتراضًا". (٥٤)

ثانياً: توجيهات الامام الباقر (عليه السلام)

١- الزهد (٥٥) في الدنيا

قيل للإمام الباقر (عليه السلام) من أزهّد الناس؟

قال : من لا يبالي في يد من كانت الدنيا، ومن العجب أن يشغل الرجل نفسه بشيء من التدبير فيه إلى غير . (٥٦)

٢- عدم مجالسة اهل الخصومات

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : لا تجالسوا أهل الخصومات فأنهم الذين يخوضون في آيات الله . (٥٧)

٣- العبادة

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا وحرّم الله وجهه صاحبها على النار، فإن سألت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه فتر ولا ذلّة، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الذمعة فإن الله تعالى يكفر بها لجور الخطايا، ولو أ، باكيًا يكن في أمة تحرم الله تلك الامة على النار . (٥٨)

قال (عليه السلام) : الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن، فإذا أوصلا إلى مكان فيه التوكل استوطننا . (٥٩)

قال اعرابي لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): " هل رأيت الله حين عبدته ؟

فقال: لم أكن لأكبر من لم أراه .

قال : فكيف رأيتَه ؟

قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الايمان، يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات، منعوت بالعلامات لا يجور في القضايا ذلك الذي لا إله هو .

فقال الاعرابي : الله اعلم حيث يجعل رسالته". (٦٠)

٤-اصلاح الشأن

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : " صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين لأن صلاح شأن جميع الناس في التعايش والتعاشر وهو مكيال ثلثاه فطنه وثلثه تغافل" . (٦١)

٥-طاعة الاباء

قال (عليه السلام) : " أن الله رضي الأباء للابناء فحذرهم منهم ولم يرضى الابناء للأباء فأوصاهم بهم، وإن شر الانبياء من دعاهُ التقصير إلى العقوق، وإن شر الإباء من دعاهُ البر إلى الافراط". (٦٢)

٦-أهمية العلم

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد". (٦٣)

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : " ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قلّ أو كثر" . (٦٤)

وقال (عليه السلام) : أيضاً : "والله لموت عالم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابد" . (٦٥)

وقال : "عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد" .

وقال: "أعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك".

وقال: "تعلموا العلم فإن تعلمه حسنه، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذلة لأهله قرية وهو ثمار الجنة، وأسس الوحشة، وصاحب في القرية، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، ودين عند الاخلاء وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قومًا فيجعلهم في الخير سادة وللناس أئمة يقتدى بأفعالهم ويقتص آثارهم ويصلي عليهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه".^(٦٦)

وكذلك قال (عليه السلام): "عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد، وقال شيعتنا من أطاع الله".^(٦٧)

عن الإمام الباقر عن ابيه عن جده عن علي (عليه السلام): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "من تعلم أربعين حديثًا ابتغاء وجه الله ليعلم به أمتي في حلالهم وحرامهم حشره الله عالمًا".^(٦٨)

٧- في العقل

عن الامام ابا جعفر الباقر قائلاً: "لما خلق الله العقل استنطقه ، ثم قال له: اقبا فاقبل ، ثم قال له: أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك ولا أكلمتك الا فيمن احب ، اما اني اياك امر واياك أنهى واياك اعاقب واثيب".^(٦٩)

٨- الابتعاد عن الخصومة

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): "الخصومة تمحق^(٧٠) الدين وتنتبت

الشحناء^(٧١) في صدور الرجال".^(٧٢)

٩- وصف الفخور

قال: "يا عجبا من المختال^(٧٣) الفخور الذي خلق من نطفة، ثم يصير جيفة، ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل".^(٧٤)

١٠- كظم الغيظ^(٧٥)

قال (عليه السلام): "من كظم غيظًا يقدر على امضائه حشا الله قلبه إيمانًا".^(٧٦)

١١- تبدل الارض

قال (عليه السلام): "تبدل الأرض مثل الخبزة يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا". (٧٧)

١٢- قراءة القرآن (٧٨)

قال الإمام الباقر (عليه السلام): "قرأ القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فأتخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده وأقامة إقامة القدح ... ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله، وأضأ به نهاره، وقام به في مساجده وتجاوى (٧٩) عن فراشة، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وبأولئك الله عز وجل من الأعداء، وبأولئك ينزل الله الغيث (٨٠) من السماء". (٨١)

١٣- الكنى والالقب

قال الإمام الباقر (عليه السلام): "بادوا بالكنى قبل الالقب". (٨٢)

١٤- اللؤم

وقال (عليه السلام): "سلام اللئام قبح الكلام". (٨٣)

١٥- وصف المؤمنين

عن جابر الجعفي قال : قال محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : "يا جابر إني لمشتغل القلب.

قلت : وما يشغل قلبك ؟

قال : يا جابر إنه من دخل في دين الله الخالص شغلُهُ عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا قدوم الآخرة لأهوالها، وإن أهل التقوى أسيد أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، وأن فنيت ذكروك وأن ذكرت اعانوك موالين للحق قوامين بأمر الله فأجعل الدنيا كمنزلٍ نزلت به وارتحلت عنه، كمالٍ أصبته في منامك فأستيقظت وليس معك منه شيئاً، واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته". (٨٤)

وأنه قال (عليه السلام) : "ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل ولا يدفع القضاء إلا الدعاء، فإن أسرع الخير ثوابًا البر العدل، وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيبًا أن يُبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يأمر الناس ما لا يفعله وأن ينهى الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤدي جليسة بما لا يعنيه." (٨٥)

سئل الإمام الباقر (عليه السلام) : أي العبادة أفضل ؟

فقال : "ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ما عنده" . (٨٦)

سأل الامام الباقر (عليه السلام) عن قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن" فأدار الامام الباقر (عليه السلام) دائرة واحدة في الارض، ثم ادار في وسطها أخرى دونها أصغر منها، فقال: "الدائرة الأولى هي الاسلام والدائرة التي في وسطها هي الايمان، فاذا اخرج من الايمان وقع في الاسلام، ولا يخرج من الاسلام الا الشرك وحده" (٨٧)

اما ابن عبد البر (٨٨) فروي عن الامام الباقر هذه الرواية، قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "هذا الإيمان ودور داره وهذا الإسلام ودور داره خلف الدائرة الأولى، قال فاذا أذنبنا خرجنا من الدائرة إلى الإسلام، وإذا احسنا رفعنا إلى الإيمان فلا نخرج من الإسلام إلى الشرك" .

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليهم الصلاة والسلام) : قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "الإيمان معرفة بالقلب، وأقرار باللسان، وعمل بالأركان" . (٨٩)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) : عن جابر بن عبد الله، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .

قال: فقال جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة" . (٩١)

نماذج من السير

أولاً: نماذج من سيرة الرسول ((صلى الله عليه وآله وسلم))

١- آداب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه : "أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا قام عن الليل يستاك وإذا سافرسافر معه سبعة أشياء : القارورة والمقص والمكحلة والمرآة والمشط والسواك" . (٩٢)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) : "عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه رأى نغاشياً (٩٣) معجمتين أي قصيراً جداً ضعيف الحركة ناقص الحلق فخر ساجداً، ثم قال : اسأل الله العافية" . (٩٤)

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "أدب الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أحسن الأدب فقال : خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين، فلما وعى عن الله عز وجل ما أمره .

قال : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٩٥)

فلما قبل منه ما فوض إليه قال { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } . (٩٦) (٩٧)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) : " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : بعثت بكسر المزامير" . (٩٨) (٩٩)

عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) مرسلًا قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحب أن يأخذ من شاربه واطفاره يوم الجمعة . (١٠٠)

٢- صفات رسول الله (ﷺ)

عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) انه قال: كان رسول الله (ﷺ)، ضخماً الرأس، عظيم العينين، أهدب الاشفار (١٠١)، مشرب (١٠٢) العينين من حمرة، كث اللحية (١٠٣)، أزهر اللون، شئن الكفين والقدمين، اذا مشى تكفى كأنما يمشي في صبيب، واذا التقت التفت معا. (١٠٤)

٣- مكانة رسول الله (ﷺ) عند الله (عز وجل)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : قال رسول الله : اتاني جبرائيل (عليه السلام)، فقال : يا محمد، إن الله بعثني فطفت مشرق الأرض ومغربها، وسهلها وجبلها فلم أجد أحداً حياً خيراً من العرب، ثم أمرني، فطفت فلم أجد حياً أفضل من قريش، ثم أمرني فطفت فلم أجد حياً أفضل من بني هاشم، ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد نفساً خيراً من نفسك. (١٠٥)

٤- حجة رسول الله (ﷺ)

ذكر ابن عبد البر (١٠٦) حجة رسول الله (ﷺ) عن الامام الباقر (عليه السلام) حيث يقول: "عن جعفر الصادق عن ابيه الامام الباقر (عليه السلام) قال: دخلنا على جابر بن عبد الله الانصاري وهو يومئذ قد ذهب بصره فسأل القوم حتى انتهى ألي فقلت أنا محمد بن علي بن الحسين، وأنا يومئذ غلام شاب فرحب وسهل ودعا لي فقالوا: جئنا نسألك فقال لي سل عما شئت يا ابن اخي فقلت اخبرني عن حجة رسول الله (ﷺ) قال: أن رسول الله (ﷺ) مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشر أن رسول الله حاج، فقدم بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله (ﷺ) ويعمل بمثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس (١٠٧) محمد بن ابي بكر (١٠٨) فأرسلت الى رسول الله (ﷺ) كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واشعزي بثوب و أحرمي، وصلى رسول الله (ﷺ) في المسجد ثم ركب القصواء (١٠٩) حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصري بين يديه من راكب وماش عن يمينه ويساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله (ﷺ) بين اظهرنا وعليه ينزل القران وهو يعلم تأويله فما عمل به من شيء عملناه ٠٠٠"

عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول ((لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، يضع ذلك ثلاث مرات ويدعو)). (١١٠)

"عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نحر بدنه بالحربة وهو بمنى، وقال: هذا المنحر وكل منحر". (١١١)

"عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : تصلى الصلاتان جميعاً بالمزدلفة (١١٢) بأذان واحد وإقامتين". (١١٣)

٥- وصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحرب

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : وجد في قائم سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) صحيفة

فيها مكتوب " ملعون من أظلم أعمى عن السبيل، ملعون من سرق تخوم (١١٤) الأرض، ملعون من تولى غير مواليه أو قال : ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه". (١١٥)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "في درع النبي حلقتان من فضة عند موضع الشذوة وفي ظهرها حلقتان من فضة أيضاً، وقال : لبستها فطفت الأرض". (١١٦)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن ابائه عن علي (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان اذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه ولمن معه من المسلمين خيراً، وقال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تقاتلوا القوم حتى تحتجوا عليهم بأن تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، والإقرار بما جئت به من عند الله فإن اجابوكم فأخوانكم في الدين ثم ادعوهم حينئذ إلى النقلة من دارهم إلى دار المهاجرين فإن فعلوا وإلا فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين وليس لهم الفياء في الغنيمة نصيب فإن أبوا من الإسلام فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أجابوا إلى ذلك فأقبلوا وكفوا عنهم وإن أبوا فاستميتوا بالله عليهم وقتلوهم ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة". (١١٧)

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: " قدم ناس من المدينة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ما شعاركم؟

قالوا : حرامٌ .

قال : بل شعاركم حلال . (١١٨)

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر : قال : نهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل . (١١٩)

عن الإمام الباقر عن ابائه عن علي (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اذا لقي العدو عباً الرجاله وعباً الخيل وعباً الأبل . (١٢٠)

وكذلك قال (عليه السلام) : " ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التقى هو والمشركون من قريش ببدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشر من رمضان " (١٢١)

٦- وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام)

عن الإمام الباقر عن أبيه عن علي (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : " يا علي أن اليقين أن لا ترضي أحد بسخط الله، ولا تحمدن أحداً على ما آتاك الله، ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتكَ الله فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يخرجه كراهة كاره فإن الله عز وجل بحكمته وفضله جعل الروح والفرج في اليقين والرضى .. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، فإنه لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعوز من العقل ولا وحدة أوحش من العُجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا عبادة كالتفكير، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان " . (١٢٢)

٧. ذكر ملك الموت

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ارفق بصاحبي فإنه مؤمن رقيق، وأعلم أن من أهل بيت مدرٍ ولا شعر في بر ولا مجر إلا وأنا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى أنا لأن

أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضةٍ ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها". (١٢٣)

٨. تغسيل رسول الله (ﷺ)

عن جعفر الصادق (عليه السلام) عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) قال: "غسل رسول الله (ﷺ) وعليه قميص وكفن في ثلاثة اثواب وثوبين صحاريين وثوب صبرة". (١٢٤)

وكذلك قال الامام الباقر (عليه السلام): "ان رسول الله (ﷺ) غسل في قميص". (١٢٥)

وقال (عليه السلام) "غسل رسول الله (ﷺ) ثلاث غسلات كلهن بماء وسدر" (١٢٦)(١٢٧)

الهوامش والمصادر والمراجع

^١ (المقطوع: وهو مالم يتصل بسنده، لا يدري من رواه. ابن حزم، النبذة الكافية، ص ٢٩؛ الاشبيلي، ابي العباس احمد بن فرج (ت ٦٩٩هـ/ ١٢٩٦م)، الغرامية في مصطلح الحديث، تح: مرزوق الزهراني، ط ١، (المدينة: دار المآثر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٦٢.

^٢ (موصول: وما اتصل سنده بسماع كل راوٍ فمن فوقه إلى منتهاه، مرفوعاً إلى رسول الله (ﷺ) أو الصحابي والموصول هو أعم من المرفوع والموقوف. الاشبيلي، الغرامية، ص ٦١.

^٣ (حجة الوداع: يقال لها حجة الإسلام وحجة البلاغ وحجة الكمال وحجة التمام ولم يحج الرسول غيرها. محمد الفاسي، مستعذب الاخبار، ص ٣٠٤، ص ٣٠٩.

^٤ (النعمان، المناقب، ص ٣٢٧.

^٥ (المرسل: ما يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعين فيقول التابعي قال رسول الله (ﷺ)، أو عن رسول الله (ﷺ) وهو ما رفعه تابعي كبير إلى رسول الله (ﷺ). الداني، ابي عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، علم الحديث "بيان المسند والمرسل والمنقطع"، تح: علي بن احمد الكندي، ط ١، (ابو ظبي: مؤسسة يمنونة للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٣٠؛ ابن عبد البر، التمهيد، ج ١، ص ١٩؛ الاشبيلي، الغرامية، ص ٣٥.

^٦ () التفسير: هو العلم بمدلوله القرآن وخاصته وكيفية دلالاته ومتشابهة والناسخ والمنسوخ. ابن عرفة، محمد بن محمد (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، تفسير ابن عرفة، تح: جلال الاسيوطي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ج١، ص١٩.

^٧ () الولاية: الامارة، وهي من وليت الشيء. القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج٨، ص٥٦.
^٨ () سورة سبأ (آية - ٢٠).

^٩ () النعمان، شرح الاخبار، ج١، ص٢٣٧ .

^{١٠} () سورة طه (آية ٨٢) .

^{١١} () الفضيلي، الدرر البهية، ج١، ص٤٨.

^{١٢} () النعمان، شرح الاخبار، ج١، ص٢٣٨ .

^{١٣} () سورة النحل (آية - ٤٣) .

^{١٤} () المالكي، الفصول المهمة، ص٨٨٩؛ النعمان، دعائم الإسلام، ج١، ص٢٨٧ .

^{١٥} () سورة الإسراء (آية - ٨٩) .

^{١٦} () الصلاة: مأخوذة من الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه، كذلك مشتقة من المصلى من الخيل لان

النبي (ﷺ) اول من صلى مع جبريل (ﷺ) فكان تابعاً وكان كل من بعده مصلياً. الرجراجي، ابي

الحسن علي بن سعيد(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة

وحل مشكلاتها، ط١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، ج١، ص١٩٢

^{١٧} () الزكاة: مافضل عن قوتهم ومن كان ذا حرث اخذ قوته سنه وتصدق بالفضل وان كان ذا صنعه اخذ

قوت يومه وتصدق بالفضل، تؤخذ الزكاة من المسلمين تطهيراً لهم . الداوودي، الاموال،

ص١٣٥١٥١

^{١٨} () الفرائض :هي الأوامر التي يثاب على فعلها ، ويعاقب على تركها . ادريس الحسيني ، احمد ،

فتوحات الاله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك ،(مستغانم : المطبعة العلاوية ، ١٤١٥هـ/

١٩٩٤م) ، ص١٤٣ .

^{١٩} () النعمان ، شرح الاخبار ، ج١، ص٢٣٩ .

^{٢٠} () سورة النساء (آية - ٥٤) .

^{٢١} () النعمان، دعائم الاسلام، ج١، ص٢١ ؛ الفضيلي، الدرر البهية، ج١، ص٤٧ .

- ٢٢ () سورة عبس (آية - ٥) .
- ٢٣ () النعمان ، شرح الاخبار ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .
- ٢٤ () الحسن بن ابي الحسن البصري ، كانت امه مولاة لام سلمة زوج النبي (ﷺ) ، احد الممثلين لمذهب الجماعة . ابن خيثمة ، التاريخ الكبير ، مج ٢ ، ص ١٠٥ ؛ حمدة ، المدارس الكلامية ، ص ٢٦ .
- ٢٥ () النعمان ، شرح الاخبار ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
- ٢٦ () سورة المائدة (آية - ٦٧) .
- ٢٧ () سورة المائدة (آية - ٣) .
- ٢٨ () النعمان ، شرح الاخبار ، ج ١ ، ص ١٠٣-١٠٤ ؛ دعائم الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٢٩ () سورة الحجر (آية - ٢١) .
- ٣٠ () القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ١٩٤ .
- ٣١ () سورة المؤمنون (آية - ١١١) .
- ٣٢ () القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص ٤٩١ .
- ٣٣ () سورة الجن (آية - ٣) .
- ٣٤ () القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ٢١ ، ص ٢٨١ .
- ٣٥ () سورة الشعراء (آية - ٩٤) .
- ٣٦ () القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٣٦-٣٧ .
- ٣٧ () سورة طه (آية - ٨١) .
- ٣٨ () سورة الفرقان (آية - ٧٥) .
- ٣٩ () المالكي ، الفصول المهمة ، ج ٢ ، ص ٨٩١ .
- ٤٠ () سورة غافر (آية - ٦٠) .
- ٤١ () سورة التوبة (آية - ١١٤) .
- ٤٢ () المقداد ، بينات من الهدى ، ص ١٧٠ .
- ٤٣ () سورة الانسان (آية - ١٢) .
- ٤٤ () المالكي ، الفصول المهمة ، ج ٢ ، ص ٨٩٢ .
- ٤٥ () سورة يونس (آية - ٨٩) .

- ^{٤٦} () ابن الآبار، التمهيد، ج ١، ص ٣٠١.
- ^{٤٧} () سورة النساء (آية - ٩٤) .
- ^{٤٨} () القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ١٧، ص ٥٠. ٥١ .
- ^{٤٩} () سورة إبراهيم (آية - ٤٨) .
- ^{٥٠} () سورة الإنبياء (آية - ٨) .
- ^{٥١} () القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٦٩-١٧٠ .
- ^{٥٢} () العلاء بن عمرو الانصاري، صحابي، شهد معركة صفين مع الامام علي (ع) . ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٨٧.
- ^{٥٣} () سورة الإنبياء (آية - ٣٠) .
- ^{٥٤} () المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٨٩١ .
- ^{٥٥} () الزهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، المزهّد القليل الشيء وانما سمي مزهدا لان ما عنده من قلته يزهد فيه، وشيء زهيد قليل. ابن منظور، لسان العرب، مادة(زهّد)، ج ٣، ص ١٩٦.
- ^{٥٦} () البزري، الجوهرة في نسب النبي (ع) ، ج ١، ص ٢٢٤ .
- ^{٥٧} () القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ٤١٩/٨ .
- ^{٥٨} () المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٢٨٦ .
- ^{٥٩} () المالكي، م، ن، ج ٢، ص ٢٨٧ .
- ^{٦٠} () الحصري، زهرة الآداب، ج ١، ص ٧٧ .
- ^{٦١} () الحصري، م، ن، ج ١، ص ٧٧ .
- ^{٦٢} () البزري، الجوهرة في نسب النبي (ع) ، ج ١، ص ٢٢٥ .
- ^{٦٣} () المقداد، بينات من الهدى، ص ١٣٨ .
- ^{٦٤} () المالكي، الفصول المهمة، ج ١، ص ٧٨٧ ؛ المرداسي، الاشراف، ص ١١٩-١٢٠ .
- ^{٦٥} () المالكي، م، ن، ج ١، ص ٨٨٧ ؛ المقداد، بينات من الهدى، ص ١٠٠ .
- ^{٦٦} () اللبناني، المدخل الى تاريخ التشيع، ص ٩١ .
- ^{٦٧} () المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٨٨٨ .

- ^{٦٨} (الغماري، أحمد بن محمد الصديق، (ت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، الاستعاذة والحسيلة ممن صحح حديث البسمل، (القاهرة : مكتبة القاهرة، د.ت) ص ١٨ .
- ^{٦٩} (الهاشمي ، نور الدين ، تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة ، (د م : د ت) ، ص ٥٣ .
- ^{٧٠} (الحمق: الكساد، وأهو وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه . الجوهرى، الصحاح، مادة(حمق)، ج ٤، ص ١٤٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة(حمق)، ج ١٠، ص ٦٧.
- ^{٧١} (الشحناء: هي العداوة، ويراد بالمشاحن هو صاحب البدعة والمفارقة لجماعة الامة وقل المشاحنة ما دون القتال من السب وقيل هو الاستعبار عند استقبال البكاء . ابن منظور، لسان العرب، مادة (شحن) ج ١٣، ص ٢٣٤.
- ^{٧٢} (ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تح : محمد مرسي الخولي،) بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت)، ج ٢، ص ٤٢٩ .
- ^{٧٣} (المختال: المتكبر . ابن منظور، لسان العرب، مادة (الخاء المعجمة)، الجزء ١١، ص ٢٢٨.
- ^{٧٤} (ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ج ٢، ص ٤٤٤٠ .
- ^{٧٥} (الغيظ: أشد غضب ، وهو الحرارة التي يجدها الانسان من فوران دم قبه . الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة(غول) ، ص ٦٢٩.
- ^{٧٦} (ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج ١، ص ٧٢؛ أدب المجالس وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الاعراب وغير ذلك، تح: سمير حلي، (دار الصحابة للتراث، د.ت)، ص ١١٨؛ المالقي، ابي القاسم (ت ٧٨٣هـ/١٤٠١م) ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح : علي سامي، (المغرب: دار الثقافة، ١٩٨٤)، ص ١٠٩ .
- ^{٧٧} (ميارة، محمد بن احمد(ت ١٠٧٢هـ/١٦٩٢م) ، الدر الثمين والموارد المعين، تح : عبد الله المشاوي، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨)، ص ٦١٧ .
- ^{٧٨} (القرآن معناها التأليف، قراء الرجل إذ اجمع والفاء قولاً، وان القرآن مصدر من قرأ اذا تلى الثعالبي، الجواهر الحسان، ج ١، ص ١٥٠. ١٥١.
- ^{٧٩} (تجافى: لم يلزم مكانه وهو خلاف البر نقيض الصلة. ابن منظور، لسان العرب، (مادة جفا)، ج ١٤، ص ١٤٧.
- ^{٨٠} (الغيث: المطر. الجوهرى، الصحاح تاج اللغة، مادة (غيث)، ج ١، ص ٢٨٩.

- ^{٨١} () البناني، مدخل الى تاريخ التشيع، ص ٩١ .
- ^{٨٢} () ابن عبد البر، بهجة المجالس، ص ٧٦٧ .
- ^{٨٣} () المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٨٨٧ .
- ^{٨٤} () المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٨٨٨ .
- ^{٨٥} () المالكي، م، ن، ج ٢، ص ٨٨٦-٨٨٧ .
- ^{٨٦} () المقداد، بينات من الهدى، ص ١٧١ .
- ^{٨٧} () ابن حزم، الاصول والفروع، ص ٦٩ .
- ^{٨٨} () التمهيد، ج ٩، ص ٢٥٠ .
- ^{٨٩} () ابن موق، محمد بن ابي يحيى بن ابي بكر (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٦٢م) ، بغية النقاد والنقطة فيما أخل به كتاب البيان واغفله أو الم به فما تممه ولا كمله، تح: محمد جزستاني، (الرياض: اضواء السلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٤)، ج ٢، ص ٢٠٤ .
- ^{٩٠} () الشفاعة: هي الوسيلة والطلب، وهي سؤال الخير للغير. الادريسي الحسني، فتوحات الاله، ص ٧٣ .
- ^{٩١} () ابن عبد البر، التمهيد، ج ١٩، ص ٦٩ .
- ^{٩٢} () النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ١١٨؛ ابن عبد البر، صحيح جامع بيان العلم وفضله، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت)، ص ٧١ .
- ^{٩٣} () النغاش: القصير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (النون)، ج ٦، ص ٣٥٧ .
- ^{٩٤} () النعمان، دعائم الاسلام، ج ١، ص ١٨٢ .
- ^{٩٥} () سورة القلم (آية - ٤) .
- ^{٩٦} () سورة الحشر (آية - ٧) .
- ^{٩٧} () البزي، الجوهره في نسب النبي (ﷺ)، ج ١، ص ٢٢٥ .
- ^{٩٨} () المزامير: قصب يغنوا فيها ويقال القصبه التي يزمر بها زمارة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (الزاي المعجمة)، ج ٤، ص ٣٢٧ .
- ^{٩٩} () القرطبي، الجامع لاحكام القران، ج ١٦، ص ٤٥٩ .
- ^{١٠٠} () الغماري، جمال الدين ابي ايسر عبد العزيز الصديق، اتحاف ذوي الهمم العالية بشرح العشماوية، (بيروت: لبنان، دار البشائر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨)، ص ١١٤ .

- ^{١٠١} () أهدب الاشفار: أي طويل شعر الاجفان . ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدب)، ج ١، ص ٧٨٠.
- ^{١٠٢} () مشرب: الاشراب هو لون قد أشرب من لون . الزبيدي، تاج العروس، مادة (شرب) ، ج ٣ ، ص ١١٣.
- ^{١٠٣} () كث اللحية: كثرة اصولها وشعرها وانها ليست بدقيقة ولا طويلة وفيها كثافة. ابن منظورن لسان العرب، مادة(كث)، ج ٢، ص ١٧٩.
- ^{١٠٤} () ابن عبد البر، الاستنكار، ج ٨، ص ٣٣١ .
- ^{١٠٥} () الإدريسي، مصابيح البشرية ، ص ١٦ .
- ^{١٠٦} () الدرر في اختصار المغازي والسير، تح:شوقي ضيف، (القاهرة: لجنة أحياء التراث الاسلامي، ١٣٨٦هـ/١٩٦١م)ص٢٧٩-٢٨٠ .
- ^{١٠٧} () اسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب الخثعمية، وهي اخت ميمونة زوج النبي (ﷺ)، كانت اسماء من المهاجرات في الاسلام . ابن عبر البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٨٤-١٧٨٥.
- ^{١٠٨} () محمد بن ابي بكر، امه اسماء بنت عميس، وياه الامام علي(ﷺ) مصر، فسار اليه عمرو بن العاص فدخل في خربة فيها حمار ميت فدخل في جوفه فاحرقه في جوف الحمار . ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٦٦.
- ^{١٠٩} (٤) القصواء: هي ناقة الرسول. القرطبي، الجامع لاحكام القران، ج
- ^{١١٠} () ابن عبد البر، الاستنكار، ج ٤، ص ٢٢٣ .
- ^{١١١} () ابن عبد البر، التمهيد، ج ٢٤، ص ٢٢٤ .
- ^{١١٢} () مزدلفة: تقع بشرقي مكة، وهي بسيط من الارض فسيح بين جبلين وحولها مصانع وصهاريج للماء، وبين منى وعرفة ٥ اميال. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٤٠٥.
- ^{١١٣} () ابن عبد البر، التهيد، ج ٩، ص ٢٦٦ .
- ^{١١٤} () تخوم: منتهى كل قرية او ارض، وتخومها أي حدودها. الجوهرى، الصحاح، مادة (تخم)، ج ٥، ص ١٨٧٧.

- ^{١١٥} (الخزاعي، علي بن محمد(ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (ﷺ) من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تح: احسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٤٢٧.
- ^{١١٦} (الكتاني، محمد بن جعفر ، نظم المتناثرة من الحديث المتواترة، ط٢،(مصر: دار الكتب السلفية للطباعة والنشر، دت)، ص ١٨٠ .
- ^{١١٧} (النعمان، دعائم الاسلام، ج١، ص ٣٦٩ .
- ^{١١٨} (النعمان، م، ن، ج١، ص ٣٧٠ .
- ^{١١٩} (ابن عبد البر، التمهيد ، ج١٠، ١٢٥ .
- ^{١٢٠} (النعمان، دعائم الاسلام، ج١، ص ٣٧٢ .
- ^{١٢١} (ابن خيثمة، أخبار المكيين ، ص ١٥٥ .
- ^{١٢٢} (الغماري، ، المداوي العلل لجامع الصغير وشرح المناوي، (مصر: دار الكتب، دت)، ج١، ص ٣٣.
- ^{١٢٣} (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ١٩ .
- ^{١٢٤} (ابن عبد البر، الاستنكار، ج٣، ص ٣ .
- ^{١٢٥} (ابن عبد البر، م، ن، ج٣، ص ٣ .
- ^{١٢٦} (سدر: شجر النبق . الزبيدي ،تاج العروس، مادة(سدر)، ج ١١، ص ٥٢٥.
- ^{١٢٧} (ابن عبد البر، التمهيد، ج١، ص ٣٥٥ .

الآلات الزراعية في المشاهد الفنية

ختام ماهود مسلم

أ.د. كاظم عبد الله عطية

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار

الآلات الزراعية في المشاهد الفنية

ختام ماهود مسلم

أ.د. كاظم عبد الله عطية

الخلاصة:

استعملت الآلات الزراعية منذُ بداية الاستيطان منذُ ان بدأ الانسان يتفاعل مع البيئة ويستغلها لتلائم مع حياته فبدأ فصنع آلاته وأدواته من مختلف المواد المتوفرة في بيئته الطبيعية. ولها أهمية كبيرة في حياته فهو يعمل جاهداً لصناعتها من أجل خدمته وتتفاوت في أهميتها فهناك أنواع منها استعملت في قطع الأشجار كالمنشار والأخرى وفي حرث الارض كالمحراث وبذر البذور كالمذراة.

ولم يتم العثور على مشاهد فنية تخص بعض الآلات والأدوات التي استعملت في الاعمال الزراعية كالفأس مثلاً والمجرفة والمنجل وغيرها لكن في الوقت نفسه جاءت إلينا هذه النماذج على شكل لقى أثرية ومن مواقع عديدة لبلاد الرافدين ومن ضمن الكتابات المسمارية.

الكلمات المفتاحية: الآت الزراعية، المشاهد الفنية، الزراعة، القرى

Abstract:

Agricultural Machinery in Artistic Scenes

**Prof. Dr. Kazem Abdullah Khitam Mahood Muslim
Attia**

**University of Baghdad / College of Arts / Department of
Archeology**

Agricultural machinery has been used since the beginning of settlement, since man began interacting with the environment and exploiting it to suit his life, so he began making his machines and tools from the various materials available in his natural environment.

It has great importance in his life, as he works hard to manufacture it for his service, and it varies in importance. There are types of it used in cutting trees, such as saws, and others, and in plowing the land like a plow, and sowing seeds like a pitchfork.

No technical scenes were found related to some of the machines and tools that were used in agricultural work, such as the axe, shovel, sickle, etc., but at the same time these models came to us in the form of archaeological finds and from many sites of Mesopotamia and among the cuneiform writings.

Keywords: Agricultural Machinery, Artistic Scenes, Agriculture, Villages

مقدمة

وجدت أولى القرى الزراعية في الجزء الشمالي من بلاد الرافدين ثم انتشرت في القسم الأوسط منه ووجدت طلائع المدن (البدراوي، ١٩٨٥، ص ٢٨٥). وشهد العصر الحجري الحديث تحولات كبيرة ومن أهمها اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوان ونشوء القرى الزراعية وتميزت صناعة الآلات والأدوات الحجرية بعلاقتها بالنشاطات الاقتصادية فضلاً عن صناعة الفخار بأشكال وأحجام مختلفة (كسار، ١٩٨٧-١٩٨٨، ص ٢٤٤). واهتدى سكان بلاد الرافدين للزراعة منذ عصور مبكرة إذ انتقل بواسطتها من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة إنتاج القوت (القره غولي، ٢٠٢٠، ص ٧). وكانت الآلات الزراعية بدائية وبسيطة مصنوعة من العظم أو الحجر إذ استعمل الفأس الحجري والمحراث أولى تلك الآلات إلى جانب المناجل والمجارش (سليمان، ١٩٩٣، ص ٢٢٨). وكان الانتاج الزراعي في العصور القديمة ضئيلاً كل قرية تزرع ما تحتاج إليه من المحاصيل إلا أن بعض المزارعين لم يتبع تلك القاعدة ولذلك ظهر فائض الانتاج للمقايضة يستدل على ذلك عن طريق استيراد مواد من مدن أخرى على اساس المبادلة (الدباغ، ٢٠٠٠، ص ٢٣). وبمرور الوقت تطورت الزراعة وصاحب ذلك تطور الآلات وأصبحت أكثر تطوراً شبيهة بالآلات في الوقت الحاضر إذ استعملت المعادن في العصر الحجري المعدني في صنع السكين والمحراث والفأس (سليمان، ١٩٩٣، ص ٢٢٨). وأهتموا بأعمال الري وتنظيم السدود وفتح القنوات وعرفوا موسم الفيضان والطرائق الكفيلة لحماية المزارع من اخطارها (سليمان، ١٩٨٨، ص ٩٦). وعرفوا التقويم وصناعة الآلات الزراعية وإقامة الشعائر الخاصة بالزراعة وقدموا

النذور والقرايين للآلهة لتحمي محاصيلهم من الآفات الزراعية(اسماعيل و حسين، ٢٠١٠ ، ص١٩٠). ان هذا التقدم في الزراعة وضع أسس المجتمعات القروية وعدّ انقلاباً شاملاً في حياة الانسان ليس في مجال الزراعة وتأمين حاجته الغذائية، بل أدى إلى تطورات شتى منها ظهور الملكية(ملكية الحقول والحيوانات المدجنة والأدوات وغيرها)وكما أدى إلى استقرار الانسان بجوار أرضه وبناء البيوت والمخازن لحفظ المحاصيل. (النجم، ٢٠٠٦ ، ص٣٧-٣٨).

ومن الآلات الزراعية التي وردت في المشاهد الفنية والتي استعملها الفلاح في بلاد الرافدين في عملية حرث الأرض وزراعتها:

اولاً:المذرة

صور المذرة في العديد من الاعمال الفنية ومن أهم هذه النماذج هو مشهد تقديم هدايا في ختم أسطواني من عصر جمدة نصر على يمين المشهد شخص ربما كاهم او حاكم.(Heinrich,E.,1936,Taf.18) يرتدي غطاء الرأس(العصابة) ووزرة طويلة تاركاً الصدر عارياً ويمسك بكلتا يديه شوكة او مذرة وهي عبارة عن شكل اسطواني تعلوها ثلاث رؤوس(طاهر، ٢٠١٧ ، ص٦٢). ينظر شكل رقم(١)

صور المذرة أيضاً في ختم أسطواني من عصر جمدة نصر على يمين المشهد إلهة ربما تمثل الإلهة اينانا وهي تمسك بكلتا يديها برمزها(حزمة القصب) (Furlong,I.,1987,p.368, fig.XXIII). يقف أمامها رجل يرتدي غطاء الرأس يمسك بيديه شوكة أو مذرة..(Heinrich,E.,1936,Taf.18) ينظر شكل رقم (٢)

صور المذرة أيضاً في ختم أسطواني من عصر جمدة نصر إذ يصور إلهة ربما تمثل الإلهة اينانا على يسار المشهد تمسك بكلتا يديها برمزها(حزمة القصب) (Amiet,P.,1961,Pl.45). يقف أمامها رجل ربما كاهن او حاكم يرتدي العمامة يحمل بيده المذرة وصور بينهما سلال بأحجام كبيرة. (الحيالي، ٢٠١٦ ، ص٣٩٨). ينظر شكل رقم (٣)

في الاشكال(١-٣) تبين استخدام المذرة بشكل مقبض طويل تعولها شوكات مسننة يحمله حاكم او كاهن ويقف الى جانب سلال كبيرة محملة بالغلل لتقديمها للإلهة.

ثانياً: المحراث

صور المحراث أيضاً في مشهد حراثة الأرض في ختم أسطواني من العصر السومري القديم يصور شخصين على يمين المشهد يمثل الرجل الثور وهو يمسك بالمحراث يقف امامه رجل يضغط على طرف المحراث تجره حيوانين (بوتس، ٢٠٠٦، ص ١٢٨)، صور المحراث يعلو جزء منه على ظهر الحيوان والجزء الاخر يُسحب خلفه يمسك به الشخصين من كلا الطرفين من اجل حراثة الارض. ينظر شكل رقم (٤)

نحت المحراث أيضاً في مشهد اسطوري في ختم أسطواني من العصر السومري القديم، صور على يمين المشهد مخلوق مركب يحمل محراثاً ثبت على ظهره يقف خلفه مخلوق خرافي (برأس انسان وجسم طائر) يمسك بكلتا يديه غصن او الشوكة ذات الرؤوس الثلاثة التي ترتبط بالإله ادد اله البرق والرعد وبهذا تكون الرموز الحراثة والمطر اساس الزراعة. (بوتس، ٢٠٠٦، ص ١٢٨). ينظر شكل رقم (٥)

صور المحراث أيضاً في مشهد اسطوري في ختم أسطواني من العصر السومري القديم، صور على يمين المشهد رجل بارك عاري يمسك بيده اليسرى ما يشبه الصولجان ويمسك باليد اليسرى رأس مخلوق مركب من رأس بشري وجسم حيواني (Amiet,P.,1961 (pl.106,fig.1404)، صور على يسار المشهد رجل عاري بارك على ركبته يحمل بيده اليمنى صولجان وباليد اليسرى يمسك ذيل المخلوق المركب صور فوق ظهر المخلوق المركب محراث الى جانبه شكلين كرويين اقرب للجرة الكروية التي كانت تستعمل لخرن الحبوب التي تنتشر في عملية الحراثة (بوتس، ٢٠٠٦، ص ١٢٨). ينظر شكل رقم (٦)

صور المحراث أيضاً في مشهد حراثة في ختم أسطواني من العصر الاكدي، لخمسة اشخاص يمسك الذي على يسار المشهد المحراث بكلتا يديه بينما يقوم الثاني بوضع بذور في قمع المحراث والى الاعلى منه شخص تبادل له الحبوب ثم شخصان يحمل الاول عصا بينما يحمل الاخر سوط لتوجيه ثيران الحراثة. (Ward,W.H., 1910, p.133) وصور المحراث لبذر البذور اذ يمسك بطرفيه رجل والطرف الاخر يعلو ظهر الحيوان. ينظر شكل رقم (٧)

نحت المحراث أيضاً في مشهد حراثة في ختم اسطواني من العصر الاكدي يصور ثلاثة رجال يمسك الرجل على يسار المشهد بمحراث بكلتا يديه ويضغط الثاني على طرف المحراث بعصا بينما يقوم الثالث بقيادة الثور الذي يجر المحراث صور فوق الثور ووسط المشهد طائران محلقان. (Ward, W.H., 1910, p.132) ينظر شكل رقم (٨)

صور المحراث أيضاً في مشهد ديني (تقديم متعبد يحمل قربان) في ختم أسطواني من العصر الاكدي يصور إله جالس على يمين المشهد يضع على رأسه التاج المقرن يمسك بيده اليسرى محراثاً (ربما يمثل الاله ننورتا كون المحراث احد رموزه وعد اله الزراعة والحراثة) يقف أمامه إله يضم يده اليسرى إلى صدره ويمسك بيده اليمنى يد رجل يقف خلفه يحمل بيده الماعز صور بين الإله الثاني والرجل رموز ربما تمثل خنجر أو سيف. (الحيالي، ٢٠١٦، ص ٤٠٣). ينظر شكل رقم (٩)

صور المحراث أيضاً في ختم أسطواني من العصر نفسه يصور إله جالس على يسار المشهد يضع على رأسه التاج المقرن ربما يمثل إله الخصوبة (نينگرسو Ningirsu من خلال رمز المحراث الذي عُدها للزراعة والري في بلاد الرافدين) يقف في حضرته ثلاثة الهة ثانوية تتوسطهم أله ترفع بيدها غصن يتلوها أله يحمل بيده اليسرى محراثاً ويضم الأخرى على صدره وصور بين الإله الجالس والإله الأول منضدة يرتكز عليها عمود أو رمح. (رشيد و الحوري، ١٩٨٢، ص ٧٤) ينظر شكل رقم (١٠)

صور المحراث أيضاً في ختم أسطواني من العصر الاكدي صور فيه إله جالس على يمين المشهد ملتحي تبرز من كتفيه سنابل (قمح أو شعير) ويمسك بيده سنابل ويقف في حضرته ثلاثة آلهة يرتدون ثياباً متشابهة يمد الأول يديه باستقامة نحو الإله الجالس، ويمسك الثاني المحراث بيديه (مثل بشكل عصا طويلة يعلوها شكل قمعي بثلاث خطوط واحدها اقصر طولاً ربما يمثل رمز الاله الجالس)، ويحمل الثالث الحنطة بيديه. (Ward, W.H., 1910, p.133) ينظر شكل رقم (١١)

نحت المحراث أيضاً في ختم أسطواني من العصر الاكدي لإلهة جالسة على يمين المشهد تحمل بيدها اليمنى سنابل وأمامها منضدة وضع عليها ما يشبه القدر الصغير وعلى

يسار المشهد يقوم شخص بالحرثة يمسك بيديه محراث موجه للأسفل كما لو كان يحرت. (Ward,W.H.,1910,p.134) ينظر شكل رقم (١٢).

نحت المحراث أيضاً في ختم أسطواني من العصر الاكدي صور في المشهد شخص جالس على يسار المشهد ربما يمثل (حاكم أو كاهن) يعتمر على رأسه عصا يمسك بيده اليمنى عصا ويرفع باليد اليسرى ما يشبه الهلال ويقف أمامه ثلاثة رجال يمسك الأول بيده اليسرى محراثاً مثبت على الأرض (وصور بشكل مختلف عن النماذج السابقة بشكل معقوف من الاعلى وكأنما يقدم للإله الجلس)، وصور بين الرجل الثاني والثالث الذي يحمل ماعز على كتفه الايسر ما يشبه الرمح الصغير. (Ward,W.H.,1910,p.134) ينظر شكل رقم (١٣) صور المحراث أيضاً في ختم أسطواني من العصر الاكدي على يمين المشهد إله واقف يرتدي وزرة مفتوحة من الامام يرفع بيده اليمنى محراثاً والأخرى آلة تشبه المذراة مثبت على كتفه ويضع قدمه اليمنى على شكل نصف كروي ربما (يرمز للجبل) ربما يمثل الإله شمش يقف أمامه رجل وامرأة يمسك الرجل بيده كأس ويقوم بالسكب على أنائين يبدوا انهما ملتصقين وضعها بينه وبين الإله. (Ward,W.H.,1910,p.134) ينظر شكل رقم (١٤)

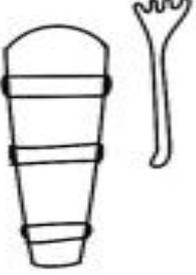
كما نحت المحراث في مشهد لإله القارب على ختم أسطواني من العصر السومري القديم يمثل إلهاً جالساً على كرسي في قارب يتجه نحو اليسار، يرفع يده اليمنى إلى الأعلى وكأنه يمسك بها مجدافاً (Amiet,P.,1961, pl.108, Fig.1440)، مقدمة الإله القارب على هيئة انسان يمسك بيديه المجداف ومؤخرته شكل رأس حيوان (ربما فهد)، ويظهر في مؤخرة القارب كائن مركب في وضعية الوقوف وكأنه ينظر إلى رأس الفهد ويمسك عصا بيده ويبدو أنه مرافق لقارب الإله الرئيس (Furlong,I.,1987,,p.203 Fig.A-33) وأمام القارب حيوان خرافي على ظهره محراث، إن وجود المحراث أحد رموز الإله شمش ربما يشير إلى ان الإله الجالس في القارب هو الإله شمش. (ابراهيم، ٢٠١٤، ص ٨٩-٩٠). ينظر شكل رقم (١٥).

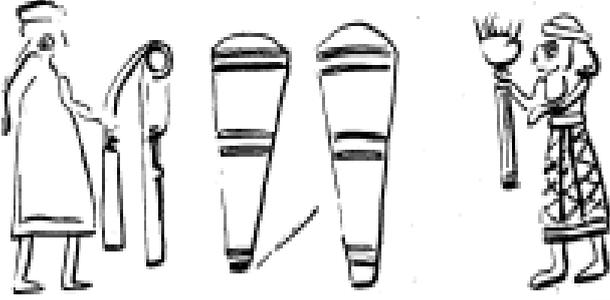
لم تستطع الباحثة الحصول على مشاهد فنية تصور لنا الات زراعية التي تدخل في عملية الزراعة مثل الفأس الذي استعمله الفلاح في حرث الأرض وصنع من البرونز والخشب والحجر (الدليمي، ١٩٩٦، ص ٧٥). والمنجل الذي استعمل لحصاد الحبوب كالقمح

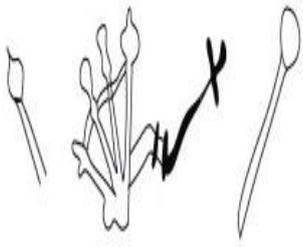
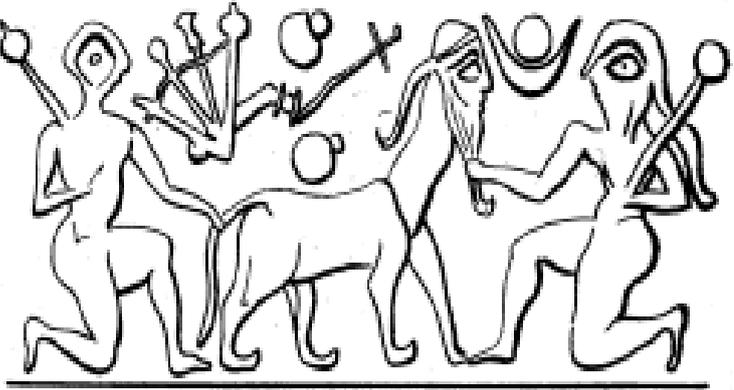
الآلات الزراعية في المشاهد الفنية

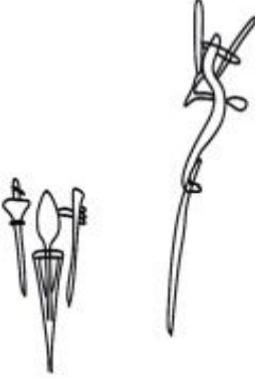
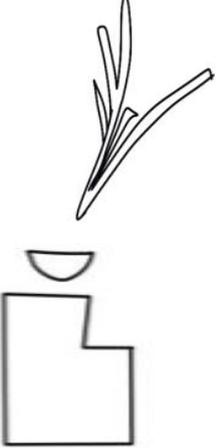
والشعير وقطع الأدغال والقصب وصنع مقبضه من الخشب اما النصل كان يصنع من الفخار او المعدن وثبت بمادة القار(حمودي، ٢٠٢١، ص ٢٧٢). والمجرفة التي استعملت في جرف التربة تصنع من مقبض خشبي ومثبت بحجرة كبيرة مفلطحة وثم أصبحت من البرونز(سعيد، ١٩٨٥، ص ٦٢). والمجارش والمطاحن والمطارق وغيرها من الأدوات التي استعملت في الحياة او المجتمعات الزراعية التي كانت تصنع غالباً ما من الحجر(احمد، ١٩٩٢، ص ١٥٨). إلى ان بدأ استعمال المعادن إذ صنع بعضها من البرونز والنحاس واستعملت لطحن الحبوب وأعداد الطحين فيما استعملت الهواوين والمدقات في سحق بعض الخضروات المجففة ولتفتيت الحبوب عن قشورها. (العاني، ١٩٨٦، ص ١٠٢) ولقد تم العثور عليها بشكل لقي أثرية في مواقع أثرية عديدة تعود لحضارة بلاد الرافدين.

الاشكال

الالة او الاداة	الشكل
	 <p>شكل (١). Amiet, La Glyptique, pl.45.</p>

	 <p>شكل (٢) Furlong, I., Divine ,p.368,fig.(XXIII)</p>
	 <p>شكل (٣) Furlong, I, Divine, p.371,fig.xxv</p>
	 <p>شكل (٤) دانيال تي بوتس، حضارة، شكل ٣-٨.</p>
	 <p>شكل (٥) Amiet, La Glyptique,pl.106,fig.1402.</p>

	 <p>شکل (٦). ibid, pl.106,fig.1404.</p>
	 <p>شکل (٧). Ward ,W.,The Seal,Fig.371.</p>
	 <p>شکل (٨). ibid, Fig.369.</p>

	 <p>شكل (٩). Ward ,W.,The Seal, Fig.377.</p>
	 <p>شكل (١٠) صبحي انور رشيد والحوري، حياة عبد، الاختام الاكديّة، شكل ١٩.</p>
	 <p>شكل (١١). Ward,W.H.,The Seal, Fig.374.</p>
	



الخاتمة:

- ١- عرف سكان بلاد الرافدين الزراعة وأقاموا الاحتفالات الخاصة وقدموا الأضاحي والقربان إلى الآلهة لتحمي المحاصيل من الآفات الزراعية والكوارث الطبيعية وقُدمت إليها بواكير الفواكه والمنتجات الزراعية التي مُثلت في الأعمال الفنية وكانت الآلات الزراعية بدائية وبسيطة مصنوعة من العظم أو الحجر إذ استعمل الفأس الحجري والمحراث أولى تلك الآلات إلى جانب المناجل والمجارش.
- ٢- استطاع سكان بلاد الرافدين من تصوير اغلب عاداتهم وتقاليدهم من خلال المشاهد الفنية والتي عبرت عن الحقول والزراعة والحراثة.
- ٣- مثلت الآلات الزراعية في مشاهد فنية عديدة منها مشاهد توضح استعمالها في حرث الأرض كالمحراث والمذراة في بذر البذور ولم يتم العثور على مشاهد فنية تخص بعض الآلات التي استعملت في الاعمال الزراعية كالفأس مثلاً والمجرفة والمنجل وغيرها لكن في الوقت نفسه جاءت إلينا هذه النماذج على شكل لقى أثرية ومن مواقع عديدة لبلاد الرافدين ومن ضمن الكتابات المسمارية.
- ٤- الآلات الزراعية في بلاد الرافدين لها أهمية كبيرة في حياة الانسان فهو يعمل جاهداً لصناعتها من أجل خدمته وهي تتفاوت في أهميتها فهناك أنواع منها استعملت في قطع الأشجار كالمنشار.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

١. ابراهيم، هالة كريم، (٢٠١٤). المواضيع الدينية في الاختتام الاسطوانية من عصر الوركاء الى نهاية العصر السومري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، بغداد.
٢. الاحمد، سامي سعيد، (١٩٨٥). "الزراعة والري"، حضارة العراق، ج٢، بغداد.
٣. احمد، سهيلة مجيد، (١٩٩٢). صناعة الاغذية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم التاريخ، الموصل.
٤. اسماعيل، خالد سالم و حسين، هيثم احمد، (٢٠١٠). "قوول الزراعة والاشجار والنباتات وقوول القنوات والابار في العصر البابلي(القديم والوسيط والحديث)"، مجلة سُر من رأى، مج٦، العدد ٣١، الموصل.
٥. البدرابي، عدنان مكي، (١٩٨٥). "نشأة القرى العراقية الأولى بين الاستيطان الأول وحتى العصر الحجري الحديث"، حضارة العراق، ج٣، بغداد.
٦. بوتس، دانيال تي، (٢٠٠٦). حضارة وادي الرافدين الاسس المادية، ت: كاظم سعد الدين، بغداد.
٧. حمودي، حسن مهدي، (٢٠٢١). "تطور صناعة المنجل في العراق القديم خلال العصر الحجري الوسيط حتى نهاية العصر الحجري المعدني"، مجلة اثار الرافدين، ج٢، مج٦، الموصل.
٨. الحياي، فيحاء مولود، (٢٠١٦). "الالهة والمشاهد الزراعية في فنون بلاد الرافدين"، مجلة الاداب، عدد ١١٨، بغداد.
٩. الدباغ، تقي (٢٠٠٠). "اصول الزراعة والرعي"، مجلة سبأ، العدد ٩، عدن.
١٠. الدليمي، كريم عزيز حسن، (١٩٩٦). الزراعة في العراق القديم منذ عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠-١٥٩٥ ق. م.، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، بغداد.
١١. رشيد، صبحي انور و الحوري، (١٩٨٢). حياة عبد علي، الاختتام الاكدي في المتحف العراقي، بغداد.
١٢. سليمان، عامر (١٩٩٣). العراق في التاريخ موجز التاريخ الحضاري، ج٢، الموصل.

١٣. سليمان، عامر، (١٩٨٨). "النظم المالية والاقتصادية"، موسوعة العراق في موكب الحضارة، ج١، بغداد .
١٤. طاهر، براق عبد الحسن، (٢٠١٧). الملابس في اختتام بلاد الرافدين في الالف الثالث قبل الميلاد دراسة اثارية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد .
١٥. العاني، عماد طارق توفيق، (١٩٨٦). الصناعات الحجرية حتى نهاية العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد.
١٦. القره غولي، زينة كريم عبد الله، (٢٠٢٠). مشاهد من الحياة اليومية في بلاد الرافدين في ضوء الواح فخارية غير منشورة من المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد.
١٧. كسار، اكرم محمد عبد، (١٩٨٧-١٩٨٨). "مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم منذ اواخر الالف السادس ق.م. حتى بداية النصف الثاني من الالف الخامس ق.م."، مجلة سومر، مج٤٥، ج١-٢، بغداد.
١٨. النجم، حسين يوسف، (٢٠٠٦). اقتصاد القرى الزراعية في العصرين الحجري الحديث والمعدني في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، الموصل.

ثانياً: المصادر الأجنبية

1. Amiet,P.(1961). La Glyptique Mesopotamienne Archique, Paris.
2. Furlong,I,(1987). Divine Headdresses of Mesopotamia in the Early Dynastic Period, London.
3. Heinrich,E., (1936). Kleinfunde Aus Den Archaischen Tempelschichten in Uruk, Berlin.
4. Ward,W.H.,(1910). The Seal Cylinders Western Asia, Washington.

**مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء
النصوص المسماية**

**لاوين جبار عثمان
أ.م.د. آرام جلال حسن
جامعة صلاح الدين – أربيل
كلية الآداب – قسم الآثار**

أ.م.د. آرام جلال حسن

لاوين جبار عثمان

المقدمة:

تعد مدينة كيليزي إحدى المدن الهامة في شمال بلاد الرافدين حيث كانت تعتبر عاصمة إقليمية لمنطقة واسعة تمتد من الجانب الغربي لوادي نهر شياوزور وصولاً إلى الزاب الأعلى، وبرزت أهميتها في العصر الآشوري الحديث بداية الألف الأول (ق.م) إذ أصبحت عاصمة المقاطعة الإمبراطورية الآشورية وشهدت ازدهاراً حضارياً كما أنها كانت على مر العصور محط إهتمام الملوك وبشكل خاص الملوك الآشوريين لما لعبته من أهمية بارزة في مختلف الجوانب الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية فضلاً عن موقع المدينة الإستراتيجي. يتألف الموقع من تل ومدينة سفلية محاطة بسور مزدوج، تم ذكر هذه المدينة في مؤلفات البريطاني (هنري لايارد) كما قام الإيطالي (جوزيبي فورلاني) بأعمال تنقيبات أولية في القرن الماضي في الموقع غير أن أحدث عملية تنقيبات للموقع وفق الأسس العلمية الحديثة أجريت سنة (٢٠١١) من قبل بعثة فرنسية إستمرت لمدة ثماني مواسم متتالية ومازالت مستمرة تم خلالها التوصل إلى تصور مبدئي عن تسلسل الطبقات التي تتألف منها التل وتم العثور على العديد من المكتشفات الأثرية والتي توثق تأريخه العريق التي تتضمن كل من الحضارة الخورية - الميتانية والآشورية الوسيطة والحديثة وصولاً إلى الفترات الهلنستية والثرثية ثم الفترات الإسلامية المبكرة والفترة العثمانية.

Abstract

The city of kilizi is one of the important cities in northern Mesopotamia as it was considered the regional capital of a large area extending from the western side of the Shiwazur River valley to the Upper Zab. And its importance emerged in the new Assyrian era at the beginning of the first millennium (BC) as it became the capital of the Assyrian imperial province and witnessed a civilized prosperity, it has also been throughout the ages the focus of the attention of kings especially the Assyrian kings because of the prominent importance it played in various economic, military, political and cultural aspects, as well as the city's strategic location. The site consists of a hill and a lower town surrounded by a double wall. This city was mentioned in the writings of British (Henry Layard), and the Italian (Giuseppe Forlani) carried out preliminary excavation in the last century at the site. However the most recent excavations of the site according to modern scientific bases were conducted in(2011) by a French mission that lasted for eight consecutive seasons and is still running out, enabled them to reach to initial idea about the sequence of layers that forms the hill, and many archaeological finds were found that document its ancient history, where included the Hurrian-Mitanni civilization and the Middle and New Assyrians, followed by Hellenistic and Parthian periods, then the early Islamic periods and the Ottoman period.

١-١- التسمية

كان بلاد آشور سابقاً يعرف بإسم بلاد سوبارتو (Subartu) والذي أشير إليه في المصادر المسمارية التي تعود إلى أواسط الألف الثالث ق.م (kur.su.bar.te) (Grayson,1991,P27) إذ يوجد نص يعود إلى الملك نرام سن^١ يشير إلى بلاد سوبارتو (KALAM ŠUBAR.KI) (Franye,1993,P89) الذي كان معروفاً في عصر فجر السلالات وهذه التسمية لا تعتبر سومرية أو أكديّة إنما ترجع إلى أقوام لم تصلنا من لغتهم إلا القليل منها. ويبدو أنهم كانوا أقرب إلى الخوريين^٢ إن لم يكونوا الخوريين أنفسهم. ومايؤيد هذا هو أن غالبية أسماء المدن القديمة والتي بقيت مؤهلة في العصور الآشورية^٣ هي نفسها، خير دليل على ذلك أرييل،أورييل،كوريائيل،بالخازي،خارخار،بال تيل

(آشور قديماً)، نينوى، كيليزي، خمازي وغيرها على الرغم من أن بعض هذه المدن قد تغيرت أسماءها فيما بعد منها بال تيل التي تم تغييرها إلى آشور.

تشير قوائم الملوك الآشورية والتي تضم تسعاً وعشرين حاكماً قبل بوزور آشور الأول بإعتبارهم ملوكاً مستقلين لبلاد آشور ولكن في الحقيقة لايعرف بشكل مؤكد عن أصلهم وتسلسلهم التاريخي وحتى فترة حكمهم (hlallow,1965,P220) ، ومن أوائل الحكام الذين تمكنوا من الإستقلال في مدينة آشور بعد سقوط سلالة أور الثالثة هو (كيكيا) الذي بنى أسوار مدينة آشور (Luckenbill,1926,P51). ويليه حاكم آخر يدعى (أكيا) لايعرف عنه الكثير ثم يليه (بوزورآشور) الأول و الذي يرجح أنه أسس سلالة جديدة لايعرف عنه شئ يعتقد به سوى أنه جاء من بعده (أتيه شالم آخي). نلاحظ أن أسماء الحكام الأوائل ليست أكديّة (آشورية- بابلية) ولا يتمت بأي صلة إليها، وإنما ترجع للغة السكان الأوائل الذين عاشوا في المنطقة قبل أكثر من ألف سنة من مجئ الآشوريين إلى المنطقة. فضلاً عن ذلك إن أغلبية أسماء المدن التي وردت في نصوص هذه الفترة ذات أصول خورية. و من هذا المنطلق نفترض إسم مدينة كيليزي والأسماء الأخرى التي سميت بها المدينة على أساس اللغة الخورية التي كانت سائدة في المنطقة.إن الرجوع إلى أصل تسمية المدينة ليس بالأمر السهل وذلك لورود إسم المدينة بأكثر من تسمية من جهة، كما إن التنقيبات الأثرية في الموقع من جهة اخرى لاتزال مستمرة ولم تصل إلى طبقة الأرض البكر، لكن من الممكن أن يتم إكتشاف معلومات جديدة حول أقدم إسم للمدينة من خلال التنقيبات المستقبلية. أما في الوقت الحالي فبناءً على نص مسامري تم العثور عليه من قبل سكان قرية ترجان تُتضمن معلومات مهمة جداً حيثُ يذكر أن المدينة كانت تعرف بإسم (توئي) (tu-e^{ki} في عهد ملكه المسمى (آرشتي- أنني) ابن الملك (شيريني) (Masetti- Roualt,2017,P3) من الواضح أن إسم الملك خوري، أما عن حقيقة تسمية (تل قصر شمامك) بهذا الإسم فهي بحاجة إلى المزيد من الأدلة والتي يمكن الحصول عليها مستقبلاً من خلال التنقيبات الأثرية . وتؤيد رئيسة بعثة التنقيب الفرنسي (Maria Gracia Masetti Raoult) أن (توئي) هو أقدم إسم للمدينة على الأقل حتى اليوم بما أن التنقيبات الأثرية لم تصل بعد إلى الطبقات التي ترجع إلى ما قبل الألف الثاني ق.م، لذا لا نملك معلومات عن

إسم المدينة قبل هذه الفترة ، على الرغم من إكتشاف بقايا أثرية ترجع إلى فترة عصر فجر السلالات الأول و نينوى (5) والذي يدل على أن المدينة كانت موجودة (Abu Al-Soof,1968,P80). وفي بداية الألف الثاني (العصر البابلي القديم) ذكر إسم المدينة بصيغة (ka-li-zi^{ki}) (Hallow1964,P88) كما جاءت بصيغة (ki-le-zi-im^{ki}) في أحد رسائل (تيشوب نيل) الذي أرسله إلى يسمح آد (Dossin,P104).

أما في العصر الآشوري الوسيط فقد ورد إسم المدينة بصيغة (kur ki-li-zi) حيث تم ضم المدينة إلى الإمبراطورية الآشورية على يد الملك آشور- أوبالط الأول كما جاء في أحد النصوص المكتشفة من مكتبة تجلات بليزر الأول (1114-1076) ق.م إذ يذكر النص معركة وقعت بين أنليل نيراري (1327-1318) ق.م والملك الكاشي كوريكالزو الثاني ، حيث أستطاع الملك الآشوري طرد الملك الكاشي في مدينة كيليزي. (Gryson,1975,P185) وفي سنة (2009) عثر على نص مسماري على طابوقة بناء ترجع إلى مدينة كيليزي ، و الذي يرجع إلى أيام حكم الملك شلمنصر الأول (1273-1244) ق.م وجاءت إسم المدينة فيها بصيغة (uru ki-li-zi) (التركي، 2012، ص 219)

كما ورد الإسم في العصر الآشوري الوسيط بصيغة (uru DU₃-zi) (Harper,1896,P 356) وهذه الكتابة الرمزية (السومرية - الأكديّة) في البداية كانت تقرأ بصيغة (uru kak-zi) حيث أن العلامة السومرية (DU₃) تقرأ (kak) أيضاً (لابات، 2004، ص 125) ولذلك كان إسم المدينة يقرأ بصيغة كاكزي إلى أن قام الباحث (ديلر-Deller) بتصحيح القراءة السابقة وغيرها إلى ((uru kal₃-zi)) لأن المقطع السومري (DU₃) يقابله في الأكديّة (kal₃) ك ، وبعدها قام الباحث (هيكير-Hecker) بتصحيح قراءة إسم المدينة إلى (uru kili-zi) حيث أن (DU₃) في حالة المضاف و يقابله (kili) من المصدر (kalu). (Hecker,1968). كما يمكننا أن نلاحظ أن إسم المدينة سابقاً كان يقرأ (kakzu) من قبل الباحثين المعاصرين ولكن بعد التصحيح عدلوا القراءة إلى (كيليزي) وهو الإسم القديم للمدينة. ومما يجدر الإشارة إليه أن الإختلاف في القراءة يعود إلى إختلاف

علماء اللغات القديمة في القراءة وليس له أي علاقة بتغيير الإسم من قبل الآشوريين أنفسهم.

رغم أن الملك أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩) ق.م يزعم بأنه قام بتغيير إسم مدينة كيليزي وأعطاه إسماً جديداً إلا أن الإسم غير معروف بالنسبة لنا (Luckenbill,1927,P236) بالرغم من السيطرة الآشورية على مناطق مختلفة من بلاد سوبارتو نلاحظ أن الكثير من المدن حافظت على تسميتها الخورية خاصة المدن الواقعة شرق دجلة ومن أشهر هذه المدن ألزي،كالزي ، خارخار ... وغيرها والكثير منها مشابهة جداً لإسم كيليزي ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار إسم المدينة ذو أصل خوري على غرار بقية المدن الأخرى المتواجدة في المنطقة.

إضافة الى ورود إسم كيلزان كإسم علم خوري وردت في العصرالأكدي القديم (kil-za- (an (Gelb,1957,P316)

١-٢- الموقع الجغرافي

تم تعريف قصر شمامك على أنه بقايا مدينة كاكزو القديمة أو(كيليزو) منذ القرن التاسع عشر (Al-Haik,1968,P64) وقد تم إعلان ذلك بشكل رسمي في جريدة الوقائع العراقية كموقع أثري بتاريخ(١٩٤٠/٨/١٩) (المواقع الأثرية في العراق، ١٩٧٠، ص ٣٣) فالموقع عبارة عن تل وقلعة ومدينة سفلية ، يقع على بعد حوالي (٣٠كم) من جنوب غرب أربيل بالقرب من قريتي ترجان وسعداوة^٥ وعلى بعد (٢٥ كم) من الطريق المؤدي إلى طوير الواقع على الزاب الأعلى الثالثة كما وأنه يطل على ضفاف نهر شياوزور (Masetti- (Farhm,1997,P190) (Roualt,2019,P1

مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية



(de la culture [http:// www. minister](http://www.minister))

إن موقع مدينة كيليزو يتميز بوقوعه وسط أربيل والعواصم الآشورية القديمة فضلاً عن كونه مركزاً إقتصادياً مهماً وعلى نفس المسافة من نهر دجلة والعاصمة الآشورية كالح (نمرود)^٦ أما مساحته الموقع في وقتنا الحالي فيغطي حوالي (٧٠) هكتاراً (Masetti-Rouault, 2018, P347) ويتكون من تل يبلغ إرتفاعه حوالي (٣٠م) بالإضافة إلى وجود بلدة منخفضة (المدينة السفلية) تبلغ إرتفاعها حوالي (٨م) كما أنه يتضمن سلسلة من المواقع الأصغر في كل أرجاء الموقع (Rouault, 2014, P1) ، إن أول من قام بزيارة الموقع وذكره ضمن مؤلفاته هو (هنري لايارد)^٧ الذي وصف الموقع بأنه كبير ومرتفع ومحاط ببقايا سور ترابي كما أنه أشار إلى أن الموقع مقسم إلى نصفين متساويين يفصلهما وادي أو مجرى مائي محاط بعدد من المرتفعات القريبة التي تتخذ شكل قلاع منفصلة وكان الطبيعة تمنحها نظام حماية حولها (Layard, 1853, P223)

مدينة
كيليزي



شكل (٢)

(صورة جوية لموقع قصر شمامك بطائرة الدرون-لشكري)

تقع مدينة كيليزي اليوم في سهل أربيل حيث تطلُّ على الضفة اليمنى لوادي نهرشيوזור الذي يجمع مياهه من المرتفعات الواقعة إلى الشمال الشرقي من أربيل ويصبها في نهر الزاب الأعلى إلى الشرق من طوير (حنون، ٢٠٠٩، ص ٢٤٦-٢٤٧) حيث أنه يوجد تشابه في إنتشار السهول في هذه المنطقة بين كلِّ من (سهل أربيل، سهل ديبطة، هضبة الموصل)، ضمن المنطقة الشبه الجبلية أو المتموجة والتي تمتد نحو الجنوب والجنوب الغربي للمنطقة الجبلية العالية المتاخمة لها وتمثل هذه المنطقة إنتقالاً بين السهول الواطئة في الجنوب وبين الجبال العالية في أقصى الشمال أو الشمال الشرقي كما إن أنهار دجلة والزابن التي تحيط بهذه السهول تمنح مثلث المدن الآشورية (أربيل ونيوى وآشور وكيليزي) تحصيناً طبيعياً (الصالح، ٢٠١٣، ص ١٥١) (الشيخلي، ١٩٩٠، ص ٣٩)

أما بالنسبة لمناخ المنطقة فإن المدن الشمالية الواقعة في حافات سهول المرتفعات المتموجة تتماثل في بيئاتها حيث يبلغ متوسط هطول الأمطار (٣٠٠ - ٥٠٠ ملم) سنوياً (Joffe, 1998, P561) فنظام تساقط الأمطار في مدينة كيليزو كونها واقعة في سهل أربيل يجعلها ضمن المنطقة الديمة التي تعتمد على الأمطار في الزراعة ونجاح الموسم الزراعي فيه لا يعتمد على سقوط الأمطار بقدر ما يعتمد على مواعيد سقوطه إذ يبدأ موسم المطر في في شمال العراق بشكل عام من أواسط شهر تشرين الأول إلى أواسط شهر مايس حيث يصل المطر إلى الحد الأعلى كل من شهري كانون الثاني أو الشباط (إسماعيل، ١٩٧٠، ص ٦-٧)، أما درجات الحرارة فيصل إلى الصفر أحياناً في فصل

الشتاء البارد الرطب ويرتفع إلى أكثر من ٤٠ درجة مئوية خلال فصل الصيف الذي يكون حاراً جافاً. (Joffe,1998,P56) ولايزال الموقع إلى يومنا هذا من أشهر المناطق الزراعية في أربيل حيث تشتهر بزراعة القمح والشعير إضافة إلى زراعة المحاصيل الشتوية.

١-٣- أهمية الموقع

-الأهمية الاستراتيجية للموقع

لكي تتمكن الشعوب من إنشاء الحضارات و الإزدهار لابد أن يمتاز بموقع ذو مقومات إقتصادية متكاملة و يتوفر به طرق مواصلات تربطه بالعالم الخارجي المحيط وتمكنه من الإتصال بالأقوام والشعوب المجاورة به ومدى نصيبه من الثروات الطبيعية ونصيب البلدان المحيطة به وكذلك أهمية المنطقة من الناحية السياسية والعسكرية كل هذه العوامل تحدد أهمية الموقع في التطور الحضاري الإنساني (سليم، ٢٠١١، ص ٣٥) لقد كان للموقع الجغرافي للعراق القديم بما في ذلك القسم الشمالي منه الذي عُرفَ بعدِ إستيطان الآشوريين فيه منذ مطلع الألف الثاني ق.م ببلاد آشور أثره البارز في سير تاريخه الطويل سواءً كان ذلك من ناحية ظروفه الطبيعية وحياته الإقتصادية أم من ناحية تركيب سكانه وعلاقاته بالأقوام والبلدان المجاورة (جاسم، ٢٠٠٦، ص ١٤) ويمكن القول بأن مدينة كيليزي إحدى أهم هذه المدن والتي لعبت دوراً بارزاً على مختلف العصور فأثارها تعود لأزمنة مختلفة من العهد الآشوري كما تم الإستدلال من الرسائل الآشورية (مراد وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٤)، إلا إن تاريخ هذه المدينة أقدم من تأريخ الإمبراطورية الآشورية حيث يعود إلى العصر المعدني المتأخر والعصر الخوري-الميتاني فهي ليست ملحقة آشورية تابعة لأربيل لكن أيضاً أقدم مركز مرتبط بالثقافة الخورية في شمال بلاد الرافدين فوفقاً للرقيم المسماري (رقيم ترجان) ^٨ يبين قيام الملك الخوري (آرشي تي إنني) بترميم أسوار مدينة توئي (كليزو) (Masetti-Rouault,2015,P4) وتُظهر المصادر أن بلاد آشور بما فيه سهول أربيل خضعت ما بين القرنين (١٥-١٤ ق.م) لحكم الخوريين والميتانيين ^٩ (مراد وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٥) فضم بلاد آشور إلى الدولة الخورية الميتانية كان جزءاً من السياسة التوسعية التي أنتجتها الأخيرة لبناء الإمبراطورية (السليمانى، ٢٠١٠، ص ٩٧) و قد

تم ضم المدينة إلى مقاطعة الإمبراطورية الآشورية الوسطى حوالي منتصف الألف الثاني ق.م وبالتالي قد أصبحت آشورية فيما بعد.

وقد قام الملك آدد نيراري^{١٠} ببناء قصر له فيها وظلت محط إهتمام الملوك الآشوريين حتى أصبحت عاصمة مقاطعة الإمبراطورية الآشورية الحديثة في الألف الأول ق.م مشكلة بدون شك مركز حضري مهم على الطريق بين العواصم الآشورية على دجلة وإقليم أربيل على الطريق باتجاه زاكروس (Masetti-Rouault&Calini,2016,P 209) وقد إستمر تأريخ المدينة لفترة طويلة بعد إنتهاء السلطة الآشورية فقد أصبحت محتلة في زمن الإمبراطورية الفارسية، الممالك السلوقية، الهلنستية ثم البارثية الساسانية (Masetti-Rouault,2014,P82)

بالرغم من تأريخ المدينة الذي إستمر طويلاً إلا أن أهمية المدينة برز بشكل كبير إبان الإمبراطورية الآشورية الحديثة وقد أولى الملوك الآشوريين إهتماماً كبيراً بها حيث قاموا بالعديد من الإنجازات البنائية فيها إذ تم التعرف على آجر منقوش يعود إلى الملك سنحاريب^{١١} تتضمن الإنجازات التي قام بها من حيث البناء (مراد وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٤) وإحدى إنجازاته هي إعادة بناء القصر وبناء جدار حوله كما جاء في النص رقم (٢١٨) "سنحاريب، الملك العظيم، ملك العالم، ملك آشور، قد بنى من جديد السور الداخلي والخارجي لمدينة كيليزو ورفعها إلى علو الجبال" (Grayson&Novotny,2014,P304) وفي نص آخر رقم (١٣٥) "سنحاريب ملك الكون ملك آشور الجدار والسور من كاكزي بنى من الطوب" (Luckenbill,1924,P155) ومن بعده الملك أسرحدون^{١٢} الذي قام أيضاً بترميم هذه المدينة من أساسها إلى قمتها وقام بتغيير إسمها القديم وإعطائها إسماً جديداً نظراً لما كانت تشكله هذه المدينة من أهمية للإمبراطورية الآشورية كما في النص (٦٠٨) "لقد صنعت رائعة.... تلك المدن الذي في جبروت آشور أو قوة آشور.... لقد دمرت وأحترقت بالنار،لقد قمت بترميم تلك المدن من أساساتها إلى قمتها،من بين المدن كولماري وماكوخا وماكزو، قمت بتغيير أسماءها القديمة لهم ومنحتهم أسماء جديدة" (Luckenbill,1927,P236) و يبدو أن هذه المدن قد تعرضت في عهد الملك سنحاريب

الى التخريب والدمار، والسبب هي إندلاع الثورة ضد السلطة الآشورية، كما هو حال مدينة بابل في عهد الملك سنحاريب حيث تعرضت هو بدوره الى التخريب أيضا، وتشير النصوص المسمارية الى إن سياسة (آشور أخي إندنا - (أسرحدون) كانت تتميز بإعادة تعمير و بناء المدن وأسوارها (رو، ١٩٦٣، ص ٤٣٠-٤٣٧).

-الأهمية الاقتصادية

إحدى العوامل التي جعلت مدينة كيليزو ذات أهمية كبيرة بالنسبة للإمبراطورية الآشورية هو موقعها الإستراتيجي حيث كانت معبراً تجارياً يربط بين المدن المهمة في الدولة الآشورية فضلاً عن أهميتها العسكرية والتجارية والإقتصادية إلى جانب أهمية موقعها المتاخمة على الأنهار إذ يقع على الزاوية التي يتصل بها نهر الزاب الأعلى ونهر دجلة (ساكز، ٢٠٠٨، ص ١٠٠) هذا بالإضافة إلى قربها من مدينة أربيل التي هي بدورها إحدى أهم المدن الآشورية و التي كانت تشكل مثلث قلب بلاد آشور مع كل من نينوى وأشور فقد كانت هذه المدينة تتحكم في الطرق المختلفة عبر جبال زاكروس إلى إيران بالإضافة إلى الطريق المهم الذي يؤدي إلى نهر ديبالي وإلى بابل كما وأنه الرابط البري الرئيسي بين مركز آشور وجنوب العراق (Rander, 2009, P221-224) وكانت مدينة كيليزو تعتبر عاصمة إقليمية لمنطقة واسعة تمتد من الجانب الغربي لوادي نهر شيوازور وصولاً إلى الزاب الأعلى حيث كانت القلعة في جهة الشمال تستطيع التحكم بالطريق بين أربيل و نينوى فضلاً عن الطريق المؤدي من سهل مخمور نحو دجلة بإتجاه كالك (نمرود) وبمحاذاة النهر نحو قلعة شرقاط العاصمة الدينية للإمبراطورية الآشورية (Masetti-Rouault, 2018, P2) كما وإن وجود موقع كيليزو في بداية سهل شمامك يمكنه من السيطرة على واحدة من أخصب المناطق الزراعية كونه يسيطر على المنطقة الممتدة على الضفة اليسرى لنهر زاب الأعلى (حنون، ٢٠٠٩، ص ٢٤٦-٢٤٧) ويدخل ضمن نطاق مجاري نهر الزاب الأسفل وديالي والعظيم والتي تصب جميعها في نهر دجلة كما وتتوافر فيها مصادر أخرى للمياه منها العيون والينابيع التي تفيض بالمياه في موسم سقوط الامطار خلال فصلي الشتاء والربيع (الحمداي، ٢٠٠٢، ص ١٢)

مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية

فضلاً عن أن المنطقة تمتاز بوجود خزير وفير للمياه الجوفية في هذه السهول (القرداغي، ٢٠٠٨، ص ١٥) إلا إن الإنتاج الزراعي كان يتم بالدرجة الأولى عن طريق الزراعة الديمية أي اعتماد الزراعة في هذه السهول على مياه الامطار التي تسقط بشكل كافي لإنجاح عملية الزراعة (محمد أمين، ٢٠١٤، ص ٣٣) وبالأخص الحبوب ومنها الشعير بالدرجة الأولى وأيضا القمح و كانت الحبوب تعد المصدر الرئيسي للإقتصاد في الدولة الآشورية.



(Grayson&Novotny, 2014, P2)

كان الملوك الآشوريين يولون أهمية كبيرة للزراعة وتقاخروا بمنجزاتهم الرئيسية المتمثلة بتطوير الفلاحة ومصادر الحيوان فيذكر الملك تجلاتبليزر الأول^{١٣} " لقد جعلتُ المحاريتُ تعمل في جميع أرجاء بلاد آشور، وبذلك كدستُ أكداً من الحبوب أكثر من أسلافي. لقد كونتُ قطعاناً من الخيول والماشية والحمير من الغنائم الذي أخذتها بمساعدة سيدي الإله آشور من الأراضي التي بسطتُ سلطتي عليها " (النواب، ٢٠١٩، ص ٢٧٤).

ويمكن إعتبار مدينة كيليزو إحدى أهم المراكز الزراعية الآشورية لتوفير الشعير ليس فقط بسبب خصوبة الأرض إنما أيضاً لعدم وجود مشكلة الملوحة فقد كان مصدراً لتوفير الشعير لسد إحتياجات القصر بكمياتٍ وفيرة كما تم ذكره في النص (K846) "الآن لقد

جمعت (٥٠٠) هوميرس (يعادل ١٠٠,٠٠٠ لتر) من الشعير في مدينة كيليزي وأود ان أسلمة. إذا أمر الملك سيدي: "جمع الشعير لثلاثة قصور" سوف أجمعه في أديان وأربيل أيضاً" (Parpola, 1987, P126).

ولعل أبرز ما يعكس أهمية الزراعة في إقتصاد المجتمع الآشوري ظهور الإله (آدد) أو إله الجو في المعتقدات الدينية والذي عُرف في العصور التاريخية بإسم (تيشوب) لدى الخوريين والميتانيين و (أشكور) لدى السومريين والبابليين والآشوريين (القرداغي، ٢٠٠٨، ص ٢٢) فالإله آدد عُرف عنه بأنه سيد كيليزو كما في النص (ADD181) "أيا كان في المستقبل ، في أي وقت سواء آشور- ناصير أو ابنه أو إخوته أو محافظه كل من سعى إلى الدعوى أو التقاضي ضد شمش-أبو-أوصر أو أبناءه يجب أن يضع (X من الفضة) ومينا واحدة من الذهب في حضن (آدد) سيد كيليزي" (Kwasman&Parpola, 1991, P234) فهو إله العاصفة والبرق والرعد وأيضاً تجري بإشرافه جداول المياه من الجبال وخصوصاً في المناطق التي تحتاج فيها الزراعة إلى الأمطار (باقر وآخرون، ١٩٨٠، ص ١٧) (الشاكر، ٢٠٠٢، ص ١٤٢) مما دفع الناس للتضرع إليه في مواسم الجفاف وقلة سقوط المطر خوفاً من القحط وقلة المنتج الزراعي إلى جانب خطر تهديد الفيضانات وما تخلفها من الكوارث.

ومن بين الأدلة الواضحة على الأهمية الإقتصادية لهذه المنطقة بالنسبة للدولة الآشورية الرسائل التي تتضمن قوائم بأسماء الموظفين الذين كانوا مسؤولين عن أمور تتعلق بتقديم القرابين والذبائح من كيليزي إلى آشور (مراد وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٤)، نظراً لخصوبة هذه السهول فلا بد أنها كانت تشكل مراعي جيدة للحيوانات وتظهر بعض النصوص أنه كانت مدينة كيليزو تقوم بتزويد إحتياجات القصر والمعبد من الأغنام كما في النص (K1153) " ٧ أغنام من كيليزي و ١٠ أغنام من دور ساميدي - المجموع ١٧ غنماً لمعبد داطان تحت تصرف الملك. لم ينقلوها إلى هنا هم في الفرع الآخر (...). الملك سيدي" ونص (K550) " (...). البغال من كيليزي و (...). البغال من أربيل" (Cole&Machinis, 1998, P 17; P 80)

وقد كانت حركة التسويق وبالأخص المنتجات الزراعية شائعة في العراق القديم حيثُ أمتازت كل مدينة بإنتاج وتسويق نوعٍ معين ومن هذه المنتجات الحبوب التي كانت تساهم في تحقيق التكامل الإقتصادي وسد الحاجة المحلية في كل مدينة (حمود وعبد، ٢٠٢٠، ص ٨٣-٨٤) فقد كان القمح والشعير التي اشتهرت بها هذه السهول الخصبة يتم تصديرها إلى جانب العسل من هذه المدينة إلى العاصمة وبشكل مستمر لتزويدها بالإحتياجات (ك.هيس، ٢٠١٣، ص ٧١).

من خلال المكتشفات الأثرية في موقع مدينة كيليزو تم الإستدلال على وجود نشاطاتٍ أخرى تم ممارستها وذلك من خلال ملاحظة وجود أراضي تظهر آثار مواقد مخصصة لأصحاب الحرف والمهن فضلاً عن نشاط صناعي على التل يختص في إنتاج الفخار (Masetti-Roault, 2016, P4) إلى جانب أنشطة كبيرة وجدت خارج أسوار المدينة في مناطق قرب ضفاف نهر شياوزور عبارة بقايا مناطق صناعية في الضواحي المخصصة للإنتاج الحرفي التي تمثل صناعة الطوب والفخار. (Ur&Others, 2021 , P 222) كون الفخار إحدى أهم الصناعات القديمة ومن أهم ضروريات الإنسان في حياته اليومية فكانت تلازمه منذ أقدم الأزمنة (بصمة جي، ١٩٤٨، ص ١٥) إضافة لأهميتها في إعطائنا سجلاً عن حياة الأقبام القديمة وأشكال آلهتهم ومعتقداتهم من خلال النقوش والصور التي كانوا يرسمونها على فخارياتهم (ياسين، ٢٠٠٨، بدون صفحة)

- الأهمية الثقافية

أما من الناحية الثقافية فيعتبر كيليزو إحدى المدن التي تشكل مركز بلاد آشور ليس لأهميتها الجغرافية أو الإقتصادية فقط بل من الجانب الثقافي أيضاً (الصالح، ٢٠١٣، ص ١٥٧) فقد كانت هذه المدينة واحدة من أهم مراكز التدوين في بلاد آشور حسب ما تذكر الرسائل الآشورية (الجميل والحامد، ٢٠١٩، ص ٧٦) فقد تميزت بوجود مدارس لتدريب مجموعة تسمى (كتبة كاليزي) والتي تشير إلى تلاميذ وهم يتعلمون مهنة الكتابة (ساكز، ١٩٩٩، ص ٢٠٩) فكان الكاتب وظيفته الأساسية كتابة النصوص لنفسه وللآخرين والمحافظة على الإرث الحضاري لبلاد الرافدين وفي العصر الآشوري الحديث كان الشخص

الثالث دائماً في أي تنظيم إداري للدولة سواءً في القصر أو المقاطعة أو المدينة أو المعبد أو أي مؤسسة أخرى ونُسبَ بعض الكتبات إلى مدنهم ك (كتبة كيش) و(كتبة كالزي)، (الجميل، ٢٠١٢، ص ١٦٩-١٧٢) ونظراً لأهمية الكاتب فقد كان يتم تعيينه من قبل الملك كما وردَ في أحد نصوص الملك سنحاريب الذي قام بتعيين كاتب المخبز وذلك بعد أداء القسم أمام الملك كما في كالزي وأربيل ونيوى. (محمد، ٢٠٠٣، ص ٦٥) وجاء في النص رقم (ABL386) "إلى الملك سيدي عبدك (أيسار - شومو - أيريش) صحة جيدة للملك. سيدي، عسى نابو ومردوك يباركا الملك سيدي، كتبة كل من المدن نيوى وكيليزي وأربيل يمكن أن يدخلوا المعاهدة لقد وصلوا بالفعل. ولكن أولئك الذين من آشور لم يأتوا بعد. الملك سيدي يعلم بأنهم رجال الدين" والنص (ABL346) "إلى الملك، سيدنا، عبدك، الكتبة من كيليزي. صحة جيدة للملك، سيدنا، عسى أن يباركا الملك كل من نابو ومردوك، لقد نظرنا إلى القمر في اليوم الرابع عشر، رأى القمر والشمس بعضهما البعض (وهذه تعني) الرفاهية" (Parpola, 1993, P7; P111).

- الأهمية العسكرية والسياسية

كانت مدينة كيليزو إحدى قواعد الحملات العسكرية للملوك الآشوريين فلم تكن العواصم المتعاقبة الواقعة على نهر دجلة مجرد قواعد لعمليات عسكرية فقط بل أن الجيوش الآشورية كانت مثلاً تعمل في أربيل ومدينة كيليزي (ساكر، ١٩٩٩، ص ٣٥٦) إذ قام الآشوريين بشق طرقٍ متعددة تربط آشور بمناطق شرق وشمال شرق بلاد الرافدين وهذه الطرق ليست للتجارة فحسب بل للحملات العسكرية في المناطق التي يحدث فيها التمرد ما أستوجب إقامة حصون وقلاع بين المدن الآشورية (الصالح، ٢٠١٣، ص ١٥١) ونظراً لأهمية الموقع الإستراتيجي يبدو أن الآشوريين كانوا يستخدمون هذه المدينة قاعدة لإنطلاق حملاتهم العسكرية على المناوئين في الأقاليم الشرقية ولاسيما إقليم (زاموا) في منطقة السليمانية (مراد وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٥) ومن بين هؤلاء الملوك الذين إتخذوا كيليزو قاعدة عسكرية لحملته الحربية الملك آشورناصربال الثاني^٤ كون المدينة يربط بين مركز البلاد الآشوري عبر كالح والمناطق الجبلية في الشرق عبر أربيل (حنون، ٢٠٠٩، ص ٢٤٦-٢٤٧) كما في

النص (٤٤٩) " غادرتُ من داطارا إلى مدينة بارا إقتربتُ منها ،مدينة بارا استوليت على ٣٢٠ من مقاتليهم وقتلتهم بالسيف، ماشيتهم وغنمهم وغنائمهم الثقيلة حملتها، ٣٠٠ رجال من جيوشهم إنتزعتُ منهم.في اليوم الخامس عشر من شهر تشرينو غادرت مدينة كاكزي دخلتُ معبر بابيت من مدينة بابيت غادرتُ إلى جبل نيصير".والنص (٤٥٢) من حملته الثالثة ضد زاموا "أثناء إقامتي في نينوى أحضر لي الرجال إعلاناً مفاده أن أميكا وأراشتوا قد حجبا الجزية والعمل الجبري المستحق لآشور سيدي العظيم ونيرطال قائدي في اليوم الأول من شهر سمانو،أمرت بدعوة لحمل السلاح للمرة الثالثة ضد أرض زاموا.لم أنتظر مركباتي وجيوشها غادرت من مدينة كاكزي ،الزاب السفلي الذي عبرته دخلت ممر بابيت وعبرت رادنو" (Luckenbill,1926,P149-151)

ولعل إحدى الدلائل التي تظهر أهمية هذه المدينة هي ورود عدد من أسماء حكامها في قوائم اللمو الآشورية^٥ الذي كان سائداً في بلاد آشور فقد تم ورد عددٍ من أسماء حكام كيليزو في هذه القوائم كالتالي:

شيم -آشور (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك آدد نيراري الثاني (٩١٢ - ٨٩١ ق.م.)
(Luckenbill,1927,P118)

أولولايا - (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.)
(حنون،٢٠٠٩،ص ٢٤٥)

آدد - مشمير (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك آدد نيراري الثالث (٨١١-٧٨١ ق.م.)
(Kataja&whiting,1995,P4)

لقيثو (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك آشور دان الثالث (٧٧١-٧٥٤ ق.م.)
(حنون،٢٠٠٩،ص ٢٤٥)

آشور -إشميئاني (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك شلمنصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م.)
(Luukko,2012,P xvi)

نوخشايا (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.)
(Grayson&Novotny,2012,P24)

مردوك ريمائي (حاكم) كيليزو في فترة حكم الملك سن - شراشكن (٦٢٧-٦١٢ ق.م)
(Mattila,2002,P131)

١-٤- الإستنتاج

-بناءً على نص مسماري خوري تم العثور عليه من قبل سكان قرية ترجان يذكر أن المدينة كانت تعرف بإسم (توئي) (tu-e^{ki}) في عهد ملكه المسمى (آرشتي- أنني) ابن الملك (شيريني)

-بالرغم من السيطرة الآشورية على مناطق مختلفة من بلاد سوبارتو نلاحظ أن الكثير من المدن حافظت على تسميتها الخورية ومن أشهر هذه المدن آلزي،كالزي ، خارخار ... وغيرها مشابهة جداً لإسم كيليزي ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار إسم المدينة ذو أصل خوري

- أن الإختلاف في قراءة إسم كيليزي يعود إلى إختلاف علماء اللغات القديمة في القراءة وليس له أي علاقة بتغيير الإسم من قبل الآشوريين أنفسهم.

- تعتبر إحدى أهم المدن في العهد الآشوري إلا إن تاريخها أقدم حيث تعود إلى العصر المعدني المتأخر والعصر الخوري-الميتاني فهي ليست ملحقة آشورية تابعة لأربيل لكن أيضاً أقدم مركز مرتبط بالثقافة الخورية في شمال بلاد الرافدين

- يشكل موقع كيليزي مركز حضري مهم على الطريق بين العواصم الآشورية على دجلة وإقليم أربيل على الطريق بإتجاه زاكروس ما جعلها قاعدة للحملات العسكرية للملوك الآشوريين

-ضم بلاد آشور إلى الدولة الخورية الميتانية كان جزءاً من السياسة التوسعية التي أنتجتها الأخيرة لبناء الإمبراطورية وقد تم ضم المدينة إلى مقاطعة الإمبراطورية الآشورية الوسطى حوالي منتصف الألف الثاني ق.م

- قام الملك آدد نيراري ببناء قصر له في هذه المدينة ،كما تم التعرف على أجر منقوش يعود إلى الملك سنحاريب تتضمن الإنجازات التي قام بها من حيثُ البناء في هذه المدينة

مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية

- شكايت معبراً تجارياً يربط بين المدن المهمة في الدولة الآشورية فضلاً عن أهميتها العسكرية والتجارية والإقتصادية
- إن وقوع كيليزو في بداية سهل شمامك يمكنه من السيطرة على واحدة من أخصب المناطق الزراعية وكانت إحدى أهم المراكز الزراعية الآشورية لتوفير الشعير بسبب خصوبة الأرض إنما أيضاً لعدم وجود مشكلة الملوحة
- تم الإستدلال على وجود نشاطاتٍ أخرى تم ممارستها من خلال وجود أراضيات تُظهر آثار مواقع مخصصة لأصحاب الحرف والمهن فضلاً عن نشاط صناعي على التل يختص في إنتاج الفخار
- واحدة من أهم مراكز التدوين في بلاد آشور فقد تميزت بوجود مدارس لتدريب مجموعة تسمى (كتبة كاليزي) وهم يتعلمون مهنة الكتابة، و ورود عدد من أسماء حكامه في قوائم اللمو الآشورية الذي كان سائداً تظهر أهمية هذه المدينة

المصادر:

- أحمد، كوزاد محمد. (٢٠٠٨)، كوردستاني ناو قراس ت، ط٢، السليمانية
- أبو طالب، عماد عبدالعظيم. (٢٠١٥)، تأريخ العراق القديم، ط١، القاهرة
- إسماعيل، زبير بلال. (١٩٧٠)، أربيل في أدوارها التاريخية
- باقر، طه. (٢٠٠٩)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١
- باقر، طه وآخرون. (١٩٨٠)، تأريخ العراق القديم، ج٢، جامعة بغداد
- بابان، جمال. (١٩٨٦)، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ج١، بغداد
- بصتجي، فرج. (١٩٤٨)، بحث في الفخار، مجلة سومر، المجلد الرابع، ج١، بغداد
- البرواري، ريبير جعفر أحمد. (٢٠١٢)، الحمالات العسكرية الآشورية على كوردستان، ط١، أربيل
- حنون، نائل. (٢٠٠٩)، مدن قديمة ومواقع أثرية، ط١، سوريا
- رو، جورج. (١٩٦٣)، العراق القديم، ترجمة (حسين علوان حسين)، بغداد
- سليم، أحمد أمين. (٢٠١١)، حضارة العراق القديم، الإسكندرية

مدينة كيليبي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية

- ساكز، هاري. (١٩٩٩). قوة آشور، ترجمة (عامر سليمان)، المجمع العلمي، بغداد
- ساكز، هاري. (٢٠٠٨)، عظمة آشور، ترجمة (خالد أحمد عيسى وأحمد غسان سبانو) ط١، سوريا
- الشيخلي، عبدالقادر عبدالجبار. (١٩٩٠)، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ العراق القديم)، بغداد
- فيلهيلم، طيرنوت. (٢٠٠٩)، شارستانیة و میذووی خووریه کان، ترجمة (آرام جلال حسن الهموندي) ط١
- فرزات، محمد حرب ومرعي، عيد. (١٩٩٤)، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط٢، دمشق
- العلي، صالح أحمد. (١٩٨٣). العراق في التأريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد
- لابات، رينيه. (٢٠٠٤). قاموس العلامات المسمارية، ترجمة (الأب ألبير أبونا و وليد الجادر وخالد سليم إسماعيل)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد
- مراد، خليل علي وآخرون. (٢٠١٢)، أربيل دراسة تاريخية، ط١، أربيل
- المدرية العامة للآثار. (١٩٧٠)، المواقع الأثرية في العراق القديم. بغداد
- هيس، ك و هيتز. (٢٠١٣)، ساتوقه لآ، طوظاری سوبارتو (٦-٧)، ل ل (٤٧-٩١)، هتولير
- أحمد، آرام محمد أمين. (٢٠١٦)، المسح الآثاري لطرده ماموستايان في مدينة أربيل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين
- التركي، قصي منصور عبدالكريم. (٢٠١٢)، الكتابة المسمارية على طابوق البناء - نماذج غير منشورة من العصر الآشوري، مجلة حولية الإتحاد العالم (دراسات في آثار الوطن العربي)، المجلد (١٥)
- جاسم، صفوان سامي سعيد. (٢٠٠٦)، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول ق.م في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الموصل
- الجميلي، عامر عبدالله والحامد، سعاد عائد. (٢٠١٩)، حضور أسماء المدن الآشورية والبلدان في الأسماء الشخصية في ضوء المصادر المسمارية، مجلة الملوية للدراسات الآثرية والتاريخية، المجلد ٦، العدد ١٧

مدينة كيليزي وأهميتها في ضوء النصوص المسمارية

- الجميلي، عامر عبدالله. (٢٠١٢)، الكاتب والكتابة في بلاد الرافدين القديمة، المجلد ٦، العدد ١٩-٢٠
- الحمداني، ياسر هاشم حسين علي. (٢٠٠٢)، وسائط النقل في العراق القديم، رسالة الماجستير، كلية الآداب - جامعة الموصل
- حسين، ياسر هاشم. (٢٠٠٥)، حملة الملك الآشوري تيجلاتبليزر الأول (١١١٥-١٠٧٧ ق.م) على إقليم المشكو، مجلة التربية والعلم، المجلد (١٢)، العدد (٣)
- حمود، حسين ظاهر وعبد، هيفاء أحمد. (٢٠٢٠)، تسويق المنتجات الزراعية بين مدن العراق القديم، مجلة آثار الرافدين، المجلد (٥)
- رهمة، أحمد جميل. (٢٠١٧)، دراسة في قدسية الجبل وقصة نمرود في ضوء المصادر المسمارية، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (١)
- السليمان، جمال ندا صالح. (٢٠١٠)، الدولة الميثانية (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، أطروحة دكتورا كلية آداب - جامعة بغداد
- الشاكر، فائق موفق فاضل علي. (٢٠٠٢)، رموز أهم الآلهة في العراق القديم، رسالة الماجستير، كلية الآداب - جامعة الموصل
- الصالحي، صلاح رشيد. (٢٠١٣)، مدن مثلث بلاد آشور (آشور، نينوى، أربيل في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م)، تاريخ أربيل و دورها الحضاري بحوث المؤتمر العلمي الثاني، أربيل - إقليم كردستان
- القرداغي، رافدة عبدالله عبدالصمد. (٢٠٠٨)، كوردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء النصوص المسمارية من الألف الثالث ق.م إلى ٦١٢، أطروحة دكتوراه، جامعة السليمانية
- القيسي، منى عبدالكريم حسين. (٢٠٢٠)، أشكال المخططات الحضرية المدنية لمراكز المدن الآشورية ومقارنتها بمدن وسط وجنوب بلاد الرافدين، مجلة وميض الفكر/ بيروت، العدد (٥)، ص (١٦-١)
- الفتلاوي، أحمد حبيب سنيدي. (٢٠٠٦)، أسرار حدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)، رسالة الماجستير، جامعة واسط

- محمد أمين ،هاورى ياسين.(٢٠١٤)،ليكولينة توتية لك لة جوطرافياى هتريمى كوردستاني عيراق، ط٣، السليمانية
- محمد، صباح حميد يونس.(٢٠٠٣)،نينوى خلال عصر السلالة السرجونية(٧٢١-٦١٢ ق.م.)، رسالة الماجستير، كلية الآداب-جامعة الموصل
- ماسيتي-روؤلت، ماريا غراسيا.(٢٠١٨)،النتائج الحديثة للتنقيبات الأثرية في موقع قصر شمامك (الموسم السابع) ،من الموقع
<https://su.edu.krd>
- النواب، رويذة فيصل موسى.(٢٠١٩)،تأريخ الزراعة في بلاد آشور، المجلد(٤٧) حوليات آداب عين الشمس، كلية الآداب-جامعة بغداد
- النجار، عبير عدنان يوسف.(٢٠١١)،أرابخا (كركوك حالياً) دراسة سياسية-حضارية، رسالة الماجستير، كلية الآداب-جامعة الموصل
- ياسين، غسان طه.(٢٠٠٨)،صناعة الفخار العراقي من أقدم العصور حتى نهاية التأريخ القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد(٤٩)

- Amin, Abdulfatah Ahmed &Others,(2016). Effects of Crude Oil Spillage on the Physico-chemical Properties of Soil, Tarjan, Kurdistan Region, Iraq, Journal of Environment and Earth Science, Vol.6, No.6,PP27-32
- Abu Alsoof,B.(1968), Distribution of Uruk,Jamdat nasr and Nineviet V pottery as Reveled by Field survey work in Iraq ,Iraq Vol 3
- Cole,Steven W&Machinist,Peter.(1998),Letters from Priests to the kings Esarhaddon and Ashurbanipal, SAA ,Vol XIII
- Conradie, Andries Frederik. (1989), The Inscription of Ashurnasirpal II A Reappraisal of the Available Editions, dissertation for the doctor, the University of Stellenbosch

- Dossin,Georges. Archives Royales DE Mari(correspondance de ismah-addu) , Paris, Vol V
- Farhm,Eckart.(1997), Einleitung in Die Sanherib-inschriften, Archiv für Orientforschung, Beiheft 26
- Frayne,Douglas.(1993) ,The Royal Inscription of Mesopotamia early periods(Sargonic and Gutian Periods), Vol 2, toronto buffalo London
- GELB ,I.J.(1957),The Glossary of Old Akkadian,Michigan,U.S.A
- Grayson ,A. Kirk, & Novotny, Jamie. (2012), The Royal Inscriptions of the neo-Assyrian period , Vol 3/1,Part 1,Indiana
- Grayson, A. Kirk, & Novotny, Jamie. (2014), The Royal Inscriptions of the neo-Assyrian period ,Vol 3/2,Part 2,Indiana
- Grayson ,A. Kirk.(1991), The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian Periods, Vol 2
- Grayson ,A. Kirk.(1975), Assyrian and Babylonian Chronicle
- Harper, Robert Francis.(1914) ,Assyrian and Babylonian Letters, part XIV, London
- Al-Haik,Albert R.(1968) Key lists of Archaeological excavations in Iraq (1842-1965),Florida
- Joffe,Alexander H.(1998),Disembedded Capitals in Western Asian Perspective, Article in Comparative Studies in Society and History, at: <https://www.researchgate.net,PP549-580>
- Kataja .L &whiting .R,(1995),Grants, Decrees and gifts of the Neo-Assyrian period, SAA ,Vol xii
- Layard,Austen H,(1853). Nineveh And Babylon; with traels in Armenia, Kurdistan And the desert,London

- Luckenbill, Daniel David. (1926),Ancient Records of Assyria and Babylonia,Vol I,Chicago-Illinois
- Luckenbill, Daniel David.(1924).The Annals of Sennacherib ,Vol II, Chicago-Illinois
- Luckenbill, Daniel David. (1927),Ancient Records of Assyria and Babylonia ,Vol II, Chicago-Illinois
- Luukko,Mikko.(2012), The Correspondence of Tiglath-Pileser III and SargonII from Calah/Nimrud,SAA,Vol xix
- Masetti-Rouault, Maria Grazia & Calini, Ilaria.(2016), Materials from French Excavations in Erbil Area (2011-2013): Qasr Shemamok, Archaeopress Archaeology(The Archaeology of the Kurdistan Region of Iraq and Adjacent Regions),PP 209-218
- Masetti-Rouault Maria Grazia, (2018).Late Bronze And Iron I-II Levels In Qasr Shemamok,proceeding of the 2nd International Scientific Conference, Erbil, PP346-366
- Mattila,Raija.(2002),Legal Transaction of the Royal Court of Nineveh, part II, SAA,Vol xiv
- Munn-Rankin , J. M. ,(1978). Assyrian Military power, CAH , vol. 2 , Part 2 , Cambridge,P 274
- Masetti-Rouault.(2019),preliminary report of the 5th campaign of the 2019 campagin of the French archaeological mission at qasr shemamok , from the archives of the directorate of antiquities Erbil
- Masetti-Rouault. (2015), report about the study mission carried out by the qasr shemamok French archaeological team in the Erbil archaeological museum, from the archives of the directorate of antiquities Erbil

- Masetti-Rouault.(2016),preliminary report of the 5th campaign of the French archaeological mission at qasr shemamok (Kurdistan-Iraq), from the archives of the directorate of antiquities Erbil
- Masetti-Rouault.(2018),recent results of archaeological excavation at site qasr shemamok (season seven),archaeological layers and architectural remains , from the archives of the directorate of antiquities Erbil
- Parpola,simo.(1987),The Correspondence of Sargon II(letters from Assyria and the west),part 1
- Parpola,simo&Kwasman,Theodore.(1991), Legal Transactions of the Royal of Nineveh (Tiglath-Pileser III Through Esaehaddon),part I
- Parpola,Simo.(1993), Letters from Assyrian and Babylonian Scholars,SAA,Vol X
- Rander,Karen.(2011) The Assur-Nnneveh-Arbels Tringle Central Assyria in the Neo-Assyrian Period, Conference at Heidelberg January 22nd – 24th, 2009, London
- Rouault-Olivier ,(2014),A report of excavation season April-May, from directorate of antiquities of Erbil Archive
- Ur,Jason &Others.(2021), The Erbil Plain Archaeological Survey: Preliminary Results, 2012–2020,Iraq (83),PP 205–243

الهوامش:

¹نزام سين : (٢٢٧٣-٢٢١٩ ق.م) يعد هذا الملك من أقوى خلفاء الملك الأكدي (سرجون) وأشهرهم وقد تولى العرش بعد أبيه مانشتوسو وحكم حوالي (٥٦) عاماً حسبما أوردته قوائم الملوك السومرية، وقد تعددت الآراء حول فترة حكمه فالبعض يرى بأنه حكم (٣٦) عاماً فقط وكانت النقطة المختلفة في تأريخ نزام سين هي حملته للألقاب الإلهية و وضع العلامة الدالة على الألوهية (Dingir) أمام اسمه. (أبو طالب، ٢٠١٥، ص ١٢٢)

يُعتبر الخوريين أحد الأقوام القديمة في الشرق القديم الذين أمثلوا حضارةً عظيمةً في المنطقة فوجد بقايا الآثار الخورية في أرض كوردستان دليلاً على هذه الحقيقة وخلال الألفية الثالثة ق.م تمكنوا من إمتلاك عدة دويلات مثل نوزي وأرابخا في كوردستان العراق وقتنا والآلاخ وأوغاريت في كوردستان سوريا (فيلهيلم، ٢٠٠٩، ص ٧) وقد أستطاعوا أن يُكونوا إمبراطورية كبيرة في منتصف الألفية الثانية ق.م برئاسة الأرسنقراطيين الهندو-آري والتي عرفت بالمملكة الميتانية (أحمد، ٢٠٠٨، ص ٧٠) وكونت هذه الدولة مع مملكة آشور التابعة لها أكبر قوة سياسية في غربي آسيا إمتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى الأمانوس غرباً ومن كيليكية شمالاً إلى جبال لبنان جنوباً (فرزات ومرعي، ١٩٩٤، ص ١٦١-١٦٢) أما بالنسبة لأصل كلمة الخوري فإن أصل هذه التسمية غير واضحة لحد الآن ربما له علاقة بكلمة (خورداي، Hurdai: عسكري-حارس) التي وردت في اللغة الخورية والأورارتية والآشورية الحديثة والأوغاريتية أما بالنسبة لأصل تسمية الميتانيين فقد ذكرت في النصوص الكتابية على شكل (مايتا، MAITTA) وإذا ما أُضيفت إليه النهاية (NI) يصبح الإسم (MAITTANI). (أحمد، ٢٠١٦، ص ٢٨)

٣ إستقر الآشوريون في القسم الشمالي من العراق ربما منذ مطلع الألف الثالث ق.م وإندمجوا بالسكان الذين عرفوا بالسوباريون وإنهم ينتمون إلى الأصول ذاتها التي تفرعت عنها الأقوام الأكديّة والبابليّة والكلديّة والآرامية والعربية في شبه الجزيرة العربية والتي كانت تسمى سابقاً بالأقوام السامية، وتكلم الآشوريون لهجة من لهجات اللغة الاكديّة، (العلي، ١٩٨٣، ص ١١٩) وقد مر تأريخ الآشوريين بثلاثة أدوار حضارية تاريخية مهمة وهي: العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢٠ ق.م) العصر الآشوري الوسيط (١٥٢٠-٩١١ ق.م) والعصر الآشوري الحديث بدأ (٩١١-٦١٢ ق.م) أستمر ثلاثة قرون وبعد هذا العصر عصراً ذهبياً في التأريخ الآشوري على الإطلاق إذ وصل الآشوريين إلى قمة مجدهم السياسي وإزدهارهم الحضاري وعنفوان قوتهم العسكرية. (القيسي، ٢٠٢٠، ص ٢) قرية ترجان: تقع على بعد (٢٥) كم عن جنوب غرب أربيل في شمال نهر شيوازور القريبة من قصر شمامك وتمتاز بأنها منطقة زراعية وغنية بالنفط (Amin&Others, 2016, P27) قرية سعادوة: قرية تابعة إلى ناحية الطوير - قضاء مخمور - محافظة أربيل تقع على طريق السيارات العام بين أربيل و الطوير وعلى بعد (٢٥) كم من أربيل على الزاب الأعلى (باجان، ١٩٨٦، ص ١٥٢) مدينة كالح / كالحو وتسمية "نمرود" تعد مدينة كالح (نمرود حالياً) ثاني العواصم الآشورية من حيث التأسيس وربما أكثرها روعة من حيث آثارها الباقية تقع أطلالها على بعد (٣٧) كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل على بعد (٨ كم) إلى شمال مصب الزاب الأعلى (رهمة، ٢٠١٧، ص ٢٣)

أوستن هنري لايارد (Austen Henry Layard) (1817 - 1894)، كان رحالة ومستكشف وعالم آشوريات وسياسي بريطاني. اشتهر باكتشافه لآثار نمرود ونينوى فقضى عدة سنوات في الموصل عمل فيها على استكشاف آثار نينوى و نمرود. وأثناء عودته إلى لندن ألف كتباً حول تقاليد وعرف سكان تلك المناطق وخاصة الآشوريين والكلدان والبيديين (الدباغ وآخرون، ١٩٨٣ ص ٣٣)

و^٨ هو عبارة عن نص تأسيسي (لوحة تأسيسية) تم العثور عليه في قرية ترجان من قبل أحد سكان القرية حيث قام بتسليمه إلى مديرية آثار أربيل والأسماء التي وردت فيه هي (أرشتي إنني) الذي وهو إسم خوري - أكدي وأيضاً إسم (شيرنني) وهما إسمان لملكين (الأب والإبن) (Masetti - Roualt, 2015, P4-5).

يُعتبر الخوريين أحد الأقوام القديمة في الشرق القديم والذين أمثلوا حضارةً عظيمة في المنطقة فوجد بقايا الآثار الخورية في أرض كردستان دليل على هذه الحقيقة وخلال الألفية الثالثة ق.م كانوا يمتلكون عدة دويلات مثل نوزي وأرابخا في كردستان العراق وقتنا والآلاخ وأوغاريت في كردستان سوريا (فيلهيلم، ٢٠٠٩، ص ٧) وقد أستطاعوا أن يُكونوا إمبراطورية كبيرة في منتصف الألفية الثانية ق.م برئاسة الأرسقراطيين الهندو-آري والتي عرفت بالملكة الميتانية (أحمد، ٢٠٠٨، ص ٧٠) وكونت هذه الدولة مع مملكة آشور التابعة لها أكبر قوة سياسية في غربي آسيا إمتدت من جبال زاكروس شرقاً إلى الأمانوس غرباً ومن كيليكية شمالاً إلى جبال لبنان جنوباً (فرزات ومرعي، ١٩٩٤، ص ١٦١-١٦٢)

١٠ آدد نيراري الأول (١٣٠٧-١٢٧٥ ق.م) من الملوك البارزين في العصر الآشوري الوسيط ، أخذ مدينة آشور عاصمة له ، وتوسعت في عهده الممكة الآشورية بشكل سريع وأستطاعت أن تُثبت أقدامها في الكثير من المقاطعات والأقاليم التابعة ، وكما أصبحت في عهده الدولة الآشورية واحدة من أقوى دول الشرق الأدنى القديم (Munn-Rankin, 1987, P274)

١١ سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) أعتلى العرش بعد مقتل والده (سرجون الآشوري) إمتد فترة حكمه أربعة وعشرين عاماً قاد بنفسه الجيش الآشوري في حملاته ما لا يقل عن عشر مرات وقاد نشاطه الحربي بالدرجة الأولى إلى الجهة الغربية إلى بلاد بابل وبلاد الشام أما الجهات الشمالية والشرقية فكان يسودهما الهدوء النسبي (باقر، ٢٠٠٩، ص ٥٦٩) وكان إدارياً كفوءاً أهتم بمشاريع الري والعمران (القرداغي، ٢٠٠٨، ص ١٥٨) حيث قام برعاية مشاريع بناء واسعة النطاق في العديد من المدن

الآشورية وانتعش شهرته عندما بدأ المستكشفون الأوروبيون في الكشف عن أنقاض المدن الملكية الآشورية في منتصف القرن التاسع عشر (Grayson&Novotony, 2012, P1)

^٢ أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) هو ابن الملك (سنحاريب) تسلم السلطة الآشورية بعد مقتل والده شهد عصره العديد من النشاطات العسكرية (البرواري، ٢٠١٢، ص ١٥٠) نجح في توطيد الأمور في أرجاء إمبراطوريته الواسعة في بلاد بابل وبلاد الشام وفينيقية (باقر، ٢٠٠٩، ص ٥٧٣) وأهتم كثيراً بالزراعة وأعمال الإرواء وأمتاز مدة حكمه بإزدهار العمارة وقام أيضا بإعادة ترميم العديد من القصور والمعابد (الفتلاوي، ٢٠٠٦، ص ١٩٣-١٩٧)

^٣ تيجلاتبليزر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) هو ابن الملك الآشوري آشور-ريش-آشي وهو من الشخصيات البارزة التي ظهرت في العصر الآشوري الوسيط ومن إحدى الشخصيات القيادية القديرة إذ استطاعت بلاد آشور في عهده أن تستعيد سالف قوتها وإزدهارها فضلاً عن تثبيت كيان بلاد آشور من خلال إنتصاراته على الأقوام التي كانت تهدد أمن وإستقرار بلاد آشور. (حسين، ٢٠٠٥، ص ١٦٨)

^٤ آشور ناصرال الثاني : حكم في الفترة ما بين ٨٨٣-٨٦٠ ق.م وقد ورث من أبيه توكليتي نورتا الثاني مملكة واسعة وقوية موطدة وقد جمع هذا الملك الصفات الأتموزجية للملك الآشوري العسكري الفاتح القاسي والإداري المنظم (باقر، ٢٠٠٩، ص ٥٥٠) تميز حكمه بالكثير من المعارك الحربية العسكرية في مناطق مختلفة من آشور ومجاوراتها بغرض تأمين البلاد والمحافظة على طرق التجارة، وهو من أوائل ملوك الآشوريين من الألفية الأولى قبل الميلاد الذين وصلوا إلى بحر الأبيض المتوسط ولبنان (أبو طالب، ٢٠١٥، ص ٢١٧) (Conradie, 1980, P iv)

^٥ هي طريقة استخدمها الآشوريون حيث كان يتم تسمية كل عام على إسم مسؤول كبير سميت ب (اللمو) وكان الكتابة الآشوريون يقومون بتجميع قوائم الأسماء الرسمية (Gryson&Novotny, 2012, P24) فكانت السنة الأولى من حكم ملك آشور يدون بإسمه وفي السنة الثانية يمنح اللمو لأعلى مرتبة في البلاط الآشوري وهي وظيفة الترتانو (القائد العسكري) والسنة الثالثة يمنح للموظف راب-شاقى (مسؤول السقاية) ثم ناكر-أيكالي (مناذي القصر) ثم الأباركو (مسؤول المالية) ثم يأتي حاكم مقاطعة آشور ثم حكام المقاطعات الأخرى حسب الأهمية وعندما يموت الملك يعود ترتيب اللمو ثانية ويبدأ بإسم الملك المتوج. (النجار، ٢٠١١، ص ٢١)

الجوانب العسكرية واثرها أبان الدولة الاموية (٦٤ -

٧٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م)

من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل

(٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

Military aspects and their impact during the Umayyad state
(64-99 AH / 705-717 AD)

state and its political developments through the book
Tarikh al-Salihi by Ibn Wasil
(697 A.H. / 1298 A.D.)

ريهام كاظم رضا جاسم الحسناوي

riham.kadim1206a@coart.uobaghdad.edu.iq

أ. د . صباح خابط عزيز سعيد

PROF.SABAH KHABUT AZEEZ SAEED,PH.D

sabahkhabut@coart.uobghdad.edu.iq

جامعة بغداد

كلية الآداب/ قسم التاريخ

الجوانب العسكرية واثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٥٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م)
من خلال كتاب تاريخ الصالحى لأبن واصل (٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

ريهام كاظم رضا جاسم الحسناوي
أ. د . صباح خابط عزيز سعيد

الملخص

لا يخفى على الدارسين للتاريخ العسكري انه بعد استشهاد الامام علي عليه السلام لم تشهد الجزيرة العربية اي نوع من الاستقرار سواء على المستوى العسكري او السياسي فأخذ الامويين بالتعاون مع اهل الشام للهيمنة على الخلافة الاسلامية بعد انتقالها للأمام الحسن عليه السلام بذريعة اخذ ثأر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعد تنازل الامام عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين والصلح الذي تم بين الطرفين ادرك الامويين ان بقائهم مرهون ببقاء دولتهم قوية عزيزة الجانب، ورأوا ضرورة توسيع رقعة نفوذهم من خلال الفتوحات، طالما انهم يمتلكون القوة الكافية، فلذلك سعوا لإخماد كل المعارضين والخارجين على دولتهم ومهما يكن من امر فقد بالغ الامويون في الفتك بمعارضهم من اولاد الصحابة، حتى وصل الامر الى قتل العديد منهم، وبعد ذلك رأوا ضرورة توسع رقعة نفوذهم من خلال العمليات العسكرية بغرض الدفاع عن حدودهم، وتحسين حصونهم والتمثلة ببيزنطة، وسعوا ايضاً الى انتقاء ولاة يحكمون باسمهم ومدركون ومؤمنون بسلطة حكامهم وقد نتج عن هذه السلطة احتكار الحكم وتفصيل القوانين حسب رغباتهم مبتعدين عن مبدأ الشورى وما تخللها من مساواة.

It is no secret to the students of military history that after the martyrdom of Imam Ali, may God's prayers be upon him, the Arabian Peninsula did not witness any kind of stability, whether on the military or political level, so the Umayyads, in cooperation with the people of the Levant, began to dominate the Islamic caliphate after its transfer to Imam al-Hasan, may God's prayers be upon him, under the pretext of taking the revenge of the caliph Othman bin Affan, may God's prayers be upon him. The imam abdicated the caliphate in order to spare the blood of the Muslims and the reconciliation that took place between the two parties. Whatever the matter, the Umayyads exaggerated the lethality of their opponents from the sons of the Companions, until the matter came to the

killing of many of them, and after that they saw the need to expand their influence through military operations in order to defend their borders, and improve their fortresses, represented by Byzantium, and they also sought to select governors to rule in their name They are aware of and believe in the authority of their rulers, and this authority has resulted in monopolizing the rule and tailoring the laws according to their desires, moving away from the principle of Shura and the equality that permeated it.

توطئة

لا يخفى على الدارسين للتاريخ السياسي والعسكري للدولة العربية الاسلامية انه بعد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام سنة (٤٠ هـ / ٦٦٠م) (الدينوري) بايع أهل العراق الامام الحسن عليه السلام فقالوا له "سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظيم وابتزوا الناس أمورهم، فإننا نرجو أن يمكن الله منهم" (ابن سعد) فسار الامام الحسن عليه السلام إلى أهل الشام يتقدم جيشه، قيس بن سعد بن عباده (ابن سعد) في اثني عشر ألفاً، وكانوا يسمون انذاك شرطة الخميس (ابن منظور) وكان قبل ذلك تحت امرة قيس بن سعد بن عباده اربعون الف مقاتل قد بايعوا الخليفة علي عليه السلام على الموت فلما مات علي عليه السلام الح قيس ابن ساعده على الامام الحسن عليه السلام للنفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيسا عن امرة اذربيجان وولى عبدالله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن عليه السلام ان يقاتل احدا ولكن غلبوه على رأيه (ابن كثير) و اشار ابن الكلبي الى انه : لما وقعت البيعة للامام الحسن عليه السلام جد في مكاشفة معاوية والتوجه نحوه فجعل في مقدمته عبدالله بن جعفر الطيار في عشرة آلاف ثم تبعه بقيس ابن سعد في جيش عظيم ، فراسل معاوية عبدالله بن جعفر وضمن له ألف ألف درهم إذا سار الى الحجاز ، فأجابه الى ذلك وخلق سيره وتوجه الى معاوية فوفى له وتفرق العسكر واقام قيس بن سعد على مدة وانضم اليه الكثير (النيسابوري، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)

فنزل الامام الحسن عليه السلام المدائن، وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الامام الحسن حتى نزل جسر منبج (ياقوت الحموي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) فبينما الامام الحسن عليه السلام بالمدائن إذ نادى مناديه في عسكره إن قيس بن سعد قد قتل، فشد الناس على حجرة الامام

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥هـ/٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/٢٩٨م)

الحسن عليه السلام فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه وأخذوا رداءه من ظهره (ابن الزكي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وفي رواية ينقلها لنا القزويني " فلما انتهى الامام الحسن عليه السلام الى ساباط (القزويني، د.ت) رأى من اصحابه فشلا وتواكلا عن الحرب، فنزل ساباط، وقام فيهم خطيبا، ثم قال ايها الناس، انى قد اصبحت غير محتمل على مسلم ضغينه، وانى ناظر لكم كنظري لنفسي، وارى رايا فلا تردوا على رأيي، ان الذى تكروهون من الجماعه افضل مما تحبون من الفرقة، وارى اكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست ارى ان احملكم على ما تكروهون " (الدينوري) فشد عليه نفر منهم، فانتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه، يريد المدائن وفي الطريق طعنه رجل يسمى ابن اقيصر بخنجر مسموم في اليته (ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد) فقال الامام الحسن عليه السلام " فقد علمت أن لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هـذا " (ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد) فنزل الحسن القصر ونزل معاوية النخيلة (البغدادي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ونتيجة لذلك جرى الصلح بين الطرفين ولما عقد الصلح بينهما التمس معاوية من الحسن ان يتكلم بجمع من الناس انه قد بايع معاوية ، فأجابه الى ذلك فصعد المنبر وأسمع الناس خطبته (المالكي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) فكتب بنود الصلح بينهما على أن يسلم له " بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته، ولا يسب علي وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا " (ياقوت الحموي) ودرابجرد (ياقوت الحموي، معجم البلدان) من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه معاوية إلى ذلك وأعطاه ما سأل (ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد) ورغم هذا الصلح بقى الامام الحافظ لدين الله والهادي لشيعته ومحبيه ومصداقا لقول رسول الله يبقى " الحسن والحسين امامان قاما او قعدا " (اسعد وحيد قاسم، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

حتى ذكر ان الامام الحسن عليه السلام قال لأخيه الامام الحسين عليه السلام والى عبدالله بن جعفر عندما كاتب معاوية: انى كتبت الى معاوية في الصلح وطلب الامان ، فقال له

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت٦٩٧هـ/٢٩٨م)

الامام الحسين عليه السلام: نشدتك الله ان تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة علي : فقال له
الحسن اسكت فانا اعلم بالأمر منك (الطبري)

فلما كتب العهد بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية بن ابي سفيان دخل عليه الناس فلامه
بعضهم على موقفه فقال : ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي مما
طلعت الشمس او غربت الا تعلمون اني امامكم ومفترض الطاعة عليكم ، واحد سيدي
شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال : وما علمتم ان الخضر لما خرق
السفينة واقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران اذ قد خفي عليه
وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكماً وصواباً ، وقد اشار ابن واصل
بقوله " في هذه السنة سار معاوية بن ابي سفيان الى الكوفة فالتقى هو والامام
الحسن عليه السلام بمسكن من ارض الكوفة فاصطلحا وسلم الامام الحسن عليه السلام الامر اليه
وباع له ، وذلك في شهر الاول" (ابن واصل) حتى ذكر المسعودي بقوله "وهو أول
خليفة خلع نفسه وسلم الأمر إلى غيره" (المسعودي) وهذا ما اكده لنا رسول من قبل
لحديثه صلى الله عليه وسلم بقوله "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين" (ابن تيمية) فضلاً عن قوله صلى الله عليه وسلم " الخلافة بعدى ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً"
(البيزار، ٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) فكان آخر خلافة الحسن عليه السلام تمام ثلاثين سنة، وثلاثة عشر
يوماً، من أول خلافة أبي بكر الصديق صلى الله عليه وسلم (المقدسي، ٤٣١هـ/٢٠١١م)

ونتيجة للصراع انقسم المسلمون الى فئتين بعد صراع طويل ادى هذا الانقسام
الى انتقال الخلافة الاسلامية الى البيت السفياني سنة (٤١هـ/٦٦١م) ثم توالى الاحداث
السياسية والعسكرية ليتم على يد ذلك البيت العديد من الفتوحات التي من خلالها ازدادت
رقعة الدولة الاسلامية ، فمن حسن طالع الامويين ان كان لهم خلفاء وامراء وولاة اعتبروا
خدمة الدولة لزاماً وواجباً عليهم، فكان اخلاصهم في الخدمة اسما الامور التي تمنها
المنصور العباسي فيما بعد بقوله "الخلفاء ثلاثة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه
الحجاج، وأنا ولا كافي لي" (البلاذري) ادرك الامويين بعد تأسيس دولتهم بالشام ان

الجوانب العسكرية واثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/٢٩٨م)

بقائهم مرهون ببقاء دولتهم قوية عزيزة الجانب، ورأوا ضرورة توسيع رقعة نفوذهم من خلال الفتوحات، طالما انهم يمتلكون القوة الكافية، فلذلك سعوا لإخماد كل تمرد كون في نظرهم ان من غير المعقول السكوت او تجاهل المتمردين على سلطانهم، ومهما يكن من امر فقد بالغ الامويون في الفتك بمعارضيهم، ولقد رأوا ضرورة توسع رقعة نفوذهم من خلال العمليات العسكرية بغرض الدفاع عن حدودهم، وتحسين حصونهم والمتمثلة ببيزنطة، وسعوا ايضاً الى انتقاء ولاية يحكمون باسمهم ومدركون ومؤمنون بسلطة حكامهم وقد نتج عن هذه السلطة احتكار الحكم وتفصيل القوانين حسب رغباتهم مبتعدين عن مبدأ الشورى وما تخللها من مساواة.

بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام وتمرد عبدالله بن الزبير تأزمت الامور حتى بدأ كل اقليم في اتجاه، الامر الذي دفع الحسين الى مقاتلة يزيد بن معاوية وبتشجيع من عبد الله بن الزبير، الذي بدأ يباعونه سرا حتى انه كان يسمى العائذ بالبيت (البلاذري، انساب الاشراف) بعد ان جعل معاوية مقر الخلافة الشام ومحاولته السيطرة على مقرات الحجاز ولاسيما الاقتصادية بالاستحواذ على الاراضي، هذا ما دفع اهل الحجاز الى استرداد مكانتهم السياسية والدينية فضلا عن الاقتصادية، بعهد يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) الامر الذي دفعهم الى شن ثورة على الامويين المتواجدين بالمدينة، فأرسل يزيد كما يشير ابن واصل جيش قوامه اثنتي عشر الفاً (ابن واصل، التاريخ الصالحي) بقيادة مسلم بن عقبة المري فجرت بينهما وقعه سميت بوقعة الحرة (ابن سعد، الطبقات) وما ان انتهى حتى دخل المدينة وقصد فيما بعد مكة الا ان توفي في الطريق سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) فتولى قيادة الجيش الحصين بن نمير (ابن عساكر) وحاصر مكة مدة اربع وستين يوماً ونصب المنجنيق على ابن الزبير وأصحابه ورمى الكعبة، وفي ذلك الاثناء مات يزيد سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) ثم كلم حصين بن نمير ومن معه عبد الله بن الزبير أن يدعهم يطوفوا بالبيت وينصرفوا عنه، فأذن لهم ثم كلم ابن الزبير الحصين بن نمير وقال له، قد مات يزيد وأنا أحق الناس بهذا الأمر كون عثمان عهد إلي في ذلك

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٥٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

عهدا فبايعني وادخل فيما دخل فيه الناس معي يكن لك ما لهم وعليك ما عليهم، فقال له الحصين إني والله يا أبا بكر لا أتقرب إليك بغير ما في نفسي أقدم الشام فإن وجدتهم مجتمعين لك أطعك وقاتلت من عصاك وإن وجدتهم مجتمعين على غيرك أطعته وقاتلتك ولكن سر أنت معي إلى الشام أملكك رقاب العرب، رفض ابن الزبير ما اشار به الحصين حتى انع اقترح ن يرسل بدلاً عنه رسولاً، الامر الذي اغضب الحصين لسوء رد ابن الزبير حتى شتمه وقال له تبا لك سائر اليوم إن رسولك لا يكون مثلك (ابن سعد، الطبقات) وما هي الا ايام حتى توفي معاوية بن يزيد بعد ان توليه الخلافة سنة (٦٨٣/٥٦٤م) فاضطربت الاحوال السياسية في الحجاز من جهة وفي الشام من جهة اخرى وتباينت الاصوات حتى عقد المروانيين واصلوا بيعتهم يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة (٦٨٣/٥٦٤م) في الجابية وخلصوا الى تولية مروان بن الحكم وقد اشار ابن واصل الى ان الصراع على الخلافة ما زال قائماً بين الشاميين وانصاره من اليمانيين والقيسيين، الامر الذي ادى الى نشوء معركة مرج راهط سنة (٦٨٣/٥٦٤م) والتي انتهت بعزيمة القسيين وقتل الضحاك (ابن واصل، التاريخ الصالحي) وحتى يستطيع مروان من السيطرة على بلاد الحجاز كان لابد له من القضاء على حركة عبدالله بن الزبير، الا ان الموت كان حائلاً بين تطلعاته فلم يدم حكمة سواء عشرة اشهر (الطبري، تاريخ الطبري)

اولاً: عهد عبد الملك بن مروان (٦٤-٥٨٦هـ/٦٨٣-٧٠٥م)

كتب للدولة الاموية بعد موت مروان بن الحكم، عهد جديد على يد عبد الملك الذي استطاع بقوته ان يوحد دولة بعد تفككها، وقد اشار ابن واصل بعد ذكره لبيعة عبد الملك قيام المختار بن ابي عبيد الثقفي سنة (٦٦٦هـ/٦٨٥م) في الكوفة للمطالبة بدم الامام الحسين عليه السلام، والثورات والأزمات كانت آنذاك متشابكة مع بعضها البعض، فابن الزبير كان يخشي تلك الحركة التي خرج بها المختار، كونه كان رجلاً مغامراً يتجه حسب مصالحه ولاسيما عندما التجأ اليه ثم ألح المختار على عبد الله بن الزبير في الخروج إلى

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

العراق فأذن له، وكتب ابن الزبير إلى ابن مطيع وهو عامله على الكوفة يذكر له حال المختار عنده، فلما قدم المختار الكوفة (ابن سعد، الطبقات) ابنتى لنفسه داراً، واتخذ بستانا، أنفق عليه أموالاً عظيمة، أخرجها من بيت مال المسلمين، وفرق الأموال على الناس تفرقة واسعة، وكتب إلى ابن الزبير أن يعتد له بما أنفق من بيت المال، فأبى ابن الزبير ذلك عليه، فخلع المختار طاعته، وجدد بيعته (المقدسي) اختلف إلى ابن مطيع وأظهر مناصحة ابن الزبير وعابه في السر، ودعا إلى ابن الحنفية، وحرص الناس على ابن مطيع واتخذ شيعة يركب في خيل عظيمة حتى عدت خيله على خيل صاحب شرطة ابن مطيع فأصابوهم فهرب ابن مطيع (ابن سعد، الطبقات) فأخذ المختار يدعو باسم ابن الحنفية عليه السلام ليطالب بثأر الامام الحسين عليه السلام، متخذاً منه ستاراً يصل به إلى مطامعه، وقد اشرنا الى ذلك في الجانب السياسي اذ كان واسع الحيلة فاستطاع من اجتذاب من يريد الثأر لدم الحسين، فقام بإرسال سبعة الالف فارس بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعي لحرب عبيد الله بن زياد عامل عبد الملك في أوائل سنة (٦٧٧هـ/٦٨٦م) ودارت معركة بين الطرفين بعين وردة عند نهر خازر انتصر فيها ابن الأشتر وقتل عبدالله ابن زياد والحصين بن نمير، كما تتبع قتلة الحسين والتكيل بهم (ابن واصل، التاريخ الصالحي) وما ان سطع نجم المختار حتى انقلب عليه اهل الكوفة كونه قرب اليه الموالي، وبهذا التصرف قد ابعد الاشراف عن جانبه وبالتالي سيكون لهم حاضنه اخرى مع عبدالله بن الزبير، وقد تناسى المختار انهم سيكونون له خصماً (النجار، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

وحتى ينهي ابن الزبير ما يخطط له المختار امر اخية مصعب الذي كان والياً على البصرة بالخروج على المختار وهذا ما اشار اليه ابن واصل حتى دارت بينهما معركة بالقرب من الكوفة انتهت بمقتل المختار سنة (٦٨٧هـ/٦٨٧م) (ابن واصل، التاريخ الصالحي) وما ان وصل صدى مقتل المختار لسماح عبد الملك بن مروان بن الحكم حتى ازبح عن كاهله حملاً ثقيلاً كان قد يشغله، في توطيد سلطانه.

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٦٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

ويشير ابن واصل إن في سنة (٦٨٨هـ/٦٨٨م) خرج عبد الملك من دمشق قاصداً ابن الزبير فاستخلف عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق عليها الا ان ابن الأشدق عصى بها فأغضب ذلك عبد الملك فخرج عليه ففر وتحص بأحد الحصون فأمنه عبد الملك واستدعاه فقتله صبراً (ابن واصل، التاريخ الصالحي) وجاء قتله نتيجة زعمه ان مروان بن الحكم قد أوصى له بالشام، ولاسيما انه كان نائباً عليها منذ زمن معاوية وأيام يزيد ومروان من بعده، حتى ضاق الأمر على عبد الملك فقتله سنة (٦٨٨هـ/٦٨٨م) (الفسوي) ولما زحف عبد الملك إلى الجزيرة السورية قصد زفر بن الحارث ففاوضه وعقد معه اتفاقاً ، ليحمي ظهره عند محاربة مصعب (البلاذري، انساب الاشراف)

لما صفا الأمر لابن الزبير الا ارض الشام، جمع عبد الملك اخوته، وكبار اهل بيته، فقال " ان مصعب بن الزبير قد قتل المختار، ودانت له ارض العراق، وسائر البلدان، ولست آمنه ان يغزوكم في عقر بلادكم، وما من قوم غزوا في عقر دارهم الا ذلوا" فأشار عليه بشر بن مروان، يا امير المؤمنين، ارى ان تجمع إليك اطرافك، وتستجيش جنودك، وتضم إليك قواصيك، وتسير اليه، وتلف الخيل بالخييل، والرجال بالرجال، والنصر من عند الله (الدينوري) وبعد تلك الشورى امر عبد الملك بتجهيز العده والعدد لقتال مصعب بن الزبير فبدأ القتال بدير الجاثليق لياقوت الحموي، معجم البلدان) اذ اشار ابن واصل انها وقعت سنة وقوعها سنة (٧١هـ/٦٩٠م) (ابن واصل، التاريخ الصالحي) الا ان المصادر الاولية ذكرت انها وقعت سنة (٧٢هـ/٦٩١م) (الدينوري، الاخبار الطوال) وحتى يتمكن عبد الملك من الانتصار على مصعب كان لا بد له ان يرى بعض الثغرات لتمكنه من الانتصار على مصعب فرأى ان السمه التي تعتلي أخيه عبد الله بن الزبير بخله على العراقيين الأمر الذي نقرهم منه وصرفهم عن تأييده، فدفعه هذا الامر الى ان يفسد على جيش مصعب بالأطماع التي قدمها لهم، ولما استظهر عبد الملك من ذلك ، أرسل إلى مصعب بالأمان فأبى، وقال مثلي لا ينصرف عن مثل هذا

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/٢٩٨م)

الموقف إلا غالبا أو مغلوبا، فأثخنوه بالرّمي، ثم شدّ عليه زائدة بن قدامة الثقفي فطعنه وقال يا لثارات المختار وانصرف إلى عبد الملك وقتل مع مصعب ولداه عيسى، وعروة، وإبراهيم بن الأشتر النّخعيّ سيّد النّخع وفارسها، ومسلم بن عمرو الباهليّ، ونتيجة لتلك المعركة استولى عبد الملك على العراق وولّاها أخاه بشرا، وفيه يقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وبعث الأمراء إلى الأمصار، وبعث الحجاج إلى مكة لحرب ابن الزبير فقتله، واستوى الأمر لعبد الملك من غير منازع (الدينوري، الاخبار الطوال) وكانت هزيمة مصعب سياسية أكثر من كونها حزبية، ومهما يكن فقد دخل عبد الملك الكوفة فبايعه أهلها وخطب فيهم معظماً عليهم حق السلطان موضحاً أن الخليفة ظل الله على الأرض (البلاذري، انساب الاشراف)

وحتى يكمل عبد الملك ما بدأ به من قضائه على خصومة أرسل سنة (٧١٠هـ/٦٩٠م) جيشاً قوامه الفين من اهل الشام بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي وأشار ابن واصل، ثم امر عاملة على المدينة ليمد الحجاج بخمسة الالف فارس" (ابن واصل، التاريخ الصالحى) لقتال ابن الزبير فقام بمحاصرة بمكة التي استمرت مدة سبعة اشهر واياماً وهذا ما اشار به ابن واصل الذي اعتمد على الطبري بذلك، بينما يذكر الطبري بقوله "وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة" (الطبري، تاريخ الطبري)

اذ لا نستطيع ان نجزم عن مدى الأمانة التي كان ينقل بها ابن واصل للنصوص وقد اشرنا فيما سبق انه كان يختصر ما يدونه دون الوقوف على اصوبها ويتجاهل تحليلها حتى لا يقع في الاطالة .

ومهما يكن من امر فقد تجلّى الامر الى تخلي الكثير من اتباع عبدالله بن الزبير، نتيجة هذا الحصار، وحتى ينهي الحجاج هذا الامر استشار عبدالملك لضرب الكعبة كونه الحل الامثل للحجاج لمنع تحصن ابن الزبير بها، وفي نفس الوقت قام ابن الزبير

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٥٩٩هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

باستشارة امه اسماء ابنة الخليفة ابو بكر الصديق ﷺ بالاستسلام للحجاج لكن رفضها هذا لم يمنع الحجاج من قتل ابن الزبير سنة (٦٩٢هـ/٧٣م) (ابن خليفة) وحتز رأسه وصلب بمكة ثم امر ان يطاف برأسه بالمدينة وامر ان يدفن جسده بمقابر اليهود وهذا ما اشار ابن واصل اليه ولم تمر على قتل ابن الزبير سوى خمسة ايام حتى ماتت امه اسماء كبدأ (ابن واصل، التاريخ الصالحي) فالبعض يرى ان سياسة الحجاج سياسة قتل وتتكيل ويرى البعض الاخر غير ذلك فالمؤرخين يذكرون ان من جملة وصايا الخليفة عبد الملك لأولاده قوله لهم "وأكرموا الحجاج بن يوسف، فإنه وطأ لكم المناير ودوخ لكم البلاد، قد عرفتم بلاءه في الملحد ابن الزبير، وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا، ومحاماته علينا" (البلاذري، انساب الاشراف)

يتضح من تلك الوصية موافقة عبد الملك على سياسة القسوة التي سار عليها الحجاج وبراها السبيل لحفظ كيان الدولة الاموية وحفظ المجتمع من الفوضى (النجار) وما كانت تلك الوصية الا ما قدمت الحجاج من ولاء بالطاعة للدولة الاموية ، بالرغم من عدم رضى الكثير امثال عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وحبر الامه عبدالله بن عباس على تلك السياسة التي انتهج بها الحجاج برضى خلفاءه عكس سليمان بن عبد الملك الذي كان حاقداً عليه على ما سنذكر.

ويشير ابن واصل وخلال مسيرة عبد الملك وفتوحاته ولي اخية محمد بن مروان في نفس السنة التي قتل بها عبد الله بن الزبير (٦٩٢هـ/٧٣م) اذريجان (اليقوبي)والجزيرة وارمينية حتى قام بدوره بأرسال عبدالله بن ابي شيخ بعشرة الالف فارس لحرب الخزر التي قامت بتجميع مائه الف ودرات بينهما معركة قتل المسلمون فيها الامر الذي اغضب الامير محمد فأرسل اليهم اربعين الف حتى يذكر انه قام بحصارهم بالكنايس بعدما قتل منهم خلق كثير فأحرقهم.... (ابن واصل، التاريخ الصالحي)وحتى ينهي عبد الملك شافته الخزر ارسل اخية مسلمة الى مركز تجمعهم بمدينة باب الابواب وبها نحو ثمانون الف ونيف، حتى اثن عليهم وحاصرهم وقتل منهم

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت٦٩٧/هـ/٢٩٨م)

خلق كثير وقد اشار ابن واصل، وليكمل عبد الملك سيطرته على الخارجين عليه والثائرين ارسل الحجاج بن يوسف سنة (٧٥/هـ/٦٩٤م) بعدما عزله من مكة والمدينة وولاه العراق (ابن واصل، التاريخ الصالحي) وكان سبب عزل الحجاج عن ولاية الحرمين هو إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله الذي قدم مع الحجاج لمقابلة عبد الملك فقال الحجاج لعبد الملك، قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير في كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق، فلما خلى ابراهيم بعبد الملك قال "يا أمير المؤمنين إنك عهدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والأنصار من قد علمت يسومهم الخسف ويقودهم بالعنف ويطوهم بطغام أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا في إزالة باطل ثم تظن أن ذلك ينجك من عذاب الله فكيف بك إذا جاثاك محمد للخصومة بين يدي الله تعالى وأما والله إنك لن تتجو هنالك إلا بحجة تضمن لك النجاة فاتق نفسك أو دع" (العصامي) فقال له عبد الملك قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، ويذكر ان تلك النكاية افرحت الحجاج بدليل انه قبل جبين ابراهيم وقال له " جزاك الله عني أفضل الجزاء والله لئن بقيت لأرفعن ناظريك ولأتبعن الرجال غبار قدميك" (العصامي، سمط النجوم) فولى عبد الملك العراق للحجاج، حتى ذكر "ان هنالك من الأمور التي لا يدحضها إلا مثله وإنما قلت ذلك ليؤدي ما يلزمه من ذمامك" (العصامي، سمط النجوم) فخرج من ولاية بالحرمين بجيش قوامه اثني عشر فارساً قاصداً الكوفة ونادى الحجاج بالناس ويحثهم على قتال الازارقة فجهزه الى المهلب بن ابي صفرة حتى استطاع من قتل نافع بن الأزرق وإجلاء من بقى منهم عن رام هرمز (شراب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) (ابن مسكويه، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ونقل الينا ابن واصل ان في سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) خرج صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد بناحية الجزيرة التي كان عليها محمد بن مروان بن عبد الملك بناحية الجزيرة فنهبوا الاموال فوجه اليهم قائده

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

عدي بن عدي بن عميرة الكندي الذي انهزم امامهم، فوجه اليهم خالد بن عبد الله السلمي والحارث بن جعونة العامري حتى استطاعا من هزيمتها الامر الذي ادى الى انحياز صالح بن مسرح إلى العراق فلم يتبعوه، فوجه محمد بن مروان إليه الأشعث بن عميرة الهمداني فالتقوا بجوخ حتى استطاع من قتل صالح من يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة (٧٦٦هـ/٦٩٥م) (ابن واصل، التاريخ الصالحى) وتسلم مكانه شبيب بن يزيد الذي لم يزيد تعداد مقاتليه عن الف فارس جيش قليل العدد فبعث اليه الحجاج اربعة الالف فارس لكن الامر حال دون التغلب عليه فكلما بعث اليه الحجاج جيشاً انتصر عليه، فمضى الى كرمان، فأقام نحو من شهرين ثم رجع إلى الأهواز فبعث الحجاج قاداته فاقتتلوا بالقرب من جسر دجيل ولما حال الليل بينهم غدا شبيب فلما صار على الجسر قطع فغرق ومات كما يذكر ابن خليفة سنة (٧٧٧هـ/٦٩٦م) حتى صاححت الخوارج غرق امير المؤمنين (ابن واصل، التاريخ الصالحى)

والجدير بالذكر ان ابن واصل قد جعل خروج صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد على الدولة الاموية ووفاتهم سنة (٧٦٦هـ/٦٩٥م) وهذا منافي للوقائع التاريخية التي ذكرها لنا المؤرخين ولاسيما حينما يذكرون انهم عاثوا في ارض الجزيرة حتى تقووا ومن ثم خروج شبيب الى كرمان شهرين ورجع كل ذلك لا يمكن ان يكون بنفس العام.

ويكمل ابن واصل سرده للأحداث العسكرية التي زعزعت امن واستقرار الدولة الاموية فأشار الى اختلاف الازارقة فمن يتولى امرهم بعد وفاة شبيب بن يزيد سنة (٧٧٧هـ/٦٩٦م) فقال "اختلف الازارقة على قطري بن الفجاءة والفجاءة هي أمه (ابن مندة، د.ت) وفارقة معظمهم وكان سبب الاختلاف إن رجلا من الخوارج كان عاملاً لقطري على ناحية من كرمان قتل رجلاً من الخوارج، الامر الذي الى وثوب الخوارج إلى قطري وقالوا أمكنا من القاتل لنقتله بصاحبنا، فقال ما أرى أن أقتل رجلاً تأول فأخطأ في التأويل، قالوا بلى، قال لا فوقع الاختلاف بينهم وكان المهلب قد قاتلهم ثمانية عشر شهرا

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

مما ادى الى الاقتتال فيما بينهم، حتى استغل المهلب بن ابي صُفرة ذلك، وانقض عليهم بعدما انهكت قواهم نتيجة اقتتالهم فيما بينهم، حتى قتل منهم اربعة الالف واستطاع المهلب بن ابي صفرة من قتله سنة (٦٩٧/هـ٧٨م) هو ومن معه فولاه الحجاج خراسان (ابن واصل، التاريخ الصالحى) .

واشار ابن واصل الى احداث سنة (٧٠١/هـ٨٢م) والتي امر فيها الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي، الى مقاتلة ملك الترك رغيل، فأرسل اليه جيشاً كثيفاً حتى استعجله بالهجوم على الترك، لكن تلك الامور لا تنطلي على ابن الاشعث لبغض وحقد الحجاج عليه فأرد هلاكة بتلك المعركة، لكن سياسة ابن الاشعث ادت الى فعل عكس ذلك فقام بمصالحة ملك الترك، وخرج بجيشه قاصداً الحجاج، وماهي الا ايام حتى خرج الحجاج بعد ان امده عبد الملك بجيش من الشام والتقى الجيشان بمدينة تُستر فكانت الغلبة لابن الاشعث حتى وصل بجيشه الى مدينة البصرة، ليبياعوه أهلها وخرجوا معه ليناصروه شدة الظلم الذي وقع بهم جراء سياسة الحجاج، واقتتلوا مرة اخرى مع جيش الحجاج حتى وصل ابن الاشعث مدينة الكوفة ليبياعوه أهلها (الطبري، تاريخ الطبري) ومن تلك المدينة خرج جيش ابن الاشعث للقتال جيش الحجاج الذي امده عبد الملك بالعدة والعدد وبعد تلك الاستعدادات، تعالى غبار معركة خلدتها التاريخ الاسلامي وهي وقعة دير الجماجم (ابن قتيبة) ويذكر الذهبي كان بين الحجاج وابن الاشعث أربع وثمانون وقعة في مائة يوم، فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج، وواحدة له ويشير ابن واصل ان ابن الاشعث خسر في تلك الوقائع اربعة الالف رجل ففر الى سجستان ولو ملك الترك وسعيه لقبض عليه عامل الحجاج فيها، ومهما يكن فقد اجمع ابن الاشعث قوته حتى وصل تعداد جيشه ستون الف فارس، فدارت بينه وبين يزيد بن المهلب بن ابي صفرة معركة انتصر فيها يزيد بن المهلب، وأشار الى ان ابن الاشعث اتى به اسيراً الى الحجاج فرمى بنفسه من اعلى السطح (ابن واصل، التاريخ الصالحى) واننا نرى ان تلك الرواية ينتابها الغموض وهذا ما بينه ايضاً ابن واصل بقوله "

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ ٧١٧-٧٠٥ م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧/هـ ٢٩٨ م)

واما ابن الاشعث فإنه هلك واختلف في كيفية هلاكه اختلافاً مشهوراً (ابن واصل، التاريخ الصالحي) لكن الواقدي يذكر انه بعد خسارة ابن الاشعث التجأ إلى رتبيل ملك الترك، الا انه اضطر الى قتله وأرسل برأسه إلى الحجاج بعد تهديد الحجاج له، وكان قتله سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)

واننا لنرى ان رواية الواقدي اقرب الى الصواب كون ملك الترك كان قد صالح ابن الاشعث فيما مضى بعدما امره الحجاج بالتوغل في بلاده سنة (٨٢ هـ / ٧٠١ م) فليس من العقل ان يرمي ملك الترك بنفسه وشعبه وارضه من اجل حماية رجل ليس له حوله ولاقوه ولاسيما بعد ان فقد كل شيء، واذا سلمنا ان الرواية التي نقلها لنا ابن واصل بان ابن الاشعث رمى بنفسه من السطح صحيحة، فهنا ستكمن لنا اشكاليه مفادها كيف يرمي ابن الاشعث بنفسه من اعلى السطح والجميع يحيطون به من جند الحجاج، هذا من جانب ومن جانب اخر هل تعذرت الاماكن كلها ليجلس الحجاج في السطح ليعرض عليه ابن الاشعث الا اذا كان السجن في السطح وهذا لم يتعارف عليه لدى المؤرخين ولم نقرأ عنه ان السجن بنيت انذاك على السطوح!!

ثانياً: عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٨٩٦ هـ / ٧٠٥-٧١٤ م)

يشير ابن واصل ان الوليد تسلم الخلافة بعد ان دام مدة خلافة ابيه احدى وعشرين عاماً، حتى انه ابتداءً خلافة بغزو ارض الروم بعد ان اوعز لأخيه مسلمة سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) بذلك (ابن واصل، التاريخ الصالحي) والجدير بالذكر ان ابن واصل اعتمد على ابن خليفة وغيره بذكر هذا النص الا ان ابن خليفة ذكر ذلك الفتح قبل وفاة عبد الملك (ابن خليفة، تاريخ ابن خليفة).

ومهما يكن فقد غزا قتيبة بن مسلم ارض بيكند بعد ان ولاة الحجاج ارض خراسان سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) قبل وفاة عبد الملك بن مروان فاستتصروا الصغد (اليعقوبي، البلدان) فأتوهم في جمع غفير فهزمهم قتيبة فقتلوا منهم خلق كثيراً وأسروا واعتصم ناس بالمدينة وسألوا قتيبة الصلح فصالحهم ، ثم ولى عليهم احد رجالات بني قتيبة وما ان

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥هـ/٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

رحل عنهم حتى خرج عليهم اهل بيكند فقتلوا من كان فيها من المسلمين، فرجع قتيبة فسأله الصلح فأبى فظفر بها عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة وأصاب آنية كثيرة من الذهب والفضة (ابن خليفة، تاريخ ابن خليفة) ويذكر لنا البلاذري عندما ولى قتيبة اخاه عمرو بن مسلم سجستان طلب الصلح من رتبيل مقابل دراهم مدرهمة ، الامر الذي طلب منهم تخفيض ما طلبوا منه فكتب عمرو الى اخيه قتيبة فسار قتيبة إلى سجستان، فلما بلغ رتبيل قدومه أرسل إليه أنا لم نخلع يدا من الطاعة وإنما فارقتمونا على عروض فلا تظلمونا، فقال قتيبة للجند اقبلوا منه العروض فإنه ثغر مشؤم فرضوا بها، ثم انصرف قتيبة إلى خراسان (البلاذري، فتوح البلدان) وقد ذكر لنا ابن واصل مصالحة قتيبة ملك خوارزم دون ان يذكر متى كان هذا الصلح، وقد اشار الطبري الى انه حدث سنة (٧٩٣هـ/٧١١م) (الطبري، تاريخ الطبري) وكان سبب مصالحة ملك خوارزم لقتيبة، بسبب غلبه أخوه خرزاذ الذي يصغره والذي امتاز بغطرسته وهيمنته فكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعا فاخرا أرسل فأخذه، لا يمتنع عليه أحد، ولا يمنعه الملك خوارزم لضعفه، فكتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم، ثلاثة مفاتيح من ذهب، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده، يحكم فيه بما يرى فلم يطلع أحدا على ما كتب به، ووفى له وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد، وكان يعادي خوارزم شاه، فقاتله، فقام عليه عبد الرحمن حتى قتله، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف اسير، فقتلهم جميعاً وهكذا استتب الامر الى خوارزم شاه بعد وفاءه (الطبري، تاريخ الطبري) ثم سار الى سمرقند ففتحها بعد حصار ويشير ابن واصل الى فتح الاندلس بعهد الوليد بن عبد الملك وقد اشرنا الى ذلك في الجانب السياسي ولاسيما السياسة التي اتبعت مع الخليفة الوليد من قبل موسى بن نصير والتي كان نتاجها ان فتحت الجزيرة الايبيرية ومدى الاختلاف بسنة الفتح التي اشار اليها ابن واصل وما ذكره المؤرخين (ابن واصل، التاريخ الصالحي)

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ الصالحي لأبن واصل (ت ٦٩٧/هـ ٢٩٨م)

ثالثاً: عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٧١٤/هـ-٧١٧م)

شهد عهد الخليفة سليمان بن عبد لملك الكثير من التغيرات سواء على المستوى السياسي او العسكري، فحقده على الولاة الذين ولاهم اخية الوليد (٨٦-٧٠٥/هـ-٧١٤م) جعله منه شخص يحقد على هؤلاء الذين اسهموا وضحوا بأنفسهم من اجل نشر الاسلام وازدياد رقعتها ، فيشير ابن واصل ان سليمان منذ بداية عهده سعى لخلع قتيبة بن مسلم الباهلي عن ولاية خراسان الامر الذي امتنعوا اهلها من خلعه مما ادى الى استخدام سياسة الاغتيال لازاحته فتم له ذلك الا ان ابن واصل لم يشير لنا من الذي قتله ولأبي سبب قتل ويذكر لنا الطبري خبر سبب مقتله أن الوليد بن عبد الملك اراد ان يجعل ابنه عبد العزيز ابن الوليد ولي عهده، فبايعه على خلع سليمان بن عبد لملك الحجاج بن يوسف وقتيبة، وما ان مات الوليد وقام سليمان خافه قتيبة (الطبري، تاريخ الطبري) ولما تولى سليمان الخلافة كتب قتيبة كتابا ارسله الى سليمان يهنئه بالخلافة، ويعزيه على الوليد، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه على عهده لبني مروان من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان، وكتب إليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعظم صوته فيهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه حتى اعلم سليمان بأمر الكتب الى ال مهلب (الطبري، تاريخ الطبري)

ومهما يكن فقد قُتل قتيبة بفرغانة سنة (٩٧/هـ-٧١٥م) على يد وكيع بن أبي سود التميمي (ابن الاثير) بينما يشير ابن واصل الى ان قتله كان بنفس العام الذي تولى فيها سليمان بأمر يزيد بن المهلب، بعد ان كتب إليه بولاية خراسان، وبعث وكيع برأس قتيبة إلى يزيد بن المهلب، فبعث به إلى سليمان بن عبد الملك (ابن مندة) وبقي وكيع على خراسان حتى عزله يزيد بن المهلب وولى مكانه ابنه مخلد بن يزيد وبقي عليها حتى مات سليمان سنة (٧١٧/هـ-٧٩٩م) (ابن خليفة، تاريخ ابن خليفة) وهذا ما اشار به ابن واصل الى ان وفاته كانت بمرج دابق من ارض قنسرين سنة (٧١٧/هـ-٧٩٩م) وجرياً عن الاحداث التي اشار اليها ابن واصل وتماشياً مع المنهجية التي كتب بها مراعيًا التسلسل الزمني لها، مع علمنا المتواضع ان ابن واصل في اغلب الاحيان لم يشير الى سنة حدوث

الحدث فقد اشار الى فتوح طبرستان وجرجان على يد يزيد بن المهلب بن ابي صُفْره دون ذكر سنة الفتح (ابن واصل، التاريخ الصالحى) ومع ذلك فقد ذكر ان ابن خليفة في تاريخه ان جرجان فتحت في سنة (٧٩٧هـ/٧١٥م) اذ قام يزيد بن المهلب بتجهيز جيش قوامه ثلاثين ألفاً بغزو جرجان فأصاب منها اموالاً كثيرة (مؤلف مجهول، د.ت) ثم بعد عام من فتح جرجان غدر أهلها بمن خلف يزيد عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ يزيد من صلح طبرستان سنة (٧٩٨هـ/٧١٦م) على ما سنذكر، فحلف يزيد ليطحن بدمائهم ويختبز ويأكل منه جزء بما عملوه بالمسلمين، فسار إليهم فتحصنوا وصاحبهم المرزبان فقاتلهم يزيد أشهراً فاضطروا بأن ينزلوا على حكمه فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وصلبهم ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان فقاتلهم وأجرى الماء في الوادي على الدم وقد أوفى بحلفه وفي سنة (٧٩٨هـ/٧١٦م) غزا يزيد بن المهلب طبرستان بعد عام من فتح جرجان فقد جرت بين جيش يزيد بن المهلب وجيش الأصبهيد معركة بعد ان استعان الأصبهيد بأهل الجبال والديلم، بعد رفض يزيد مصالحة الأصبهيد رجاءً بأفتتاحه (الطبري، تاريخ الطبري) فالتقوا عند سند الجبل فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم هزم الله الأصبهيد ومن تحالف معه وصعدوا الجبل فبعث يزيد حيان النبطي فصالح الأصبهيد على سبع مائة ألف درهم وأربع مائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربع مائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وجام فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك يزيد وانصرف عنهم (ابن خليفة، تاريخ ابن خليفة) وأشار ابن واصل ان مسلمة بن عبد الملك فتح في سنة (٧٩٨هـ/٧١٦م) مدينة الصقالبة واستولى عليها وهذا ما ذكر لنا المؤرخين ان مسلمة بن عبد الملك قبل مايتم له فتح مدينة الصقالبة اغزا القسطنطينية فحاصرها، ثم قام بفتح مدينة الصقالبة، وما ان تم له ذلك حتى أغارت عليه اهل برجان وهو في قلعة، فكتب إلى سليمان يستمده، فأمده، وهو في اثناء ذلك مكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية ويذكر ان مسلمة اصابه صداع عظيم في رأسه، وهو يغازيهم فبعث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال ضعها على رأسك يذهب صداعك، فخشي أن تكون مكيدة فوضعها على رأس بهيمة فلم ير إلا خيراً، ثم وضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيراً، فوضعها على رأسه فذهب صداعه، ففتقها فإذا فيها ايه من آيات القران مكرره سبعون مره { إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا } (سورة فاطر) (ابن كثير،

الجوانب العسكرية واثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥هـ / ٧١٧-٧٠٥م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ / ٢٩٨م)

البداية والنهاية) ومن ذلك يتبين لنا ان من احد الاسباب التي جعلت مسلمة يصر على فتح القسطنطينية من رغم الصعوبات لما حدثوه به من رسول الله ﷺ قال "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" (الكحلوي، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) حتى جد مسلمة على فتحها فغزاهم.

لم يشر ابن واصل اثناء خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ الى شيء من الامور العسكرية سوى عهده لأيوب بن شرحبيل بولاية مصر (ابن واصل، التاريخ الصالحى)

نتائج البحث

استهدف البحث دراسة الجوانب العسكري واثرها أبان الدولة الاموية (٦١-٧٩٩هـ / ٦٨٠-٧١٧م) اذ اخذت الجانب العسكري وممارسته من قبل رجالات الدولة الاموية ابعاد سياسية ادت الى قتل الكثير من اهل مكة والمدينة حتى وصل القتل الى الامامين الحسن والحسين ﷺ سيدا شباب اهل الجنة من اجل الهيمنة على الخلافة الاسلامية ونتيجة لذلك القمع اقامت الدولة الاموية في الشام لتبدأ مرحلة جديدة من سياستها بين مؤيد ومعارض حتى ادى في نهاية المطاف الى قيام ثورات عسكرية داخل البيت الاموي من اجل السلطة ونتيجة لهذا الثورات ضعف البيت الاموي مما سهل على العباسيين القضاء عليهم سنة ١٣٢هـ

المراجع

(ت ق ٥٣هـ) مؤلف مجهول. (د.ت). أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده. بيروت: دار
الطليعة.

- ابن الاثير. (بلا تاريخ). اسد الغابه.
ابن تيمية. (بلا تاريخ). الفتاوى الكبرى.
ابن خليفة. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خليفة.
ابن سعد. (بلا تاريخ). الجزء المتمم لطبقات ابن سعد.
ابن سعد. (بلا تاريخ). الجزء المتمم لطبقات ابن سعد.
ابن سعد. (بلا تاريخ). الجزء المتمم لطبقات ابن سعد.
ابن سعد. (بلا تاريخ). الجزء المتمم لطبقات ابن سعد.
ابن سعد. (بلا تاريخ). الطبقات.
ابن عساکر. (بلا تاريخ). تاريخ دمشق.
ابن قتيبة. (بلا تاريخ). المعارف.
ابن كثير. (بلا تاريخ). البداية والنهاية.
ابن كثير. (بلا تاريخ). البداية والنهاية.
ابن مندة. (بلا تاريخ). المستخرج من كتب الناس.
ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب مادة خمس ومادة شرط.
ابن واصل. (بلا تاريخ). التاريخ الصالحى.
ابن واصل. (بلا تاريخ). التاريخ الصالحى.
ابن واصل. (بلا تاريخ). التاريخ الصالحى.

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٥٩٩هـ / ٧٠٥-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت ٥٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)

- البلاذري. (بلا تاريخ). انساب الاشراف.
البلاذري. (بلا تاريخ). انساب الاشراف.
البلاذري. (بلا تاريخ). انساب الاشراف.
البلاذري. (بلا تاريخ). أنساب الأشراف.
البلاذري. (بلا تاريخ). فتوح البلدان.
الدينوري. (بلا تاريخ). الاخبار الطوال.
الدينوري. (بلا تاريخ). الاخبار الطوال.
الدينوري. (بلا تاريخ). الاخبار الطوال.
الدينوري. (بلا تاريخ). الأخبار الطوال.
الطبري. (بلا تاريخ). تاريخ الطبري.
العصامي. (بلا تاريخ). سمط النجوم.
العصامي. (بلا تاريخ). سمط النجوم.
العصامي. (بلا تاريخ). سمط النجوم.
الفسوي. (بلا تاريخ). المعرفة والتاريخ.
المسعودي. (بلا تاريخ). التنبيه والإشراف.
المقدسي. (بلا تاريخ). التاريخ المعتبر.
النجار. (بلا تاريخ). الدولة الاموية بالمشرق.
اليقوي. (بلا تاريخ). البلدان.
اليقوي. (بلا تاريخ). البلدان.

الجوانب العسكرية وأثرها أبان الدولة الاموية (٦٤-٧٠٥/هـ-٧١٧م) من خلال كتاب تاريخ
الصالحى لأبن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

- بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي (ت ٧٣٩هـ/١٣٤٨م)، البغدادي. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). مرصد
الاطلاع. بيروت: دار الجبل.
- زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٥٧٤م) القزويني. (د.ت). اثار البلاد واخبار العباد. بيروت:
دار صادر.
- سورة فاطر. (بلا تاريخ).
- شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ياقوت الحموي. (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). معجم
البلدان (المجلد ٢). بيروت: دار صادر.
- علي بن محمد احمد المكي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، المالكي. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). الفصول المهمة في
احوال الائمة. بيروت: دار الاضواء.
- مجير الدين العليمي عبد الرحمن (ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م) المقدسي. (١٤٣١هـ/٢٠١١م). التاريخ المعتمد.
دمشق: دار النوادر.
- محمد الطيب النجار. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). الدولة الاموية في المشرق. د.م: د.ن.
- محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٨م) الكحلوي. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). التنوير
شرح الجامع الصغير. الرياض: مكتبة دار السلام.
- محمد بن محمد حسن شراب. (١٤١١هـ/١٩٩٠م). المعالم الاثيرة في السنة والسيرة. دمشق: دار القلم.
- ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). معجم البلدان.
- ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). معجم البلدان.
- ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). معجم البلدان.
- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، ابن الزكي. (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). تهذيب
الكمال في اسماء الرجال. بيروت: مؤسسة الرسالة.

موقف الخلفاء الفاطميين تجاه الجوانب الاقتصادية

شيماء يونس سايب

أ.م.د: حازم وطن هندي

كلية التربية ابن رشد / قسم التاريخ

موقف الخلفاء الفاطميين تجاه الجوانب الاقتصادية

شيماء يونس سايب

أ.م.د.: حازم وطن هندي

إذا أردنا أن نتطرق إلى أحداث تاريخية مبنية على أسس وقواعد هادفة، علينا أن نمتلك رؤية اقتصادية ومن خلالها نفهم أن الدولة الإسلامية وعلى مر العصور آلت إلى التدهور من خلال توافر أسباب عديدة منها سياسية ومنها اقتصادية، ولكي نفهم قوة الدولة علينا فهم نشاطها الاقتصادي سواء متمثل بالحركة التجارية أم الصناعية أو الزراعية أو نشاط حركة السوق وتبادل السلع التجارية أو نظامها المالي وقيمة النفوذ فيها.

ومنذ بداية حكم الفاطميين أصبحت مصر ذات نشاط اقتصادي كبير وبدأت تضاهي الدول العربية الإسلامية في ذلك الجانب، ووضعت الدولة الفاطمية تنظيم منظم وهيكلية عالية وجعلت كل ما يتعلق بها منذ البداية تحت إشراف موظف واحد عرف باسم (متولي الخراج)^(١)، يقوم بجباية الخراج وينظر في سائر وجوه الأموال فضلاً عن وجود موظفين يعينهم الخلفاء الفاطميين كل حسب اختصاصه.

يعد الخراج وما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها وهو من أقدم أنواع الضرائب الإسلامية، وأحد النظم المالية في الدولة الفاطمية، فقد اختلفت موارد الدولة الفاطمية وتنوعت مصادرها حيث كانت ضريبة الأرض تأتي في مقدمتها والتي فرضت على الأرض حسب مساحاتها، وهي تمثل المال الذي يجبي كل سنة على الأرض المزروعة وعلى الغلة والنخل والكروم والفاكهة وحيوانات وغيرها^(٢).

شكل الخراج أهم تحديات الخلفاء الفاطميين إذ وجب عليهم التعامل مع مجتمع جديد لاسيما وأنهم كانوا تحت طائلة الحكم الأخشيدي، وإن الخلفاء الفاطميين كانوا على درجة كبيرة من التسامح في مجال جباية الأرض من جهة وإن جباية الخراج من أهم وارداتها ويجب أخذها من جهة أخرى.

جبي القائد جوهر الصقلي عند فتحه مصر (سنة ٣٥٨ هـ) ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفاً^(٣)، وهناك رواية أخرى حول قيمة ما حصله من الخراج بأن بلغ خراج مصر في تلك السنة ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار^(٤)، وعلى الرغم من اختلاف الروايتين في ما يخص جباية الفاطميين عند دخول جوهر مصر ولأول مرة يقوم جوهر بجباية الأرض لاشك ان الرواية فيها نوع من المبالغة وكان موقف الفاطميين تجاه ذلك واضحاً للدول الدينية الاسلامية^(٥).

أما موقف الفاطميين من موضوع الخراج فكان من الطبيعي ان تلتفت الدولة الفاطمية إلى هذا الموضوع من حيث إعادة الحسابات التي تتسجم مع الوضع الجديد.

كان موقف الفاطميين تجاه القضايا الاقتصادية موقفاً استطاعوا من خلاله استمالة الناس (المصريين لهم) وحبهم لهم ولاسيما عندما أبطل الخليفة المعز لدين الله نظام الضرائب القديم وأنشأ نظاماً جديداً وهو تحديد نسبة معينة من الضرائب وفق تقدير املاك الفلاحين وجمعها في مكان واحد^(٦).

لم يقف هذا الموقف تجاه القضايا الخراجية، بل اعتنى الفاطميين عناية فائقة بشؤون الفلاحين حيث اهتم الخلفاء الفاطميين بجمع طلبات الفلاحين المتعلقة بالالتماسات من ناحية والشكاوى من ناحية أخرى وقد تعامل مع هاتين الطريقتين بالشدة والحزم^(٧).

اعتمد الفاطميين ولاسيما في عهد الخليفة المعز لدين الله نظام اليوافي الذي يلتزم بموجبه الضامن لدفع مبلغ من المال إلى الحكومة لقاء منحه جباية الخراج من المزارعين لغرض الإفادة من المبالغ المتبقية فأرباح بعد ابقائه بالتزاماته^(٨).

ويمكن القول ان هذا النوع من الاجراء يمكن عدّه من الأمور التي استخدمها الفاطميون في إدارة شؤون هذا المورد المالي المهم والذي يعد عصب الجوانب الاقتصادية.

كان موقف الخلفاء الفاطميين ينحى منحنيين، الأول كان موقفاً حازماً في تحصيل الخراج ولاسيما من الشخص الذي لم يف بعهد، وآخر تساهلت الحكومة الفاطمية في تحصيل الخراج وكان ذلك ايام فيضان النيل وعم توفير الامكانيات اللازمة بالزراعة^(٩).

أما في خلافة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٦٨ هـ) امتاز عهده بالهدوء وعدم تعرض البلاد إلى أزمات مالية كبيرة^(١٠)، وفي خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ) اتخذت الخلافة الفاطمية موقفاً متشدداً في جباية خراجها ويمثل ذلك حزمها ومهابتها في نفوس الناس.

وفي الوقت وقف الحاكم بأمر الله موقفاً من جانب المجتمع المصري فيما يخص الخراج حيث أسقط المكوس عن الشعب^(١١).

وفي خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ) بلغ مقدار الخراج سنة (٤٦٢ هـ/٦٠٠,٠٠٠) وهذا المبلغ قليل جداً وذلك بسبب الأزمة المالية والاقتصادية^(١٢).

أما فيما يخص اجراءات الخلافة الفاطمية في موقف الدولة الفاطمية من الزكاة فلم يدخل الفاطميون أي تعديل مالي أو اقتصادي وساروا حسب القرآن والسنة.

أما الجزية فقد فرضت على أهل الذمة على اليهود والنصارى^(١٣)، وكانت تدخل ضمن الخراج أي (في المناطق الريفية) بحسب السنة الهلالية^(١٤).

أبدى الفاطميين تسامحاً مع المسيح واليهود إلا أنهم حرصوا كل الحرص على تحصيل هذه الضرائب منهم وان تساهل الفاطميين وتسامحهم اشتمل على حرية العمل والنشاط الاقتصادي.

لاشك ان موقف الفاطميين وهذا التساهل الذي لجأ إليه الفاطميون في مصر يخالف لما زعم، تم الجزية إنما وضعت على اهل الذمة إذلالاً وإهانة لهم^(١٥).

ان ما تقوم به الخلافة الفاطمية من تشدد حازم في مسألة المصادرات لايعني ان الدولة تأخذ طريقاً صعباً وغير سالك بالعكس في مسألة في غاية الأهمية وهي غالباً تؤخذ على شكلين، فالأول هو أن الدولة الفاطمية تلجأ إلى مصادرة الممتلكات لمكافحة الغلاء وتسعير الأقوات وهذا يحسب لهم فأغلب السكان من الطبقة الفقيرة، أما الشكل الثاني فيصيب كبار القوم^(١٦).

ففي خلافة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) كان أول من صدر هو الوزير يعقوب بن مكس سنة ٣٧٣هـ وقد حمل من ماله خمسمائة ألف دينار^(١٧).

لجأ الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ) إلى مصادرة اموال كل من سخط عليهم حتى طالّت المصادرات أفراد أسرته، حتى انه أنشأ ديوان سماه (ديوان المفرد)^(١٨)، وذلك لكثرة المصادرات.

لم يكن الخلفاء الفاطميين على نفس الموقف تجاه الجانب الاقتصادي فيختلف طبقاً للظروف التي تمر بها الخلافة فكثيراً ما لجأ الفاطميون إلى المصادرة وتنظيم بيع الغلال، ففي عهد الخليفة المستنصر بالله أخرج الوزير اليازوري سنة ٤٦١هـ جميع مافي الامراء من الغلال وأمر ببيعها بسعر منخفض مما أدى إلى هبوط الاسعار في السوق^(١٩).

من الواضح ان ما قام به الفاطميين من المصادرة يعد اجراء سليم في سبيل راحة المستهلكين وقد هدد بها الوزير المأمون البطائحي في خلافة الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ) ان لم يهبط السعر إلى كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينار^(٢٠).

لقد كان موقف الخلفاء الفاطميين من تلك المصادرات هو إجراء توازن في السوق كي تعم الفائدة إلى أكبر عدد ممكن من المستهلكين، فقد كانت المصادرات تشتمل على الممتلكات لدى الوزراء والحاشية وكبار القوم وحتى التجار^(٢١).

أما موقف الخلفاء الفاطميين تجاه الجانب التجاري والنشاط الزراعي، فقد سعت الخلافة إلى نشاط تجارتها لموقعها الجغرافي، حيث اعتنى الفاطميون بالتداول السلعي وتنظيمه باعتباره مردود مالي كبير^(٢٢).

استفاد الفاطميين من عاملين أساسيين، الأول ازدهار اقتصادها وثانياً سيطرة الفاطميين على طرق التجارة^(٢٣)، واصبحت مواني مصر، تكثر فيها السفن الأوربية فضلاً عن علاقاتها التجارية مع الحبشة^(٢٤)، وغانا، واصبحت كل مدن مصر كالفسطاط والقاهرة والاسكندرية وقوص مراكز تجارية مهمة نشطت فيها الحركة التجارية.

وهكذا وقف الخلفاء موقفاً زاد من عظمة ورفاهية البلاد، حيث نجد المقدسي^(٢٥)، ينصح من يريد العمل في ميدان التجارة ان يقصد مصر، حيث يجد سوقاً رائعاً مكتظة بالسلع الشرقية والغربية إلى جانب السلع المصرية.

لا بد هنا أن نذكر ان المعلومات الواردة في النشاط التجاري كان الهدف منه تسليط الضوء على ما قدمه هنا النشاط من انتعاش اقتصادي للحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر الفاطمية بالإضافة إلى مردود مالي وتنوع بضائع وقوة ثبات النشاط التجاري^(٢٦).

أخذ الفاطميون على عاتقهم نظام آخر الهدف منه تحقيق العيش والفاقة على الناس (المصريين) فكان للمتجر أهمية كبيرة لأنه عبارة عن السلع التي يشتريها الديوان من التجار الواردين إلى مصر، وذلك بحسب ما تدعوا إليه حاجة البلاد، فإذا زاد ثمن المباع من التجار شيئاً مما يجب عليه من ضريبة الخمس للدولة وأعطى به أي زيادة سلعه وكان من الأصل لخصن الغلال وفي حال انقضت الاقوات في الاسواق تلجأ الحكومة إلى اخراج تلك الغلال وتوزيعها على المصريين بأبخص الأثمان^(٢٧).

وقد وجدت الحكومة الفاطمية ان المتجر المخصص للغلة قد يعود بالضرر على المسلمين في حالة انحطاط السعر عن السعر الذي اشترت به الدولة فوجد من المناسب ان يحتوي المتجر على مواد لا يخشى عليها من انحطاط السعر أو التلف في بعض الأحيان مثل الحديد والرصاص والخشب^(٢٨).

من جانب آخر امتلكت الحكومة الفاطمية عدد من الحوانيت والمخازن والخانات والأفران والقياسر والحمامات والرباع في القاهرة، ومدن مصر الكبرى. فكانت تلك الممتلكات كلها ملك السلطان، وكانت تؤجر بمبالغ رمزية لشريحة معينة من المصريين فمنها بدينارين^(٢٩)، ومنها ما كان يؤجر بالدرهم وليس بالدينار وهذا الاجراء جعل الخلفاء الفاطميين يكونون بالقرب من المجتمع المصري ومعرفة احتياجاتهم.

- الزراعة:

تعد الزراعة في الدولة الفاطمية هي عصب الحياة الاقتصادية فضلاً عن الصناعة وما آلت إليه من منتوجات صناعية حيث تعد الزراعة مصدر الثروة في مصر، وقد حرص الفاطميون على بذل كل ما في وسعهم من أجل اسعاد المجتمع المصري وحرصهم على ايجاد الأقوات الزراعية للمصريين.

كانت تزرع في مصر اصناف عديدة من الزراعة مثل: القمح والشعير والبرسيم والكتان والحمص والعدس والجلبان والبصل والثوم والترمس والخس وقصب السكر والقطن والأرز والتيلة والسسم والبطيخ الأصفر والأخضر واللوبيا والقلقاس والفجل والبادنجان واللفت والكرنب، وكل تلك المحصولات والمزروعات كانت في بعض الأحيان تدعن من قبل الحكومة الفاطمية للفلاح المصري، وتوفير الأقوات لهم (٣٠).

وفرت الحكومة الفاطمية كل ما يحتاجه الفلاح المصري في زراعة أرضه إلى أدوات الزراعة، مثل المحراث لشق الأرض للمحصول الجديد، وعملت الحكومة الفاطمية على شق قنوات الري لرفع المياه إلى الأرض وفتح الفرع ومد الجسور السلطانية.

- الأسواق:

لعبت الأسواق في العصر الفاطمي دوراً كبيراً في النشاط الاقتصادي لاسيما بين مدن مصر حيث كانت السلع والبضائع تنقل من مدينة إلى أخرى ويختلف عدد الأسواق في المدينة الواحدة (٣١).

حرص الفاطميين على مراقبة الأسواق وذلك لما لها من أهمية في حياة المصريين كونها تدخل في الحياة اليومية ومفاصلها في المجتمع المصري، والسوق هي التي تشتمل على حاجات الناس، منها الضرورية وهي الأقوات مثل الحنطة والباقلاء واشباهها ومنها الحاجات الكمالية، مثل الملابس والماعون وغيرها (٣٢).

ليس هنا بصدد عرض أنواع الأسواق وأماكن تواجدها في مصر الفاطمية بل دور الدولة وموقفها من انتشار الاسواق وتقديم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية للمصريين فقد لعبت الاسواق دوراً رئيسياً في رواج الحركة التجارية وازدهارها في مصر الفاطمية وكانت

بمنزلة مؤسسات اقتصادية هيأت السبل أمام التجار القادمين إلى مصر، وحتى يتبين للحكومة اداء واجب الاشراف عليها على الوجه الأكمل^(٣٣).

يبدو ان الفاطميين اعتنقوا بالأسواق عناية كبيرة لما لها دور في التبادل التجاري والسلعي ولاسيما على المستوى الخارجي وكانت اسواق القاهرة المقربة كما يبدو لم يكن مسموحاً للعامة الاقامة بها اقامة دائمة وكان عليهم مفارقتها قبل الليل إذ يذكر المقرئزي^(٣٤).
" ان المتعيشين بالقاهرة والمستخدمين يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون إلى منازلهم بمصر "

اتبع الفاطميين نوعاً من أنواع التخصص في البيع إذ جعلوا كل اسواق تجارية متخصصة وسميت بعض الحارات بها، مثل سوق الحلويين^(٣٥) وسوق الدجاج^(٣٦) وغيرها والعديد من الاسواق.

عمل الفاطميين على تفعيل دور المحتسب ونوابه في مراقبة اسواق القاهرة والفسطاط وجميع الأعمال الأخرى والتي تتلخص في مراقبة الأسواق.

لم يكن موقف الفاطميين تجاه مراقبة الأسواق مجرد عمل يومي بل هو ما ننظر إليه الدولة على المستوى البعيد فإن مراقبة الاسواق وما يمارس فيها من نشاطات من قبل التجار وأرباب الحرف والمعاسيس والطباخين وغيرهم، كما كان يشرف على مراقبة الآداب العامة ومنع تعرض الشباب للنساء واختلاء الرجل بامرأة ليست ذات محرم ويراقب نظافة الأسواق والطرقات والماء الذي يحملة السقاءون ومراعاة الرفق بالحيوان ومراقبة المكايل والموازين وضبط عيارها منعاً للغش وغير ذلك من الأمور ذات الطابع الديني والاقتصادي والاجتماعي^(٣٧).

حرصت الدولة الفاطمية على وجود مهمة اخرى للمحتسب: " كان يوجد في الدولة الفاطمية دار العيار تعير فيها الموازين بأسرها وجميع الصنع وكان ينفق عليها من الدولة^(٣٨).

ووقفت الدولة الفاطمية موقفاً حازماً تجاه الباعة، حيث عملت على استدعاء الباعة من الاسواق ومعهم مكايلهم وصنجمهم وموازينهم للكشف عليها، فإن وجد فيها عيباً لايمكن

اصلاحه الزم الباعة بشراء نظيرة مما هو مصنوع لها ودفع ثمنه، وإذا كان يمكن اصلاح الخلل اكتفى بأخذ أجر الاصلاح فقط^(٣٩).

لاشك ان للخلفاء الفاطميين دور كبير في تسيير الحياة اليومية للمصريين فيذكر المقريري في (سنة ٣٨٣ هـ) " كثر بخرس الباعة في البيع من المكابيل والموازن في الأسواق فكتب سجل بالنهي عن ذلك وخوفوا بأن من وجد عنده صنجة أو كيل أو ميزان يعد سارق وفيها عيب، حلت به العقوبة كائناً من كان من ساكن في عقار الدواوين الخاصة والأملاك أو في رباغ أحد من خواص الدولة أو ظهر انه بخرس الناس أو غش " ^(٤٠).

يتضح من العبارات الأخيرة ان بعض التجار كانوا يحتمون بكونهم يستأجرون حوانيتهم من أملاك الدواوين أو كبار الأعيان فيتجاهلون تنفيذ أوامر المحتسب وأعوانه ويهملون ضبط مكابيلهم وموازنهم " ^(٤١).

أما في ما يخص بعض المجاعات التي حصلت في مصر الفاطمية ولاسيما سنة (٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م)، " ولكن يبدو لنا أن جوهر على الرغم من قيامه بتوزيع الصدقات ومحاولة توفير القمح في الأسواق لم يتمكن من التحكم في تدهور الحالة الاقتصادية في البلاد، فرد جوهر الحسبة إلى سليمان بن غرة الذي حاول من مواجهة المشكلات التي تتعرض لها البلاد وأن يقوم بمهامه خير قيام وأن يوفر الأوقات للناس ويصلح الأسواق حتى تستقر الأمور فضبط الساحل وجميع القماحين في موضع واحد، ولم يدع كف قمح يجمع إلا بحضرته وضرب أحد عشر رجلاً من الطحانيين وطيف بهم، ولم يكتف بهذا، بل جمع سماسرة الغلال في مكان واحد وسد الطرق إلا طريقاً واحداً، فكان البيع كله هناك ومنع خروج شيء من الغلة حتى يقف عليها بنفسه " ^(٤٢).

هكذا هو موقف الخلفاء الفاطميين تجاه من يستأجرون بأوقات الناس ويتلاعبون بقوتهم اليومي، ومن الجدير بالذكر أن الغلاء وارتباك الأسواق اضطر الدولة إلى تدخل المحتسب لضبط الأسعار، كان يتركز آنذاك على سلعة رئيسية هي الحبوب وخاصة القمح ومشتقاته من الدقيق والخبز الذي يمثل الغذاء الرئيسي لعامة الناس ^(٤٣).

أما موقف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، فقد انفرد عدا غيره من خلفاء الدولة الفاطمية ببعض الأفعال والقرارات التي لم يقم بها غيره منهم، فهو الخليفة الوحيد الذي ينسب

إليه المؤرخون انه كان يباشر الحسبة بنفسه في الأسواق، فيركب على حماره ويتجول في الأسواق لهذا الغرض يركب في كل ليلة، وكان يمر بالشوارع والأزقة وأمر الناس بالوفيد فتزايدوا منه وزينت الأسواق والقياس بأنواع الزينة وباعوا واشتروا وأنفقوا الأموال الكثيرة في المأكل والمشرب والغناء واللهو^(٤٤).

ورغم ما كان بها التصرف من جانب الحاكم بأمر الله من تأثير على رواج حركة التجارة في الأسواق نتيجةً لازدحام الناس لمشاهدة الخليفة في جولاته والاقتراب منه، والتحدث إليه، كان مما ساعد على ذلك ان الحاكم أمر حرسه الخاص بالابتعاد عنه وعدم زجر الناس إلا أن الأمور خرجت عن الحد المألوف وحدثت بعض السلبيات الاجتماعية نتيجة لأقبال الناس على الشراب واختلاط الرجال بالنساء، مما أضطر الحاكم إلى اصدار أوامره لمنع النساء من الخروج بالليل^(٤٥).

إذا كان احتساب الحاكم بأمر الله قد سبب بعض المشاكل فإنه حلَّ مشاكل أخرى، " والواقع أن قيام الخليفة بنفسه بدور المحتسب كان يمكن أن يؤدي إلى نتائج حاسمة في ضبط الأسواق وخاصة في حالة نقص الغلال وندرة الخبز، لأنه يملك من السلطات ما لا يملكه غيره من مستخدمي الدولة.

يروى المقرئ: في أحداث (سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) ان النيل نقص عن معدله في هذه السنة واختفت الحبوب وشحَّ الخبز فاحتشد العامة في ميدان بين القصرين واستعاثوا بالخليفة الحاكم في أن ينظر في أمرهم، فركب الخليفة الحاكم حماره وخرج من باب القصر وأعلن أنه ماضٍ إلى جامع راشد وأقسم أنه لو عاد ووجد الطريق الذي سلكه به موضوع مكشوف من الغلة ليضرب عنق كل من يقال ان عنده غلة وليحرقن داره وتصادر أمواله^(٤٦).

والطريف في الأمر ان تهديد الحاكم لهؤلاء التجار الذين يستغلون الأزمات لإخفاء الغلال قد أتى بنتائج سريعة فامتألت طريق الحاكم عند عودته آخر النهار بكميات كبيرة من الغلال ما أخرجته الناس من بيوتهم ومخازنهم وغمرت الغلال الأسواق^(٤٧).

أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) قراراً بإبطال المكوس (مكوس الحسبة) مما يشير إلى أن الحسبة كانت لها رسوم تحصل من الباعة والتجار في

الأسواق في ذلك الوقت وان كنا لانعلم مقدار هذه الرسوم ومواعيد تحصيلها ولعل الحاكم أراد التحقيق عن أهل الأسواق فأمر بالغانها (٤٨).

ولكي تتمكن الدولة الفاطمية من حسن تنفيذ القرارات الاقتصادية التي تصدرها بشأن تسعير الخبز والدرهم اتخذت عدداً من الإجراءات القوية لإجبار التجار على احترام قرارات الدولة والإلتزام بها، فكتفت المراقبة على الأسواق وتعاملت بقوة وقسوة مع التجار المخالفين فضرب جماعة من الطحانيين والخبازين بالسياط، وشهروا من أجل ازدحام الناس على الخبز وبيعهم له ملولاً ليزيد وزنه (٤٩).

كما صدرت الأوامر إلى أحد كبار موظفي الدولة المقربين من الخليفة الحاكم بأمر الله وهو (مسعود الصقلي) متوالي الستر وصاحب السيف بالنظر في أمر الأسواق (٥٠).
بيدوا أن سلوك الناس أيضاً لم يتغير: "ومن البديهي أن التجار قد استجابوا لفترة لتعليمات المحتسب وخلال ذلك تكالب الناس للحصول على كميات تزيد عن حاجتهم بهدف التخزين خوفاً من عودة ارتفاع الأسعار وهذا السلوك يتبعه تلقائياً وندرة السلعة وزيادة أسعارهم ثم اختفائها" (٥١).

أما موقف الخليفة الفاطمي الظاهر لأعزاز دين الله وفي ظل الظروف الاقتصادية المتدهورة، خرج من قصره في موكب في منتصف ذي القعدة سنة (٤١٥ هـ) فقبل اثناء مروره بالفسطاط بصيحات الناس واستتكارهم بضجة واحدة (الجوع)، الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك ولاجدك، وافتنن البلد بالضجيج وتمادت الجماهير في غضبها وحملت الخليفة مسؤولية ما يعانون من جوع ووقف رجل تحت قصر الخليفة وبالغ في ما شتم فيه فضربه الرقاصون حتى سقط وجروه برجليه إلى السجن بالشرطة " (٥٢).

أما موقف الخلفاء الفاطميين تجاه ضبط الأسعار لتلافي استغلال التجار ذلك الاستغلال لم يكن جديداً في تلك الأيام.

وكان التجار يشترون من المزارعين محاصيلهم من الحبوب والغلل مسبقاً بسعر فيه ربح لهم مستغلين اعسارهم وعدم مقدرتهم على الوفاء بما عليهم من أموال لدواوين الدولة، فيقوم هؤلاء التجار بالوفاء للدولة مما على المزارعين من ضرائب وكان يسجل في الدواوين ما سدده التجار وما يحصلون عليه من الغلال مقابل ما دفعوه وفاءً لما على المزارعين، فقام

الوزير أبو محمد اليازوري، بحصر هؤلاء التجار من سجلات الديوان وأمر أن ترد إليهم الأموال التي دفعوها مع فائدة تقدر بثمان دينار عن كل دينار دفعوه وطلب اليازوري من عماله على جميع البلاد بوضع يدهم على مخازن القمح وحملت في المراكب إلى مخازن الدولة بالفسطاط وجعل سعر الكيس (كيس يحوي من الدقيق ما وزنه ١٥٠ رطلاً) من الدقيق ثمانية دنانير^(٥٣).

نظم الوزير اليازوري عملية توزيع القمح على الخبازين وهكذا ضبط الأسعار، لأن تسعيرة للقمح تحت يده وبأشراف من الخليفة الفاطمي، وجعل في مخازنه كميات ضخمة منه، مما جعله يتحكم في السعر لوفرة ما غمر به السوق من الغلال^(٥٤).
إن موقف الخلفاء الفاطميين في هكذا حالات إنما يلعب دوراً كبيراً في امتلاء المخازن ولاسيما عند حدوث الأزمات.

ففي خلافة الثائر بنصر الله (٤٥٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠م)، وقع الغلاء وكان طلائع ابن رزيق وزيره آنذاك، " فكانت مخازن الدولة كان بها من الغلات ما لا يحصى فأخرجت الغلال ووزعت على الأسواق فأنحل السعر وغمرت الأسواق بالغلل^(٥٥).
نلاحظ أيضاً الدور الذي قام به الخلفاء الفاطميين ولاشك أن هذا الدور والموقف يختلف من خليفة إلى خليفة آخر، فعلى الرغم من أن الخطر الذي قام به الخليفة الحاكم بأمر الله على الخمر قد تلاشى في خلافة الطاهر لاعزاز دين الله.

ففي بداية عهده يروي النويري^(٥٦)، أنه: " في المحرم سنة (٤١٢ هـ) سومع بمكس الفقاع وكان مقداره في الشهر سبعمائة دينار"^(٥٧). وهي عبارة توحى بأن الظاهر لم يكتف برفع الحظر الذي فرضه الحاكم عن صناعة الخمر بل شجع على صناعتها وتداولها، برفع الضرائب المفروضة عليها، مما ساعد الناس على التماذي في الإقبال على شرب الخمر وكثرة تداولها في الأسواق.

ويروي المسبحي^(٥٨)، فيما شاهده أثناء الاحتفال بفتح الخليج سنة (٤١٥ هـ / ١٠١٤ م)، فيقول: وشوهد من سكر النساء وتهتكن وحملهن في خفاف الحملين سكارى.

من ناحية أخرى كان للخلفاء الفاطميين موقفاً فيما يخص الاجبار على الخزن فينقل لنا المؤلف ابن زولاق^(٥٩)، (طريقة احتفال الشيعة في مصر بذكرى يوم عاشوراء سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) حيث انقسم الاحتفال بمظاهر الناس على اظهار حزنهم ومنع التجار من ممارسة النشاط التجاري في الأسواق وكانوا يمارسون طقوسهم في اظهار الحزن في حراسة فرقة من الجنود المغاربة وكسروا أواني السقائين في الأسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم.

صحيح أن أكثر المشترين من عامة الناس الذين لا يملكون من أمرهم شيئاً إلا الخضوع لأسعار السوق وعندما تسوء أحوالهم كانوا يلجأون بالشكوى إلى الخلفاء في محاولة لإنقاذهم من معاناتهم وأحياناً يرفقون مع شكواهم رغبةً سيئاً الصنعة أسود اللون ليدلوا على جشع التجار واستغلالهم.

المصادر والهوامش

- (١) المقرئزي، اتعاض الحنفا، ج١، متولي الخراج: هي وظيفة مالية تعد أعلى الوظائف الاقتصادية في الخلافة الفاطمية والتي حرصت على توليها إلى أبرز رجالات الدولة الفاطمية ولاسيما من هم متضلعين في تنظيم الدولة تنظيمياً عالياً، ينظر: الساعدي، ثامر الساعدي، النظام المالي في مصر، ص٧.
- (٢) المقرئزي، الخطط، ج٢، ص٨٣.
- (٣) المقرئزي، الخطط، ج٢، ص١٥٧. أبو المكارم جرجيس بن مسعود (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) تاريخ أبي صالح الأرمي المعروف باسم كنائس وأديرة مصر، تحقيق: وترجمة أيفتس (EVETTS) طبعة أكسفورد، ١٩٨٥ م، ص٣٠.
- (٤) المقرئزي، اتعاض الحنفا، ج١، ص١٤٤؛ حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٦٢.
- (٥) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢ م، ص٢٦٢.
- (٦) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢ م، ص٢٦٢.
- (٧) البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٨، ص٦٣.

- (٨) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٠٣.
- (٩) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٠٣.
- (١٠) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٨٢.
- (١١) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٨٣.
- (١٢) مشرفة، مصطفى عطية، انظم للحكم بمصر، ص ١٧١.
- (١٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٧.
- (١٤) المال الهلالي: هو ما يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الأدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وعداد الغنم، ينظر: المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٠٧.
- (١٥) النعمان، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام على أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، تحقيق: أصفي بن علي أصغر قبضي، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٤٥.
- (١٦) المقرئزي، اغائة الأمة بكشف الغمة، ص ١٣-١٤.
- (١٧) المقرئزي، اغائة الأمة بكشف الغمة، ص ١٣-١٤.
- (١٨) أسعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي، ص ٢٧٤.
- (١٩) المقرئزي، اتعاض الحنفا، ص ٢٧٠.
- (٢٠) المقرئزي، اتعاض الحنفا، ص ٢٧٠.
- (٢١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٣٣.
- (٢٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١٠، ص ٤٦١.
- (٢٣) ابن الوردى، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت ٧٤٤هـ / ١٣٥٨ م) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة حجر، القاهرة ١٢٩٨م، ص ٤٣.
- (٢٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٧١.
- (٢٥) المقدسي، شمس الدين، احسن التقاسيم، ص ٣٣.
- (٢٦) متر، الحضارة الاسلامية، ج ٢، ص ٣٧٦.
- (٢٧) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٠٩.
- (٢٨) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٢٧.
- (٢٩) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٢٧.
- (٣٠) المخزومي، المنهاج في علم خراج مصر، ص ٤.
- (٣١) المخزومي، المنهاج في علم خراج مصر، ص ٤.
- (٣٢) ابن سيده، المخصص، ج ٥، ص ٧١.
- (٣٣) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٥.
- (٣٤) الخطط، ج ١، ص ٢٦٣.
- (٣٥) ابن دقماق، الاقتصاد، ج ٣، ص ١٢٥.
- (٣٦) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٢٧٧.
- (٣٧) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٦.

- (٣٨) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٦.
(٣٩) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٦.
(٤٠) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٧.
(٤١) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٧.
(٤٢) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٥٨-٥٩.
(٤٣) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٥٩.
(٤٤) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٧.
(٤٥) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٨.
(٤٦) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٩.
(٤٧) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٧٠.
(٤٨) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٦٤.
(٤٩) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٨٧.
(٥٠) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٨٧.
(٥١) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩١.
(٥٢) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٣.
(٥٣) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٨.
(٥٤) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٨.
(٥٥) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٨.
(٥٦) نهاية الأرب، ص ١١٠.
(٥٧) أخبار مصر، ص ١١٠.
(٥٨) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٨.
(٥٩) فضائل مصر، ص ١٨٣.

**السياسة الامريكية تجاه الصومال واثرها على
منطقة القرن الافريقي ٢٠٠١-٢٠٠٦**

ا.م.د.سؤدد كاظم مهدي

**مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / الجامعة
المستنصرية .**

البريد الالكتروني . . sudad alubaidi @gmial.com.

موبايل . ٠٧٧٠٤٥٠٦٠٥٣

السياسة الامريكية تجاه الصومال واثرها على منطقة القرن الافريقي ٢٠٠٦-٢٠٠١

ا.م.د.سؤدد كاظم مهدي

الملخص

يتناول موضوع السياسة الامريكية تجاه الصومال بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٧ جانبا مهما من تاريخ العلاقات الامريكية الصومالية التي عرفت منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن العشرين بمواجهات عديدة وتباعداً وتقارباً في مراحل تاريخية مختلفة. يهدف البحث تتبع مسارات السياسة الامريكية المتشددة تجاه الصومال في مرحلة انفراد الولايات المتحدة كقوة عظمى على النظام الدولي، واعلانها الحرب لمكافحة ما يسمى " الارهاب " ، التي اصبحت الصومال في ظلها ميدانا لمواجهة التيارات المتطرفة عبر اعلان الولايات المتحدة الحرب بالوكالة بعد التنسيق مع اثيوبيا لخوض حرب مع اتحاد المحاكم الاسلامية حركة شباب المجاهدين .

الكلمات المفتاحية . امريكا ، الصومال ،سياسة ، الارهاب ، الاسلام ، القرن الافريقي .

American Policy Towards Somalia and Its Impact on The Horn of Africa

2006- 2001

A. M.D. Sudad Kahdum Mahdi

Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies

Mustansiriya University

abstract

The subject of US policy towards Somalia between 2001-2007 deals with an important aspect of the history of US-Somali relations, which have been known since their inception in the second half of the twentieth century, with numerous confrontations, divergence and convergence in different historical stages. The research aims to trace

the paths of the hard-line American policy towards Somalia in the stage of the United States' unilateralism as a superpower over the international system, and its declaration of war to combat the so-called "terrorism", which led to Somalia being a field for confronting extremist currents through the United States declaring war by proxy with Ethiopia until it became a kind of The war of attrition with the Mujahideen Youth Movement.

المقدمة

يتناول موضوع السياسة الامريكية تجاه الصومال بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٦ جانبا مهما من تاريخ العلاقات الامريكية الصومالية التي عرفت منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن العشرين بمواجهات عديدة وتباعداً وتقارباً في مراحل تاريخية مختلفة ، تبعا لمصالح الولايات المتحدة التي تتبع من منطلقات جيوبولتيكية وامنية بعيدة المدى بحكم المكانة المحورية التي تحتلها الصومال في الاستراتيجية الامريكية سواء تجاه منطقة البحر الاحمر او القارة الافريقية ، نظرا للعديد من العوامل التي يوفرها موقع الصومال الجغرافي الذي يطل على مضيق باب المندب من الجانب الافريقي للبحر الاحمر ذلك الممر المائي الحيوي على الصعيد الدولي والاقليمي .

يهدف البحث تتبع مسارات السلوك السياسي الامريكي المتشدد تجاه الصومال في مرحلة استحوذت الولايات المتحدة فيه كقوة عظمى وحيدة على النظام الدولي الذي اتسم بالهيمنة على العالم بدون ضوابط او حدود ، وفي ظل اعلان الادارة الامريكية الحرب لمكافحة ما يسمى " بالارهاب " الذي بات العنوان الرئيسي لاستراتيجيتها بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ، اصبح المسلمون والعرب بؤرة للتعريف الامريكي للارهاب ووجدت في العمل العسكري هو التوصيف الرسمي لمجمل تعاملها مع القضايا التي تمس الامن القومي الامريكي وفق مفهومها ، وعلى اثر ذلك عاد الاهتمام الامريكي بالصومال مجددا ليس باعتباره فاعلا أساسيا في مواجهة الارهاب الدولي ولكن باعتباره حلقة ضعف ومكانا آمناً لتنظيم القاعدة الدولي في ظل غياب الدولة منذ عام ١٩٩١ .

كانت ملامح السياسة الأمريكية تتبع من مخاوفها من التدخل المباشر في الازمة الصومالية مجددا بعد انسحابها من عملية التدخل الدولي اثر فضيحة (بلاك هوك) في عام ١٩٩٤ ، لتنفيذ سياستها الرامية الى تعزيز وتأمين مصالحها الأمنية والاقتصادية في المنطقة تحت مبرر محاربة الإرهاب التي ادت الى تصعيد الازمة الصومالية حتى اصبحت ميدانا لمواجهة التيارات المتطرفة ، عندما اقدمت على تقويض دور اتحاد المحاكم الاسلامية كحركة شعبية دينية و القضاء عليها عبر اعلان الولايات المتحدة الحرب بالوكالة بعد التنسيق مع اثيوبيا لخوض حرب مع اتحاد المحاكم الاسلامية وحركة شباب المجاهدين الذراع العسكري لها .

اولا . السياسة الأمريكية تجاه الصومال خلال مرحلة الحرب الباردة .

كانت اولويات السياسة الأمريكية تجاه منطقة القرن الأفريقي في عقد الخمسينيات من القرن العشرين تتبع من سياسة الاحتواء (Containment Policy) للحد من التوسع السوفيتي وتطويقه من خلال احاطته باحلاف دولية ودعم الحكومات الموالية لها سياسيا واقتصاديا خلال مرحلة الحرب الباردة⁽¹⁾ . وبرزت الصومال نموذجا لمحددات السياسة الأمريكية تجاه القارة الأفريقية التي تميزت بنوع من تبادل الادوار والاحلاف وميادين النفوذ فيما بينها وبين الاتحاد السوفيتي ، وساحة لاستعراض القوى العسكرية ومجالا لسباق التسلح ومنطقة لضمان السيطرة على المنافذ البحرية بحكم طبيعة موقع الصومال الجغرافي الذي يربط مابين منطقة البحر الاحمر وخليج عدن ، من اجل تأمين نقل امدادات النفط من الخليج العربي الى الغرب .

يعود بداية اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة القرن الأفريقي الى عهد ادارة الرئيس وايت ديفيد أيزنهاور (Dwight David Eisenhowe) (١٩٥٣ - ١٩٦١) التي كانت تبحث عن شريك ستراتيجي في المنطقة ، ووجدت في اثيوبيا حليفا ستراتيجيا عندما ابرم الطرفان معاهدة تحالف في عام ١٩٥٣ ، تعهدت فيها الادارة الأمريكية بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لنظام الامبراطور هيلاسيلاسي (Haile Selassie) (١٩٣٠- ١٩٧٤) من اجل احتواء التهديد السوفيتي في المنطقة وانشاء قاعدة عسكرية في ميناء

مصوع سميت (كانيو سيتش)^(٢)، وتشير الاحصاءات الى اجمالي المساعدات العسكرية الامريكية التي قدمت الى اثيوبيا انها كانت تصل الى (٢٨٧،٣) مليون دولار بين عامي (١٩٥٣-١٩٧٧) ، اما المساعدات الاقتصادية التي كانت تسيير نحو الاهتمام بالتنمية والاصلاحات الحكومية والحد من المجاعة والجوع فقد بلغت نحو (٣٩٥.٤) مليون دولار في السنوات بين (١٩٤٦-١٩٧٧)^(٣) .

بعد استقلال الصومال والاعلان عن قيام جمهورية الصومال الديمقراطية في الاول من تموز عام ١٩٦٠ ، كان توجه السياسة الامريكية يقوم نحو اقامة علاقات ثنائية لاهمية موقع الصومال الاستراتيجي والتخطيط لاحتواء التهديد السوفييتي المحتمل في المنطقة ، لذلك بادرت حكومة الرئيس ايزنهاور على تغيير تمثيلها الدبلوماسي من قنصلية الى سفارة في تموز ١٩٦٠ في عهد الرئيس الصومالي آدم عبد الله عثمان (١٩٦٠-١٩٦٧) كما بدأت بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي حددت لتلبية احتياجات الامن المحلي^(٤).

حملت الدولة الصومالية الوليدة شعارا وبرنامجا قوميا وحدويا يقوم على ضرورة اعادة الاراضي الصومالية المقتطعة في اثيوبيا وكينيا و جيبوتي التي كانت خاضعة تحت الاستعمار الفرنسي حتى عام ١٩٧٧ ، واعتبارها القضية المحورية لاعلان دولة الصومال الكبرى في اقاليمها الخمسة كما ورد في المادة السادسة من الدستور الصومالي الاول الذي صدر عام ١٩٦١^(٥) ، وهو ما اعتبر من قبل الدول المجاورة عدوانا على السيادة الوطنية وعلى مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، ولذلك اخذ رئيس الوزراء الصومالي عبد الرشيد شارماركي (١٩٦٠-١٩٦٤) البحث عن تسليح الجيش من ادارة جون كندي الذي رفض عرضه بتقديم العتاد الكافي للجيش الصومالي لمواجهة دول الجوار المحيطة به وهي ترتبط بتحالف مع اثيوبيا منذ عام ١٩٥٣ ، وبدلا من ذلك قرر ان تقدم الولايات المتحدة مساعدات عسكرية تقدر (٣) مليون دولار مع (١٠) مليون دولار من الدول الحليفة لها خلال (٥- ٦) عام ، كانت ستسمح ببناء قوة عسكرية بحجم (٦) الف جندي، مقابل ان تلتزم الصومال بشرط الدول الغربية وهو أن ترفض الصومال أية مساعدة

عسكرية من أي دولة أخرى للحيلولة دون تدخل سوفيتي محتمل في الصومال (6) ، الا ان حكومة شيرماركي رفضت ذلك العرض الامريكي - الاوربي لانه غير كافي لاحتياجات الصومال العسكرية . حيث أرسلت في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ مذكرات دبلوماسية إلى الادارة الامريكية وايطاليا وبريطانيا ترفض فيها بشكل رسمي العرض الغربي (٧) .

استغل السوفيت طموحات الصومال العسكرية عندما وافقت ادارة الرئيس نكيتا خروشوف (Nikita Khrushchev) (١٩٥٣-١٩٦٤) على عرض حكومة عبد الرشيد شارماركي ، حيث ابرم الطرفان اتفاقية المساعدات العسكرية الروسية (Russian Military and Agreement) التي وقعت في ٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ بصفقة اسلحة تبلغ (٣٠) مليون دولار ، تعهدت موسكو بموجبها تزويد الصومال بطائرات ودبابات وتدريب (١٠) آلاف جندي وفتح مقر للبعثة العسكرية السوفيتية في مقديشو، ونتيجة للتعهدات السوفيتية سمح الصومال بتسهيلات بحرية في ميناء بربرة وإنشاء مطار عسكري مع انشاء مركز للاتصالات في مقديشو وميناء بربرة (٨) . كانت هذه الخطوة كما يصفها سفير الصومال في الامم المتحدة بانها لم تكن نابعة من الاتجاهات الثورية للقيادة الصومالية نحو الافكار الشيوعية بقدر ماهي " على أساس التصميم الصومالي لاسترجاع الأراضي المفقودة " ، لحماية الصوماليين في اقليم اوغادين في اثيوبيا واطليم افندي في كينيا وجيبوتي الواقعة تحت السيطرة الفرنسية (9)،

وفي اثر ذلك كانت عملية دخول السوفييت الى منطقة القرن الافريقي من خلال الصومال قد اثارت التنافس الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حول المنطقة ومن ثم عدم استقرارها سياسيا ، وظهور تحولات دولية جديدة في المنطقة ادت الى تغيير المعادلة السياسية وطبيعة التنافس الدولي بين الامريكان والسوفيت في المنطقة ، اذ اعلنت بريطانيا الانسحاب العسكري من شرق السويس في نهاية عام ١٩٧١ من اجل تخفيض حجم الانفاق العسكري ، كما كان للمقاطعة العربية بعد حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣ قد اضفت اهمية جديدة للمنطقة لضمان تامين وصول امدادات النفط الى الغرب (١٠) . وقد تزامنت تلك الاحداث السياسية مع قيام الثورة الاشتراكية في اثيوبيا ووصول منغستو هيللا

مريام (Mangistu Haile Mariam) رئيس الوزراء الى السلطة (١٩٧٤-١٩٩١) بعد الاطاحة بحكم الاميراطور هيلاسيلاسي ، الذي تبني الاشتراكية منهاجاً للحكم والتحالف مع السوفيت بموجب المعاهدة السوفيتية - الاثيوبية عام ١٩٧٤^(١١).

و في ظل تصاعد حدة التنافس الأمريكي - السوفيتي على امتلاك احدث الاسلحة القادرة على حسم الحرب في حالة اندلاعها في المنطقة ، دفعت الترسانة العسكرية الكبيرة التي حصل عليها الصومال من السوفيت نحو التوجه الى الخيار العسكري والدخول في حرب الاوغادين عام (١٩٧٧-١٩٧٨)^(١٢) التي انتهت بهزيمة الصومال ، عندما دعم السوفيت وحلفاؤها من المانيا الشرقية وكوبا وليبيا وجنوب اليمن القوات الاثيوبية في حربهم على الصومال ، وهو ما جعل حكومة سياد بري تقدم على طرد الموظفين السوفيت الذين كان يبلغ عددهم اكثر من (١٠٠٠) مستشار سوفييتي في الصومال خلال تلك الحرب^(١٣) . وألغاء معاهدة الصداقة التي عقدت مع السوفييت في حزيران عام ١٩٧٤^(١٤) .

كانت الخريطة السياسية في المنطقة تحدها احداثيات المصالح المتضاربة لكل من الولايات المتحدة والسوفيت ، اذ كانت الولايات المتحدة تسيطر على قاعدة اتصالات في اسمره وتخطط للاستيلاء على جزيرة ديغوغارسيا (Diego Garcia) في المحيط الهندي ، هذا مع رسوخ السوفيت وموقعهم الثابت في جنوب اليمن الاشتراكي^(١٥) ، لذلك ادرك الطرفان الأمريكي والسوفيتي انه لايمكن ان يكون احدهما صديقا لكل من اثيوبيا والصومال في الوقت ذاته بحكم الوجود العسكري المؤثر في شؤون المنطقة وما يجب عليهم ان يكونوا على استعداد لاختيار احد الطرفين الصومالي او الاثيوبي^(١٦) . بعد تلك المرحلة شعر صانعو القرار السياسي في امريكا بنوع من الاحباط والارتباك ، وهو ما جعل ادارة جيمي كارتر (James Carter) رئيس الولايات المتحدة (١٩٧٦-١٩٨٠) ان تضطر لاتخاذ قرار حول تقديم المساعدات الاقتصادية والانسانية للحفاظ على حكومة سياد بري وحماية الصومال من نظام منغستو هيلامريام الاشتراكي على الرغم ان نظام سياد بري بات حكمه اكثر تعسفا بعد حرب الاوغادين وانتهاكا لحقوق الانسان والحريات العامة وهو مايتنافى مع مبادئ الديمقراطية الأمريكية^(١٧) .

استمرت المساعدات الامريكية للصومال خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين حين تلقت حكومة سياد بري القروض من البنك والصندوق الدوليين والمساعدات الانسانية ايضا ، اما بالنسبة للدعم العسكري فقد تضائل الى (٤ %) عام ١٩٨٩ في الوقت الذي واصل فيه السوفيت تسليم الامدادات العسكرية الضخمة الى حكومة منغستو هيلامريام التي بلغت بين عامي 1987 - 19٨٣ نسبة (٨٦ %) من الاسلحة وبلغت في نهاية عقد الثمانينات نحو (١٢) مليون دولار (18). وعندما بدا الاتحاد السوفيتي انسحاب قواته بالكامل من افريقيا في عهد الرئيس ميخائيل غورباتشوف (Mikhail Gorbachev) (١٩٩٠ - ١٩٩١) باتت المحركات المؤثرة في التنافس تتجه نحو الانخراط وفك الارتباط ومنها منطقة القرن الافريقي ، واصبح من المربح تعليق الدعم والمساعدات الامريكية للصومال التي لم تعد لامريكا حاجة لها ، التي كانت عاملا مهما في تمكين حكومة سياد بري في البلاد ، وهو ما ادى الى انهيار المؤسسات الامنية بشكل سريع لاعتماد الدولة والجيش بشكل كبير على المعونات الامريكية ، وظهر قوى المعارضة التي شعرت بضعف نظام سياد بري سواء من القوى العشائرية او من قادة الجيش (19) .

فقدت الصومال الاهمية الاستراتيجية السابقة اثر انفراد الولايات المتحدة بالنظام الدولي الجديد بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ ، حيث قدمت خلالها كل من اثيوبيا وجيبوتي واريتريا المتطلبات الضرورية للامريكان كاهمية استراتيجية بديلة عن الصومال في منطقة البحر الاحمر (20) ، وفي اثر ذلك لم تقدم ادارة جورج بوش (الاب) (١٩٨٨-١٩٩٢) يد المساعدة والعون لحكومة سياد بري عند الاطاحة بنظامه على يد الجيش ودخول البلاد في حرب اهلية بين الفصائل الصومالية المسلحة للسيطرة على السلطة ، ومارافق ذلك من انهيار مؤسسات الدولة ودخول البلاد حرب اهلية مع نهاية ١٩٩٢ ، مجزاة البلاد الى مناطق عشائرية منفصلة تخضع كل منها الى فصيل مسلح (21) وما زاد الطين بله ان المجاعة الكبيرة ضربت الصومال اثر جفاف مدمر في عام ١٩٩٢ - ١٩٩٣ ، هذا الى جانب صعوبة وصول المساعدات الانسانية الى المناطق المنكوبة بسبب حدة الصراع المسلح بين الفصائل المسلحة في جنوب الصومال من تشرين الثاني ١٩٩١ إلى شباط ١٩٩٢ (2٢) .

في ظل تلك الاحداث الدموية كانت عملية التدخل الدولي في ظل الامم المتحدة ضرورة مهمة اعتمدت فيها على الاعتبارات الانسانية ، ولم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن ذلك القرار وان كان قرارها الانساني لا يخلو من دوافع سياسية ، عندما تبنى مجلس الامن القرار الذي تقدمت به ادارة جورج بوش الذي سمح باستخدام القوة العسكرية في الصومال برقم (٧٩٤) الذي صدر في ٣ كانون الاول ١٩٩٢ الذي يؤيد العملية التي تقودها الولايات المتحدة لضمان وصول المساعدات الانسانية في عملية اطلق عليها " استعادة الامل " (Restore hope) ، حينذاك تمكنت ادارة جورج بوش وفي نطاق واسع تبرير وجودها العسكري بصورة شرعية (٢٣) ، عندما صرح جورج بوش بان الهدف من عملية التدخل الدولي في الصومال هو " انشاء بيئة امنة لعملية الاغاثة الانسانية " وهو ما منحها الصلاحية الكافية في صياغة المعايير المستخدمة في صياغة قرار اممي وفق مفاهيم اميركية (٢٤) بعد هيمنتها على النظام الدولي.

شاركت الولايات المتحدة بقوات عسكرية ضمن قوات عملية التدخل الدولي UNOSOM (United Nations Operation in Somalia) الى جانب قوات من (٢٣) دولة مختلفة و(٤٩) منظمة إغاثة إنسانية ، وعلى الرغم ان الغاية الانسانية من التدخل هو وقف القتال بين التيارات المتنازعة وايصال مواد الاغاثة ، الا ان الامر ادى الى انغماس الولايات المتحدة بشكل تدريجي في الاقتتال الداخلي في الصومال ، حيث حدثت مواجهات مسلحة بين القوات الاميركية وفصائل تابعة لمحمد فرح عيديد زعيم التحالف الوطني الصومالي (Somali National Alliance) المؤتمر والاتحاد اسفر عن سقوط طائرة " بلاك هوك " (Black Hawk) وقتل (١٩) جنديا امريكيا ، الامر الذي جعل ادارة الرئيس الامريكي بل كلينتون (١٩٩٢ - ١٩٩٦) تضطر الى وضع جدول زمني لانسحاب قواته من الصومال قبل ٢٥ اذار ١٩٩٤ (٢٥) . ولذلك افتقدت عملية التدخل الدولي وبالاجماع ايجاد تسوية سياسية للصراع المسلح في الصومال ، وان الولايات المتحدة قد تورطت في هذا التدخل الدولي وسببت بشكل اخر في تعقيد الاحداث السياسية والامنية المتدهورة اصلا في الصومال ، عندما اعتمدت على سياسة غير واضحة تجاه الصومال افتقدت الى التوازن ورسم السياسات في التعامل مع الازمة الصومالية وادارة عملية التدخل الدولي (٢٦) .

ثانيا . السياسة الأمريكية تجاه الصومال بعد احداث عام ٢٠٠١ .

كان تعامل السياسة الخارجية الأمريكية في معالجة الازمة الصومالية في المدة ما بين انسحاب ادارة الرئيس بل كلنتون في اذار عام ١٩٩٤ وبين اعلان ادارة الرئيس جورج بوش (الابن) (٢٠٠٠-٢٠٠٤/٢٠٠٤-٢٠٠٨) استراتيجية الحرب لمكافحة الارهاب في عام ٢٠٠١ ، هو نوع مايمكن تعريفه ب"الاهمال الحميد" (Binign Neglect) او "انعدام التنسيق" (No Cordnation)^(٢٧) ، وينبثق هذا الاسلوب من عدم رغبة الادارة الأمريكية في التدخل في الازمة الصومالية من جديد بشكل مباشر ، وتبني سياسة التجاهل على الرغم من اهمية الصومال الاستراتيجية في منطقتي البحر الاحمر والقرن الافريقي، حيث لن تشهد الصومال في المدة بين عامين ١٩٩٥-٢٠٠١ اية زيارة من قبل مسؤولين دبلوماسيين او عسكريين امريكان ، كما لم يكن للولايات المتحدة اي تمثيل دبلوماسي في الصومال خلال المدة المذكورة ايضا^(٢٨) .

بعد تفجير برج التجارة العالمي في نيويورك وواشنطن في ١١ ايلول ٢٠٠١ ، اعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش " الحرب على الارهاب " (War on Terror) وجاء في خطاب رسمي له في ايلول ٢٠٠١ مايلى:-

" ... لن تنتهي حربنا على الارهاب ... حتى يتم العثور على كل جماعة ارهابية ذات نفوذ عالمي وايقافها وهزيمتها ... وسنوجه كل ما لدينا من مداد وكل وسيلة من وسائل الدبلوماسية ، وكل اداة من ادوات الاستخبارات ، ... والقانون وكل نفوذ مالي وكل سلاح ضروري من اسلحة الحرب ... الى تعطيل شبكة الارهاب العالمية ودحرها"^(٢٩) .

وتشمل المعايير المستخدمة للقوة العسكرية في تلك الحرب كما حددهاالتصريح الصادر من الكونكرس الأمريكي ٢٠٠١-٢٠٠٢ " ... كل من ارتكب أو ساعد في الهجمات الإرهابية التي وقعت في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، او إيواء المنظمات أو الأشخاص المتهمين او المشتبه بهم من أجل منع الأعمال او الهجمات الارهابية ضد الولايات المتحدة " ^(٣٠) .

عدت ادارة جورج بوش ان الاسلوب العسكري هو المدخل الاساسي لمكافحة ما يسمى " الارهاب " في حرب مفتوحة الجبهات حسب التعريف الامريكي لها ، كما حملت تلك الحرب المعلنه مسوغات شرعية ودولية عندما اصدر مجلس الامن قرار رقم (١٣٦٨) في ١٢ ايلول ٢٠٠١ وصفت فيه الارهاب بانه "تهديد للسلام والامن الدوليين" على اعتبار ان الحرب "دفاعا استباقيا" من اجل الدفاع عن النفس كما اقره ميثاق الامم المتحدة ، وان هذه الحرب " الطريقة الوحيدة في مهاجمة القواعد المعروفة للارهابيين " (٣١) ، وفق تلك المعايير اضفت الولايات المتحدة على حربها الشرعية الدولية التي تتفق مع القانون الدولي كما يبدو ذلك ، وبدأت بتوجيه الاجنحة العسكرية في عملية اطلق عليها " الحرية الدائمة" التي شملت بدورها الحملة ضد حركة طالبان في عام ٢٠٠١ (٣٢) .

كان خطاب الادارة الامريكية ينطوي على رفع شعار الحرب عندما ذهب المسؤولين في ادراج العديد من الشبكات والتنظيمات ونظم ترعى الارهاب وجهات اخرى تقوم بتمويله ، وفي هذا الاطار اصبحت بعض الحركات الاسلامية في قائمة ولوائح التنظيمات الارهابية في الدول العربية والاسلامية على اعتبارها حركات متطرفة لها علاقة بتنظيم القاعدة ، وانها على حد تعبير جورج تبينت مدير وكالة المخابرات الامريكية (CIA) في شهادة له امام مجلس الشيوخ في شباط ٢٠٠٢ انها تمثل " التهديد الاكثر الحاحا وخطورة" وان تنظيم القاعدة " في حالة حرب معنا " وهو ماجعل المسؤولين في ادارة جورج بوش ان ترى في تلك الحرب وعلى راسهم كونداليزا رايز Condoleezza Rice وزير الخارجية (٢٠٠٥-٢٠٠٩) انها تعمل وفق " نموذج الحرب الباردة القديمة " (٣٣) .

في غضون ذلك دفعت ادارة بوش بالصومال في اتون تلك الحرب على اعتبار "ان الصومال ملاذا امنا للقاعدة" على حد تعبير دونالد رامسفيلد (Donald Ramsfeld) وزير الدفاع الامريكي (٢٠٠٦-٢٠٠١) ، استنادا الى التقارير الامريكية التي افادت بها جريدة واشنطن تايمز (The Washington Times) في ٢ تشرين الاول ٢٠٠١ التي ذكرت ان تنظيم القاعدة يخطط لعمليات ارهابية جديدة في الصومال مستغلة بذلك غياب الدولة والحكومة منذ عام ١٩٩١ ، وبالتالي ستكون الصومال " الدولة الفاشلة" على حد تعبير

السياسيين ملجا ملائما للراهابيين بعد اعلان تنظيم القاعدة مرات عديدة انها ستعلن الجهاد الاسلامي ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة ، وكان يقصد به اثيوبيا (٣٤) ، بعد ان درجت ادارة بوش الحركة الاسلامية " الاتحاد الاسلامي " التي يتراسها حسن ظاهر اويس ضمن قائمة اصدرتها في ٢٣ ايلول ٢٠٠١ حددت فيها (٢٧) منظمة في العالم بانها تقوم باعمال ارهابية^{٣٥} ، هذا علما ان ادارة بوش لم تشمل الصومال في محور الشر " Axis of Evil" في كانون الثاني ٢٠٠٢ (٣٦) .

كان صانع القرار السياسي الامريكي في تلك المرحلة بين امرين محوريين هما ، الاول يتمثل في الاستفادة من تجربة التدخل السابقة في عملية "اعاده الامل" في ظل الامم المتحدة عام ١٩٩٣ ، التي حملت العديد من نتائج الفشل في تحقيق المصالح الامريكية المنشوده ، والآخر الخوف من اهمال الملف الصومالي بكل ما يحمله من موقع استراتيجي فريد الذي قد يشكل تهديدا خطيرا للمصالح الدولية بشكل عام في حال ان يكون ملاذا امنا في تنظيم القاعدة والجماعات الاسلامية الاخرى، ولهذا تركز هذا الجانب على الحيلولة دون وصول الاسلاميين على الحكم ، ومنع تشكيل حكم او امارة اسلامية والتصدي لتغلغل تنظيم القاعدة والحركات الحليفة لها (٣٧) .

حسم الامريكان مخاوفهم بشأن الحركات الاسلامية المتطرفة في الصومال عندما وصف مسؤوليين في ادارة بوش ان الصومال "خط امامي للحرب على الارهاب" بسبب تركيزهم على استراتيجية تقوم ان الصومال عبارة عن مزيج من الدولة الفاشلة والحركات الاسلامية السلفية السياسية الناشئة ، هذا فضلا عن عامل القرب الجغرافي من منطقة الشرق الاوسط ، وهو ما عزز الاتجاه السياسي حول الادعاءات المرتبطة في تفجير سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في عام ١٩٩٨ التي كانت باشراف تنظيم القاعدة (٣٨) ، واعطى اولوية جديدة للصومال في السياسة الخارجية الامريكية بعد احداث عام ٢٠٠١ ، عندما حددت المعالم السياسية الجديدة كما طرحها والتر كانستر (Walter kanestiner) السكرتير المساعد للشؤون الافريقية في وزارة الخارجية في شهادة له امام مجلس الشيوخ والكونغرس في ٦ شباط ٢٠٠٢ بالمحاور الاتية وهي . القضاء على التهديدات الموجودة

في الصومال ، ومنع تطور الاحداث ان تصل الى مرحلة تهديد امن واستقرار منطقة البحر الاحمر والقرن الافريقي ، هذا الى جانب مواجهة التحديات التي تواجه تشكيل حكومة وطنية على المدى البعيد والوقوف امام اهداف الحركات الاسلامية وتنظيم القاعدة من اجل جعل الصومال قاعدة لهم (٣٩) .

جاءت الموافقة على استئناف العمل العسكري الامريكي في الصومال في كانون الثاني ٢٠٠٢ ، وكان للمسار الاستراتيجي موقعا مهما في تلك الحرب الذي تمثل في تاسيس قيادة مركزية امريكية جديدة للقارة الافريقية حين انشأت قيادة مركزية في قاعده ديبوت في جيبوتي لمراقبة ورصد الاوضاع في المنطقة وسواحل الصومال بشكل خاص (١٤) ، هذا مع ارسال الف جندي من القوات الخاصة الى الصومال (٤٠) .

اعتمدت ادارة بوش ايضا على تكتيكات عديدة كان بعضها استخباري - امني -عسكري والبعض الاخر مالي وسياسي ، حيث رافقت هذه الجهود مساعي امريكية حثيثة على زيادة الدعم لحلفائها الاقليميين والمحليين، وهو ما يشير اليه ديفيد شين (David Shain) السفير الامريكي في اثيوبيا في عام ٢٠٠٦ قائلا " نحن نؤثر على بلدان المنطقة التي لها علاقة في الصومال مثل اثيوبيا وكينيا واوغندا ... من خلال تقديم المساعدات التي جعلتهم من المستفيدين الرئيسيين " (٤١) . هذا فضلا عن الحلفاء المحليين عندما قام بتمويل شبكات لمكافحة الارهاب في منطقة بونتلاندا الواقعة في شمال الصومال هذا مع تطوير اجهزة الاستخبارات لمراقبة المشتبه بهم من الجماعات الاسلامية المرتبطة بتنظيم القاعدة، كذلك هو الحال في جنوب الصومال عندما دفعت الى قادة الفصائل المسلحة ورجال الاعمال لرصد الارهابيين (٤٢) ، فاصبحت الصومال ميدانا لتصفية الحساب بين الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة الدولي بموجب تفويض السلطة القانونية التي منحها الكونكرس الامريكي للرئيس جورج بوش بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ في استخدام القوة العسكرية ضد المتهمين بتفجير برجى التجاره العالمي .

تعامل الامريكان مع الملف الصومالي بشكل يركز على اطر التعاون مع الحلفاء الاقليميين ، عندما رافق هذه الجهود الاستخباراتية مساعي حثيثة على زيادة الدعم لحليفاتها

القديمة اثيوبيا للقيام بدور الوكيل عنها في ملئ الفراغ السياسي وتبديد اية مخاوف امريكية من خلال تقديم المساعدات العسكرية والمادية للعمل في هذا الاطار وانهاك القوة الاسلامية المقاومة للسياسة الامريكية الاثيوبية ، وفي هذا المجال اطلقت الولايات المتحدة مبادرة " مكافحة الارهاب في شرق افريقيا " في عام ٢٠٠٣ وكانت بتمويل يبلغ (١٠٠) مليون دولار يشمل التدريب على الاسلحة العسكرية وتأمين السواحل المطلة على الصومال ، وكانت كلا من اثيوبيا وكينيا من المستفيدين من هذا التمويل بشكل كبير^(٤٣) . كما تلقت اثيوبيا بموجب هذا التحالف مساعدات عسكرية كبيرة بلغت حوالي (١٦) بليون دولار بين عامين ٢٠٠٢-٢٠٠٥ ، فضلا عن زيادة المساعدات الغذائية التي بلغت اكثر من (٤٦٠) مليون دولار في شكل معونات في عام ٢٠٠٥ وتدريب وتشكيل ثلاثة كتائب جديدة لمكافحة الارهاب^(٤٤) .

الامر الذي زاد من الضغوط الامريكية الاثيوبية تجاه الحكومة الوطنية الانتقالية (Transitional National Government) برئاسة عبد القاسم حسن صلاة عام(٢٠٠٠-٢٠٠٤) التي تشكلت نتيجة مقررات مؤتمر عرته (Arta Conference) للمصالحة الوطنية الذي عقد في جيبوتي عام ٢٠٠٠ وكان للجماعات الاسلامية دورا في ترشيحه، عندما عارضت ادارة بوش الاعتراف بتلك الحكومة ونالت من الاتهامات على اعتبارها جاءت بالتحالف مع الحركات الاسلامية المعارضة للولايات المتحدة^(٤٥) ، ولذلك اعتبرتها الادارة الامريكية " حكومة راعية للارهاب " ^{٤٦} ، هذا على الرغم من نفي تلك الحكومة اية علاقة لها بتنظيم القاعدة والتنظيمات الارهابية الاخرى^(٤٧) .

عجزت حكومة عبد القاسم صلاة في الحصول على دعم القوى الدولية والاقليمية من اجل السيطرة على اوضاع البلاد ، وبجهود حثيثة من قبل الولايات المتحدة وبتاثير مباشر من قبل حكومتي اثيوبيا وكينيا عقد مؤتمر نيروبي (Nairobi Conference) في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ الذي بموجبه تم تشكيل حكومة اتحادية انتقالية (Transitional Federal Government) (TFG) بزعامة الجنرال عبد الله يوسف احمد الذي عرف بمعاداته للجماعات الاسلامية وموالاته لاثيوبيا^(٤٨) .

تحددت معالم الاستراتيجية الأمريكية في القضاء على المحاكم الإسلامية وتفكيك المعسكرات التابعة لتنظيم القاعدة الدولي على دعم الحكومة الانتقالية عبر تشكيل تحالف استخباراتي عسكري الذي أطلق عليه " تحالف حفظ السلام ومكافحة الإرهاب " (Alliance for the Restoration of Peace and Counter Terrorism) (٤٩) ، الذي تالف من (١١) فصيلا مسلحا من وزراء حكومة عبدالله يوسف وامراء الحرب والفصائل الصومالية المسلحة (٥٠) ، الذي بموجبه عادت الولايات المتحدة مجددا الى الصومال من خلال وكالة المخابرات الأمريكية عبر الشركة العسكرية الخاصة التي أطلق عليها (Select Armor) (٥١) ، بعد ان تعهدت بتقديم المساعدات العسكرية والمادية التي بلغت حوالي (١٥٠) الف دولار شهريا مقابل ان يتعهد المنظومين في التحالف من المقاتلين الصومالين القضاء على قوة المحاكم الإسلامية والحيلولة دون وصولها الى السلطة^{٥٢}.

في ايار ٢٠٠٦ شهدت الساحة الصومالية جملة من الاغتيالات والاعتقالات على من كان له صلة بالجماعات الإسلامية شملت قيادات المحاكم الإسلامية ، لتصبح العاصمة مقاديشو ميدانا لحربا بالوكالة يخوضها كل من الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة لكن بحلفاء محليين وكانت النتيجة المواجهة العسكرية مع اتحاد المحاكم الإسلامية التي انتهت بهزيمة قوات التحالف والسيطرة على مقديشو في ٥ حزيران ٢٠٠٦ حتى وصف احد الباحثين تلك الهزيمة في حزيران ٢٠٠٦ " بان الولايات المتحدة قد تركت بدون عيون فاعله في مقاديشو"^(٥٣) ، فباءت السياسة الأمريكية بالفشل مرة اخرى تجاه التحولات المتتالية من الازمة الصومالية .

ثالثا . التدخل العسكري الأمريكي في الصومال عام ٢٠٠٦ .

تراوحت الاستراتيجية الأمريكية " غير المتماسكة " تجاه الصومال ما بين تبني مشروع بناء الدولة الضعيفة بموجب قرار مجلس الامن رقم (١٧٢٥) الصادر في ٦ كانون الاول ٢٠٠٦ الذي اكد على احترام سيادة الصومال واستقلاله السياسي والالتزام بإيجاد تسوية سياسية بين الاطراف المتصارعة^(٥٤) ، وبين المواجهة العسكرية للتهديدات الارهابية

واعلان قرار الحرب بعد هزيمة قوات تحالف مكافحة الارهاب المدعوم من الولايات المتحدة على يد اتحاد المحاكم الاسلامية في حزيران ٢٠٠٦ ، واستمرت تلك الاستراتيجية ما بين السلام والحرب من شهر حزيران الى كانون الاول ٢٠٠٦ ، وهي المرحلة التي شهدت انهيار المفاوضات الثنائية بين اتحاد المحاكم الاسلامية والحكومة الاتحادية الانتقالية ، عندما ابدى شون ماكورماك (Sean McCormack) المتحدث الرسمي لمجلس الامن القومي (National Security Council) في ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦ قلق بلاده من خطر اندلاع الحرب في المنطقة وامتدادها الى الدول المجاورة ، مطالباً تلك الدول الحذر من تصعيد الازمة مؤكدا ان ادارة بلاده سوف تبذل اقصى جهودها للحيلولة دون توسيع نطاق تلك الحرب (٥٥) .

في كانون الاول ٢٠٠٦ كان الانطباع العام الذي انتشر بين صفوف الامريكيين هو ان الصومال تمثل تهديدا للامن القومي الأمريكي ، عندما اعلنت وزارة الخارجية الأمريكية على لسان جينداي فريزر (Jendayi Frazer) مساعدة وزيرة الخارجية للشؤون الافريقية تصريحاً بعيداً عن الوساطة السياسية في الصومال والمسار الدبلوماسي الذي كان برعاية الجامعة العربية وبعض الدول الافريقية من اجل ايجاد ركائز تؤسس لبناء دولة صومالية جديدة بالطرق السلمية لاستقرار الصومال (٥٦) ، حيث وصفت اتحاد المحاكم الاسلامية بانها " خاضعة لسيطرة تنظيم القاعدة " وان " قيادة المحاكم هم من " المتطرفين ... من الارهابيين " ، هذا علماً ان التقارير الأمريكية تذكر الاتحاد الاسلامي كمنظمة ارهابية صومالية وحيدة في الصومال بمعنى ان الاتهامات المزعومة حول علاقة تنظيم القاعدة لم يكن ملموساً بشكل واضح على ارض الواقع سوى الشئ القليل منه (٥٧) .

وعليه بدأ تنفيذ الخطة التالية من مراحل الاستراتيجية الأمريكية لمكافحة ما تسميه بالارهاب وهي التوجه نحو اعلان " عسكرة " السياسة الأمريكية والعودة الى الخيار العسكري ، وهي مرحلة تنسيق الحرب مع حليفاتها الاقليمية اثيوبيا ، وهو ما خططت له جينداي فريزر عند زيارتها الى اديس ابابا في اذار ٢٠٠٦ عندما اصرت على حث مليس زيناوي (Meles Zenawi) رئيس وزراء اثيوبيا (١٩٩٥-٢٠١٢) على التدخل العسكري وعقد

صفحة سرية مع الولايات المتحدة لاجتياح الصومال والقضاء على اتحاد المحاكم الإسلامية^(٥٨) . وعليه كان قرار عزل اتحاد المحاكم الإسلامية من العملية السياسية والسلطة قرارا اتخذ في العاصمة اديس ابابا بمباركة امريكية تم التوصل اليه في اثناء زيارة جينداي فريزر الى اديس ابابا ، انطلاقا من موقف اثيوبيا غير المعلن وامتعاضها للحوار بين الحكومة الانتقالية واتحاد المحاكم الإسلامية ، الذي كان نابعا من خشية مشاركة الاسلاميين في الحكم او حتى امكانية انفرادها في السلطة وما يترتب عليه من تهديد امني من منظور تلك الدولة وعلى مصالحها في المنطقة ، وليس فقط لحماية الامن القومي الاثيوبي من التهديدات الإسلامية في الصومال والسودان وايضا لمنع تهديد اريتريا التي تدعم المحاكم الإسلامية والحركات المعارضة في اثيوبيا^(٥٩) .

يمثل التنسيق الأمريكي - الاثيوبي لغزو الصومال الذي جرى بدون مبرر شرعي مسارا جديدا من مراحل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصومال وهي " الحرب بالوكالة (Proxy war) ، كما كان عليه التحالف المشترك الذي توصلت اليه المخابرات الأمريكية مع امراء الحرب وبعض وزراء الحكومة الانتقالية مناورة امريكية بالوكالة التي هدفت ايضا القضاء على المحاكم الإسلامية وتحقيق مصالحها الخاصة وان اختلف الفاعلين الرئيسيين في تلك الحربين^(٦٠) ، وبالتالي كان التحالف الثلاثي الأمريكي - الاثيوبي - الحكومة الانتقالية والفصائل المسلحة الموالية لامريكا يمثل ابرز اولويات الاستراتيجية الأمريكية استئصال تنظيم القاعدة في شرق افريقيا والقضاء التام على حركة شباب المجاهدين الذراع العسكري للمحاكم الإسلامية ذات التوجهات السلفية الجهادية القتالية للحيلولة دون ان تشكل الحكومة الرسمية في وسط وجنوب الصومال وما يترتب عليه من تداعيات على امن واستقرار المنطقة ، علما ان حركة شباب المجاهدين لا تجد بديلا غير الجهاد لازاحة الحكومة الانتقالية ومواجهة اثيوبيا وحليفها الولايات المتحدة بعد ان ارتبط ظهورها بمقاومة القوات الإثيوبية التي تدخلت في الصومال في النصف الثاني من عام ٢٠٠٦ ، لدعم الحكومة الصومالية الانتقالية والقضاء على سيطرة اتحاد المحاكم الإسلامية^(٦١) ،

كما تاتي الحرب على الصومال جزءا من المواجهة الأمريكية للنفوذ الصيني في القرن الإفريقي بشكل خاص وأفريقيا بشكل عام في ظل تصاعد حدة التنافس الدولي والإقليمي على منطقة القرن الإفريقي ، الذي تجاوز أهمية المنطقة الجيوسياسية بعد نهاية الحرب الباردة ، ليضيف إليها أبعاداً جديدة لحدود التعريفات المعروفة ومعطيات عديدة عن مصالح سياسية واقتصادية وامنية لتلك الدول التي كان على رأسها الصين، وروسيا، بالإضافة إلى الدول الاوربية ذات المصالح التقليدية في المنطقة ، وهو ما اضاف للدور الأمريكي مستجدات جديدة حول ضرورة الاهتمام بالملف الصومالي والمزيد من الإشكاليات على مجمل التعقيدات التي تواجه منطقة القرن الإفريقي. وكان منها العمل على مكافحة القرصنة البحرية من خلال التواجد العسكري لتأمين مصالحها الحيوية في القرن الإفريقي . (٦٢)

في ٢٤ كانون الاول ٢٠٠٦ اعلنت اثيوبيا الحرب رسميا على اتحاد المحاكم الاسلامية بناءا على طلب من الحكومة الانتقالية الصومالية ، وكان للمسار الاعلامي الأمريكي جانبا مكملا لتلك للحملة الذي كما تصفه جندي فريزر بانه " هو المصلحة الاساسية للولايات المتحدة في الصومال " من هذا المنطلق ترجم القلق الأمريكي التصريحات الصادرة بانها اعلان حرب ، عندما وصف ايمن الظواهري المسؤول الثاني في تنظيم القاعدة بعد اسامة بن لادن ، بان الصومال " الحامية الجنوبية للاسلام .. " ، الذي شجع حركة شباب المجاهدين على حملة من التفجيرات الانتحارية ضد القوات الاثيوبية والامريكية في كانون الثاني ٢٠٠٧ (٦٣) . كما اعلن شيخ حسن ظاهر اويس رئيس مجلس الشورى للمحاكم الاسلامية ان الصومال في حالة حرب وعلى كل صومالي ان ينضم للقتال ضد اثيوبيا بما في ذلك صومالي اقليم اوغادين على اعتبار انها في حالة حرب اسلامية ضد دولة مسيحية متشددة غازية(٦٤) .

كانت استراتيجية مشاركة الولايات المتحدة في الحرب على الصومال تقوم على تخفيض الوجود العسكري من اجل الحد من الخسائر البشرية والمادية تاثرا بعملية التدخل الدولي في عام ١٩٩٣-١٩٩٤ ، وفي هذا الاطار تحددت العمليات العسكرية على نشر عدد قليل من القوات الخاصة وتوفير الدعم الاستخباري واللوجستي للقوات النظامية

الاثيوبية والجيش الصومالي الوطني وبعثة الاتحاد الأفريقي^(٦٥) ، كما شاركت بشكل فعال في السلاح الجوي عندما اغارت طائرات مقاتلة على مواقع واهداف في جنوب الصومال ، كما جاء ذلك رسميا على لسان حسين عيديد وزير الداخلية قائلاً " ان الولايات المتحدة تحظى بدعم الحكومة الانتقالية تجاه هذه الهجمات " ، رغم ان هذه الضربات قد اوقعت الاصابات بين صفوف المدنيين الصوماليين^(٦٦) .

شارك في الحرب العديد من الدول وجهات رسمية ومنظمات غير رسمية ،تشكلت القوات الاثيوبية الغازية من القوات النظامية الاثيوبية وقدر عددها ب (٨) الاف مقاتل ، وقوات الحكومة الفيدرالية الانتقالية الصومالية وكان عددها مايقارب ال (١٠) الاف مقاتل ، والقوات الصومالية التابعة للحكومات الذاتية المحلية لارض النبط وجالو مودوغ، ومقاتلي الجماعات الصوفية اما قوات حفظ السلام الافريقية فقد كانت من دولة، كينيا ، مالاوي ، سيراليون . بوروندي ، او غندا ، وقدر عددها ب (٢٥٠٥) جندي^(٦٧) ، اما التشكيلات القتالية للجبهة الثانية فقد شملت مقاتلي اتحاد المحاكم الاسلامية وقدر عددهم بنحو (٨) الف مقاتل ، وجبهة تحرير اورومو ، وتحالف اعادة تحرير الصومال ، والويه راس كامبوني ، والجبهة الاسلامية ، فضلا عن مقاتلي تنظيم القاعدة ، ومجاهدون اجانب ، وقد قدر عددها ما بين (٣-٨) الاف مقاتل اجنبي .^(٦٨)

وبعد عدة معارك بين الطرفين تقدمت القوات الاثيوبية والقوات التابعة لها في الاراضي الصومالية ومع استمرار اقترابها من العاصمة مقديشو انسحبت القوات المنضوية تحت لواء المحاكم الاسلامية ودخلت القوات المشتركة دون مقاومة عسكرية تذكر بعد ان اخلى اتحاد المحاكم المباني والمنشآت التابعة لها في مقديشو ، ويشير شيخ شريف شيخ احمد الرئيس التنفيذي لاتحاد المحاكم الاسلامية حول عدم مقاومة القوات الاسلامية وعدم ثباتها امام القوات المشتركة القادمة لحربها وانسحابها من العاصمة بانه يأتي " حقنا للدماء " ^(٦٩) .

الخاتمة

- أصبح الصومال بحكم موقعه الاستراتيجي عاملا مهما في الاستراتيجيات الدولية وميدانا للصراعات الاقليمية والدولية منذ الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من القرن العشرين ، اذ كان رهان القادة الامريكان يقوم على احتواء وحصار التهديد السوفيتي ، فيما راهنت الادارة السوفيتية في التركيز على اختراق منطقة القرن الافريقي بوجود عسكري ضخم في الصومال واثيوبيا وهو ما اعتبر من قبل الامريكان تحديا لنفوذهم الاستراتيجي في المنطقة .
- منحت الولايات المتحدة الصومال اهمية خاصة في ستراتيجية الحرب لمكافحة الارهاب بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ، عندما اكدت المؤشرات الامريكية على اعتبار الصومال مكانا ملائما للعناصر الارهابية بحكم الفراغ المؤسسي والامني منذ انهيار الدولة في ١٩٩١ ، ويجب تأمين المصالح الامنية والاقتصادية في المنطقة تحت مبرر محاربة الارهاب حين عززت حضورها من خلال التعاون الاستخباري - الامني - مع اثيوبيا في المنطقة .
- كانت الولايات المتحدة تخشى من تعاضم نفوذ التيارات الاسلامية في مرحلة حرب اديولوجية وهي الحرب على ما يسمى بالارهاب ، خاصة وان صعود تيار الاسلام السياسي في الصومال يتزامن مع نهضة اسلامية تمتد في دول اسلامية عديدة في تلك المرحلة التاريخية ، لذلك كانت تحذر من عملية وصول اتحاد المحاكم الاسلامية الى السلطة التي ستغير مستقبلا الخريطة السياسية للمنطقة ذات التعقيدات القومية والدينية والثقافية في ظل معدلات الفقر التي تشهدها المنطقة ، كما سيسمح ذلك صعود حركات سلفية جهادية قتالية معادية للولايات المتحدة وحلفائها ما قد يلحق الضرر بشكل بالغ بمصالح الولايات المتحدة في اثيوبيا وكينيا، ولذلك اعتمدت الولايات المتحدة على سياسة تعترف بالدور الاقليمي الذي يتمثل باثيوبيا الحليف الاستراتيجي لها .
- فشلت الولايات المتحدة في استخدام الحل الدبلوماسي لاحتواء الازمة الصومالية بدل القوة العسكرية في التعامل مع التهديدات الاسلامية لحلفائها المعتدلين ، ادراكا منها على عدم

قدرتها على التأثير على الاحداث المحلية القصيرة المدى في الصومال ، في بلد يخلو من العناصر المناسبة للبناء والسلام ، وهو الامر الذي يزيد الاوضاع المتدهورة تفاقما ويجعل السلام بعيدا.

- واجهت الصومال بفعل التدخل الامريكى الاثيوبي انقسامًا عقائديا وسياسيا حادا في دولة تتمتع بتجانس ديني وقومي كبير ، وكان الطرف الاول الذي تمثل بالحكومة الانتقالية وحلفائها من امراء الحرب الاهلية ، والآخر من المنضوين لاتحاد المحاكم الاسلامية ذات التيار المعتدل التي كانت تسيطر على وسط وجنوب الصومال بما في ذلك العاصمة مقديشو .

- ان مصالح الولايات المتحدة هي احد مرتكزات الفوضى وعدم الاستقرار والحرب في الصومال ، خاصة وان تلك المصالح غير واضحة ولها امتدادات متنوعة مع دوائر اقليمية وبرزها اثيوبيا التي كانت منسجمة مع السياسة الامريكية الرامية نحو تفشيل اي نظام حكم ذي توجهات اسلامية او قومية في الصومال ، مع عدم التفريط في اقليم اوغادين الذي اقتطعته اثيوبيا من الصومال ، وتعمل على تعزيز دورها في المنطقة كونها الدولة المحورية التي تقوم الولايات المتحدة على تنصيبها كقوة ضبط لازمات المنطقة .

- يبقى اعتماد الحلول المعتدلة بين الاطراف المتنازعة ورعاية المصالحة الوطنية بين كل القوى السياسية هو الحل الامثل للخروج من الازمة وبناء الدولة منذ انهيار مؤسساتها في عام ١٩٩١ . ذلك من خلال تفضيل المصلحة الوطنية على الانتماءات الاقليمية والدولية ، ادراكا ان سياسة التجزئة هي الاخطر من سيناريو الوحدة على ان ياتي ذلك بعيدا عن اطر السياسة العامة المتبعة في الصومال التي تقوم على مسارات تعتمد على الاجندة الاقليمية والدولية من خلال تعقيد السياسة الصومالية بالانخراط الخارجي لحل ازماتها خاصة سياسة التدافع تجاه اثيوبيا وكينيا وامريكا .

الهوامش

١-لمزيد من التفاصيل ينظر .

Gaddis ,john lews , Strategics of Containment ,US naval war college ,1975.

2-Clapham ,Christopher, Hail –Selassies Government, New York: Frederick A. Praeger, 1969, p.25.

3-Henze ,Paul ,B,The United State and the Horn of Africa : History and Current Challenge Rand Corporation ,Santa Monico, 1990, p.13.

4-Mohamed .A,Mohamed ,US Strategic Interest in Somalia : From Cold War on Terror , A thesis submitted to the Faculty of the Graduate School of the State University at Buffalo in partial fulfillment of the requirements for the degree , United States , 2009 , P.8.

٥- تذكر المادة بشكل صريح ان تعمل الجمهورية الوليدة على استعادة سيادتها وان تضم الاقاليم الخمسة ، الصومال الفرنسي - العفر وعيسى والصومال الغربي من اثيوبيا ، والاقليم الشمالي الشرقي من كينيا . لمزيد من التفاصيل ينظر .

Lewis, M, Nationalism and Self Determination in The Horn Of Africa, London, Westview Press, 1983.p.167

6- Foreign Relations of the United States 1961-1963,VOL.xxl,Africa , Document 306,Memorandum from William H, Brubeech of the National security council staff to president Kennedy, Washington,25October 1963,p.483.

7- Jeffrey A. Lefebvre, Arms for the Horn: U.S. security policy in Ethiopia and Somalia, 1953-1991, University of Pittsburgh Press,1991. P.31.

8-Menkhaus .Ken ,S omalia and the Horn of Africa , World Bank, Washington, DC ,2011.p.15.

9- Mohamed .A,Mohamed ,op.ct ,P8.

١٠- صلاح الدين حافظ ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي ، الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ص ٦٩-٧٩ .

11- . Madan .M.Sauldie , , Ethiopia Dawn of the Red STAR, new York , 19٨٢ ,p214

12- Christiane, E. Philipp, Somalia ,Avery special case, Planck Yearbook of United Nations Law, Volume 9, 2005,p.212.

13- Henze .Paul , OP.CT,p.٥.

14- Madan .M.Sauldie , op.ct,p214.

15- Jeffrey A. Lefebvre., , op.ct,p.40.

16- Mohamed .A,Mohamed ,op.ct, p. 10.

17- Ibid, p. 11.

18- Henze .Paul , OP.CT, P. viii.

١٩- كان لكل حركة نشاط في مناطق معينة تختلف عن الاخرى في وسط

وجنوب الصومال ومن ابرزها ، الحركة القومية الصومالية ، المؤتمر الصومالي الموحد ، جبهة التحرير الأبو الصومالي ، جبهة التحرير المتحدة ، التحالف الديمقراطي الصومالي ، الجبهة الوطنية المتحدة للصومال ، الجيش الوطني الصومالي ، جبهة العمل الصومالي . ينظر .

Mohamed, Issam A.W, Review of Somalia, Greed , Colonization and Socioeconomic Impacts . Khartoum, Sudan 2011,p.8.

20- Brewd,joseph , Horn of Africa War Disrupts London s plan vs .sudan , Eir Executive Intelligence Review ,vol.25,no.25,June19, European parliament , 1998 ,p.55.

21- Henze .Paul , OP.CT, P. 5

22- Stewart, Richard. W, The United States Army in Somalia, 1992-1994, United States Forces, Somalia After Action

Report and Historical Overview, Center of Military History
United States Army, Washington, D.C, 2003,p.٣.

23- Doc .Gp.34: 993-94. United States Congressional serial
set catalog , 103d Congress1993-1994, issn
0898.1639.Washington ,2000.

[https://books.google.iq/books?id=J7CFEuO1PzsC&pg=SA1-
PA72&lpg=SA1-](https://books.google.iq/books?id=J7CFEuO1PzsC&pg=SA1-PA72&lpg=SA1-)

٢٤- الامم المتحدة والصومال ١٩٩٢-١٩٩٦، المجلد الثامن ، ادارة شؤون الاعلام ،
الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٦ ، ص ٤٤٩ .

25- Christiane, E. Philipp ,op.ct, pp.536-539

٢٦- الامم المتحدة والصومال ١٩٩٢-١٩٩٦، المصدر السابق ، ص ٤٤٩ .

27- Moller, Bjorn ,The Horn of Africa and the US "War on
Terror" with special Focus on Somalia Internationale
Studier og Samfundsforhold, Aalborg Universitet ,
Denmark,2009.p.3.

28- Patman .Robert.G. The Roots of strategic failure: The
Somalia Syndrome and Al Qaeda's path to 9/11,
International Politics Vol. 52, Department of Politics,
University of Otago, , New Zealand. 2015. P. 112.

29- - Moller, Bjorn , op.ct , .p.4.

30 - S.J.Res.23 - Authorization for Use of Military Force
107th Congress (2001- 2002)107th Congress Public Law
40, From the U.S. Government Printing Office, DOCID: f:pub
1040.107 Page 115 STAT. 224.

30- Moller, Bjorn ,op.ct, p. 5.

31-- Bush, G. W,The national security strategy of the United
States of America, September , white house ,washington,2002.

[.https://2009-2017.state.gov/documents/organization/63562.pdf](https://2009-2017.state.gov/documents/organization/63562.pdf)

32- Patman ,Robert ,op.ct, p.100.

33- Ibid,p. 101

34- **Somalia: Review of 2002**, Informing humanitarians worldwide 24/7 NAIROBI , 17 Jan 2003.

35- Mohamed .A,Mohamed ,op.ct,231.

36- Walter H. Kansteiner, Assistant Secretary for African Affairs Testimony Before the Senate Committee on Foreign Relations Subcommittee on African Affairs Washington, DC , February 6, 2002 . P.1

37- -The Hidden US War in Somalia , Civilan Casual Ties From Air Striks in Lower Shablily Amnesty International,London,2019,p.25.

13- Walter H. Kansteiner,OP.CT, P. 2.

38 - **Somalia: Review of 2002**, Informing humanitarians worldwide 24/7 NAIROBI , 17 Jan 2003.

39- Peter J Quaranto , Building States While Fihgting Terror, Contradictions in United States Strategy in Somalia From 2001 TO 2007, USA, 2008.P.١٢٢

40- - The Hidden US War in Somalia, OP.CT .p. 20.

41- - Somalia's Islamists, AFRICA REPORT N 100, [International Crisi Group](#) 12 DECEMBER 2005,p.9.

[https://www.crisisgroup.org/africa/horn-africa/somalia/somalias-islamists.](https://www.crisisgroup.org/africa/horn-africa/somalia/somalias-islamists)

42- - Peter J Quaranto ,op.ct,p. 130.

43- - Mohamed .A,Mohamed ,op.ct,145.

44- - Barnes, cedric and Hassan,Harun, The Rise and Fall of Mogadishu's Islamic Courts , Journal of Eastern African Stadies , vol .1, issue .2,2007.p,151.

45- - Somalia's Islamists, AFRICA REPORT N 100, [International Crisi Group](#) 12 DECEMBER 2005,p26.

46- - Ibid,p.30; Abdullahi, A. "The Roots of the Islamic Conflict in Somalia." Somalia: Exploring a Way Out. Nairobi: National Civic Forum, 4 June 2010,Pp.17-40.

https://www.hiiraan.com/comments2-op-2010-jun-the_roots_of_the_islamic_conflict_in_somalia.aspx

. Ignacio, Gatierrez de TERAN Gomez -Benta I Somalia, entre la -

47- Somalia, entre la furia de EEUU y el furia de EEUU
resurgimiento del enero, - " بين مطرقة التدخل
الأمريكي وسندان الإسلام " السياسي
Revista de Estudios Internacionales
Mediterráneos - REIM - N° 1 -I abril, 2007.p.88.

48 - Ibid,p.89 .

49- Ignacio, Gatierrez ,op.cit,p. 89. .

-50- Barnes, cedric and Hassan,Harun ,op.ct ,p. 151.

51- -Ibid,p.161

52-- Somalia's Islamists, AFRICA REPORT N 100, International Crisi Group 12 DECEMBER 2005,p16.

53- United Nations, Security Council, S/RES/1725 (2006) ,
Distr.: General 6 December 2006, Resolution 1725 (2006)
Adopted by the Security Council at its 5579th meeting on 6
December 2006

54- David Gollust, US Concerned Somalia
Conflict Could Spread Washington02 November
2006

55-Menkhaus .Ken ,op.ct,p. 45.

56- -Peter J Quaranto , op.ct,p.22.

-57 -Elliot, Ashley and Holzer, Georg-Sebastian ,The invention of
'terrorism' in Somalia: paradigms and policy in US foreign
relations South African, Journal of International Affairs
International Affairs, Vol. 16, No. 2, August 2009.p.221.

58- Williams .Paul, UNDERSTANDING Policy in Somalia Current Challenges and Future Options, **RESEARCH PAPER**, Chatham House ISBN: 978 1 78413 401 3 PAPER14 JULY 2020. P. 5.

<https://www.chathamhouse.org/2020/07/understanding-us-policy-somalia>.

59- Elliot, Ashley and Holzer, Georg-Sebastian ,op.ct, p. 221.

60- Warsame , Ahmed Hussein. Role of International Aid and Open Trade Policies in Rebuilding the Somali State, p.20.

61- Elliot, Ashley and Holzer, Georg-Sebastian ,op.ct, p. 220.

62- Moller.Bjon,The Somali conflict ,The rol of External Actors ,Danish Institute For International Studie Dils ,Copenhagen,2009,p.78.

63- Graham Turbiville Josh Meservey James Forest , Countering the al-Shabaab Insurgency in Somalia: Lessons for U.S. Special Operations Forces Report 14-1 The JSOU Press MacDill Air Force Base, Florida 2014.pp.4-8.

64- Shinn, David H, and Joshua Eisenman, China and Africa: A Century of Engagement , [University of Pennsylvania Press](http://www.upenn.edu/press), 2012. P. 6.

65- Elliot, Ashley and Holzer, Georg-Sebastian ,op.ct, p. 22٠.

66- Peter J Quaranto ,op.ct,p.167.

67- War in Somalia (2006–2009) , Wikipedia, the free encyclopedia, p.1.

[https://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Somalia_\(2006%E2%80%932009\)](https://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Somalia_(2006%E2%80%932009)).

68-Ibid,p.2.

69-.Carnage as Somalia 'in state of war'" 22 december2006

<https://www.geeskaafrika.com/the-cnn-effect-and-somalia>

Sources

Published Documents .

- Doc .Gp.34: 993-94. United States Congressional serial set catalog , 103d Congress1993-1994, issn 0898.1639.Washington ,2000.
- S.J.Res.23 - Authorization for Use of Military Force 107th Congress (2001-2002)107th Congress Public Law 40, From the U.S. Government Printing Office, DOCID: f:pub 1040.107
Page 115 STAT. 224.
- Bush, G. W, The national security strategy of the United States of America, September , white house ,washington,2002.
- Christiane, E. Philipp, Somalia ,Avery special case, Planck Yearbook of United Nations Law, Volume 9, 2005.
- Foreign Relations of the United States 1961-1963,VOL.xxi,Africa , Document 306,Memorandum from William H, Brubeech of the National security council staff to president Kennedy, Washington,25October 1963,p.483.
- The United Nations and Somalia 1992-1996, Volume VIII, Department of Public Information, United Nations, New York, 1996.
- United Nations, Security Council, S/RES/1725 (2006) , Distr.: General 6 December 2006, Resolution 1725 (2006) Adopted by the Security Council at its 5579th meeting on 6 December 2006.
- Walter H. Kansteiner, Assistant Secretary for African Affairs
Testimony Before the Senate Committee on Foreign

Relations Subcommittee on African Affairs
Washington, DC , February 6, 2002.

- الوثائق المنشورة باللغة العربية .
- الامم المتحدة والصومال ١٩٩٦-١٩٩٦ ، المجلد الثامن ، ادارة شؤون الاعلام ،
الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٦ .

University theses .

- Mohamed .A, Mohamed ,US Strategic Interest in Somalia :
From Cold War on Terror , A thesis submitted to the
Faculty of the Graduate School of the State University at
Buffalo in partial fulfillment of the requirements for the
degree , United States , 2009 .
- BOOKS .
- Henze ,Paul ,B,The United State and the Horn of Africa :
History and Current Challenge Rand Corporation ,Santa
Monico, 1990.
- Jeffrey A. Lefebvre, Arms for the Horn: U.S. security policy in
Ethiopia and Somalia, 1953-1991, University of Pittsburgh
Press,1991.
- Lewis, M, Nationalism and Self Determination in The Horn
Of Africa, London, Westview Press, 1983.
- Madan .M.Sauldie , Ethiopia Dawn of the Red STAR, new York
, 19 8٢.
- Menkhaus .Ken ,S omalia and the Horn of Africa , World
Bank, Washington, DC ,2011.
- Moller, Bjorn ,The Horn of Africa and the US "War on
Terror" with special Focus on Somalia Internationale Studier
og Samfundsforhold, Aalborg Universitet , Denmark,2009.
- Moller.Bjon,The Somali conflict ,The rol of External Actors
,Danish Institute For International Studie Dils
,Copenhagen,2009.

- Mohamed, Issam A.W, REVIEW OF SOMALIA, GREED, COLONIZATION AND SOCIOECONOMIC IMPACTS. Khartoum, Sudan 2011
- Shinn, David H, and Joshua Eisenman, China and Africa: A Century of Engagement , [University of Pennsylvania Press](#), 2012.
- Patman .Robert.G. The Roots of strategic failure: The Somalia Syndrome and Al Qaeda's path to 9/11, International Politics Vol. 52, Department of Politics, University of Otago, , New Zealand. 2015.
- Peter J Quaranto , Building States While Fighting Terror, Contradictions in United States Strategy in Somalia From 2001 TO 2007, USA, 2008.
- الكتب العربية .
- صلاح الدين حافظ ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي ، الكويت ، ١٩٨٢ .

Research published in journals .

- Barnes, cedric and Hassan,Harun, The Rise and Fall of Mogadishu's Islamic Courts , Journal of Eastern African Studies , vol .1, issue .2,2007..
- Ignacio, Gatierrez de TERAN Gomez -Benta I Somalia, entre la furia de EEUU 23- Somalia, entre la furia de EEUU y el resurgimiento del enero, - " بين مطرقة " - الصومال أو الأزمة التي لا تنتهي: التدخل الأمريكي وسندان الإسلام " السياسي Revista de Estudios Internacionales Mediterráneos - REIM - N° 1 -I abril, 2007 .
- Elliot, Ashley and Holzer, Georg-Sebastian ,The invention of 'terrorism' in Somalia: paradigms and policy in US foreign relations South African, Journal of International Affairs International Affairs, Vol. 16, No. 2, August 2009..

Reports

- Abdullahi, A. "The Roots of the Islamic Conflict in Somalia." Somalia: Exploring a Way Out. Nairobi: National Civic Forum, 4 June 2010.

- David Gollust, US Concerned Somalia Conflict Could Spread Washington 02 November 2006.
- .Carnage as Somalia 'in state of war'" 22 december 2006 -
- <https://www.geeskaafrika.com/the-cnn-effect-and-somalia>
- Somalia's Islamists, AFRICA REPORT N 100, International Crisi Group 12 DECEMBER 2005.
- **Somalia: Review of 2002**, Informing humanitarians worldwide 24/7 NAIROBI , 17 Jan 2003.
- Stewart, Richard. W, The United States Army in Somalia, 1992-1994, United States Forces, Somalia After Action Report and Historical Overview, Center of Military History United States Army, Washington, D.C, 2003,
- The Hidden US War in Somalia , Civilan Casual Ties From Air Striks in Lower Shablily Amnesty International, London, 2019.
- Williams .Paul, UNDERSTANDING Policy in Somalia Current Challenges and Future Options, **RESEARCH PAPER**, Chatham House ISBN: 978 1 78413 401 3 PAPER14 JULY 2020.

-

Encyclopedias .

Wikipedia, the free encyclopedia,

[https://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Somalia_\(2006%E2%80%932009\)](https://en.wikipedia.org/wiki/War_in_Somalia_(2006%E2%80%932009))

**نصوص مسمارية غير منشورة مصادرة ذات
مضامين اقتصادية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)**

**أ.م.د وليد سعدي محمد الميالي
أستاذ اللغات القديمة
جامعة القادسية - كلية الآثار**

نصوص مسمارية غير منشورة صادرة ذات مضامين اقتصادية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)

أ.م.د. وليد سعدي محمد الميالي

المقدمة

تُحظى دراسة النصوص المسمارية بأهمية كبيرة في مجال الآثار ، كونها وثائق مهمة تعكس لنا طبيعة الحياة اليومية سوى ما كان منها ما يخص الجانب السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي ، ولعل كثرة النصوص الاقتصادية التي جاءت من عصر سلالة اور الثالثة يعكس لنا اهمية النشاط الاقتصادي الكبير لهذه السلالة كونه من العصور المهمة في حضارة بلاد الرافدين ، وبالنسبة لنصوص بحثنا المعنون "نصوص مسمارية غير منشورة صادرة ذات مضامين اقتصادية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)" فهي الاخرى وان اختلفت اصنافها الا انها جميعها تصنف ضمن النصوص الاقتصادية سوى ما كان منها ما يخص استلام كميات من المواد بوصفها طعام او غيره ، او استلام كمية لعلها ذهب او فضة من قبل احد الاشخاص وهي جميعها تعكس التعاملات اليومية والحركة التجارية الكبيرة، وهذه النصوص هي من النصوص المصادرة (لم تأت عن طريق التنقيبات الاثرية) اي مجهولة الموقع والمدة الزمنية ، غير بعد قراءة النصوص ومعرفة محتوياتها تمكنا من ارجاعها الى عصر سلالة اور الثالثة ، وقد قمنا بقراءة النصوص وترجمتها وابداء الملاحظات حول المفردات والمصطلحات الواردة فيها ، ثم ختم البحث بالاستنتاجات تلتها استنساخات النصوص مع الصور واخيراً قائمة بالمصادر العربية والاجنبية.

الكلمات المفتاحية باللغة العربية:-

(نصوص مسمارية ، غير منشورة ، صادرة)

الكلمات المفتاحية باللغة الانكليزية:-

(Cuneiform texts , Unpublished, confiscated)

Abstract

The study of cuneiform texts is of great importance in the field of antiquities, as they are important documents that reflect to us the

nature of daily life, except for what is related to the political, social or economic aspect, and perhaps the abundance of economic texts. Which came from the era of the third dynasty of Ur, reflecting to us the importance of the great economic activity of this dynasty being one of the important eras in the civilization of Mesopotamia, as for the texts of our research entitled " **Unpublished confiscated cuneiform texts with economic implications (2112-2004 BC)**", they are the other ones despite their different types, but they are all classified within the economic texts except for what is related to By receiving quantities of materials such as food or others, or receiving an amount that may be gold or silver by a person, all of which reflect daily dealings. And the large commercial movement, and these texts are among the confiscated texts (they did not come with archaeological excavations), meaning the place and time are not known, but after reading the texts and knowing their contents, we were able to trace them back to the era of the third dynasty of Ur, and we have read the texts and translated them and made notes about the vocabulary and terms contained in them, then concluded the research with conclusions, followed by copies and photos of the cuneiform texts, and finally a list of Arabic and foreign sources.

اولاً:- مضامين النصوص

النص الاول :-

توزيع كميات من الطعام عائدة الى القصر لمجموعة من الأشخاص من بينهم الوكيل والناقل ورجل المحراث والمعزقة ، والنص مؤرخ في الشهر الثالث عشر من تقويم مدينة اوما في اليوم الثامن عشر منه.

النص الثاني :-

استلام كمية من دقيق الشعير ، مقدارها ١ سيلا من قبل شخص يدعى اور-لاما في اليوم الثالث من الشهر التاسع في تقويم مدينة اوما .

النص الثالث:- استلام كمية من دقيق الشعير من شخص يدعى ننا- اينم - كي - نا الى دنغر- ان - دول ، وأرخ النص في الشهر الثامن من تقويم مدينة أوما في السنة الأولى من حكم الملك أبي - سين .

النص الرابع :-

استلام كمية من مادة مفقودة ربما فضة او ذهب مقدارها ٣ منا من شولكي- مي-شار، والمستلم اشمي-ايلوم ، والنص مؤرخ في شهر كي- سك- نن-ازو، في السنة التي دمرت فيها مدينة اوربيلوم وهي السنة الخامسة والاربعون من حكم الملك شولكي.

ثانياً:-دراسة النصوص

التاريخ : غير مؤرخ

رقم المتحف: IM-214881

رقم النص : ١

القياس: ١,٦×٣,٤ ×٣,٨

Obv.

[.....]

ugula ša₃ – gal [.....]

giri₃ i₃-li₂ [.....]

nu-šu-[.....]

1 (pi₂) 6 sila₃ ša₃ - [gal] [a - wi] – da₅ -šu

5- ½ (gur) ša₃ - gal [x]-maš-la₂

ša₃ e₂-gal [.....]

Rev.

1/2 (gur) ^{lu} 2apin - al

2 (pi) 3 (ban₂) 6 sila₃

iti diri še-kin-ku₅

[u₄] 18 kam

[.....]

الترجمة العربية

الوجه :

[.....]

طعام (ل) الوكيل

الناقل ايلي _ نو_ شو

١ (بي) ٦ سيلا طعام (ل) دا - شو

٥- نصف (كور) طعام (ل) ماش-لا

عائدة (ل) القصر

القفا:

نصف (كور) ل رجل المحراث (و) المعزقة

٢ (بي) ٣ (بان) ٦ سيلا

الشهر الثالث عشر في تقويم مدينة اوما

اليوم الثامن عشر

[.....]

الملاحظات

السطر الثاني :-

ugula:-وظيفة سومرية تعني المراقب ، الوكيل ، المشرف ويقابلها بالأكدية w'akiu'm ، ينظر:

Abz,p.120 ; **CDA**,p.433.

Kleinerman,A,& Owen,D,I.,Analytical Concordance

to the Garšana Archives ,(CUSAS-4),Maryland,2009

,p.207.

ان للتطورات الإدارية في الحياة الاقتصادية لبلاد الرافدين دوراً مهماً في ظهور وظيفة المراقب اذ جاءت نتيجة لأمتلاك المعبد والقصر للأراضي الشاسعة التي كانت بحاجة إلى أعداد كبيرة من العمال والفلاحين والعبيد للعمل في الاراضي والحقول الزراعية ، فكان للمراقب دوراً مهماً في متابعة مجريات العمل اليومي ، والتدقيق والاشراف بالإضافة الى تسليم عائدات ومجاميع المواد المخزونة الى العمال الذين يكونون تحت سلطته .

الركابي، نائل حمود عكله ، المراقب في نصوص مسمارية المنشورة وغير المنشورة من عصر سلالة أور الثالثة ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار ، ٢٠١٩، ص ١٤ .

Thomas,F.Notes on Nin-Dinger an UGULA, MCS,Vol,3,p.80-83.

ša₃- gal:-مصطلح سومري معناه (طعام ، علف ، غذاء) يقابله بالأكدية (ukullû) ، ينظر :

Landsberger.B.Material Zum Sumeischen Lexikon ,MSL - 5,Roma, 1957,p.10.

Rafael.G ,Antología de textos sumerios, Madrid, 2003,p.115.
; CDA,p.419.

السطر الثالث :

giri₃:-مهنة سومرية تعني الوسيط ، الناقل ويرادفها بالاكديية (šēpu)،ينظر:

Scharmm , W. , GAAL - 4 , p . 61 ; CDA,p.367 .

ورد ذكر هذه المهنة في النصوص الاقتصادية لسلالة اور الثالثة و giri₃ هو الشخص الوسيط او الناقل في التعامل بين الشخص البائع والشخص المشتري ، وربما تكون وظيفته المخول بالنقل بين الامر بالصرف والجهة الاخرى ، ينظر:

المتولي ، نواله أحمد محمود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص٦٤.

السطر الرابع :

pi₂ :-وحدة سومرية لقياس المكايل وهي من اجزاء ال(كور) تقابلها بالاكديية pānu وتعادل ٦٠ لتر وفق مقاييس الوقت الحاضر ، ينظر:

CDA,p.168.

الجبوري ، وسام حميد صباح ، المكايل والمقاييس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ٢٠١١ ، ص٤٦.

sil₃ :-وحدة سومرية لقياس المكايل ويقابلها بالاكديية (qû) وتعادل في الوقت الحاضر (٠,٨٤٢ لتر) ، ينظر:

MDA,p.65 ; **CDA** ,p.290.

عبد مالك ، منذر علي، قاموس المصطلحات السومرية - الأكديّة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٣ ، ص ١٥٠ .

السطر الخامس:

gur :- وحدة قياس سومرية لقياس المكايل ، يرادفها في اللغة الأكديّة kurrum ، ينظر :

MDA,p,89.

CAD,k,564: b.

ويعادل الكور ٣٠ بان أو ٣٠٠ سيلا ويعادل بمقاييس الوقت الحاضر ٢٥٢,٦ لتراً ، ينظر : رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٣٨ .

ša3 :- مفردة سومرية تعني (داخل ، وسط ، عائد ل) يقابلها الاكديّة (libbu)، ينظر:

MDA,p.176.

عبد المالك، منذر علي ، المصدر السابق، ص ١٥٧ .

e2-gal :- مصطلح سومري يعني قصر ويقابله بالأكديّة (ekallu) ، ينظر:

Halloran, J.A, Sumerian Lexicoh, Angeles, 2006,p.86.

MDA,p.149 ; **CAD**,E,p.55:b

السطر السادس:

apin^{lu2} :- مهنة سومرية تعني رجل المحراث ويقابلها بالأكديّة (epennu) ، ينظر :

Salonen, A. Agriculture Mesopotamia (AASF) , Helsinki, 1968 , pp. 55, 326 , 355.

الحسناوي، فائز هادي ، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٣ .

al :-مفردة سومرية تعني المعزقة ، المسحاة، المجرفة ويقابلها بالأكدية (allu) ، ينظر:

MDA,p. 139 ; CDA,p.12.

Rafael.G Antología de textos sumerios,p.75.

السطر السابع:

ban₂ :- وحدة سومرية لقياس المكابيل وهي من اجزاء الـ (كور) يقابلها بالاكديّة) (sūtu) ، ينظر:

AbZ,p.75 .

اذ استخدم نوعان من هذا المكيال خلال عصر سلالة أور الثالثة ، النوع الأول هو البان الاعتيادي ، ويساوي ٦ لترات وفق مكابيل السعة الحالية ، اما النوع الثاني هو البان الملكي (ban₂ lugal) ويساوي تقريبا (٨.٤٢) لترات وفق مكابيل السعة الحالية ، ينظر:

الجبوري ، وسام حميد صباح ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

iti diri še-kin-ku₅ :- وهو الشهر الثالث عشر في تقويم مدينة أوما ويعرف بكونه شهر الحصاد الإضافي ، ينظر :

Cohen, M.E. The Cultic Calendars Of The Ancient Near East, Maryland, 1993, p.188.

Sallaberger, w. Der Kultische Kalender Ur III – Zeit, 1993, p.7.

iti -: مفردة سومرية تعني شهر ويقابلها بالأكدية (warḫum) ، ينظر:

AbZ, p.66 ; CDA, p.434.

u₄ -: مفردة سومرية تعني يوم يقابلها بالأكديّة (ūmu) ، ينظر:

MDA, p.175.; AbZ, p.153.

kam₃ -: علامة دالة تلحق بالاعداد الترتيبية .

MDA, p.183.

التاريخ : غير مؤرخ

رقم المتحف: IM-214385

رقم النص : ٢

القياس: ١,٢×٢,٣×٢,٦

Obv.

1 sila₃ dabin(zi₃ - še)

ur -^dlama₂

u₄ 3 kam₃

Rev.

iti ^dli₉-si₄

الترجمة العربية

الوجه :

١ سيلا دقيق الشعير

أور - لاما

لليوم الثالث

القفا:

الشهر التاسع من تقويم مدينة أوما

الملاحظات

السطر الأول

dabin :- مفردة سومرية تعني دقيق الشعير ويقابله بالاكديية (tappinnu) ، ينظر:

CDA,p.398. ; Biggs. R.D, and Others The Chicago Assyrian Dictionary, CAD,T , p. 182.

عبد مالك ، منذر علي ، المصدر السابق، ص ٢٩.

السطر الثاني

ur -^dlama₂ :- أسم علم سومري ورد ضمن نصوص سلالة أور الثالثة ولاسيما نصوص مدينة أوما و بوزرش- داکان، ينظر:-

-NATU,2,p.273.

-عبد الرحمن ، شيماء وليد ، نصوص (Sa₂.Du₁₁) في ضوء نصوص مسمارية اقتصادية منشورة وغير منشورة من سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار، ٢٠١٤، ص ٨١.

السطر الرابع

iti^d lig-si₄ - وهو الشهر التاسع في تقويم مدينة أوما والشهر الثالث في تقويم مدينة كرسو ، ويكتب الشهر أحياناً (iti^d lig-si₄- na) وأحياناً يكتب بالصيغة ezem^d lig-si₄ ويعني شهر "الاحتفال بالإلهة ليسي أو عيد الإلهة ليسي" ويجري هذا الاحتفال في مدينة أوما كون الإلهة ليسي عبت في مدينة أوما اذ يتم تقديم القرابين لهذه الإلهة والإلهة ليسي هي ابنة الإلهة نخرساك (nin-hur-sag^d) واخت الإله اشكي (Aš₃-ki^d) وزوجة الإله ننسيكلا (ninsikila^d) ، ينظر:

الجنابي ، جاسم عبد الأمير جاسم ، نصوص مسمارية غير منشورة من أرشيف التاجر تورام - إيلي ٢٠٠٤-٢٠٤٦ ق.م ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠١٤، ص ١٣٢.

التاريخ : أبي- سين ١

رقم المتحف: IM-203159

رقم النص : ٣

القياس: ١,٢×٨,٣×٤,١

Obv.

2 (ban₂) dabin (zi₃ - še)

ki nin - inim - gi -

na ta

dingir - an- dul₃

Rev.

šu-ba-an-ti

5-iti e₂-iti -[6]

mu^di-[bi₂ - ^dsu'en(en-
zu)] lugal

الترجمة العربية

الوجه :

٢ بان دقيق الشعير

من نن - انيم - كي - نا الى

دنغر - ان - دول

القفا:

استلم

٥- شهر أي - تي

السنة (التي) أبي سين (أصبح فيها) الملك .

الملاحظات

السطر الثاني

ta.....ki:-حرف جر معناه من..... الى ، ينظر:

حافظ، خالد عثمان ، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكديّة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٣-٩٤ .

nin - inim - gi -na :-أسم علم سومري ورد في نصوص سلالة أور الثالثة ، ينظر:

CUSAS-16,p.329.

السطر الثالث

dingir - an - dul₃:-أسم علم سومري ورد في نصوص سلالة أور الثالثة ، ينظر:

Vito . R.A, Studies In Third Millennium Sumerian And Akkadian Personal Names,Roma, 1993,p.28.

Sigrist , M. New Sumerian Account Texts in the Horn Archaeological Museum ,AUCT , vol-1, USA ,1984,p.6.

السطر الرابع

šū-ba-an-ti :-صيغة فعلية سومرية تعني أستلم وتتكون الجملة الفعلية من šu.....ti جذر فعل سومري المركب بمعنى تسلّم ويقابله في الأكديّة (ilqe) ينظر :

CDA , P.180 .

والـ (ba) أداة الجملة الفعلية و المقطع (an) ناتج من الصاق (a) في المقطع ba مع حرف n و هو حشوة الماضي للشخص الثالث المذكر ، ويكون معنى الصيغة أستلم ، و تستعمل مع الشخص العاقل وان وجود الحشوة (n) في العبارة الفعلية يدل على التوكيد ، ينظر:

عبد، حيدر عقيل ، صيغ وافعال التسليم والاستلام بين السومرية والاكديّة في ضوء نصوص منشورة وغير منشورة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠٢١ ، ص٢٤٨ .

السطر الخامس

6 - itī e₂-itī :- وهو الشهر الثامن في تقويم مدينة أوما وهو الشهر الذي يتم الاحتفال به بعيد الإله شارا ، ينظر :

RIA , 5 ,p.300.

الدليمي، أنغام سليم محمد، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار القديمة، ٢٠١٨، ص٥٦ .

mu^di-[bi₂ - ^dsu'en (en- zu)] lugal

السنة (التي) أبي سين (أصبح فيها) الملك ، وهي السنة الأولى التي تولى الملك (أبي - سين) آخر ملوك سلالة أور الثالثة الحكم فيها ، ينظر :

Sigrist, M. & Damerow, P, **Mesopotamia Year Names Neo Sumerian and Old Babylonian Date Formulae**, berlin , 2001, p28.

mu :- مفردة سومرية تعني سنة ويقابلها بالاكديّة (šattu)، ينظر :

MDA,p.63 ; **AbZ** , p.69.

George , A.R. , **Babylonian Literary Texts in the Schoyen Collection** , **CUSAS - 10** , Maryland , 2009 , p.86 .

di-bi₂ - su'en (en- zu) :- هو آخر ملك من ملوك سلالة أور الثالثة دام حكمه حوالي أربعة وعشرين عاماً ، قام خلال سنوات حكمه بأعمال البناء والتشييد كما قام ببعض الحملات العسكرية نحو الأقاليم الشمالية الشرقية وبسبب العوامل الداخلية والخارجية التي تعرضت لها سلالة أور الثالثة خلال حكم الملك أبي _ سين أدت هذه العوامل الى تدهور الأوضاع وبالتالي انهيار دولة أور الثالثة ، ينظر :
باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بيروت ، ٢٠٠٩، ص٢٨ .

lugal مفردة سومرية تعني ملك يقابلها بالأكديّة (šarrum)، ينظر:

AbZ,p.100 ; **CDA**,p.361.

التاريخ : شولكي ٤٥

رقم المتحف : IM.239945

رقم النص : ٤

القياس : ٤، ٣×٣×١،٥

Obv.

30 ma - [na]

Ki ^dšul - [gi]

me - [šar]

iš-me-ilum

ṛšu]- ba- ti

Rev.

5- iti ki- sig₂ -^dnin-a-zu

mu ur-bi₂-lum

ki ba-ḥul

الترجمة العربية

الوجه :

٣٠ مانا

من شولكي مي - شار

اشمي - أيلوم

تسلم

القفا:

٥- شهر كي - سك - نن - ازو

السنة (التي) دمرت (فيها) مدينة أوربيلوم .

الملاحظات

السطر الأول

ma-na :- وحدة وزن سومرية تستعمل لقياس الاوزان وهي تعادل في الوقت الحالي (٥٠٥ غرام) في حين كانت تعادل في الاوزان السابقة حوالي (٦٠ شيقل) ، ويقابلها الاكدية (manû) ، ينظر :

AbZ, p.142.

Snell ,D.C. , **The Ur III Tablets in the Emory University Museum** ,ASJ -vol.9 , Japan ,1987, p.225 .

الدليمي، مؤيد محمد سليمان، الأوزان في العراق القديم في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠٠١ ، ص ٣٠ .

السطر الثاني:

ḏšul – gi me – šar :- اسم علم ورد كثيراً ضمن نصوص سلالة أور الثالثة ، والاسم متكون من مقطعين ، المقطع الأول ḏšul – gi اسم علم سومري ورد كثيراً في نصوص سلالة أور الثالثة ، أما المقطع الثاني me – šar كلمة أكدية تعني المشرع ، ينظر :

Owen, David .I, **NISABA,15-1**, p.90.

Vito,R.A.,**Studies in Third Millennium Sumerian and Akkadian personal names**,Roma,1993,p.167.

النائلي ، نور سعدون عبيد ، نصوص اقتصادية غير منشورة من عصر سلالة أور الثالثة آخر سلالة سومرية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القادسية ، كلية الآثار ، قسم الآثار القديمة ، ٢٠٢٢ ، ص ٨١ .

السطر الثالث:

iš – me-ilum :- أسم علم أكدي ورد ضمن نصوص سلالة أور الثالثة ، ينظر :

sigrist,M.,**Neo-Sumerian Account Texts in the Horn Archaeological Museum**, **AUCT-1**,USA 1984,p.9.

والأسم يتكون من مقطعين :

المقطع الأول iš - me فعل ماضي للشخص الثالث المفرد المذكر من الصيغة البسيطة G من المصدر šemû بمعنى سمع ، ينظر :

CAD,Š-2,p.277,a.

أما المقطع الثاني ilum كلمة أكديّة تعني اله ، ينظر :

MDA , 49.

ليصبح معنى الاسم حرفياً سمع الاله

السطر الخامس:

iti ki-sig-^dnin-a-zu - وهو الشهر الخامس في تقويم مدينة أور و كرسو والرابع في تقويم مدينة بوزرش - داكان (دريهم) وقد عبد الإله (nin - a - (ZU في مدينة لكش و نفر و عبد في مدينة أور كإله للعالم السفلي و عرف الإله نن-ازو بأنه اله الطب (الشفاء) ومركز عبادته في مملكة اشنونا منذ الألف الثالث ق.م ثم حل محله بعد ذلك الإله تشباك. ينظر:

Cohen, M. E., op.cit, p.148

الطائي ، عمار محسن عبود ، نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة (٢١١٤ ٢٠٠٤ ق.م) ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٧، ص٢١٣.

ظاهر ، عشتار سمير ، المصدر السابق، ص ١٤٤ .

السطر السادس:

Mu ur-bi₂-lum^{Ki} ba-ḫul - سنة تدمير مدينة أوريلوم وهي السنة السادسة والاربعون من حكم الملك شولكي ، ينظر:

Sigrst , M. & Damerow ,P.,Op.Cit , p.24.

Mercer , S.A , **Sumero - Babylonian Year Formulae** , London , 1946 , p.10 , no : 102.

ur-bi₂-lum^{Ki} :- مدينة تقع في القسم الشمالي من بلاد الرافدين ورد ذكرها في الصيغ التاريخية منها في السنة السادسة والاربعون من زمن حكم الملك شولكي ، اذ عدت من المدن ذات المواقع المهمة التي وصل اليها النفوذ السومري كما ذكرها الملك امار- سين في السنة الثانية من حكمه بأنه قد ضرب مدينة أربيلوم وأرخ السنة بعد السنة الثانية من حكمه بهذا الحدث أيضا ، ينظر:

Sigrst,M.&Damerow,**op.cit** ,p.24.

ba - hul :- جملة فعلية سومرية تعني (دمر ، حطم) وتتكون الجملة الفعلية من (ba) اداة الجملة الفعلية لغير العاقل، ينظر:

سجى مؤيد عبد اللطيف ، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

و (hul) جذر الفعل يعني (دمر او حطم او هزم او ضرب) ويقابله بالاكديّة lapatu ، ينظر:

CAD - L , p.82 : b ; Scharmm , W. , **GALL - 4** , p.7

الاستنتاجات

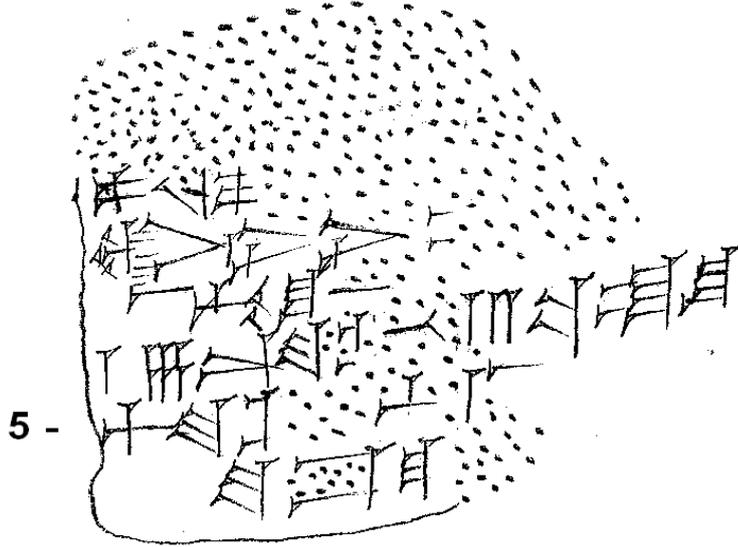
بعد الانتهاء من دراسة نصوص البحث توصلنا الى جملة من الاستنتاجات، وهي كالآتي:-

- ١- ان النصوص الواردة في البحث هي من النصوص المصادرة ، وهي مجهولة الموقع كونها لم تأتي عن طريق التنقيبات الاثرية .
- ٢- جميع النصوص الواردة في البحث هي ذات مضامين اقتصادية ، وهذا يدل على النشاط الاقتصادي الكبير لسلالة اور الثالثة.
- ٣- بعد دراسة الصيغ التاريخية الواردة فيها ، تمكنا من ارجاعها الى عصر سلالة اور الثالثة ، اثنان منها مؤرخة ، أحدهما يعود للسنة السادسة والاربعون لحكم الملك شولكي ، والآخر يعود للسنة الاولى من حكم الملك ابي - سين .
- ٤- من خلال دراسة اسماء الأشهر الواردة في النصوص ، نعتقد ان تكون النصوص من مدينة أوما .

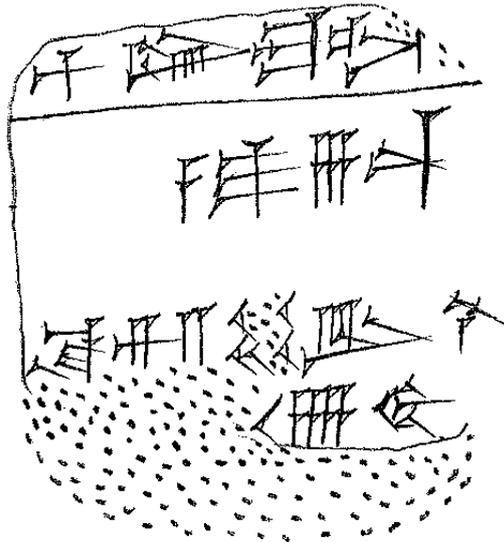
الاستنساخات والصور

(1) 214881

Obv.

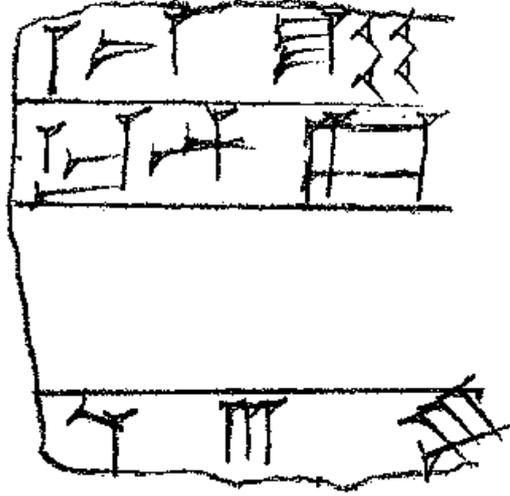


Rev.



(2) 214385

Obv.

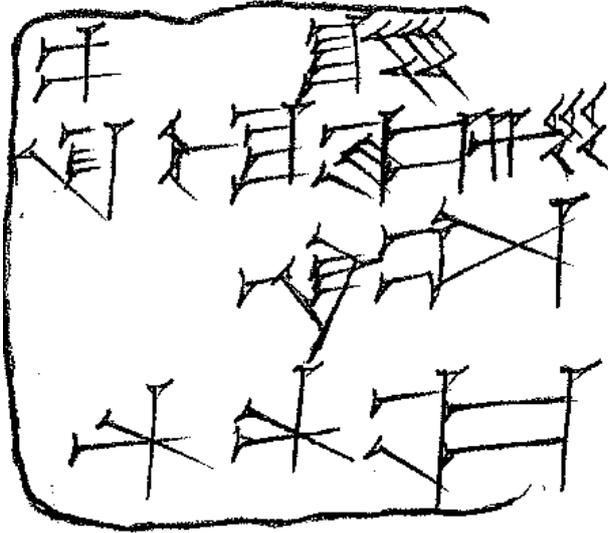


Rev.

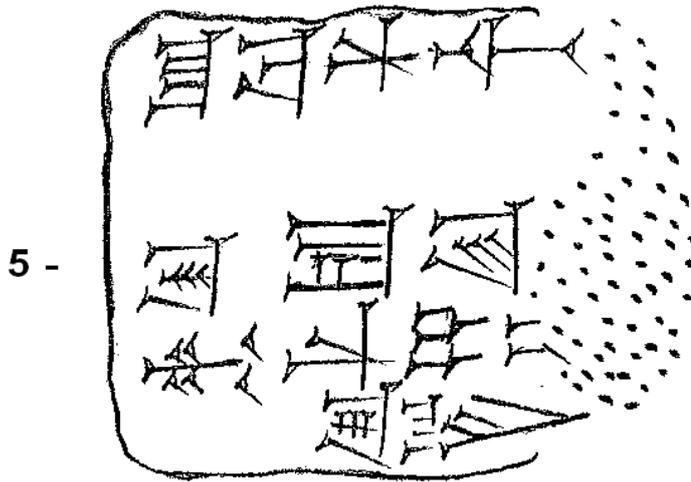


(3) 203159

Obv.

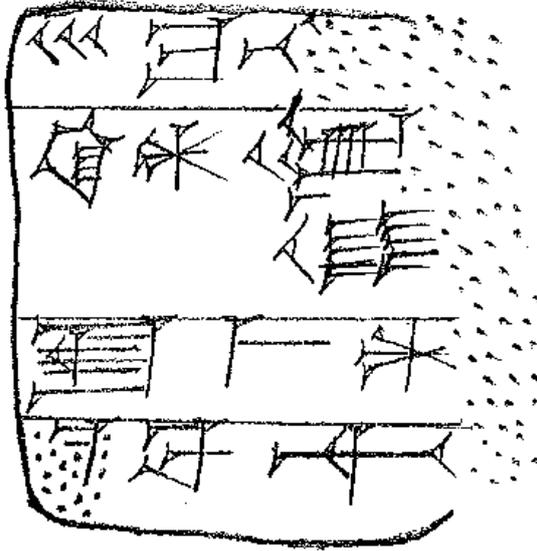


Rev.

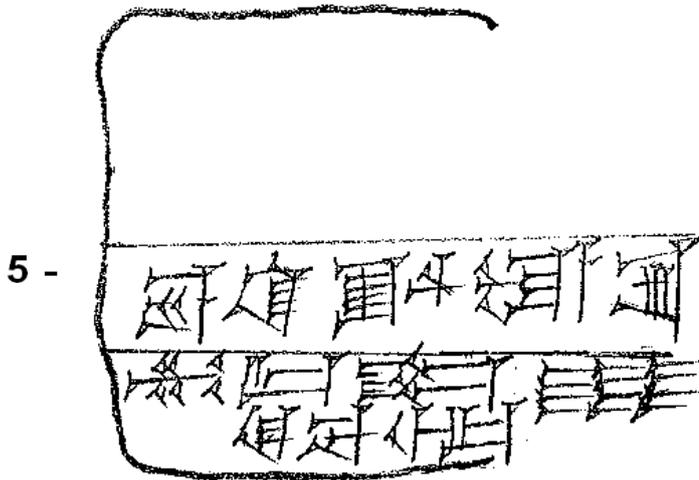


(4) 239945

Obv.



Rev.



(1) 214881



(2)214385



(3) 203159



(4) 239945



قائمة المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ١- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٢- الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية . العربية، أبو ظبي، ٢٠١٠.
- ٣- الجبوري، وسام حميد صباح، المكايل والمقاييس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الاداب، ٢٠١١.
- ٤- الجنابي، جاسم عبد الأمير جاسم، نصوص مسمارية غير منشورة من أرشيف التاجر تورام - إيلي ٢٠٠٤-٢٠٠٤ ق.م، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٤.
- ٥- حافظ، خالد عثمان، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكدية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، ٢٠٠٦.
- ٦- الحسنوي، فائز هادي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ٢٠٠٩.
- ٧- الحمداني، ياسر هاشم حسين، وسائط النقل في العراق القديم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
- ٨- حنون، نائل، اللغتان السومرية و الاكدية قواعد - نصوص - مفردات، ط١، بيروت، ٢٠١٦.
- ٩- الدليمي، أنغام سليم محمد، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار القديمة، ٢٠١٨.
- ١٠- الدليمي، مؤيد محمد سليمان، الأوزان في العراق القديم في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠١.
- ١١- الركابي، نائل حمود عكله، المراقب في نصوص مسمارية المنشورة وغير المنشورة من عصر سلالة أور الثالثة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠١٩.
- ١٢- سجي مؤيد عبد اللطيف، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ٢٠٠٤.
- ١٣- الطائي، عمار محسن عبود، نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة (٢١١٤_٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ٢٠١٧.
- ١٤- ظاهر، عشتار سمير، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ٢٠٠٧.
- ١٥- عبد، حيدر عقيل، صيغ وافعال التسليم والاستلام بين السومرية والاكديية في ضوء نصوص منشورة وغير منشورة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ٢٠٢١.

- ١٦- عبد مالك ، منذر علي، قاموس المصطلحات السومرية - الأكديّة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٣ .
- ١٧-الغانمي ، منى مكي عكاب ، الماشية في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية ،رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الآثار ، قسم الآثار، ٢٠٢٢ .
- ١٨-المتولي ، نواله أحمد محمود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد ، ٢٠٠٧ .
- ١٩-النائلي ، نور سعدون عبيد ، نصوص اقتصادية غير منشورة من عصر سلالة أور الثالثة آخر سلالة سومرية (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القادسية ، كلية الآثار، قسم الآثار القديمة ، ٢٠٢٢ .
- ثانياً:- المصادر الأجنبية**

- 1- Black, j,& Green A, & post agate ,N , A concise Dictionary of Akkadian ,(CDA) , Wisebaden , 2000.
- 2- Borger ,R , Assyisch –babylonische Zeichenliste , (AbZ),Germany ,1981.
- 3- Cohen,M.E. The Cultic Calendars Of The Ancient Near East, Maryland,1993.
- 4- Edzard.D.O,and Others, Reallexikon der Assyriologie , und Vorderasiatischen Archäologie,(RIA – 5), Berlin ,1976-1980.
- 5- Edzard , D.O., *Sumerian Grammer* , Leiden , 2003 .
- 6- George , A.R. ,Babylonian Literary Texts in the Schoyen Collection ,(CUSAS – 10) , Maryland , 2009 .
- 7- Garfinkle.S & Sauren.H& Mieroop.M.V , Ur III Tablets from The Columbia University Libraries, (CUSAS-16), Maryland,2010.
- 8- Halloran,J.A,Sumerian Lexicoh,(sum.Lex.),Losangolos ,2006.
- 9- Kleinerman,A,& Owen,D,I.,Analytical Concordance to the Garšana Archives ,(CUSAS-4),Maryland,2009.
- 10- Labat ,R, Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,(MDA), Paris,1994.

- 11- Molina.M. Sargonic Cuneiform Tablets In The Real Academia De La Historia, Madrid , 2014.
- 12- Landsberger.B .Material Zum Sumeischen Lexikon ,(MSL – 5),Roma, 1957.
- 13- Mercer , S.A , Sumero - Babylonian Year Formulae , London , 1946.
- 14- Oppenheim.A.Leo &Others, The Assyrian Dictionary, (CAD), Chicago,1958.
- 15- Owen,D.I,and others, Cuneiform Texts Primarily from Iri-Sagrig I Al-Sarraki and the History of the Ur III Period , (NISABA) 15-1, Maryland,2013.
- 16- Rafael.G ,Antología de textos sumerios, Madrid, 2003.
- 17- Sallaberger,w. Der Kultische Kalender Ur III – Zeit,1993.
- 18- Salonen, A. Agriculture Mesopotamia (AASF) , Helsinki, 1968.
- 19- Schramm ,W. Akkadische Logogramme, (GAAL) vol-4, Gottingen, 2003.
- 20- sigrist,M.,Neo-Sumerian Account Texts in the Horn Archaeological Museum,(AUCT-1),USA 1984.
- 21- Sigrist, M. & Damerow, P, Mesopotamia Year Names Neo Sumerian and Old Babylonian Date Formulae, berlin , 2001.
- 22- Snell ,D.C. , The Ur III Tablets in the Emory University Museum ,(ASJ) vol-9 , Japan ,1987.
- 23- Thomse,M.L.,*Sumerian Language*,Copenhagen,1984.
- 24- Thomas,F.Notes on Nin-Dinger an UGULA, (MCS),Vol-3.
- 25- Vito,R.A.,*Studies in Third Millennium Sumerian and Akkadian personal names*,Roma,1993.

**الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية في
بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد**

أنغام سليم محمد الدليمي

الهيئة العامة للآثار والتراث- مفتشية آثار وتراث بابل

البريد الإلكتروني Email anghamaldulamy@gmail.com

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية في بلاد الرافدين من

١٠٠٠-٢١١٢ قبل الميلاد

أنغام سليم محمد الدائمي

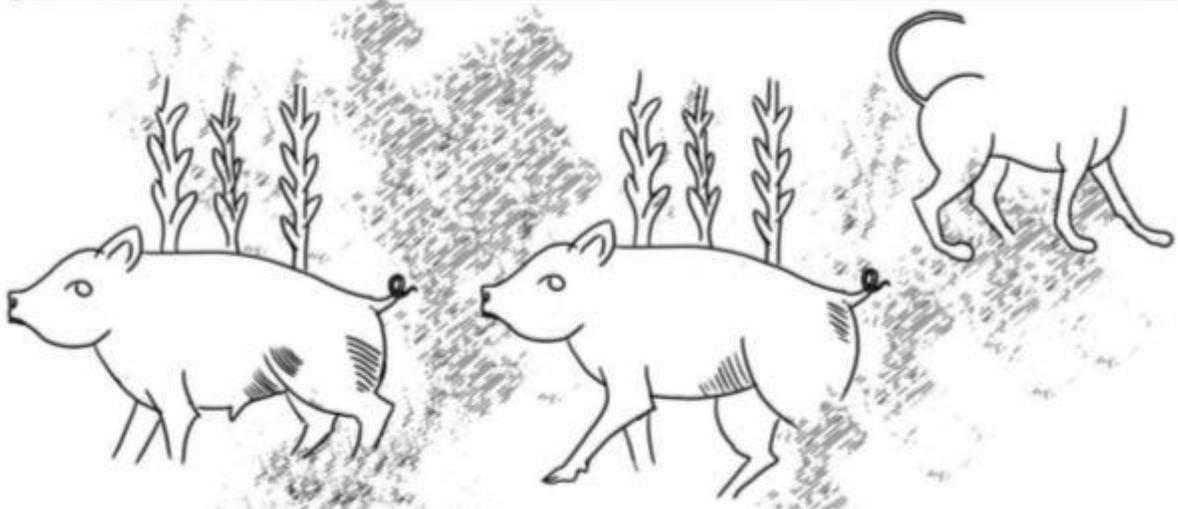
مقدمة:

ان استيطان الانسان في بلاد الرافدين يعود الى فترات موغلة في القدم، بدليل الادلة المستقاة من عدد من الكهوف وما وجد داخلها من ادوات حجرية وعظام الحيوانات التي كان الانسان يصطادها وياكلها^١ واقدم هذه الكهوف هو كهف شانيدر^٢ اما اثار معيشة الانسان في العصر الحجري الوسيط (عصر جمع القوت) فتتمثل ببقايا كهوف (زرزي، هزازمرد، باليكورا)^٣ وقد بينت دراسة عظام الحيوانات في تلك المواقع ان الانسان كان يعيش على درجة كبيرة على صيد الالحيوانات وكان صيده يتضمن الحمير الاخرية والخنزير والاعنام والماعز والغزلان^٤، بعد حدوث الانتقال من جمع القوت الى انتاج القوت ظهرت مجالات جديدة للاستقرار في مستوطنات على شواطئ الانهار ومصباتها وعند الينابيع وفي السهول الرملية حيث يتوفر الماء وبذلك حصل تقدم ملحوظ في زراعة النباتات البرية وتدجين الحيوانات وصناعة الالات الزراعية كالمناجل والمطاحن والمدقات^٥ اذ شهد هذا العصر المعروف بالعصر الحجري الحديث الى ٥٦٠٠ ق.م، وهو عصر الاقتصاد المنتج للطعام بالزراعة والرعي، اذ شهد بداية الاستقرار وتدجين الحيوانات وبذلك اصبحت الاحوال الطبيعية ملائمة من حيث المناخ وديمومة مياه الامطار ووجود حيوانات وحشية ونباتات طبيعية وانسان نشيط تمكن من تدجين عدد من الحيوانات مثل الاعنام والماعز والخنزير للاستفادة منها^٦ اذ كانت مجتمعات العصر الحجري الحديث مجتمعات صغيرة الحجم، اذ قام السكان بزراعة القمح والشعير والبقوليات وكان الاقتصاد الحيواني يدور حول تربية الاعنام والماعز، وقد شكلت نسبة اعداد الخنازير في هذا العصر نسبة اقل من الحيوانات المحلية الاخرى، وقد اعتمدت المجتمعات على الصيد ايضا^٧ اذ عثر على عظام الخنزير في قرى العراق الزراعية القديمة مثل موقع كريم شهر وقرية جرمو وحسونه وغيرها

من القرى الزراعية القديمة^٨ اما في عصر حلف فقد مثل الخنزير باشكال طيني، اذ يرى البعض ان الخنزير يمكن ان يكون قد دجن في عصر حلف، اذ ان تواجد عظام هذا الحيوان بكثرة في القرى الزراعية التابعة لهذا العصر اضافة الى الدمى الطينية التي عملت بشكل خنازير^٩ كما اظهرت التنقيبات الاثرية الكثير من دمى الخنازير المزينة بصبغة سوداء والتي تعود الى عصر العبيد^{١٠} وقد انعكس ذلك على ظهوره في اختام عصر الوركاء وكذلك ظهوره في الكتابات الاركانية^{١١}

الخنزير في فنون بلاد الرافدين:

نظرا لاهمية الخنزير من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لبلاد الرافدين، فقد كان له نصيب كبير ومهم في فنون بلاد الرافدين، اذ مثلت صور الخنزير في قطع فنية مختلفة سواء اكانت مجسمة او بالنحت البارز ولعل ابرز ما مثلت به الخنازير هو الاختام وخاصة الاختام الاسطوانية، اذ تم العثور على طبعة ختم تعود الى عصر الوركاء تمثل خنزيران يسير احدهما خلق الاخر باتجاه اليسار في وسط مرعى مليء بالاعشاب، يبدو من خلال



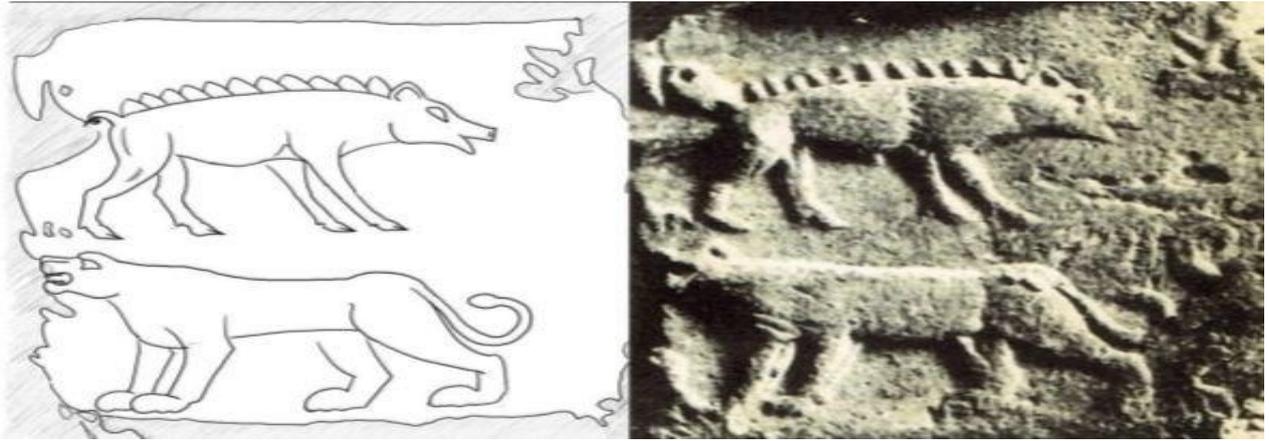
الهيئة العامة للخنزيران انهما من النوع المدجن^{١٢}. ويمكن التمييز بين الخنازير الداجنة والبرية من خلال اجسادها، اذ تمتاز الخنازير البرية بكبر حجمها عن الداجنة، اذ يتجلى ذلك في

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية

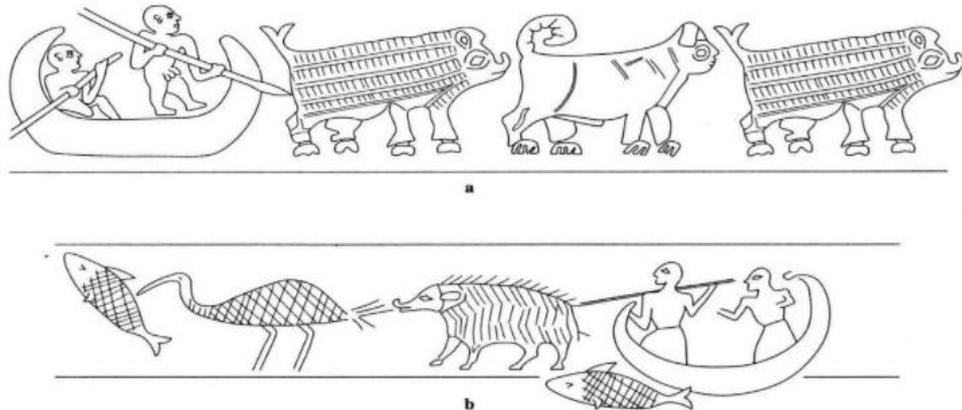
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

الجمجمة كما ان اضراس الخنازير الداجنة اصغر من اضراس الخنازير البرية، اذ يتغير شكل الاسنان في ظل التدجين^{١٣}

وهناك ايضا طبعة ختم اسطواني تعود لعصر الوركاء تمثل خنزير بري بحالة سير نحو اليمين وهو بوضعية متعكسة مع اللبوة التي تسير نحو اليسار والتي صورت اسفل الخنزير^{١٤}.

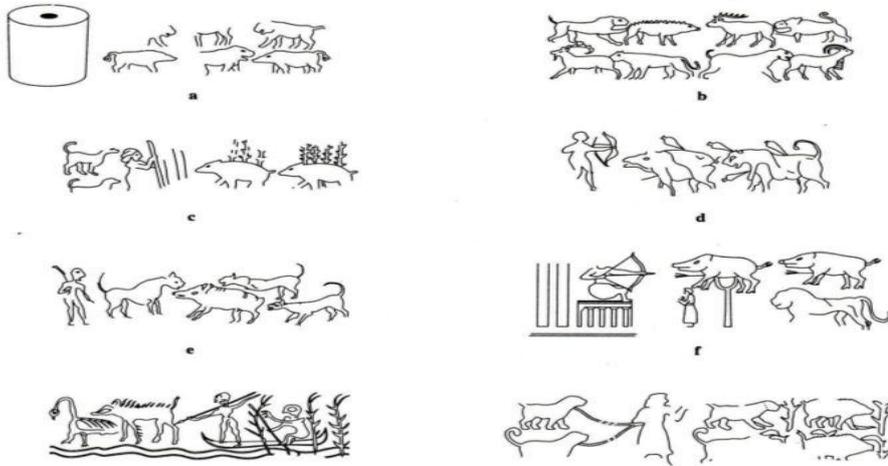


كما تم العثور على عدد من الاختام الاسطوانية التي تعود الى عصر الوركاء تمثل الحيوانات المنشرة في بيئة الاهوار وطرق صيدها، وكل هذه الاختام كان الخنزير حاضرا في مشاهدتها، تمثل هذه المشاهد طرق صيد الخنازير باستخدام القوس والسهم وبمساعدة الكلاب (وهي طريقة لاتزال تستخدم حتى اليوم في ارياف العراق)، ومن الطرق الاخرى المستعملة في صيد الخنازير هي استعمال الزورق، اذ يقوم احد الاشخاص بقيادة الزورق وتوجيهه والشخص الثاني في الزورق هو الصياد الذي يقوم باستعمال الرمح من خلال غرزه في اجسام الخنازير^{١٥}



الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية

في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

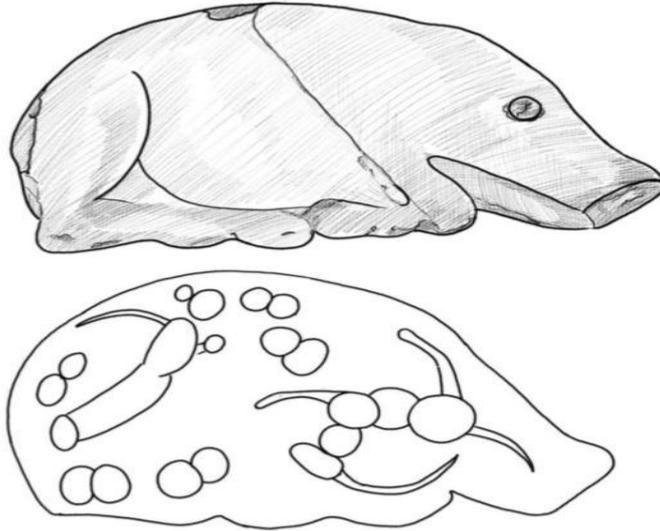


كما ان هنالك مشهد رمزي يعود الى العصر الاكدي يمثل رجل حليق الراس عاري يقف امامه خنزير، الرجل يمسك بكلتا يديه راس رجل ويجبره على الانحناء وشخص اخر بغطاء رأس يقف خلف الرجل المنحني يجبره على الانحناء ايضا وفي نهاية الختم الاسطواني من اليمين يقف رجل عاري يمسك بكلتا يديه عصا، ربما يمثل المشهد طقس من الطقوس السحرية التي كان يمارسها سكان بلاد الرافدين للتخلص من الامراض والشرور من خلال نقلها الى جسد حيوان اخر او لزيادة الخصوبة. أستعمل الخنزير كثيرا كبديل لتتم التضحية به من اجل ابعاد خطر الموت عن المريض، اذ جاء في احد النصوص ما نصه " قسم الخنزير ستة اقسام واجعلها جميعا على موضع المرض ... اعطي الخنزير لبديله اهدر لحمه بدل من لحم المريض وليقبله الجن، وقلب الخنزير الذي وضعته عند وسادة المريض اعطه بدلا من قلب المريض الى الجن"^{١٦} ومن اجل ابعاد كل الامراض تعمل دمية من الطين ويسكب الزيت على راسها وتعطى مطحونة الى خنزير ويقراً المريض عبارات خاصة اثناء الطحن لابعاد المرض^{١٧} كما لعبت الخنازير وتماثيل الخنزير دور في الطقوس السحرية المرتبطة في الجنس والانجاب من خلال الخصوبة العالية للحيوان ويبدو ان التمايم التي صورت بشكل خنازير شائعة، اذ كانت تعلق للحماية من القلق او رعب معين وهي باشكال ووضعيات متنوعة منها خنازير واقفة وجالسة وبعضها مثلت بوضعية الحركة^{١٨}

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد



اما في ما يخص الاختام المنبسطة فقد تم العثور على العديد من هذه الاختام التي احتوت على مشاهد تمثل الخنازير، اذ تم العثور على ختم منبسط يعود الى عصر جمدة نصر يمثل خنزير جالس ذو عينان دائريتان، اما قفا الختم نحت بهيئة رمزية بدون اي تفاصيل وزين بمجاميع من دوائر متصلة مع بعضها الاخر^{١٩}



الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد



مثل الخنزير كدمى فخارية بشكل واسع النطاق الى جانب الحيوانات التي كانت تتم الاستفادة منها اقتصاديا في عصر فجر السلالات. اذ تم نشر اثنين من الدمى الفخارية من مدينة كيش من المتحف العراقي، والتي تم صنعها بطريقة يدوية بسيطة وفق الاسلوب الفني الواقعي على الرغم من قلة الاهتمام في ابراز ملامح الوجه وبعض التفاصيل، الا ان نوع الخنازير التي تم تمثيلها هي من النوع المدجن^{٢٠}.

الخنزير في المصادر المسمارية:

انعكست أهمية الخنزير في حضارة بلاد الرافدين من خلال ظهوره في الكتابات الاركانية^{٢١} ويعود ذكر الخنزير في العراق القديم الى بداية نشوء الكتابة السورية. اذ ورد اسم الخنزير في المصادر المسمارية بعدة مصطلحات وبحسب انواعها، اذ عرف الخنزير البري في النصوص الاقتصادية باكثر من تسمية منها ما ورد بصيغة الـ (ŠEG₄) التي يرادفها باللغة الاكدية (atudu)^{٢٢} وكذلك (šaḥu)^{٢٣} وكذلك ورد بصيغة (ŠEG₄.BAR) والتي يرادفها باللغة الاكدية (šapparu)^{٢٤} اما الخنزير المدجن فقد عرف بالصيغة السومرية (ŠAH₂.ŠE₂.IH, ŠAH₂)^{٢٥} والتي يرادفها باللغة الاكدية (šaḥu) ، كذلك وردت تسمية انثى الخنزير بالصيغة السومرية (ŠAH₂.SAL) والتي يقابلها بالاكديّة (šahitum)^{٢٦} من خلال دراسة الوثائق الادارية السومرية التي تعود الى الالفية الثالثة قبل الميلاد يظهر انها كانت تتضمن نوعان من الخنازير احدهما كان يسمى خنازير المستنقعات (ŠAH₂.GIŠ.GI) والتي كان يتم تغذيتها على القصب^{٢٧} ومن خلال الشعر السومري يتضح لنا ان خنازير المستنقعات كانت لها ذبول اطول من الخنازير الداجنة.

هناك نوع اخر من الخنازير عرف بـ (ŠAH₂.U₂) وهو نوع من الخنازير يتغذى على العشب كان يتم تربيتها باعداد اكبر من اعداد خنازير المستنقعات ومن الواضح ان هذه السلالة هي مستأنسه، اذ اشارت نصوص الالفية الثالثة بانه كان يتم ادراجها في الحظائر حسب العمر والجنس وكانت ترعى على العشب وايضا يتم اعطائها علف اضافي يبلغ نص لتر من الحبوب يوميا، وقد اعتبر طعم لحم هذا النوع من الخنازير افضل من طعم خنازير المستنقعات^{٢٨} وكان هناك مشرف خاص يشرف على تربيتها وتكاثرها^{٢٩} وكان هناك نوع اخر من الخنازير يفاد منها لاعمال الحرثة، اذ ورد اسم خنزير الحرثة بصيغة (šaḥ₂.nita₂.giš) و (šaḥ₂.munus.giš) ربما كانت تستخدم لجر المحاريث لحرث الارض وتهيأتها للزراعة^{٣٠} اضافة الى وجود نوع اخر من الخنازير يعرف بـ (ŠAH₂.URU) ورد في نصوص بوزرش-داكان، اذ اشار ان الـ (URU) تعني الحر والتي يمكن ان تنتشر بحرية داخل اكوام القمامة وهي تختلف عن تلك التي تتغذى على العشب او

المسمنه بالحبوب، وهي ذات جسم ممتلئ يختلف عن الخنازير المدجنة وخنزير الاهوار بالرغم من ان خنازير المراعي الحرة تعطى مكملات الحبوب بنصف كمية الخنازير التي تتغذى على الحبوب^{٣١}

وفي عصر سلالة اور الثالثة تمت تربية واستهلاك الخنزير بشكل كبير جدا نظرا لتمتع الخنازير بمعدلات تكاثر اعلى ونتاج من اللحوم الغنية بالدهون اكبر من اي نوع اخر من انواع المواشي الاخرى في الشرق الادنى وقد لعبت بايلوجيا دورا مهما في تشكيل مكانتها في الاقتصاد الحضاري للشرق الادنى القديم^{٣٢} حتى انه بدأ يوزع كأجور (جرايات) للعمال وموظفوا الدولة، اذ اوضحت الوثائق الادارية التي تعود الى سلالة اور الثالثة لاسيما تلك التي تعود لمدينة بوزرش-داكان انه تمت المحافظة على قطع من الخنازير المعروفة بخنزير المستنقعات اذ يمكن تربية خنازير المستنقعات بنجاح وقد اشارت السجلات ان خمسة خنازير بالغة قد انتجت ١٧ انثى و ١٤ ذكر من الخنازير الصغيرة، اذ اثبتت السجلات الادارية استخدام لحوم الخنازير كوجبة ملكية مناسبة كما اشارت السجلات من سلالة اور الثالثة الى تربية الخنازير بشكل واضح وكان استهلاكها مناسب للسومريين على سبيل المثال قد استخدمت كقربان لروح الملك المتوفي ولاغراض اخرى، اذ تم تسمية مهرجان في احد الاشهر لسلالة اور الثالثة باسم (šēš-da-ku₂) او (šēš-ku₃-ku₂)^{٣٣} كما اشارت نصوص اخرى من سلالة اور الثالثة الى ذكر خنازير اناث حامل (šah₂-munus ama-gan)^{٣٤} اي بمعنى خنزيرة ام حامل، اذ يرادف الكلمة السومرية (gan) في اللغة الاكدية (walidu)^{٣٥}

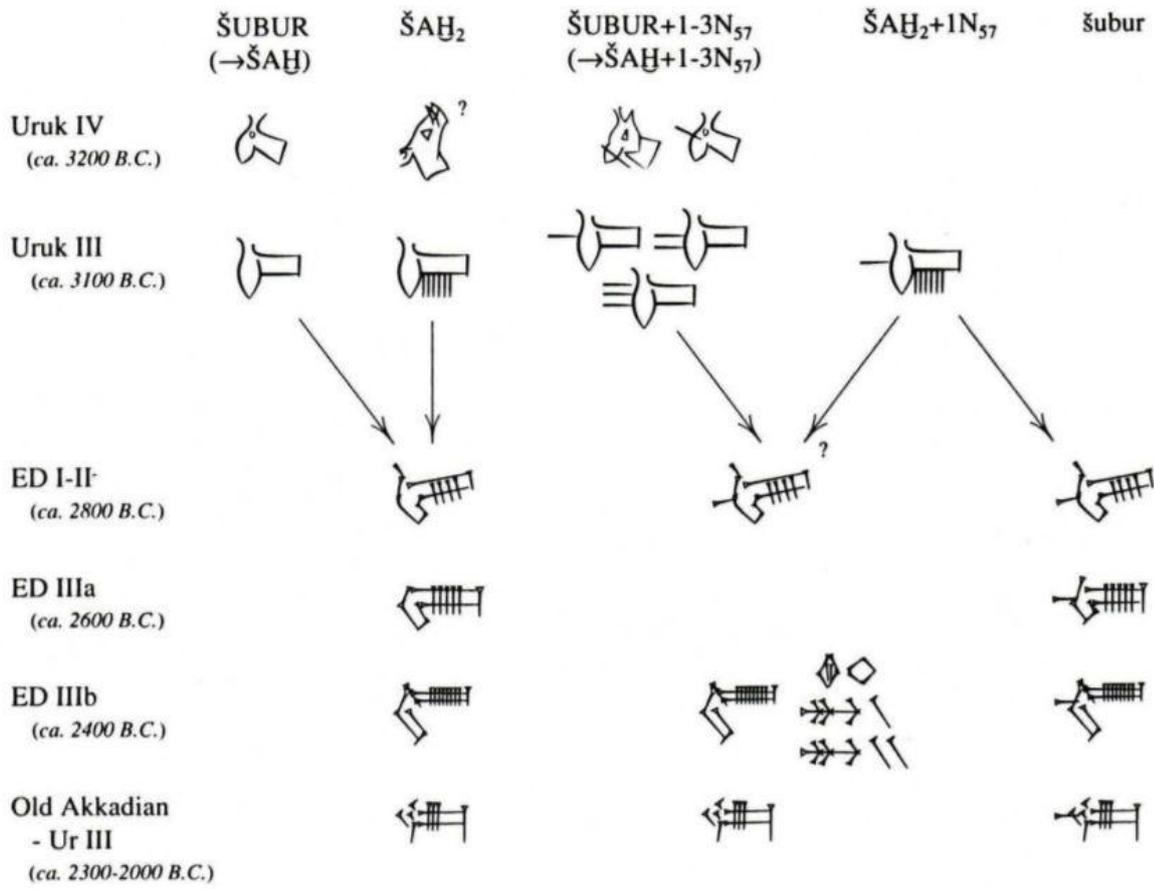
اشارت بعض السجلات الادارية من عصر سرجون الاكدي الى ان استهلاك الخنازير كغذاء من قبل الاشخاص المتميزين، اذ اشارت السجلات الى توزيع لحم الخنزير على كبار الشخصيات والرسل والاجانب. كما ورد في نصوص سلالة اور الثالثة اشارات واضحة الى اهمية الخنزير واستعمال منتجاته في مجالات متعددة في الحياة اليومية، ومما يدل على زيادة اهمية الخنزير في هذه السلالة ظهور شهر عرف باسم (iti šēš-da-ku₂) والذي ترجم على انه "شهر أكل الخنزير" كما ورد في نصنا المرقم (IM.206856). على العكس

مما ذكرته النصوص المسمارية في العصر البابلي، إذ تم صرف دهون الخنازير بشكل متكرر إلى الخدم كمواد أساسية إضافة إلى الأشخاص ذو المكانة الاجتماعية المتدنية ولاغراض الصناعية. يعود هذا الاختلاف لكون البابليين من الأقاليم الامورية التي تختلف تقريبا بتقاليدها عن السومريين^{٣٦} ان الخنازير كانت شائعة جدا في النظام الغذائي في العصر البابلي القديم بدليل ان الخنازير ظهرت في موقع (ابو الضواري) وهو مثال جيد على اهمية الخنازير في النظام الغذائي في العصر البابلي القديم، إذ تم تمثيل الخنازير في (٥٨١) رقيم في حين ان (٥٦٠) رقيم للاغنام والماعز و(٦٣) رقيم للابقار، إذ تعتبر الخنازير على الأقل بنفس الاهمية مع الاغنام والماعز في النظام الغذائي للسكان^{٣٧} ومع ذلك لايمكن العثور على ادلة كثيرة تتعلق بتضحية الخنازير في العصر البابلي باستثناء اشارة في مجموعة تسمى "محنة مردوخ" إذ وفقا لهذا النص الذي من شأنه ان يعكس الممارسات الدينية البابلية، إذ تم ذبح خنزير امام "سيدة بابل" (Belet Bābili) في اليوم الثامن من نيسان وفي نفس النص تم تقديم اللحم المشوي المتبل^{٣٨}.

وقد اشارت النصوص المسمارية إلى استعمال دهن الخنزير بالدرجة الاولى إضافة إلى لحومه في العصر الاشوري، إذ اشارت النصوص المسمارية إلى ان دهون الخنزير كانت تستعمل بشكل كبير من قبل الجيش الاشوري^{٣٩} كان صيد الخنازير البرية واحدة من هوايات الملوك الاشوريين عندما قاموا بانشاء موطن طبيعي كالاھوار في نينوى، إذ قاموا باطلاق سراحهن مع الذئب والدببة والجواميس وطيور المستنقعات وتكاثروا هناك بحسب ما ورد ذكره في النصوص المسمارية^{٤٠}

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية

في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد



Englund,R,K., Late Uruk Pigs and other Herded Animals
مراحل تطور كتابة علامة الخنزير وفقاً لـ

IM.206856

نص مسماري غير منشور من سلالة اور الثالثة من المتحف العراقي

obv.

1- [...] u₃ [...]

[...] أو [...]]

li₃ - li₂ - aš - ra¹ - [ni]

ايلى - ايشراني

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

šu ba-ti	تسلم
ᵛgiri ₃ hu-ba-[a]	الوسيط خوبا
5- ki ^d adad-till[ati]	من ادد-تيلاتي
Rev.	القفا.
ba-zi	مصروفات
iti šeš-da-ku ₂	شهر أكل الخنزير
mu ^d šu- ^d suen / lugal uri ₅ ^{ki}	السنة التي دمر فيها شوسين ملك أور بلاد زابشالي
ᵛma ¹ -da za-ab-[ša-/ li ^{ki} ba-ᵛul]	
Le.edg	الحافة السفلية.
gaba-ri	نسخة ثانية

"المضمون العام"

نص يتضمن استلام كمية مجهولة بسبب تلفها وقد صرفت في الشهر الثاني عشر بحسب تقويم مدينة دريهم، في السنة السابعة من حكم الملك شو - سين.

الملاحظات:

السطر ١

U₃: حرف عطف (و) ^{٤١}

السطر ٢

Li₃-li₂-aš-「ra」-[ni]: اسم علم أكدي ورد في نصوص سلالة أور الثالثة ولاسيما
نصوص مدن اوما وكرشانا وارساك- رك ودريهم، ومعناه (إلهي أحفظني/ أرعاني). ^{٤٢}

السطر ٣

š u ba-ti: صيغة فعلية سومرية لفعل مركب يتكون من اسم زائد جذر فعل (š u.....ti)
بمعنى تسلم، يرادفها في اللغة الأكديّة (ilqe) أو (imḥur) من المصدر (leqû) أو المصدر
(maḥāru)، أما الـ (ba) فهي أداة الجملة الفعلية ^{٤٣}

السطر ٤

ḥ u-ba-[a]: اسم علم ورد في نصوص سلالة أور الثالثة ولاسيما في نصوص مدن
دريهم واوما ولكش. ^{٤٤}

السطر ٥

ki: حرف جر سومري يعني (من)، يرادفه في الأكدي (išt u) ^{٤٥}
ḏ adad-tillati: اسم علم أكدي ورد في نصوص سلالة أور الثالثة ولاسيما نصوص مدن
كرشانا ودريهم وارساك- رك، ويقرأ أيضاً (ḏ adad- illat) ومعناه (الإله أدد قبيلتي/
عشيرتي). ^{٤٦}

السطر ٦

ba-zi: جملة فعلية سومرية بمعنى (صرفت، أنفقت) يرادفها في الأكديّة (īt uṣ). ^{٤٧}

السطر ٩

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

gaba-ri : مصطلح سومري يعني (نسخة ثانية)، يرادفه في الأكديّة (miḫirtu) ESG,p.19; Foster,B.R.,& Mieroop,M.V., "Early Isin Texts in the Australian Institute of Archaeology",ASJ/5 ,Japan ,1983,p.46

IM.206856

Obv.

Rev.

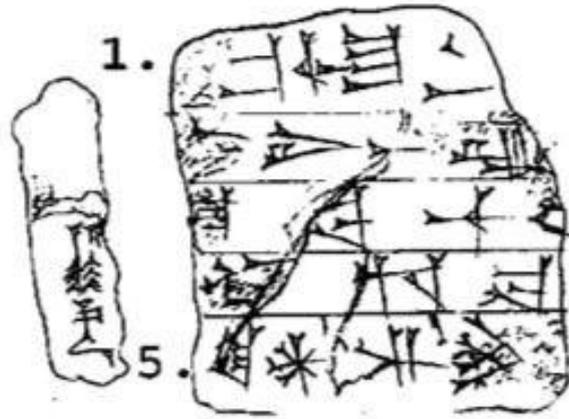


Edg.



No3.
(IM.206856)

Obv.



Rev.



الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

Obv.

الوجه

1. 2 ban₂ 2 sila₃ i₃-šah₂

٢ بان ٢ سيلا زيت خنزير

i₃ e₂? d^šara₂

زيت معبد الاله شارا

lugal-e-ba-an-sa₆

لوكال-ايبانسا

šu ba-ti

تسلم

Re.

القفا

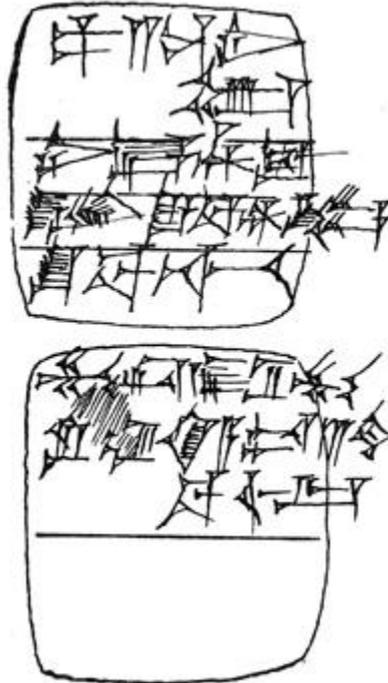
٥. mu us₂-sa si-mu-ru-um^{ki} a-ra₂ 3-kam ba-hul

السنة بعد السنة التي دمرت فيها مدينة سيموروم للمرة الثالثة

Blank space

مساحة فارغة

BM.



"المضمون العام"

نص يتضمن كميات من دهن الخنزير والزيوت؟ لمعبد الاله شارا تم استلامها من قبل لوكال-ايبانسا في السنة الثالثة والثلاثين من حكم الملك شولكي^{٤٨}

الدجاج وتأثيره على تربية الخنازير في بلاد الرافدين:

من خلال دراسة علم الحيوان يتضح ان الخنازير كانت عنصر اساسي شائع في النظام الاقتصادي في المناطق السكنية الحضرية الفقيرة^{٤٩} نظرا لان الخنازير من الممكن ان تتكاثر في نطاق محدود واعتمادا على موارد محدودة اكثر من انواع الحيوانات الاخرى لذلك فان تصنيفها على انها غير نظيفة سيكون له تأثير اقتصادي ضيق التركيز بالاضافة الى ذلك فانه قد يكون ربط الخنازير بسكان القرى المستقرة او سكان المدن من الطبقة الدنيا قد ساهم في الاستبعاد الغذائي من قبل اليهود والمسلمين ومن المثير للاهتمامنا في وقت ما في الالفية الاولى قبل الميلاد وفي فترة انتشار الديانة اليهودية في بلاد الشام بدأ الدجاج يلعب دور رئيسي في السلة الغذائية للشرق الادنى، اذ ان وصول مورد اقتصادي محلي جديد ويمكن تربيته بسهولة على نطاق صغير من قبل الاسر القروية وقد يكون الحيوان الاصغر الذي يمثل الاستهلاك المحلي للحوم بالاضافة الى المزايا الاخرى كانتاج البيض قد جعلت من الدجاج بديل مثالي للخنزير باعتباره محصول البساتين الحيواني المفضل لدى الاسر، والذي وفر قدر كبير من الاستقلالية الاقتصادية في اقتصاد واسع^{٥٠} ومن خلال دراسة البيانات الاثرية والتي هي وثيقة الصلة بمسألة متى ظهر الدجاج لأول مرة في الشرق الاوسط، اذ ان هناك سجلات متناثرة لبقايا الدجاج لخصت حدث حدوث تدجين الدجاج في مواقع العالم القديم، اذ استنتج العلماء ان الدجاج تم تدجينه في الصين ثم انتشر الى اوربا ثم الى افريقيا لاسيما مصر ثم ايران وتركيا وبلاد الرافدين وسوريا والاردن بحدود ٢٠٠٠-١٠٠٠ ق.م ونقلنا عن مصادر عديدة في النصوص ان الدجاج كان معروفا في بلاد الرافدين بحدود ٢٥٠٠ ق.م، اذ تم تصوير ٨ دجاجات على اناء عاجي من اشور والذي

يعود تاريخه الى ١٤٠٠-١٣٠٠ ق.م^١ اي ان ظهور الدجاج بشكل صريح في بلاد الرافدين كان بحدود الالف الاول قبل الميلاد.

من خلال دراسة البيئة التي يعيش فيها الخنزير والدجاج وسلوكها والانتاج الغذائي للخنزير والدجاج في الشرق الاوسط، اذ ان للخنزير بيئة خاصة بها وتعتبر عدم قدرة الخنزير على تبريد نفسه عن طريق الغدد العرقية بمثابة عائق امام استخدامها في الشرق الاوسط اما الدجاج كان دورة اكبر في التجمعات البدوية كما ان الخنزير ليس مورد متقل ويحتاج متطلبات متعددة، اذ يحتاج كميات كبيرة من المياه للشرب وتبريد جسمه في البيئة الحارة، اذ تعد اهور جنوب العراق والقصب والاشجار على طول الانهار بيئة مناسبة للخنزير، وبما ان احتياجه للماء اكثر من الاغنام والابقار فهو يبقى بالقرب من مصادر المياه وهذا يجعل من الصعب نقلها في البيئة القاحلة او شبه القاحلة. ولكن في مثل هذه الحالة والاجواء نجح الدجاج في البقاء والازدهار كما ان المتطلبات الغذائية للخنزير تعد عامل مقيد، اذ ان الخنزير ليس لها القدرة على تحويل النباتات العالية السيليلوز كالأعشاب كمصدر غذائي مباشر لها كبقية الحيوانات الرعوية الاخرى، فان الخنزير هي من اكلت اللحوم تقريبا وتاكل فضلات الانسان والقشور وغيرها من النفايات وتشكل وحدات فعالة للتخلص من القمامة، اذ تعد مستهلكة للنفايات في المستوطنات وما حولها كما يمكنها ان تتغذى على المكسرات والدرنات وهي موارد لاتستهلكها الماشية.

ان الخنزير غير مناسبة للرحل، اذ لا يوجد دليل على نقل الخنزير لمسافات طويلة من اجل رعيها كما انه من المستحيل التنقل بها لمسافات طويلة لكونها قصيرة الساقين وطويلة الجسم وما ميز الدجاج على الخنزير هو صغر حجمه، اذ يمكن نقله مسافات طويلة^٢ من خلال دراسة النظام الغذائي للخنزير والدجاج والماشية يتضح انه قد تم تغذية الخنزير والدجاج بالحبوب اما تغذية الماشية فهي بالحبوب والاعلاف او بالاعلاف فقط (الاعشاب)، اذ يستنتج من تلك البيانات ان انتاج لحم الخنزير اكثر كفاءة من الناحية الانتاجية بمرتين الى ثلاثة مرات من انتاج لحم الابقار والاعنام وانتاج لحم الدجاج اكثر كفاءة بمرتين الى ثلاثة مرات من انتاج لحوم الخنزير وكذلك استخدام الحليب ومنتجات الالبان في الشرق

الايوسط يعتبر احد المنتجات الاساسية واحدى اساليب الاستخدام الحيواني التي لا تتوفر في الخنزير^٣ كما ان السيطرة على رعاية الخنازير اثناء الانتقال بين المناطق صعب جدا، اذ يصعب التحكم والسيطرة عليها دون ان تلحق الضرر في حقول القمح والشعير.

كان يمكن الاحتفاظ بالخنازير في الشرق الاوسط باستخدام احدى الاساليب الثلاثة:

١. في القرى الريفية والمدن الصغيرة يمكن السماح للخنازير بالتجول في المستوطنات

والتغذي على القمامة قد تكن التغذية قد استكملت في بعض المحاصيل الزراعية.

٢. ان يكون لكل بيت خنزير وان ياكلوا صغار خنزيرهم، اذ يستعمل هذا الاسلوب في

المناطق الريفية والقرى الزراعية، اذ كانت الاسر تستهلك الخنازير او ربما يتم تبادلها

في الاسواق المحلية.

٣. يمكن تربية الخنازير في القرى واخراجها الى البساتين، اذ يمكنه البحث عن الطعام

تحت اشراف معين. ستكون الخنازير مملوكة ويمكن للأسر المالكة ان تستهلك

لحومها او تستبدلها محليا ان العيب الوحيد للخنزير كمورد منزلي هو ان ذبح خنزير

صغير بعمر حوالي سنة واحدة يزن اكثر من ٨ كغم لايمكن ان ستهلكه الاسر قبل ان

يصبح اللحم غير صالح للاكل، اذ يعرف عن لحم الخنزير بانه سريع التلف،

خصوصا انه لم يكن لديهم تبريد او استعمال طريقة الدخان والملح وهي من اقدم

طرق حفظ اللحوم^٤ اذ تم اثبات لحم الخنزير المملح في المصادر المسمارية ولكنه

اقل شيوعا من لحم الضأن المملح، اذ ان هناك نص يذكر اجزاء خنزير مملحة من

خنازير المستنقعات، اذ يتضح استعمال الملح لهذا الغرض اي لحفظ لحم الخنازير^٥

تشير بعض البيانات ان استخدام الخنزير قد انخفض مع ظهور الدجاج في عدد من

مناطق الشرق الادنى القديم، اذ بمجرد ادخال الدجاج بدأ البشر بتفضيله واستبدل

بالخنزير الى حد كبير في معظم القرى والمناطق الحضرية الفقيرة بالدجاج لاسباب

عده منها :

- يعتبر الدجاج مصدر بروتيني اكثر كفاءة من الخنزير.
- ينتج الدجاج منتج ثانوي وهو البيض وهو مصدر بروتيني مهم.

- الدجاجة عبارة عن كائن اصغر من الخنزير ويمكن لاسره استهلاكه في غضون ساعة وهذا يقضي على مشكلة الحجم الكبير للخنزير اذا قامت عائله بذبح خنزير فعليهم اما الحفاظ على اللحوم السريعة التلف او استخدام طرق للتبادل اي اقامة علاقات متبادلة للتبادل لحوم الخنازير وباستخدام البدو الدجاج ازدادت اهمية الدجاج حيث اصبح البدو مندمجين بشكل متزايد في الاقتصادات الاقليمية واصبحت حيواناتهم ذات قيمة عالية للغاية، اذ لايمكن رعي الخنزير بشكل فعال وبذلك لايمكن استخدامه من قبل البدو^{٥٦} ان ادخال الدجاج في النظام الغذائي كان يتنافس بشدة مع الخنازير لاسيما لما للدجاج من مميزات مهمة على الخنازير لاسيما في المناطق الجافة وشبه القاحلة، اذ فضل البشر الدجاج على الخنزير وبذلك اصبح الخنزير زائد عن الحاجة في النظام الغذائي، ربما ضل الخنزير جزء مهم من النظام الغذائي في مناطق المسنقعات على طول نهري دجلة والفرات، اذ ربما استمر النظام الغذائي للدجاج والخنزير معا وبذلك تكون تربية الخنازير قد استمرت في هذه المناطق وكانت مصدرا للصراع الاجتماعي مع تزايد التعقيدات الاجتماعية وتطور الاقتصادات الاقليمية وبالتالي لايمكن نقله مسافات طويلة الى المراكز بدلا من ذلك استخدم الخنزير كمورد منزلي يوفر مصدرا رخيصا للبروتين في القرى والمدن، اذ تقوم الاسر بتربية الخنازير وتبادل جزء من لحومها مع الاسر الاخرى بنظام المبادلة بالمثل اذ لم يتم احتساب هذه الخنازير ولم يتم فرض ضرائب عليها من قبل السلطة المركزية^{٥٧}

الخنزير في امثال بلاد الرافدين:

كان ينظر الى الخنازير في الامثال السومرية من الحيوانات غير المرغوب بها ومن اهم هذه الامثال الاتي:

- برميل الماء خنزيرا غير نظيف^{٥٨}
- هل ستفق النقود على صرير الخنزير، ويقصد به نقد مظهر التبذير^{٥٩}
- اي كلب (لا) يأكل، سياكل خنزير في الشارع، (انه) قدر ممتلىء دلالة على قذارته^{٦٠}
- انه يخطف مثل الخنزير، كما هو الحال مع صاحبة" دلالة على الجشع^{٦١}
- الم يتصرف بطريقة مخزية؟ الم يطلب الشعير (اطعامه) مثل الخنزير في منتصف الليل^{٦٢} تدل
- انت تمشي وتدور حول حوض مثل خنزير مع طعام شهوي في فمه^{٦٣} يدل على الجشع
- لقد خزن لنفسه (لكنه) ذبح خنزير يشير المثل الى مبدأ (الكل او لاشيء)^{٦٤}
- خنزير يذبح على يد الجزار يصرخ، (لكنه قال): انت تسير بالطريق التي ذهب بها اسلافك (لماذا) تصرخ؟ هذا المثل يشير الى تفضيل ذبح ذكور الخنازير^{٦٥}
- مع اقتراب القدر، قال: لايزال هناك عشب (صالح للاكل) في (روثي)^{٦٦} تدل على الشخص الجشع المتمسك بالحياة.

الخنزير في القوانين العراقية:

اشارة القوانين العراقية الى الخنازير ونخص في الذكر منها شريعة حمورابي سادس ملوك العصر البابلي القديم، اذ اشارة المادة الثامنة من قانون حمورابي الى عدد من الحيوانات ومن ضمن هذه الحيوانات كان الخنزير، اذ جاء ذكره في المادة الثامنة " إذا سرق سيد ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو زورقاً، إذا كان (المسروق) يعود للإله أو للقصر، فعليه أن يعطي ٣٠ ضعفاً. أما إذا كان يعود إلى مسكين، فعليه أن يدفع ١٠ أضعاف، فيما إذا لم يكن لدى السارق ما يعوّض به فإنه يعدم"^{٦٧} يمكن ان نستنتج من خلال هذه المادة القانونية

ان الخنزير كان يربى الى جانب الحيوانات الاخرى في العصر البابلي القديم، كما انه لم يكن يربى من قبل الافراد فحسب بل حتى من قبل القصر والمعبد وبالتأكيد فان هاتين المؤسسات الاساسيتان في مجتمع بلاد الرافدين كانتا تربيان الخنازير باعداد كبيرة جدا تفوق مايربية عامة الناس. نظرا لان الخنزير وبحسب النصوص المسمارية التي جاء ذكرها سابقا اقتضت اهمية الخنزير بكونه مصدر غذائي منتج للحوم بالدرجة الاساسية، وهذا دليل على ان الغرض الاساسي من تربية الخنزير في العصر البابلي القديم هو للاستفادة من لحومه وشحومه، وهذا هو بالعكس مما يشاع لدى بعض الباحثين في العراق بان لحم الخنزير حرم ولم يتم استهلاكه في العصر البابلي القديم.

الاستنتاجات

- تم استهلاك الخنزير في العصر الحجري القديم والوسيط من خلال اصطياده وهذا ما دلت عليه البقايا العظمية التي تم العثور عليها في مستوطنات شمال بلاد الرافدين.
- دجن الخنزير في العصر الحجري الحديث والمعدني وكان يستهلك بكميات كبيرة، اضافة الى ان عملية صيده لم تنقطع.
- استمر تدجين واستهلاك الخنزير باعداد كبيرة في عصر الوركاء وجمدة نصر وفجر السلالات واور الثالثة، كما ان عملية صيد الخنزير البري كانت مستمره وهذا ما اثبتته النصوص المسمارية والقطع الفنية.
- كان الخنزير جزءاً اساسياً من النظام الغذائي وبعض الصناعات لاسيما النسيجية في عصر فجر السلالات وسلالة اور الثالثة وتم استعمال دهن الخنزير بكميات كبيرة.
- بدأ استهلاك الخنزير يقل بسبب نظرة المجتمع السلبية الى الخنزير، اذ اصبح مضرباً للامثال السلبية التي تدل على القذارة والجشع ولكن لا يوجد دليل كتابي على تحريمه.
- لحم الخنزير سريع التلف، اذ يحتاج حفظة الى خلق اجواء مناسبة يصعب توفرها في بلاد الرافدين، وفي حالة حفظها فانها مكلفة وتحتاج الى الكثير من الوقت.
- سبب اخر قلل من استهلاك الخنزير في مجتمع بلاد الرافدين وهو دخول الدجاج، نظرا لاهمية الدجاج من حيث كونه مصدر اساسي للبروتين، كما ان الدجاج ينتج مصدر

غذائي اخر وهو البيض، اضافة الى انه يمكن ان يستهلك في وجبة غذائية واحدة من قبل العائلة بدون الحاجة لحفظه لفترة طويلة.

• الدجاج لا يستهلك كميات طعام كبيرة اذا ما قورن بالخنزير ونتيجة لذلك بدأ يتم استعمال بقايا الطعام والمخلفات النباتية لطعام الدجاج بدلا من الخنزير.

• استمرت تربية الخنازير في العصر البابلي القديم والاشوري القديم والوسيط والحديث للاستفادة من لحومة وبالدرجة الاساس من دهونه، واصبح يعطى بالدرجة الاساس كجرايات للطبقات الفقيرة والجند.

• ان استعمال لحوم الخنزير في العصر الاكدي والبابلي القديم والاشوري لم يكن بالمستوى الذي كان يستهلك به في عصر الوركاء او فجر السلالات واور الثالثة ولهذا السبب يمكن ملاحظة ان تمثيل هذا الحيوان في فنون بلاد الرافدين قد قل بشكل كبير.

• نعتقد ان سيطرة الاكديين والاموريين (الجزيريين) على بلاد الرافدين كان السبب الرئيسي الذي ادى الى انخفاض استهلاك لحوم الخنزير وسبب ذلك يعود الى:

١. انهم قبائل متنقلة بالدرجة الاساس قبل ان يستقروا في بلاد الرافدين وبالتالي فان الخنزير حيوان لا يتناسب مع نمط حياتهم المتنقل ويحتاج الى المياه بشكل كبير. ان صح التعبير فان الخنزير هو حيوان دخيل بالنسبة لهم لذلك فضلوا لحوم الاغنام والماعز على لحمه.

٢. ان الخنزير على العكس من الاغنام لا يمكن الاستفادة من الباناه او جلده او صوفه وهذا ما دفع سكان بلاد الرافدين وخصوصا القبائل الامورية الى تقليل تربيته والتركيز على الاغنام.

• كل مايشاع في الوسط العلمي والاكاديمي اليوم بان الخنزير قد حرم في حضارة بلاد الرافدين غير صحيح ويفنقر الى الدليل المادي (الكتابي)، اذ لم يتم العثور على نص واحد يثبت ان سكان بلاد الرافدين قد حرموا اكل الخنزير. ان تحريم الخنزير في بلاد الرافدين جاء بعد الفتح الاسلامي وانتشار الاسلام.

شكر موصل الى منظمة تاري التي دعمت هذا البحث

1. Alster,B.proverbs of ancient sumer/2,Bethesda,1997
2. CAD, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University, Chicago,1956
3. Crawford,V.E., Sumerian Economic Texts From the First Dynasty Of Isin,BIN/9,New Haven,1954
4. Deimel,A."Die viehzucht im alten sumer",OR/20
5. Edzard, D.O., Sumerian Grammar ,Brill,2003
6. Englund,R,K., Late Uruk Pigs and other Herded Animals, Semantic scholar,2004
7. Foster,B.R., "Two Late Old Akkadian Documents", ASJ/12 , Japan, 1990
8. Foster,B.R.,& Mieroop,M.V., "Early Isin Texts in the Australian Institute of Archaeology",ASJ/5 ,Japan ,1983
9. Foxvog,D,A., Elementary Sumerian Glossary,ESG,USA, 2014
10. Gaspa,S., Bulletin of the school of oriental and African studies, meat offerings and the preparation in the state cult of the Assyrian empire, university London, vol.75,No.2,2012
11. Gorden,e.i.,Sumerian proverb,Philadelphia,1959,p.105,N.1-119
12. Grégoire,j,P.,AAS/110,paris,1970
13. Hallo,W.W.," Appendix to David Owen", ASJ/3 ,Japan, 1981
14. Halloran,J.A., Sumerian Lexicon,Losangolos,2006,p.19
15. Halloran,J.A.,Sumerian Lexicon, Losangolos, 2006

16. Hilgert,M., Drehem Administrative Documents from the Reign of Šulgi,OIP/115, Chicago,1998
17. Lambert,w.g.babylonian wisdom litreture,BWL,Oxford,1960
18. Landesberger,B.,The fauna of ancient Mesopotamia,MSL/8,roma,1962
19. Limet,H., L'anthroponymie Sumerienne,Paris,1968
20. Mallowan,M.,Twenty five years of Mesopotamian Discovery, London,1965,p.98
21. Oppenheim,A,L.,Catalogue of the cuneiform tablets of the witper force Eames Babylonian Collection,AOS/32 Newyork,1948
22. Owen,D.I.& Mayr,R.H., Garšana Collection of Near Eastern Studies Cornell University,CUSAS/3,Maryland,2007
23. Owin,D,I., Cuneiform Texts Primarily From Iri-Saġrig / ĀL-Šarrākī and the History of the Ur III Period, Nisaba/15.1, Maryland,2013
24. Postgate,J,N., Early Mesopotamia Society and Economy at the dawn of History,London,1992
25. Price,M.D., Pigs Husbandry in northern Mesopotamia during the emergence of social complexity 6500-2000 BC, Harvard University, Cambridge Massachusetts,2016
26. Richard,W.R,The pig and the chicken in the middle east:Modeling human subsistence behavior in the

- archaeological record using historical and animal husbandary data,newyourk,2015
27. Rouillard,P.De la domestication av tabu,textes edites par Brigitte lion et cecile Michel,paris,2006
 28. Snell,D.C., "The Ur III Tablets in the Emory University Museum",ASJ/9, Japan, 1987
 29. Stepien,M.Animal husbandary in the ancient near east,Maryland,1996,p31
 30. Vito,R.A., Studies in Third Millennium Sumerian and Akkadian personal Names,Roma,1993.
 31. Zamudio,R.J.,Antologia De Textos sumerios, Madrid,2002
 32. Zeder,M.A.,“Food provisioning in urban societies”, The Social Construction of Ancient Cities, Smithsonian,2013
 33. Zwist,W.,”Lists of names of wild and cultivated cereals”,BSA/1, 1984

المصادر العربية

١. حنون، نائل، شريعة حمورابي، ج١، دمشق، ٢٠٠٥
٢. الدباغ، تقي، "الثورة الزراعية والقرى الاولى"، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥
٣. الدوري، رياض عبد الرحمن امين، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، بغداد، ٢٠٠٩، ص٦٤
٤. ساكز، هاري، عظمة بابل، لندن ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩
٥. سلمان، احمد عزيز، مجسمات والواح فخارية من مدينة كيش، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، بغداد، ٢٠١٧

٦. صالح، قحطان رشيد، الكشاف الاثري في العراق ، بغداد، ١٩٨٧
٧. عباس، منى حسن، الدلائل والتماثل في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية فجر السلالات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٨٩
٨. عبد اللطيف، سجي مؤيد، قواعد اللغة السومرية في ضوء سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٤
٩. عبد اللطيف، سجي مؤيد، الحيوان في ادب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٧
١٠. الوائلي، سينا محسن، الحيوانات اللبونة على مشاهد اختام بلاد الرافدين حتى سنة (٥٣٩ ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠١٩

الهوامش:

- ^١ ساكز، هاري، عظمة بابل، لندن ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٢٥
- ^٢ شانيدر: احد الكهوف المشهورة في شمال العراق ويقع على السفح الجنوبي في منطقة راوندوز ضمن محافظة اربيل، ويرتفع عن قاع الوادي ٥٠ م تم الكشف والتقيب فيه من قبل بعثة امريكية عام ١٩٥١، للمزيد ينظر: صالح، قحطان رشيد، الكشاف الاثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص ٧٩-٨٠
- ^٣ مجموعة من الكهوف تعد المستوطنات الاولى لسكن الانسان في شمال العراق في محافظتي السليمانية واربييل ينظر: صالح، قحطان رشيد، المصدر السابق، ص ٧٩-٨٠
- ^٤ ساكز، هاري، المصدر السابق، ص ٢٦
- ^٥ الدباغ، تقى، "الثورة الزراعية والقرى الاولى"، حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ١١١-١١٤
- ^٦ Zwist, W., "Lists of names of wild and cultivated cereals", BSA/1, 1984, PP.8-10
- ^٧ Price, M.D., Pigs Husbandry in northern Mesopotamia during the emergence of social complexity 6500-2000 BC, Harvard University, Cambridge Massachusetts, 2016, p.32

^٨ الدباغ، تقى، المصدر السابق، ص ٢٩٦

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

⁹ Mallowan, M., Twenty five years of Mesopotamian Discovery, London, 1965, p.98

^{١٠} عباس، منى حسن، الدلايات والتمايم في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية فجر السلالات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، ١٩٨٩، ص ٥٩-٦٠
^{١١} عبداللطيف، سجي مؤيد، الحيوان في ادب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، ١٩٩٧، ص ١٨١

^{١٢} الوائلي، سينا محسن، الحيوانات اللبونة على مشاهد اختام بلاد الرافدين حتى سنة (٥٣٩ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، ٢٠١٩، ص 223-222

¹³ Price, M.D., Pigs Husbandry in northern Mesopotamia during the emergence of social complexity 6500-2000 BC, Harvard University, Cambridge Massachusetts, 2016, p.59

^{١٤} الوائلي، سينا محسن، المصدر السابق، ص 223-222

¹⁵ Englund, R.K., Late Uruk Pigs and other Herded Animals, Semantic scholar, 2004, p.122, 124

^{١٦} الدوري، المصدر السابق، ص ١٧٠

^{١٧} الدوري، رياض عبد الرحمن امين، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٦٤

^{١٨} عباس، منى حسن، المصدر السابق، ص ٥٩

^{١٩} الوائلي، سينا محسن، المصدر السابق، ص ٢٢٤

^{٢٠} سلمان، احمد عزيز، مجسمات والواح فخارية من مدينة كيش، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، بغداد، ص ١٥٤

^{٢١} عبداللطيف، سجي مؤيد، الحيوان في ادب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، ١٩٩٧، ص ١٨١

²² CAD, A², p.521

²³ CAD, š, p.102

²⁴ Ibid

²⁵ Landesberger, B., The fauna of ancient Mesopotamia, MSL/8, roma, 1962, p.158

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

- ²⁶ CAD,š,p.98
- ²⁷ Oppenheim,A,L.,Catalogue of the cuneiform tablets of the witper force Eames Babylonian Collection,AOS/32 Newyork,1948, p.43
- ²⁸ Deimel,A."Die viehzucht im alten sumer",OR/20,p.57-59
- ²⁹ Stepien,M.Animal husbandary in the ancient near east,Maryland,1996,p31
- ³⁰ Halloran,J.A., Sumerian Lexicon,Losangolos,2006,p.19;
Zamudio,R.J.,Antologia De Textos sumerios, Madrid,2002,p.76
- ³¹ Rouillard,P.Op.cit,p.286
- ³² Zeder,M.A., "Food provisioning in urban societies", The Social Construction of Ancient Cities, Smithsonian,2013,p.166
- ³³ Rouillard,P.De la domestication av tabu,textes edites par Brigitte lion et cecile Michel,paris,2006,p.284-285
- ³⁴ Stepien,M.,Op.Cit.31; Halloran,J.A.,Sumerian Lexicon, Losangolos, 2006,P19:a
- ³⁵ CAD,W,p.400
- ³⁶ Stepien,M.,Op.Cit,p.31; Halloran,J.A.,Sumerian Lexicon, Losangolos, 2006,P19:a
- ³⁷ Richard,W.R,The pig and the chicken in the middle east: Modeling human subsistence behavior in the archaeological record using historical and animal husbandry data,newyourk,2015,p.335
- ³⁸ Gaspa,S., Bulletin of the school of oriental and African studies, meat offerings and the preparation in the state cult of the Assyrian empire, university London, vol.75,No.2,2012,p.259
- ³⁹ Postgate,J,N., Early Mesopotamia Society and Economy at the dawn of History,London,1992,p.166
- ⁴⁰ Rouillard,P., Op.Cit,p.284

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

^{٤١} عبد اللطيف، سجي مؤيد، قواعد اللغة السومرية في ضوء سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٤، ص ٢٨٠

⁴² Nisaba/15.1,p.493; Limet,H., L'anthroponymie Sumerienne,Paris,1968,p.346;
CUSAS/3,p.114; Vito,R.A., Studies in Third Millennium Sumerian and
Akkadian personal Names,Roma, 1993 p.191

⁴³ Edzard, D.O., Sumerian Grammar ,Brill,2003 ,p.145

^{٤٤} Snell,D.C., "The Ur III Tablets in the Emory University Museum",ASJ/9,
Japan, 1987,p.212

⁴⁵ OIP/115,p.365

⁴⁶ CUSAS/3,p.17;BIN/9,p.29

^{٤٧} Foster,B.R., "Two Late Old Akkadian Documents", ASJ/12 , Japan,
1990,p.52; Hallo,W.W.," Appendix to David Owen", ASJ/3 ,Japan,
1981,p.70

⁴⁸ Grégoire,j,P.,AAS/110,paris,1970,p.83

⁴⁹ Zeder,M.A, Op.Cit,p.166

⁵⁰ Zeder,M.A., Op.cit,p.67

⁵¹ Richard,W.R,The pig and the chicken in the middle east:Modeling human
subsistence behavior in the archaeological record using historical and animal
husbandary data,newyourk,2015,p.336-337

⁵² Richard,Op.cit,p.340-344

⁵³ Richard,Op.cit,p.345

⁵⁴ Richard,Op.cit,p.349-350

⁵⁵ Rouillard,P.,Op.cit,p.290

⁵⁶ Richard,Op.cit.355

⁵⁷ Richard,Op.cit,p.357-358

الخنزير في ضوء المشاهد الفنية والمصادر المسمارية
في بلاد الرافدين من ٢١١٢-١٠٠٠ قبل الميلاد

- ⁵⁸ Gordon,e.i.,Sumerian proverb,Philadelphia,1959,p.105,N.1-119
⁵⁹ Lambert,w.g.babylonian wisdom litreture,BWL,Oxford,1960,p.250
⁶⁰ Alster,B.proverbs of ancient sumer/2,Bethesda,1997,p.2
⁶¹ Alster,B.Op.cit,p.8, Sec A4
⁶² Alster,B.Op.cit,p.8, Sec B3
⁶³ Alster,B.Op.cit,p.3:144
⁶⁴ Alster,B.Op.cit,p.٧.31,2.
⁶⁵ Alster,B.Op.cit,p.8 sec.A2
⁶⁶ Alster,B.Op.cit,p.14:45

^{٦٧} حنون،نائل، شريعة حمورابي، ج١،دمشق،٢٠٠٥

**التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة
الثانوية**

م. د عباس علي خلف

المديرية العامة لاعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي / وزارة التربية

التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة الثانوية

م. د عباس علي خلف

الملخص:

تعد مادة التاريخ من المقررات المهمة والأساسية في العملية التعليمية، بوصفها تعزز الأسس والثوابت للقيم الإجتماعية، وترسخ المبادئ الأخلاقية في المنظومة المجتمعية، وتتمى حس المواطنة عند الطلبة، وإن أي قصور فيها داخل المدرسة ينبئ بحدوث خلل في تلك المنظومة، لذلك جاءت هذه الدراسة كواحدة من الدراسات التي تهتم بتطبيق التدريس الفعال، وذلك بعد رصد وجود قصور في التفاعل داخل الصف، وتشخيص تنامي ضعف دافعية التحصيل الدراسي عند بعض الطلبة في مادة التاريخ للمرحلة الثانوية، وذلك من طريق استطلاع للرأي اجراه الباحث اشتمل على عينة كبيرة من مدرسي المادة في المدارس الثانوية في محافظة بغداد، فكتشفت النتائج عن وجود ضعف في التحصيل الدراسي عند الطلبة تكمن وراءه أسباب عدة، وهي ليست أسباباً سيكولوجية يمكن أن تخضع لعلاج طبي أو فيسيولوجي فحسب، بل هي مجموعة مشكلات تتعلق بالأركان الثلاثة للعملية التعليمية (المعلم، المتعلم، المنهج) فالمؤسسة التربوية وما تعانية من تراجع واضح في البنى التحتية، والمدرس ومدى امتلاكه لكفاياته التعليمية ومدى اهتمام المؤسسة التربوية برفع قدراته وتنمية مهاراته وتنوع أدواره، والطالب وما يعانيه من مشكلات بيئية داخل المدرسة ومشكلات إجتماعية فرضتها ظروف الحياة، ومدى الحاجة إلى تطوير الوسائل المستعملة في التدريس ودمج تكنولوجيا التعليم.

هذه الأسباب كلها وغيرها كانت وراء نمو حالات ضعف التحصيل الدراسي؛ لذلك فقد خرج البحث بمجموعة من الحلول والعلاجات تناولت تحسين الجوانب كافة في إطار منهجي، مبني على دراسات موضوعية، استند الباحث فيها على مصادر أكاديمية رئيسية، ومراجع متخصصة أغنت البحث بالأفكار والمواقف والتجارب، منها على مستوى تطوير

قدرات المدرس، وتنويع التدريس في داخل الصف، باستعمال طرائق تدريس حديثة ونشطة، تعتمد تبادل الأدوار؛ لجعل المتعلم محور العملية التعليمية، فضلاً عن إدخال تكنولوجيا التعليم في تدريس مادة التاريخ؛ لإضفاء طابع الحداثة والتشويق، وتعزيز دافعية الطلبة نحو تعلم المفاهيم والمفردات، بعيداً عن النمط السائد والاسفاف والملل.

الكلمات المفتاحية: ضعف التحصيل ، الدافعية، التحصيل الدراسي، التدريس الفعال

المقدمة

يؤدي منهج مادة التاريخ دوراً اجتماعياً وإنسانياً كبيراً ، وذلك في بناء جيل متماسك يمتلك مقومات السيطرة على ميوله وإتجاهاته، وتوجيهها نحو البناء والتقدم. جيلاً يكون قادراً على التفاعل مع قضايا أمته، والإندماج في الحياة العامة البناءة، والتحصين من المؤثرات الدخيلة، التي تحاول هدم المنظومة القيمية للمجتمع العراقي، مما يجعل منهم عناصر فاعلة بالمجتمع يتحلون بالحس العالي بالمسؤولية تجاه وطنهم ، والشعور بالانتماء إلى ماضيهم الأصيل، واستحضار العبر والمواقف الجليلة منه، والإستفادة منها في حاضرهم لكي يتنبأوا بالمستقبل ويتسلحوا بالمعرفة الكافية لمواجهة التحديات التي تواجههم، وقد لوحظ في العقود الأخيرة لاسيما مع مطلع القرن الحادي والعشرين، أن التركيز في تلك المادة بات ضعيفاً، وأن الإهتمام بها أصبح ثانوياً، ولم يكن بالمستوى المطلوب، مما أفرز ظهور حالات في ضعف التحصيل الدراسي عند بعض الطلبة في المرحلة الثانوية، لاسيما بعد ظهور تقنيات التكنولوجيا الحديثة، ونظم الحاسوب بشكل واسع في مختلف المجالات، والتي عززت وجودها في المؤسسات التربوية بصفة عامة، لاسيما في مواد العلوم الصرفة وعلوم الحياة، التي تناغمت وانسجمت مع هذا التطور بشكل مباشر وسلس في الوقت الذي انحسر دور مادة التاريخ ولم يتم اعطاؤها المساحة الكافية للتعبير عن موضوعاتها بشكل حقيقي، مع عدم قدرتها على التواصل مع التقنيات الحديثة والتفاعل المثمر في هذا الجانب إلا بحدود ضيقة ، وعليه فإن الإهتمام بهذه المادة وأثرائها بالمعلومات القيمة وتعزيزها بالأهداف السلوكية، التي من شأنها أن تنمي القابليات والقدرات عند الطلبة وتحفزهم على بذل الجهد

والعطاء، من أجل الارتقاء بواقعهم الإجتماعي، الذي بات أمراً ضرورياً يحتاج إلى جهود حثيثة ومشاركة.

ولذا فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الأول كمدخل للتعريف ببعض المفاهيم والمصطلحات التي وردت في البحث، وكذلك تضمن التعريف بأهمية التاريخ وأهدافه التربوية، أما المبحث الثاني فقد تضمن الوقوف على أسباب ضعف دافعية التحصيل في مادة التاريخ، ومن ثم يطرح الباحث حلولاً ومعالجات عدة لمشكلة البحث، ثم يتبعها بعدد من النتائج التي توصل إليها جاءت على شكل توصيات.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في رصد وتشخيص انخفاض دافعية التحصيل الدراسي لطلبة المرحلة الثانوية في مادة التاريخ، وأثر ذلك في اتساع الفجوة مابين الطلبة والكتاب المقرر والذي يؤثر نمو هذه المشكلة إلى دق ناقوس الخطر في العملية التعليمية ومهام المؤسسة التربوية.

وقد اتاحت الفرصة للباحث عن طريق مسؤوليته الوظيفية كمديراً لشعبة الإدارة التربوية في المديرية العامة لإعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي أن يلتقي بعدد كبير من مدرسي مادة التاريخ أثناء اشتراكهم بالدورات والورش التدريبية، ممّا سهل عليه إجراء استطلاعاً للرأي شمل على عينة كبيرة منهم وتضمن الأسئلة الآتية:

١- ما الصعوبات التي تواجهك في تدريسك لمادة التاريخ؟

٢- ما الطرائق والاساليب المهمة، التي تعتمد عليها في تدريس التاريخ؟

٣- هل شخصت وجود ضعفاً في التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية في

مادة التاريخ؟

فجاءت نتيجة الاستطلاع بأن هناك صعوبات كثيرة يعاني منها المدرسون، وكذلك وجود قصور في استخدامهم لطرائق التدريس الحديثة؛ لأسباب سوف يشير إليها الباحث، مع تنامي حالات ضعف في التحصيل المعرفي لدى الطلبة في تلك المادة بل وهناك حالات من عدم الرغبة في التفاعل مع مفرداتها مما انعكس سلباً على واقع التعليم والتعلم بصورة عامة، الأمر الذي دعا الباحث إلى تبني فكرة هذا البحث والوقوف على الأسباب الكامنة وراء ذلك الضعف وتدني الدافعية في مادة التاريخ، ومحاولة إيجاد حلول لتحسين التحصيل الدراسي تمثل علاجاً تربوياً لتلك المشكلة، قبل أن تستفحل وتتحول إلى ظاهرة.

الهدف من البحث

التأكيد على أهمية مادة التاريخ كأحد ميادين المعرفة المهمة التي تعنى بالقيم والاتجاهات وتنمية روح المواطنة، وتعزز عند الطلبة الشعور بالانتماء، ولما كان وجود خلل في عملية التفاعل وانخفاض لمستوى التحصيل في مفرداتها داخل المدرسة، فإن ذلك يجعلنا أمام محك حقيقي لمواجهة هذه المشكلة والوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهورها وتعب آثارها ومن ثم إيجاد الحلول الناجعة لتحسين مستوى التحصيل الدراسي.

المبحث الأول: مدخل إلى المفاهيم الخاصة بالبحث

يعد ضعف دافعية التحصيل في مادة التاريخ من الموضوعات، التي تشكل إحدى المشكلات الحقيقية التي تواجه المؤسسة التربوية والتعليمية في الوقت الراهن، وبات من الضروري بمكان الوقوف عندها، وعدم اغفالها كون أن عدم البحث في حيثيات أسبابها يدق ناقوس الخطر، ويؤشر لخلل كبير في البناء التكويني للطلبة، مما ينعكس سلباً على البنية الإجتماعية، ويقلل من الوعي المجتمعي، وينبئ بتراجع القيم الأخلاقية، ومن ثم النكوص في الانتماء وفقدان الهوية الوطنية، والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والوطن عموماً.

إن مشكلة ضعف التحصيل الدراسي تؤدي بلا شك إلى فشل في مخرجات المؤسسة التعليمية وأخفاقها ومن ثم أختلال في توازن المجتمع، مما ينعكس على التباين في البنية

الإجتماعية، فيظهر التفاوت بين الأفراد ما بين متعلم ناجح، وفاشل لم يحقق التحصيل المطلوب، فيحدث عدم تكافؤ للفرص، ليصبح الأخير عالة على المجتمع، وليس هذا فحسب بل أنها تؤشر لهدر حقيقي في رأس المال، الذي ترصده الحكومة للمؤسسات التربوية (أحمد وويس، ٢٠١٢: ٢).

وفي ضوء ذلك وجد الباحث أن هناك ضرورة ملحة في الخوض في غمار هذا الموضوع والبحث عن أسباب حدوثه مع التأكيد على أن هذا الموضوع لم يصل في الوقت الحاضر إلى المرحلة التي يمكن أن نطلق عليها اسم (ظاهرة)، لأنه لازال في حيز يمكن أن يقال عنه أنه محدود النمو، لكنه يسير فيما يبدو في وتيرة متسارعة، وعليه وجب الشروع بتحليل وتفسير هذه الحالة والوقوف عند أسبابها وإيجاد العلاج الناجع لها.

أولاً: تحديد المصطلحات:

١ - الضعف لغةً:

عرف أرباب اللغة " الضعف " على أنه خلاف القوة ؛ وقيل " الضُءف " بالضم يكون في الجسد وأما " الضَعْف " بالفتحة فإنه يكون بالعقل والرأي، وهما جائزان في كل وجه. (ابن منظور، ١٩٨١: ٢٥٨٧)؛ (الفيروزيابادي، ٢٠٠٥: ٨٢٩)

من التعريف اللغوي أنف الذكر يمكن أن نشق تعريفا اصطلاحياً بأن الضعف هو حالة من الوهن تصيب الإنسان وتمنعه من استخدام قدراته وطاقاته بشكل كامل، وتكون محصورة في أمرين الأول هو الضعف البدني الذي يصيب الجسد، والثاني هو الضعف الذهني الذي يصيب العقل ويفسد الرأي.

٢ - الدافعية (التعريف الاجرائي):

تعرف الدافعية على أنها تلك القوة الذاتية التي تحرك سلوك الفرد وتوجهه لتحقيق غاية معينة يشعر بالحاجة إليها أو بأهميتها المادية أو المعنوية، وتستثار هذه القوة المحركة

بعوامل تتبع من الفرد نفسه (حاجاته، خصائصه وميوله، واهتماماته) أو في البيئة المادية والنفسية المحيطة به (الأشياء، والأشخاص والموضوعات والأفكار والأدوات). (شحاتة وآخرون، ٢٠٠٣: ١٨٤).

ومن أهم ما يثير الدافعية هو الحافز أو التعزيز، الذي يساعد الطلبة على الاجتهاد والمثابرة في التحصيل بعزيمة واصرار، وتصميم من أجل الوصول إلى أهدافهم، وقد تتمثل الدافعية كهدف في حد ذاتها من الوجهة التربوية إذ تستثير الطلبة نحو اهتمامات معينة يميلون عن طريقها إلى ممارسة نشاطات معرفية وحركية ووجدانية في حياتهم المستقبلية، وقد تمثل وسيلة من الوجهة التعليمية في سبيل تحقيق أهداف تربوية معينة بوصفها المحدد الرئيس لقدرة الطلبة على التحصيل والانجاز (الحيلة، ٢٠١٤: ٢٧٨).

٣- التحصيل لغةً:

يعرف التحصيل لغوياً بأنه الحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ماسواه، يكون في الحساب والأعمال ونحوها؛ حصل الشيء يحصل حصولاً، والتحصيل هو تمييز ما يحصل، والاسم حصيلة. (ابن منظور، ١٩٨١: ٩٠١)؛ (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥: ٩٨٤).

وأما اصطلاحاً: فهو ما يحققه الفرد لنفسه في مراحل العمرية جميعها، منذ الطفولة وحتى أواخر حياته من مستويات العلم والمعرفة في كل مرحلة حتى يتمكن من الانتقال إلى المرحلة التي تليها مع الاستمرار في الحصول على العلم والمعرفة (نصرالله، ٢٠١٠: ١٥)، وبمعنى أدق فإنه عملية تركيز الانتباه في موضوع ما وتحصيله سواء كان مكتوباً أو مقروءاً (حمدان، ٢٠٠٧: ٣٧)، وبذلك فهو يدل على مقدار ما يحصل عليه الطالب من معلومات أو معارف أو مهارات، معبراً عنها بدرجات الاختبار المعد، بشكل يمكن معه قياس المستويات المحددة، وعادة ما يرافق هذا المصطلح في المجالات التربوية لفظ الدراسي، فيكون المفهوم محدد بالتحصيل الدراسي.

٤ - التحصيل الدراسي

لقد شاع استعمال هذا المصطلح وتعددت تعريفاته، التي من بينها أنه يعني جميع مايمكن أن يتعلمه الطلبة في المدرسة سواء على مستوى الجوانب المعرفية، أو الجوانب الدافعية، أو الجوانب الإجتماعية والانفعالية. (الجلالي، ٢٠١١: ٢٣).

وهو بذلك يمثل المعرفة المكتسبة أو المهارة النامية في المجالات الدراسية المختلفة، وتتمثل في درجات الاختبار أو العلامات، التي يضعها المدرس للطلبة؛ لتحديد مدى قدرتهم على اكتساب المعارف التي يدرسونها أثناء التجربة. (شحاتة وآخرون، ٢٠٠٣: ٨٩). ويمكن أن نضع تعريفا اصطلاحياً للتحصيل الدراسي بأنه: مقدار الاستجابات الذهنية والفكرية، التي ترتبط بمفاهيم ومفردات المنهج، والتي تترك أثراً مستقبلياً في سلوك الطالب، يعكس التجربة المكتسبة في ميوله واتجاهاته.

أما التعريف الاجرائي فإن التحصيل الدراسي هو متوسط ما يحصل عليه الطالب من درجات في مجموعة المساقات الدراسية، التي تقاس في هذه الحالة بالمعدل التراكمي الفصلي (شواشرة، ٢٠٠٧: ٦).

وخلاصة القول فإن ضعف التحصيل في المواد الدراسية هو عجز ذاتي يصيب الطلبة بفئاتهم كافة ويمنعهم من إدراك المفاهيم التعليمية واستيعابها، وقد يكون مكتسباً نتيجة لظروف بيئية واجتماعية، أو غير مكتسب أي ناتج عن البنية التكوينية للشخص نفسه.

٥ - العلوم الإجتماعية:

تعرف العلوم الإجتماعية بأنها تلك المناهج الدراسية التي تعتمدها المؤسسات التعليمية والتربوية (المدارس وما شاكلها) في دراسة الإنسان وعلاقاته بالبيئة، والوسائل التي يتفاعل بها في تلك العلاقات (خضر، ٢٠١٤: ١٩)، أي بمعنى أن مصطلح المواد الإجتماعية يطلق على مجموعة المناهج الدراسية التي تتناول فعاليات الإنسان ونشاطه منفرداً ومجتمعاً في ماضية وحاضره، والتي تعالج قضايا الإنسان وميادين سلوكه في

مختلف العلاقات سواء مع المجتمع المحيط أو مع المجتمعات الأخرى (دبور والخطيب، ٢٠٠١: ٩) ، وقد تم حصرها في مواد التاريخ، والجغرافية، والتربية الوطنية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والفلسفة والمنطق، وعلم النفس والأخلاق، وهي مواد بحكم طبيعتها تعالج مشكلات المجتمع وواقعه وأماله وتطلعاته وماضية وحاضره ومستقبله، فتشكل علاقة جوهرية مزدوجة ما بين العلاقات الإنسانية من ناحية وعلاقة الإنسان ببيئته من ناحية أخرى وذلك بحسب طبيعة المواقف وتلك العلاقات (خاطر وسبيتان، ٢٠١٠: ٩).

ثانياً: أهمية العلوم الاجتماعية وأهدافها:

تعتمد أهمية العلوم الاجتماعية وأهدافها بوصفها احد ميادين المعرفة المهمة التي تحدد اتجاهات المواطنة الصالحة على مقدار ماتحققه من تغيير في واقع الإنسان، إذ تمتلك محاكاة عملية واضحة يمكن قياسها بسهولة عن طريق معرفة التطور الحاصل في الوعي القيمي الذاتي، والنمو المتكامل في الذائقة الاجتماعية، كونها تغطي مساحة كبيرة ضمن المراحل الدراسية المختلفة، ومع تنوع مواد العلوم الاجتماعية إلا أن أهميتها وأهدافها تعمل في إطار متكامل لتحقيق الأهداف العامة، التي تصب في انتاج المعرفة التراكمية التي تمكننا من فهم وتفسير الظاهرة التجريبية والتنبؤ بها (فرانكفورد وناشيماز، ٢٠٠٤: ٢٠) ومن هنا فهي تسهم في:

١- إعداد الطلبة تربوياً ومهنياً إذ تجعلهم فاعلين بشكل نافع في المجتمع، يستطيعون تحمل المسؤوليات والأعباء، التي تلقوها على عاتقهم ظروف الحياة، ليتفاعلوا مع المشكلات المحيطة بهم، ويساهموا في وضع الحلول الناجحة لها.

٢- مساعدة الطلبة على إدراك المفاهيم التربوية والاجتماعية، واكتساب المهارات والاتجاهات الايجابية، والسلوكيات الضرورية للمواطنة الفعالة في المجتمع، وذلك عن طريق تمكينهم معرفة الحياة الاجتماعية، التي نشأوا فيها، وملاح طبيعة البيئة الاجتماعية، التي تتمثل بالعلاقات وما تحويها من عواطف ومشاعر، وكذلك بالقيم والتقاليد والعادات، التي تهيء الفرد لمستقبل يكون فيه على معرفة تامة بخصائص

النمو الإجتماعي وتطوره كأفراد ومؤسسات في بيئة متعددة العلاقات (الزبيدي، ٢٠٠٩: ٤٢).

٣- تعزيز القيم الإجتماعية، التي تساعد على تهيئة الطلبة، لاختيارات مستقبلية معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، على شكل استجابات، ومن ثم تؤدي دوراً مهماً في تشكيل الشخصية الفردية، وتحدد أهدافها في إطار معياري صحيح.

٤- تمكن الطلبة من اكتساب المهارات المتعددة، مثل مهارة التفكير الناقد، ومهارة حل المشكلات، ومهارة تحليل المحتوى عن طريق البحث عن مصدر المعلومة وجمعها وتنظيمها، وما يتعلق في تحليل البيانات، وتفسير الخرائط، والرسوم، والاحصاءات (خاطر وسبيتان، ٢٠١٠: ١٩).

٥- إن من أهداف تدريس العلوم الإجتماعية هو إعداد الطلبة للحياة المستقبلية، وتوفير فرص تطوير مهارات القراءة، والكتابة لديهم، لتساعدهم على التعلم مدى الحياة (خضر، ٢٠١٤: ٢٣).

٦- إن العلوم الإجتماعية تدعم حصول الطلبة على الحقائق والمعلومات التي تساعد في فهم ظواهر المجتمع، واشباع حاجاتهم للبحث عن علل الأشياء وجعلهم أكثر قدرة على استغلال مكونات البيئة، فهي تعالج ديناميات التغير الإجتماعي وأساليب تكيف الإنسان مع البيئة عن طريق تعزيز السلوك الاجتماعي السليم (سبيتان، ٢٠٠٩: ٢٢٢-٢٢٤).

المبحث الثاني: أسباب ضعف التحصيل والإجراءات العلاجية

أولاً: أسباب ضعف دافعية التحصيل الدراسي

هناك أسباباً عدة أدت إلى ظهور حالات ضعف دافعية التحصيل وتناميها لدى طلبة المرحلة المتوسطة، من بينها التطور التكنولوجي المطرد والمتسارع في مجال المعلومات،

وتوجه سوق العمل والوظائف نحو تخصصات دون أخرى، فضلاً عن وجود مشكلات تربوية وفنية داخل المؤسسات التعليمية نفسها، وعليه سنعرض لهذه الأسباب بشيء من التفصيل، لكي نقف على حجم المشكلة، ونشخصها، ونضع الحلول الناجعة لها.

١- قصور استعمال تكنولوجيا التعليم في تدريس مادة التاريخ

في خضم التطورات المتسارعة والمتلاحقة والسباق المحموم في الصناعة المعلوماتية، بدأت تظهر في الأفق حالات عدم الرغبة في التعامل مع مادة التاريخ، التي يغلب على مفرداتها الطابع المقالي، وبشكل السرد والمفاهيم المجردة معظم محتوياتها، مما أدى إلى حالة من العزوف عند بعض الطلبة وعدم التفاعل معها، بل والشعور بالملل أثناء الحصة الدراسية، الأمر الذي أشر إلى وجود خلل في البنية التعليمية، لاسيما وإن المؤسسات التربوية غير قادرة على إيجاد بديل يساعد في تقليل الفجوة بين الطالب والكتاب المدرسي، ولعل ضخامة المعلومات وطبيعتها، التي تتناول موضوعات ترتبط بالمكان والزمان، وكثرة متطلبات المفاهيم التاريخية والجغرافية، التي تعتمد على الحفظ والتذكر مع وجود الفوارق الفردية في أنماط التعلم لدى الطلبة وميولهم واتجاهاتهم، أدى بشكل وبآخر إلى ظهور حالات الضعف في الدافعية للتحصيل الدراسي.

إن مفاهيم مادة التاريخ الكثيرة ومفرداتها تتطلب من الطالب إدراك العلاقات فيما بينها لم تأخذ حيزاً كبيراً من التعبير والمشاركة في تكنولوجيا المعلومات والمواقع الرقمية والفضاء الواسع من التطبيقات داخل المدرسة، والذي يمكن من طريقه إيجاد تناغم مع ميول الطلبة يداعب مداركهم ورغباتهم في التعامل مع النصوص الجامدة بشيء من المحسوس والملموس، مما شكل أحد الأسباب لظهور هذه الحالة وتناميها.

فضلاً عن تحول بوصلة ذائقة التحصيل العلمي والمعرفي عند الطلبة نحو المواد المعبرة عن أهدافها بدقة واختصار، والمواد التي تمتلك معايير جاذبة تزاعي ميولهم واتجاهاتهم الحديثة، ولها القابلية على استعمال تقنيات الحاسوب وتطبيقات الهاتف النقال، وعدم الرغبة في الخوض في موضوعات ربما لاتجد لها صدئاً واسعاً في الحياة العملية

والوظيفية، التي اختصرت على الجانب العلمي البحت، مثل علوم الطب والهندسة والعلوم العامة بعد التحول الواضح في سوق العمل.

٢- تدني الدافعية

يعد موضوع تدني الدافعية من الأسباب المهمة التي أدت إلى ظهور حالات ضعف التحصيل لدى الطلبة إذ إن من مظاهرها التي يمكن لمدرس التاريخ أن يلاحظها ويشخصها بسهولة داخل حجرة الصف هي قلة الحماس من الطالب، وعدم تفاعله ومشاركته في الموقف التعليمي، وعدم محاولته بذل جهد عقلي أو بدني في الأنشطة الصفية وظهور ملامح التذمر، وعدم الرغبة وعدم الجدية في التعاطي مع مفردات المنهج الدراسي، فضلاً عن تنامي حالات الغياب.

وقد تتدنى الدافعية لدى بعض الطلبة، لأسباب مختلفة منها أسباب صحية، مثل ضعف السمع أو ضعف البصر أو مشاكل البطئ في النطق، أو ضعف في البنية العامة، وبعضها أسباب عقلية، وعادة ما تنحصر في مستوى الذكاء، وضعف الذاكرة والقدرات الاستيعابية، والنسيان المتكرر، وضعف التركيز واللامبالاة، وهناك أسباباً شخصية تكمن في عدم الميول نحو المواد السردية، التي تتميز بالإطالة والشرح المسهب الذي يولد الملل، وما يرافق ذلك من حالة القلق النفسي والخوف من الفشل، والشعور بالخجل، وعدم حب الطلبة للمادة وشعورهم، بأنها فوق قدراتهم العقلية، مما يؤدي إلى إهمالهم لواجباتهم وتراكم المفردات، وغيابهم المتكرر، وعدم قدرتهم على الاعتماد على النفس (الاسود، ٢٠٠٧: ١٠١)، فضلاً عن الدور السلبي في أداء بعض المدرسين وأثره في عزوف الطلبة عن التواصل بشكل ايجابي، والذي يصل في بعض مراحلها إلى التسرب من المدرسة.

إن تعرف مفهوم الدافعية وارتباطها بالتحصيل الدراسي غاية في الأهمية فيما يخص المدرس، إذ إن ذلك يساعده على فهم العوامل، التي تؤثر في تحصيل الطلبة، وتمكنه من اختيار طرائق التدريس الأنسب في استثمار قدراتهم الذاتية ونشاطاتهم بفاعلية أكبر (الحيلة، ٢٠١٤: ٢٧٧).

٣- أسباب خاصة بعملية التعليم والتعلم

تكمن تلك الأسباب في أمور عدة، منها ما يتعلق بالمدرسين أنفسهم، وأخرى تتعلق بالبيئة التعليمية، وفيما يتعلق بالهيئة التدريسية، فإن اعتماد أغلب مدرسي التاريخ على الطرق التدريسية الكلاسيكية القديمة (كطريقة الالقاء وطريقة المحاضرة)، وشعور البعض منهم بصعوبة الوصول إلى طريقة مثلى لعرض المادة وتحقيق الأهداف السلوكية والتربوية، لاسيما ونحن أمام ظاهرة تغيير محتوى المناهج من وقت لآخر. وقد شخّص الباحث بعض الأسباب، التي تقف حائلاً أمام تطور مدرس التاريخ، وتنمية مهاراته وقدراته المهنية مثل :

أ- ضعف دافعية المدرس نفسه تجاه مهنة التعليم

وذلك لأسباب عدة منها تردي البنى التحتية للمدارس، وعدم توفر وسائل الراحة النفسية بداخلها، من حدائق أو مكتبة أو أجهزة تكييف حتى! ، يصاحب ذلك زيادة أعداد الطلبة في داخل الصفوف مما يضطره إلى بذل المزيد من الجهد في التحضير وإعداد الاختبارات، وتنفيذها، وتصحيحها، ويؤدي إلى زيادة في عدد الحصص المقررة مع افتقار المدارس للوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة، فضلاً عن ذلك تكليفه بمهام إدارية تزيد من أعبائه.

ب- قصور برامج تدريب المدرسين أثناء الوظيفة

وذلك له أسبابه، منها وجود فجوة كبيرة في البرامج التدريبية مابين النظرية والتطبيق، إذ إن أغلب برامج التدريب تقليدية، ولم يطرأ عليها تطور بالرغم التجديد الشكلي الذي تتطوي عليه، فهي قاصرة عن مواكبة الأدوار الجديدة للمدرس مع الافتقار الواضح إلى الوسائل والأدوات التدريبية في المراكز المتخصصة هذا فضلاً عن ضعف دافعية المدرسين في أداء مهامهم بسبب غياب الحوافز (خلف، ٢٠٢٢: ١٧).

ج- عدم توظيف المدرسين لتكنولوجيا التعليم

وهذا ما رُصد بشكل ملموس خلال الأعوام الأخيرة، إذ ظهر عجز واضح في قدرة المدرس في التعامل مع برامج التقنيات الألكترونية، ووسائل التعليم التفاعلية المصورة، مما أشر بوجود خلل كبير في أداء دور المؤسسة التربوية وافرز حالة من العجز في تحقيق الأهداف التربوية. إن مدرس اليوم ينبغي أن يكون موجهاً ومرشداً وميسراً، وذلك عن طريق إلمامه بأنظمة وبرامج الحاسوب والانترنت، ليكون قادراً على تصميم المادة، التي يدرسها فيصبح وسيطاً إيجابياً في التطور النمائي للطلبة، ومن ثم مساعدتهم في النمو الشامل (عفيف، ٢٠٠٩م: ٣٤-٣٨).

د- قصور وتأخر طرائق التقييم

إن من أهم ما يواجهنا من صعوبات في محاولة الارتقاء بواقع المدرسين، هو نظام التقييم المعمول به حالياً، إذ أشارت الدراسات إلى أن الأساليب المتبعة في تقويم المدرس يشوبها القصور؛ لعدم شمولها كل جوانب التقييم، وتأثر ذلك التقييم بذاتية المشرف والنظرة الشخصية له، وافتقارها إلى الكفايات اللازمة في تحقيق الغاية من التقويم، وتشخيص نقاط الضعف، ونقاط القوة، فضلاً عن ذلك تجاوز بعض المشرفين لإختصاصاتهم في الإشراف وإن بعضهم غير مؤهل تأهيلاً كافياً، ليقوم بعملية تطوير المدرس (جري، ٢٠١٧: ٣-٤).

أما فيما يتعلق بالبيئة التعليمية فهناك أسباب عدة أسهمت في نمو ظاهرة ضعف دافعية التحصيل في مادة التاريخ لدى الطلبة، منها عدم توفر البيئة التعليمية الجيدة والمناسبة، وتأخر البنى التحتية واكتظاظ الصفوف بأعداد كبيرة من الطلبة، مما يؤدي إلى عدم التكيف والانسجام، بين الطلبة والمدرس داخل الصف، لاسيما إذا كانت طبيعة المنهج سردية، ويقتصر مصدر المعرفة في اعتماد المدرس على الكتاب فقط، وعدم إثارة دافعية الطلبة من طريق المحفزات اللازمة للتفوق العلمي، فضلاً عن عدم توافر الوسائل التعليمية المتطورة داخل المدارس مثل الخرائط والمجسمات والأشكال وغيرها من المستلزمات، وقصور برامج الدراسات الإجتماعية المعتمدة على التكنولوجيا واستخدام برامج الحاسوب، وإن عزوف

أغلب إدارات المدارس عن السفرات العلمية وما لها من أهمية في إشباع حاجات الطلبة، بالمعلومات الحيثن التي تدعم الأنشطة اللاصفية، التي يحث عليها المنهج.

ثانياً: وسائل تحسين تدريس مادة التاريخ

١- تطبيق طرائق التعليم النشط

تعد طرائق التدريس من المدخلات المهمة في العملية التعليمية، فهي المحور الأساس الذي تتشكل على ضوئه العلاقات الصفية، وقد أكدت العديد من الدراسات التربوية في العقود الأخيرة على أهمية التركيز في تطوير هذه الطرائق، كونها ذات فوائد كبيرة في انتاج مخرجات تعليمية واعدة، قادرة على وضع رؤية جديدة للمستقبل، وإن تطبيق طرائق التدريس الحديثة في داخل حجرة الصف وفي أثناء التخطيط للدروس يعكس مدى نجاح المدرس وتميزه في أداء مهنته، وإن معيار هذا النجاح هو ماتحققه تلك الطريقة من كفايات في الأهداف التربوية، وقد تتنوع طرائق التدريس بتنوع أنماط المتعلمين، فهي بذلك تتماشى مع سلوكيات الطلبة وأعمارهم وقدراتهم العقلية والجسمية، وكذلك تشكل استجابة لظروف وامكانات العملية التعليمية، إذ يستند هذا التنوع إلى قدرات وثقافة المدرس، وما تلقاه من تدريب وخبرات، فضلاً عما متوفر من أدوات في البيئية الساندة داخل المدرسة، وإن تنوع طرائق التدريس تمكن المدرس من تحقيق الأهداف المرجوة من المحتوى المعرفي، وذلك لأن كل فئة من الطلبة تحتاج إلى طريقة معينة لفهم ذلك المحتوى تلائم مستواها وقدراتها، وبقدر ما يكون المدرس ملماً بحاجات طلبته وبخبراتهم السابقة، يكون قادراً على اختيار الطريقة الملائمة؛ لاشباع هذه الحاجات (الضرغام، ٢٠٠٦: ٢).

لكن ما يؤسف له أن لا وجود لهذا التنوع في تدريس التاريخ في أغلب المدارس، إذ إن الاتجاه السائد هو الاعتماد على الأساليب والطرق الاعتيادية القديمة، التي لا تركز سوى للاتجاهات السلبية لدى المتعلم فتحجم من دوره في داخل الصف وتجعله اتكالياً، وتجعل للمدرس دوراً سلبياً فهو يتحكم بمستوى المشاركة على وفق ما يراه مناسباً مما يؤدي إلى فتور حماس الطلبة، وتقييد للإبداع لديهم.

إن عدم استعمال مدرسي التاريخ لطرائق التدريس الحديثة يؤثر من دون شك إلى حدوث تدني في الدافعية، بيد أن الطالب يصبح مجرد مخزن للمعلومة التي يقدمها المدرس، وهذا بدوره يفقده عنصر المبادرة والتفكير الإبداعي وانخفاض المستوى الثقافي، الأمر الذي ينتج عنه انفصال المواقف التعليمية عن الواقع الحياتي الذي يعيشه الطلبة، مما يؤدي إلى تدني الدافعية للتعلم، وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي (العزاوي، ٢٠١٨: ٢). وإن استعمال تلك الطرائق الحديثة في تدريس المواد الإجتماعية بصورة عامة بحد ذاته يعد فلسفة وفكر تعليمي يقوم على معايير وأسس موضوعية، وهي ليست هدفاً يسعى المدرس إلى تحقيقه وإنما هي واحدة من الوسائل التي تحقق أهداف التعليم النشط الذي من شروطه قيام الطلبة بأنشطة ومهام ذهنية ووجدانية وحركية، ليكسبوا المهارات الإجتماعية مع ضمان توزيع الأدوار والمسؤوليات ما بين المدرس والطالب.

وسيختصر الباحث في هذا البحث على تناول طريقتين من طرائق التدريس الحديثة، التي تسهم في تحسين التحصيل الدراسي، ومعالجة ضعف الدافعية لدى الطلبة، والتي يمكن لمدرس التاريخ أن يطبقها أثناء أداء مهامه في داخل المدرسة بكل سهولة، مع التأكيد على أنها تتناسب مفردات التاريخ ومفاهيمه.

أ- التعليم التعاوني

ليس من الصحيح أن يعتقد المدرس أن ما يملكه من خبرات وكفايات تعليمية هي كافية للوصول به إلى مرحلة الإبداع الوظيفي، إذ إن هذه المرحلة الراقية تتطلب منه الإشتغال على نفسه، وبذل الجهد والعمل المضني الجاد والمتواصل في اكتساب الخبرات وتعلم المواقف التعليمية عن طريق التدريب المركز الذي يؤهله إلى امتلاك القدرة على استخدام استراتيجيات التعليم الحديثة؛ ليواكب بذلك التطورات الحاصلة في ميدان التعليم، ولعل واحدة من الخبرات المهمة التي ينبغي أن يتقنها، هي تطبيق طرائق التعليم النشط، ومنها طريقة التعليم التعاوني التي تعد واحدة من تقنيات التدريس المهمة، التي أوجدتها التطورات المعاصرة في المجال التربوي، الذي أثبتت الدراسات أثرها الإيجابي في تحسن

مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة، ومساهمتها في بناء قدراتهم الإجتماعية، وتعزيز مهارات العمل الجماعي(زايد، دت: ١٠).

وقد تعددت تعريفات التعليم التعاوني فيكاد لا يخلو أي مؤلف من مؤلفات طرائق التدريس والأدبيات التربوية أو البحوث والدراسات الأكاديمية الخاصة بطرائق التدريس من التطرق إلى مفهوم التعليم التعاوني، ينظر على سبيل المثال لا الحصر دراسة (الخفاف، ٢٠١٣: ٣٣-٣٦) فيعرفه (زيتون، ٢٠٠٧: ٥٥٣)، على أنه عملية تعليم بديلة عن التعليم التقليدي جاءت به وأكدته الفلسفات التربوية المعاصرة، إذ يتم تكوين مجموعات تعلم صغيرة يعمل بها المتعلمون سوية بإشراف المدرس لتحقيق أقصى إفادة تعليمية ممكنة، فيتعلم الطالب بإثارة مع أعضاء مجموعته، الذين غالباً ما يكونون ذوي مستويات وقدرات متباينة، وكلما كان التعاون أكبر كان التحصيل المعرفي أكبر، وتقوم طريقة التعليم التعاوني على إيجاد بيئة صافية يكون فيها أفراد المجموعات متباينين في قدراتهم، لينفذوا مهام تعليمية عن طريق التعاون والمساعدة مع بعضهم البعض، ثم يتخذون قرارهم بالإجماع(عبد الجبار، دت: ٨)، إذن فالتعليم التعاوني هو طريقة تدريس يشترك الطلبة فيها على شكل مجموعات للعمل معاً، للوصول بتعلمهم إلى الدرجة القصوى، إذ يعلم الطالب نفسه ويتعلم باقي الطلبة معه.

أهمية تطبيق طريقة التعليم التعاوني

١- إن هذه الطريقة تدعم مجموعات الطلبة داخل الصف وتعزز فيهم التواصل الإيجابي، وتزيد من التفاعل المباشر وجها لوجه، مما يؤدي إلى تنمية المهارات الإجتماعية وتشجيع المحاسبية الفردية والتقويم الذاتي، وتحمل المسؤولية، الأمر الذي بدوره يؤدي إلى رفع دافعية التحصيل الدراسي، والاحتفاظ بالمعلومات، وينمي التفكير الناقد، والثقة بالنفس، والشعور بنوع من تحقيق الذات والقدرة على اتخاذ القرار (اليونسكو، ٢٠١٢: ١٢).

٢- إن في تطبيق طريقة التعليم التعاوني جوانب إجتماعية كثيرة، منها أن الطلبة يمارسون حياة واقعية تتمثل في بناء أسس التعاون الصحيح، إذ تنمي روح التعاون والعمل

الجماعي واحترام الآراء وتقبل وجهات النظر والحوار الإيجابي في حل المشكلات، وما يتعلق بالمهارات الإجتماعية، وفي بناء العلاقات الشخصية وتقوية روابط الصداقة، وتأسيس شراكات حقيقية مبنية على التواصل، وتخفيف حدة المشكلات، فضلاً عن تنمية طابع الانتماء (الخفاف، ٢٠١٣: ٤٩).

٣- تكمن أهمية التعليم التعاوني في زيادة التحصيل والدافعية للتعليم، من طريق بناء علاقات إيجابية في المواقف التعليمية، التي غالباً ماتكون ذات تعليم عالي الجودة يركز في بناء الجوانب الشخصية والسلوك الإجتماعي، مع تحقيقه للأهداف التربوية، التي تعرضها المواد الدراسية (قاسم، ٢٠١٤: ١١، ١٦، ٣١).

٤- يكون الطالب في التعليم التعاوني أمام مسؤولية تجاه تقدم مجموعته، أي بمعنى أن المجموعة الطلابية تملك حساً بالمحاسبة الفردية، وهذا يؤدي إلى شعور كل عضو بضرورة الإلمام بموضوع المادة، حتى يتحقق النجاح (الجهني، ٢٠٠٢: ٣٤).

٥- إن التعليم التعاوني يعزز جوانب تربوية متعددة، منها أنه يقدم فرصاً متساوية لنجاح الطلبة، فهو يحقق له فرصة أداء دورين متكاملين في الوقت ذاته دور التعليم ودور التدريس، مع تشجيعهم على الإنجاز والأداء المستمر، والمناقشة والتفاعل في إدارة الموقف التعليمي، وتدعيم عملية تبادل الأفكار، وتعزيز الخبرات التعليمية، من طريق تكرار المعلومات وتداولها مما يسهم بتوليد معلومات جديدة وزيادة بقاء أثر التعلم، ويسهم في القضاء على الملل، وجعل المادة مشوقة ومثيرة للتعلم، فتزداد لديهم مهارات التفكير العليا من أدب الاستماع والتحدث إلى التعقيب والتعليق وإبداء الرأي وغيرها، فضلاً عن وجود التغذية الراجعة، التي تؤدي بدورها إلى نمو التربية المتكاملة في مجالات الانضباط الذاتي، والحفاظ على النظام، والشعور بالمسؤولية (الخفاف، ٢٠١٣: ٤٧-٤٩).

أما دور المدرس في هذه الطريقة فيمكن في تحديد عدد المجموعات وأعدادها، إذ تكون غير متجانسة في التحصيل، ومتفاوتة في القدرات والميول، وتخطيط المواد التعليمية،

وتحديد الأهداف السلوكية، التي تعزز التآزر وتحديد الأدوار وتبادلها بما يكفل الاعتماد الإيجابي (قاسم، ٢٠١٤: ٣١-٣٢).

ب- التعليم التبادلي

تعد طريقة التدريس التبادلي واحدة من الطرائق الفاعلة المهمة في الميدان التربوي، فهي طريقة جاذبة تنمي سلوكيات ما وراء المعرفة لدى الطلبة ويشير (جابر، ١٩٩٩: ٣٢٩) إلى أن المقصود بالما وراء المعرفة هو تفكير المتعلمين عن تفكيرهم وقدراتهم في استعمال استراتيجيات تعلم معينة على نحو مناسب، وهي مكونة من معرفة التكوينات المعرفية الإدراكية وآلية تنظيم الذات، مثل: الضبط المعرفي والمراقبة، وتشمل تلك التكوينات المعرفية على المعلومات والفهم، الذي لدى المتعلم عن عمليات تفكيره، وكذلك المعرفة باستراتيجيات التعلم، التي يستخدمها في مواقف تعليمية مختلفة، أما المكون الثاني فهو المراقبة المعرفية وهي قدرة المتعلم على أن يختار الاستراتيجيات الملائمة ويراقبها، لكل من أسلوب تعلمه والموقف الراهن.

وتعتمد هذه الطريقة على ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات الموجودة لدى الطلبة، واختيار نمط التفكير والتخطيط والتقويم، وتقوم على أساس المسؤوليات المشتركة بين المدرس والطالب، وتتميز بفاعليتها المحفزة في المواقف التعليمية، فهي تضع الطالب أمام دورين دور المفكر ودور المشارك، فيصبح أكثر إيجابية وأكثر نشاطاً، مع تنمية المهارات الإجتماعية، واللفظية، والقيمية، ومن ثم فهي تسهم في تحقيق أهداف التعلم (الحميدان، د ت: ص ١-٢).

ويمكن تعريف طريقة التدريس التبادلي، على أنها نشاط تعليمي يؤديه المدرس مع المجموعات الطلابية في داخل حجرة الصف، يستهدف موقفاً تعليمياً، يأخذ شكل الحوار بين المدرس والمتعلمين، فيؤدي كل منهم دوراً مفصلياً في هذه الطريقة، ولا تختصر قيادة المناقشة على المدرس فقط وإنما يمكن للطلبة أن يكون لهم المجال في قيادة النقاش

الجماعي والحوار فيما بينهم، لإثراء النص القرائي بالمستوى المعرفي، الذي يتم معه إدراك المتعلمين لفحواه (الشربيني، ٢٠١٧: ٩).

ويدور محور طريقة التعليم التبادلي على قراءة نص محدد يعده المدرس من ضمن ما يقدمه المحتوى التعليمي؛ ليبدأ الطلبة بقراءته وتحليله، باستعمال أربع مهارات، هي: (التنبؤ، وبناء الاسئلة، والتوضيح، والتلخيص) إذ يتم عن طريقها تعيين أغراض القراءة والقراءة الناقدة، وتقويم أنفسهم والعثور على فكرة رئيسة في النص (ابو الحاج والمصالحة، ٢٠١٦: ١٢٥) ومن ثم تأتي الأنشطة التعليمية على هيئة حوار بين المدرس والطلبة أو بين الطلبة بعضهم البعض، ليتم تبادل الأدوار فيما بينهم طبقاً للمهارات الأربعة آنفة الذكر، وبذلك تحقق الهدف المرجو في فهم المادة المقروءة، والتحكم في هذا الفهم عن طريق مراقبته وضبط عملياته (التعلم النشط، ٢٠١٤: ٥٠) ويرى (الزيات، ٢٠٠٧: ٢٥٦) أن العمليات الفرعية الأربع في طريقة التعليم التبادلي لا بد أن تتضمن:

أ- استنارة الأسئلة عن محتوى النصوص المقدمة.

ب- تليها عملية إيضاح المفاهيم والمعاني غير المفهومة، أو غير الواضحة.

ج- القيام بعملية تلخيص النقاط والمعلومات المهمة.

د- التنبؤ القائم على الفهم والتفسير لما يقرأ.

العمليات الفرعية لطريقة التعليم التبادلي

التساؤل: يفترض هنا أن يكتب أعضاء المجموعة عدد من الأسئلة أمام ما واجههم من علامات استفهام فرضها النص، وذلك لغرض تزويدهم بإجابات عن المعلومات التي يحتاجون إليها للوصول إلى أهداف الموضوع.

التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة الثانوية

التوضيح: وفي هذه المرحلة يتم وضع الإجابات التي حصلوا عليها، سواء بمساعدة المدرس أو عن طريق التداول فيما بينهم، مستعينين بمفاهيم جديدة أو مصادر مساعدة، أمام أسئلتهم واستفساراتهم؛ لكي يكتشفوا أسباب صعوبة الموضوع.

التلخيص: هنا تبدأ مرحلة التحليل والتنظيم واختصار ماتم فهمه من النص والأسئلة واجاباتها، ووضع النقاط المهمة في الموضوع، إذ تتكون لدى الطلبة وحدة متكاملة، لاعادة صياغة ماتعلموه من جديد.

التنبؤ: يتطلب من أعضاء المجموعة أن يضعوا توقعاتهم عن مفهوم النص ويهيئوا إذهانهم إلى استيعابه، ومحاولة ربطه بالخبرات السابقة، وعن طريق ذلك يتم أما دحض التوقعات أو إثباتها (الحميدان، د ت: ٩).

دور مدرس التاريخ في تطبيق الخطوات الإجرائية لطريقة التعليم التبادلي

١- على مدرس التاريخ الذي يقدم طريقة التعليم التبادلي لأول مرة أن يشرح للطلبة الأسباب التي دعتة إلى تطبيق هذه الطريقة، والتي من أهمها وجود بعض الصعوبات، التي تواجههم في محأولتهم فهم النصوص ومحتوى الموضوع، وكيف يمكن أن تساعدهم هذه الطريقة على تقويم أنفسهم أثناء القراءة؟.

٢- أن يقدم مدرس التاريخ شرحاً عاماً، لكيفية التعامل مع هذه الطريقة، موضحاً لهم الفروع الأربعة المتضمنة فيها.

٣- قبل أن يبدأ الطلبة بالتفاعل مع هذه الطريقة، لابد أن يقوم المدرس بنمذجة كيفية استعمال العمليات الاربع، ثم ينسحب تدريجياً، ويترك الطلبة يتبادلون الأدوار في إدارة النقاش، ومن الممكن أن يؤدي طالباً واحداً الأدوار جميعها أو يمكن لطلبة مختلفين أن يؤديوا كل دور على حده، ثم تبدأ عملية طرح الملاحظات والأفكار والأجوبة (دين وآخرون، ٢٠١٢: ١٣٥).

٢- توظيف مدرس التاريخ لتكنولوجيا التعليم

في ظل التطور المعرفي الهائل والثورة التقنية التي شهدها العالم مع نهاية القرن العشرين، والتي اشتملت على مجالات الحياة كافة، إذ لم تكف تظهر فكرة حتى ينبري المخترعون والصناع إلى استثمارها بتصميم جديد يجسدها على أرض الواقع بشكل ملموس، فظهرت الأجهزة المتطورة من الحواسيب والهواتف الذكية وشبكات الانترنت وغيرها من التقنيات المتقدمة، مما أسهم في إحداث تغييرات عديدة في المجالات المختلفة، ومن بينها مجال التربية والتعليم، الأمر الذي وضع المؤسسة التعليمية أمام حاجة ملحة للتعبير عن أهدافها، عن طريق التعامل والتفاعل مع تلك التقنيات وتوظيفها في التعليم لإعداد جيل قادر على مواجهة التحديات المعاصرة، ويقصد بتكنولوجيا التعليم هو "تطبيق المبادئ العلمية في العملية التعليمية، مع التركيز في المتعلم وليس على الموضوع، والاستخدام الواسع للوسائل السمعية البصرية ومعامل التعلم والتعليم المبرمج والآلات التعليمية" (حمدان، ٢٠٠٧ :٦٨)، ويشير (شحاته وآخرون، ٢٠٠٣: ١٥٠) إلى أن تكنولوجيا التعليم هي "تطبيق نظمي لمبادئ ونظريات التعليم عمليا في الواقع الفعلي لميدان التعليم، بمعنى أنها تفاعل منظم بين كل من العنصر البشري في عملية التعليم والأجهزة والآلات والأدوات التعليمية والمواد التعليمية، بهدف تحقيق الأهداف التعليمية أو حل مشكلات التعليم، ومعنى هذا أن تكنولوجيا التعليم تستند إلى أساس نظري، أي يتم توجيهها من طريق نظرية، كما إنها تسير على وفق النظام المحدد، وإن عناصرها تتفاعل في منظومة واحدة، لتحقيق في النهاية أهداف العملية التعليمية".

وقد ازدادت أهمية تكنولوجيا التعليم بعد أن أصبحت من وسائل التواصل المهمة لتبادل البيانات بالصوت والصورة والعرض والبرش المباشر فضلاً عن إرسال الملفات النصية وتحميلها، وقد وفرت هذه الخدمات للمدرسين والطلبة، بل وحتى لإدارات المدارس فرصة كبيرة للاتصال بمصادر المعلومات وتعرف ثقافات الشعوب وتطورها، والأساليب التي يتبعونها في التعليم، وأصبحت مصدراً مهماً ساعد في تحقيق التواصل والاتصال السريع المتزامن وغير المتزامن بين الطالب والمدرس، ومكنت آلياتها وتقنياتها إلى حصول الطالب

والمدرس وعبر محركات البحث والمكتبات العالمية إلى الوصول إلى مراكز المعلومات في المكتبات العامة أو المكتبات الموجودة في الجامعات، وإنها أتاحت للمدرس والطالب على حد سواء وعن طريق تطبيقات معينة على صناعة محتوى تعليمي تفاعلي يحقق الأهداف السلوكية، ويشكل عنصراً إيجابياً ينمي قدرات التفكير الإبداعي لدى الطلبة (العريفات، ٢٠١٤: ٣٠).

وتكمن أهمية استعمال وسائل تكنولوجيا التعليم في أنها تطرح حلولاً ناجعة، لما يمكن أن يواجهه مدرسو التاريخ من مشكلات، أثناء تفاعلهم مع الطلبة في داخل الصف، وتذلل تلك المشكلات ومعالجتها ومن بينها تكرار غياب الطلبة عن المدرسة، والملل الذي يصيبهم جراء التعامل مع المفردات والمفاهيم الجافة، ومشكلة الشرود الذهني، وتشتت المعلومات، فضلاً عن الكثرة المفرطة في أعداد الطلبة في داخل الصفوف، وهي مظاهر مألوفة وشائعة في كل مدارس العراق تقريباً، وكذلك قصور المناهج عن مواكبة تقنيات التعليم الحديثة.

وعلى وفق ذلك فقد تعددت استعمالات تكنولوجيا الاتصالات والتواصل في العملية التعليمية وتتنوع مسمياتها في أبجديات مؤلفات العلوم التربوية والنفسية وأدبياتها والعمليات التي تؤديها، فمن بين المختصين من فضل أن يطلق عليها اسم التعليم عن بعد، ومنهم من فضل تسميتها بالتعليم المفتوح، ومنهم من اختصر تسميتها على التعليم الإلكتروني، وهناك من وجد أن تسميتها بالتعليم المدمج أكثر ملائمة، والحقيقة أن كل هذه المسميات لا تخرج عن الإطار العام، فهي وإن اختلفت في مسمياتها، فإنها لا تختلف في مضمونها ووسائل تفاعلها في العملية التعليمية إلا في مجالات محدودة جداً؛ ولذلك سيكون الكلام في هذا المحور عن التوظيف التكنولوجي في تدريس مادة التاريخ بوصفه نافذة تعليم متطور، يلبي الحاجات التعليمية، مع شرح موجز لكل واحدة من تلك المسميات، للوقوف على خصائصها وأهميتها.

يذكر (شلوسز وسيمونسن، ٢٠١٥: ١) في مؤلفهم المعني بتكنولوجيا التعليم في محور حديثهم عن جزئية التعليم عن بعد على أنه: "تعليم نظامي منظم، تتباعد فيه مجموعات التعلم، وتستعمل فيه نظم الاتصالات التفاعلية؛ لربط المتعلمين والمصادر التعليمية

والمعلمين سويةً". ويستندرك القول بأن التعليم عن بعد له أربعة أسس يقوم عليها في العملية التعليمية وهي:

١- أنه يقوم أساساً على فكرة المؤسسات النظامية، وهو ما يميزه عن باقي مجالات التعليم، التي تضطلع بها المؤسسات الخاصة، المعنية بشؤون التدريب والتعليم، وإداء الاعمال التجارية.

٢- لا يقتصر تحقق التباعد المكاني بين المدرس والطلبة، فحسب وإنما التباعد الزمني وهو ما تعارف على تسميته بالتعليم المتزامن وغير المتزامن، ولا يتصور البعض أن في هذه الحالة يكون المدرس بعيداً عن اهتمامات الطلبة، أو طريقة تفكيرهم، بل إنه على علم تام بأهمية المفاهيم المقدمة، التي لا يعيها الطلبة ليكون التباعد هدف وغاية.

٣- إن وسائل التعليم عن بعد توفر اتصالات تفاعلية بين المعلم والطلبة، وبين الطلبة مع بعضهم البعض، وبين مصادر التعليم والتعلم، وأن يكون متاحاً في أي وقت وأدوات الاتصالات التفاعلية المعروفة هي الهواتف الذكية، والمنصات، وبعض التطبيقات التفاعلية، وغيرها.

٤- يضمن التعليم عن بعد وجود روابط بين الطلبة ومدرسيهم، ومصادر المعلومات، على وفق مامتاح ومتفق مع المقررات ، مع تأكيد في ضرورة اخضاع المصادر إلى شيء من التعديل والتصميم، لتصبح أكثر ملائمة والأهداف التعليمية.

أما ماجاء في الحديث عن التعليم الإلكتروني بوصفه أحد مسميات تكنولوجيا التعليم فقد ذكر (زيتون، ٢٠٠٥: ٢٤) أنه يعني تقديم محتوى تعليمي (إلكتروني) عبر الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاتها، إلى المتعلم، بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى، ومع المعلم ومع أقرانه سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أو غير متزامنة، وكذا إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان، وبالسرية التي تتناسب ظروفه وقدراته، فضلاً عن إمكانية إدارة هذا التعلم، من خلال الوسائط.

وعلى ضوء ما جاء في التعريف أن التعليم الإلكتروني، هو تعليم تفاعلي يعتمد اعتماداً كلياً على الوسائط التي جاءت بها تكنولوجيا التعلم، ليتم إيصال المحتوى المعد بحسب مفردات المنهج إلى الطلبة من دون النظر إلى عامل الزمان والمكان، وعن طريق ذلك يتم تحقيق الأهداف التعليمية، وإذا كان التعليم الإلكتروني قد فصل في المكان بين المدرس والطالب فإن عامل الزمان جاء بمفهومين، الأول هو التعليم الإلكتروني المتزامن الذي يقوم على فكرة تواجد جميع الطلبة مع المدرس في المنصة المخصصة في الوقت نفسه؛ لغرض المناقشة والتفاعل والتقييم، أما المفهوم الثاني فهو التعليم الإلكتروني غير المتزامن وهو لا يشترط دخول الطلبة جميعهم في وقت واحد، بل يترك لهم حرية اختيار وقت الدخول؛ ليحيبوا على أسئلة النشاط المعد من المدرس، وانجاز ما مطلوب منهم، وإرساله (الحلفاوي، ٢٠١١: ١٨)

أما التعليم المدمج فقد عرفه (خميس، ٢٠٠٣ : ٢٥٥)، على أنه نظام متكامل يهدف مساعدة المتعلم في كل مرحلة من مراحل تعلمه، فيبنى على الدمج بين التعليم الاعتيادي والإلكتروني بأشكاله المختلفة داخل قاعات الدراسة.

وعرفه (إبراهيم، ٢٠٠٧ : ٥) بأنه: تعليم يمزج بين كل من التعليم الاعتيادي داخل حجرات الدراسة، والتعليم الإلكتروني؛ لتحقيق الاستفادة من مميزات كلا الأسلوبين.

وللتعليم المدمج ميزات أشار إليها عدد من الباحثين يمكن أن تشير إليها باقتضاب :

- ١- إنه يسهم في الوصول إلى المعلومات المعرفية والعلمية بسهولة ويسر.
- ٢- يسهم في زيادة مستوى التفاعل بين الطلبة ومدرسيهم، وبين الطلبة أنفسهم والمحتوى الدراسي والمصادر الخارجية.
- ٣- توفير الوقت والجهد، والتخلص من المعوقات التي تواجه المدرسين والطلبة أثناء الدوام الحضوري.

- ٤- يمتلك المدرس في التعليم المدمج آليات تقييم مباشرة متعددة.
- ٥- تحول في طبيعة الأدوار، التي يؤديها الطلبة والمدرسين على حد سواء.
- ٦- وجود عنصر المتعة في التعامل مع البرامج لدى الطلبة، مما يعزز من مستوى الدافعية للتحصيل الدراسي وبناء علاقات إنسانية ايجابية.
- ٧- تكون المصادر والبرامج والمحتوى الدراسي متاحة للطلبة في اي وقت، وهذا يساعد بعض الطلبة الذين منعهم ظروف معينة من الحضور للمدرسة (ابو الريش، ٢٠١٣: ٣٣).

يتضح مما سبق أن استعمال تكنولوجيا التعليم ضرورية جدا في تعزيز الدافعية، وزيادة التحصيل الدراسي، فاستعمال المدرس للمدونات المعدة سلفا والتواصل مع الصفوف الألكترونية تتيح الفرصة للطلبة جميعهم في التواصل والافادة القصوى من الموقف التعليمي، وتعطيهم فرصا جديدة بتلقي التقدير من الأقران، إذ تمكن الأدوات الألكترونية والتقنيات الطلبة من نشر أعمالهم واجاباتهم وتحليلاتهم، وماتوصلوا اليه من نتائج على تلك الصفحات، فيتلقون عبارات التشجيع والتقدير سواء من المدرس أو من طلبة آخرين مما يساعد في تعزيز دافعيتهم، ويمنحهم القوة والثقة، ويشعرون بأن عملهم حاز على تقدير الآخرين (دين وآخرون، ٢٠١٢: ٦٩).

خصائص وسائل تكنولوجيا التعليم

إن وسائل تكنولوجيا التعليم توفر عنصر التشويق لدى الطلبة، مما يساعد في تعزيز الدافعية للتحصيل ومن ثم تحقيق عملية التعلم، ويعتمد ذلك على قدرة المدرس على تصميم موضوعات وبرامج ذات خصائص جاذبة ومشوقة، مثل: تقطيع الأفلام التاريخية أو الجغرافية ودمجها في موضوعات المنهج، أو اتباع طريقة إلقاء واضحة ولافتة للإنتباه في تسجيل صوتي يحاكي مفردات الوحدة الدراسية، فيطلق العنان لخيال المتعلمين وتفكيرهم؛ لاكتشاف ماهو جديد، وتساعد في طرد حالة الملل والشروذ الذهني.

ومما لاشك فيه أن تلك الوسائل تكون ملائمة إلى حد ما، لمستوى الطلبة في الجوانب اللغوية والمعرفية والانفعالية، فلا تقتصر على عدد معين من الطلبة، فضلا عن مراعاتها للوقت المقرر دون تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان، وبحسب ما معد في برامج ضمن المقرر الدراسي.

والأهم من ذلك كله أنها تمتاز بالتنظيم في عرض المحتوى الدراسي بدءاً من الكل إلى الجزء ومن المعلوم إلى المجهول بعيداً عن الفوضى والتشتيت أو التعقيد، وكذلك أنها تمتاز بالصدق والدقة والتناسق، وهذا يعتمد على المدرس بالدرجة الأساس وما يقدمه من محتوى، واختياره للموضوعات بشكل دقيق، والتأكد من صحة المعلومات، مع مراعاة التنسيق في العرض ومن ثم يسهم ذلك في تعزيز الدافعية؛ للتحصيل الدراسي للمتعلمين (درويش، ٢٠١٦: ١٥٢-١٥٣).

دور المدرس وتكنولوجيا التعليم

عرفنا أن دور المدرس في التعليم الاعتيادي بوصفه احد أركان العملية التعليمية يتجسد في أنه مصدر المعلومة يقوم بالتخطيط للدرس وإعداد المادة وتهيئة الظروف جميعها، لإنجاز المقرر الدراسي، فضلا عن قيامه بالتغذية الراجعة والتقييم وإجراء الاختبارات، أما في تكنولوجيا التعليم فقد اختلف دوره نتيجة اختلاف الوسائل المستخدمة، إذ لم يعد مصدر المعلومة محصوراً به بل إن المعلومات متوفرة ومتاحة في مصادر متعددة، وأصبح يقوم بالتوجيه والمتابعة والتنظيم، لعملية التعليم، مصمماً للمحتوى ومنسقاً في عملية تبادل المعلومات، وكذلك مفسراً لما هو مبهم وغامض، مذكلاً للصعوبات، التي تواجه الطلبة (بن علي، دت: ١١٠).

كما بات دور المدرس أثناء التعامل مع خدمات الانترنت يشتمل على الاستشارة التخصصية في مجال مصادر المعلومات، إذ يتطلب وجوده مع الطلبة لمساعدتهم في حصولهم على المعلومات من مصادرها بطرائق سريعة وناجحة، وذلك عن طريق تهيئة حقول البحث الخاصة بالموضوعات، وإجراء خطوات تطبيقية أمامهم على آلية الوصول إلى

المعلومة الدقيقة بسرعة، فضلا عن وضع إجابات شافية للأسئلة المحتملة، فيشاركون الطلبة الخبرات والمواقف التعليمية بشكل تعاوني عن طريق اقتراح الحلول للمشكلات التي تواجه الطلبة، وتكون متاحة للجميع وفي اي وقت، وارشادهم إلى آليات التعامل مع المصادر بشكل يمكنهم من تحليل محتواها ونقدها؛ ليعتمدوا بالتفكير الناقد الإبداعي للوصول إلى الأهداف التعليمية المناسبة واختيار الأساليب اللازمة لذلك، ومن هنا صار دور المدرس متداخلا في تحديث المنهج الدراسي وتطويره الذي يراعي حاجات المجتمع في ضوء التغيرات المتسارعة، ليكون مركزاً في تعلم المهارات، التي تخدم تلك الحاجات والأدوار المستقبلية، التي سيضطلع بها الطلبة وإعادة تنظيمه لبناء جسور تكاملية بين المقررات الدراسية (الاحمري، ٢٠١٥: ٥٨-٦٠).

تأثير تكنولوجيا التعليم على دافعية التحصيل الدراسي للطلاب

- ١- إنها تمكن الطالب من امتلاك المهارات الأساسية، للتعامل مع برامج الحاسوب والأجهزة اللوحية.
- ٢- إنها تساعده في التعامل مع الحاسوب، والتواصل كتابياً أو بالصورة والصوت، مما تسهم في التخلص من عقدة الخجل والتردد، التي يعاني منها بعض الطلبة، أثناء وجودهم في صفوف المدرسة.
- ٣- المشاركة الفاعلة والتواصل المباشر وغير المباشر مع المدرس والطلبة.
- ٤- تتيح له التعامل مع تطبيقات الأنترنت في مجال الدراسة، فيكون باحثاً ومستقصياً عن المعلومات والحقائق ومشاركاً في العملية التعليمية.
- ٥- تتيح له فرصة القيام بالواجبات في أي وقت يريده وارسال ماأنجزه من مهام.
- ٦- يتيح للطلبة الاستقلالية والتلقائية، وإدارة الوقت وعمليات التعلم. (عبود، ٢٠٠٨: ٢٩٧)

التاريخ وتكنولوجيا التعليم

إن استعمال تقنيات تكنولوجيا التعليم في تدريس المواد الإجتماعية مهمة ليست سهلة حتماً، لكنها ليست مستحيلة، كون أن التجربة الأخيرة التي مر بها العالم خلال جائحة كورونا قد أفرزت نمطاً جديداً من الحياة دعى الناس والمؤسسات إلى التعايش معها، فاستثمرت المؤسسات التربوية ذلك الوضع الجديد، واتجهت بنقلها إلى تدريب ملاكاتها التربوية على استعمال تقنيات تكنولوجيا التعليم من أجل الاستمرار في العملية التعليمية، وايصال المعلومات إلى الطلبة، ممّا دفع بالكثير من المدرسين إلى محاولة تعرف وسائل تلك التكنولوجيا واتقانها سواء على المستوى الذاتي، أو من طريق دورات تدريبية، أشرفت عليها المؤسسة التربوية.

ومن أجل ذلك فقد وقع على عاتق المدرس أمور مستحدثة، لم يكن يستعملها في حياته المهنية، ألا وهي إعداد المشاريع التعليمية وتصميمها عبر منصات التواصل، وكان لا بد أن يراعي تحقيق الأهداف التعليمية في تصميمه لتلك البرامج، وأن يستعمل استراتيجيات مختلفة من أجل تقليل الفروقات الموجودة في أنماط المتعلمين.

وعلى وفق ذلك فقد تطلب الأمر إعادة النظر في العملية التعليمية بشكل شمولي، تأثراً بما أحدثته هذه التقنيات من تغيير محتوى التربية وطرائقها، ومناهجها، واساليبها، تغييراً جذرياً، وصار لزاماً البحث عن صيغ وأدوات تعزز من دور المدرس في استعمال تقنيات الأجهزة والأنترنت، ولكن شريطة أن تحقق تلك التقنيات الغاية المطلوبة، وذلك عن طريق جملة معايير منها:

١- أن تراعي البرامج المصممة التعليم التفاعلي، وذلك عن طريق تقديم المعلومات والخبرات على شكل فقرات معززة بالأسئلة والأمثلة والتغذية الراجعة، وبأدوات تعزيز متعددة.

٢- أن تسبق البرامج التفاعلية برامج تعليمية، تتخصص في كيفية التعامل مع أجهزة الحاسوب والأجهزة اللوحية، وبرامج الهواتف الذكية، لكي يتمكن الطالب من الإستجابة مع مايطرحه المدرس من موضوعات، وتعزيز إجابات الطلبة بكلمات تشجيعية، دلالة صحة الإجابة أو منحه فرصة للمحاولة مرة اخرى؛ لكي يحقق التغذية الراجعة المطلوبة والتعلم من الخطأ.

٣- ينبغي أن تكون البرامج المعدة فيها عنصر المحاكاة، لظواهر وتجارب يصعب تحقيقها أو تنفيذها، مثل الاحداث التاريخية العظمى، ويتمثل ذلك في جعل الطالب قادراً على فهم ما يحدث والتعايش مع أجواء العالم الافتراضي.

٤- أن تبنى البرامج التعليمية على وفق مبدأ حل المشكلات فيعرض المدرس موقف تعليمي فيه مشكلة ويطلب من الطالب أن يوظف المفاهيم والخبرات السابقة التي تعلمها من قبل.

٥- أن تؤمن تلك البرامج للطلاب خزينا معرفيا وقاعدة بيانات للموضوعات والمواقف والخبرات تمكنه من إسترجاع مايشاء منها بأسلوب إستقصائي.

٦- أن تشمل تلك البرامج على اختبارات تجريبية تؤهل الطالب وتعدده للامتحانات الفصلية والنهائية. (خضر، ٢٠١٤: ٢٦٨)

ومن بين هذه التطبيقات التي يمكن للمدرس إستثمارها وتوظيفها في دروس التاريخ هي:

١- المتاحف الافتراضية المتخصصة: وهي واحدة من المواقع المتخصصة في عرض المواد الخاصة بالتاريخ، فتشمل مثلاً على أنواع الأسلحة القديمة المستعملة في الحروب أو ملابس المقاتلين ووسائل الدفاع والحماية أو صور متحركة للسفن الحربية والتجارية القديمة، أو معروضات لأدوات الكتابة؛ ومن الخرائط المتعلقة بالبلدان قديماً، وحديثاً، وما تتضمنه من بحار، ويايسة، وأنهار، وغابات، وجبال.

٢- الفيديو التعليمي (اليوتيوب): برنامج عرض بالصورة والصوت يعرض الأفلام الوثائقية التعليمية المعدة مسبقاً من المدرس، الخاصة بمفردات المنهج، أو يكون جاهزاً ضمن برامج التقنيات التعليمية، يسهم في تزويد المتعلمين بمعلومات إثرائية، ومشاهدة التجارب، والمواقف التعليمية، كالأفلام التاريخية، والأفلام الوثائقية.

٣- برامج تصميم خرائط المفاهيم: يقوم اساس عمل هذا البرنامج على جعل الطالب قادراً على تصميم خريطة مفاهيم للموضوعات، التي يدرسها، مع إمكانية إجراء تعديلات وإضافات أو طباعتها، أو حتى القيام باختبار تقييمي ذاتي.

٤- أطلس الخرائط الجغرافية: برنامج متخصص يضع بين يدي المتعلم مجموعة من الخرائط، وباشكال مختلفة، منها الخرائط الطبيعية، أو السياسية، أو السكانية.

٥- برنامج خرائط تاريخ العالم: وهو برنامج مصمم للقيام برحلة عبر خرائط تاريخية تفاعلية معروضة على شكل صور تمكن الطالب من النجوال فيها متنقلاً في رحلة تاريخية تعكس التحولات السياسية للبلدان والسكان وغيرها من الامور، وهوتطبيق شيق ينمي مهارات البحث لدى الطلبة.

٦- برنامج تاريخ العالم: هو برنامج معد لإختبار معلومات المتعلمين السابقة، عن طريق طرحه لبعض الاسئلة، وتكون الإستجابات والتفاعل معها والإجابة عليها، وكل إجابة صحيحة يحصل الطالب على درجة، فإذا وصل إلى الحد الأعلى من الدرجات منح هدية كتاب من المكتبة.

نتائج البحث

١- تبين عن طريق الاستطلاع الذي أجراه الباحث مع نخبة من مدرسي الاجتماعيات، إن هناك نسبة معينة من الطلبة يعانون من ضعف التحصيل الدراسي في المواد الإجتماعية.

٢- تبين أن هناك أسباباً عدة تكمن وراء هذا الضعف منها:

* مايتعلق بالمؤسسة التربوية، وما تعانيه من تردي في البنى التحتية، والنقص الموجود في الملاكات التدريسية، فضلا عن قصور المناهج، وتغيير موضوعاتها بين الفينة والأخرى.

* أما ما يخص المدرسين فإن هناك عدداً من المشكلات، التي تعترض طريقهم في تحسين الأداء الوظيفي من بينها ضعف الوازع في بذل الجهد المهني بسبب إنعدام الحوافز، مع شعورهم بحجم العبء الكبير الملقى على عاتقهم في ظل ازدحام الصفوف بالطلبة، وعدم توفر الوسائل التعليمية.

* أما بالنسبة للطلبة فإن طبيعة المواد الإجتماعية المبنية على مفردات ومفاهيم سردية جافة تؤدي إلى الملل والتذمر، فضلا عن تغير حاجة سوق العمل.

٣- إن سبل المعالجة كثيرة ومتعددة، لكنها تعتمد بالدرجة الأساس على جهود مشتركة ما بين المؤسسات التربوية والمدرسين والطلبة أنفسهم.

٤- تكمن أولى المعالجات في عملية فك الاختناق الحاصل في الصفوف، وتقليل عدد الطلبة، لكي يتمكن المدرس من التواصل المستمر مع الطلبة.

٥- من أساليب المعالجة المهمة هو تنمية قدرات المدرسين، وتطوير مهاراتهم، عن طريق الدورات التدريبية الخاصة بإستراتيجيات التدريس الحديثة، والتعليم النشط، ويتمكنوا من التغلب على المعوقات، التي تواجههم أثناء التدريس.

٦- العمل على توفير بيئة صافية ذات خصائص متميزة أول عناصرها، الاحتواء الذي يشتمل على التعزيز، والتشجيع، وتوفير الوسائل التعليمية المتطورة، التي تسهم في اشباع حاجات الطلبة، وتحسين مستواهم.

التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة الثانوية

٧- ان استعمال المدرسين لأساليب وطرائق تدريس حديثة في المواد الإجتماعية، مثل التعليم التعاوني والتعليم التبادلي وغيرها من الإستراتيجيات النشطة، يوفر للطلبة جواً تفاعلياً يعتمد مبدأ تبادل الأدوار، فيكون الطالب محور العملية التعليمية.

٨- إن اعتماد المدرسة وملاكها التدريسي على تكنولوجيا التعليم والوسائل الحديثة في المقررات الدراسية للعلوم الإجتماعية، وتأكيد أهمية هذا الإجراء، لتقليل المشكلات والتخلص من ضعف التحصيل.

قائمة المصادر والمراجع

١. الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠٥م).
٢. ابن منظور: جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن ابي القاسم الانصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، (القاهرة دت)، المجلد الرابع، ج٣٦.
٣. ابراهيم: وليد يوسف، أثر استخدام التعليم المدمج في التحصيل المعرفي للطلبة المعلمين بكلية التربية لمقرر تكنولوجيا التعليم ومهاراتهم في توظيف الوسائل التعليمية واتجاهاتهم نحو المستجدات التكنولوجية التعليمية، بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم، العدد ١٧، (القاهرة ٢٠٠٧م).
٤. احمد: حازم مجيد و ويس: صاحب اسعد، أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى طلبة المدارس الثانوية من وجهة نظر المدرسين والمدركات والطلبة، مجلة سر من رأى ، المجلد الثامن، العدد ٢٨، (جامعة تكريت ٢٠١٢م).
٥. الاحمري: سعدة، التعليم الالكتروني، دار النشر الدولي ، (الرياض ٢٠١٥م).
٦. الاسود: خالد احمد، تدني الدافعية للتعلم الصفي، مجلة رؤى تربوية، منشورات مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، العدد ٢٣، (رام الله ٢٠٠٧).

٧. جابر: عبد الحميد جابر، استراتيجيات التدريس والتعلم، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة ١٩٩٩م).
٨. جري: خضير عباس، دراسات متقدمة في مناهج وطرائق تدريس الاجتماعيات على عينات من المجتمع العراقي، ط٢، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، (بغداد ٢٠١٧م).
٩. الجلاي: لمعان مصطفى، التحصيل الدراسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١١م).
١٠. الجهني: خالد بن لافي بن فريح الرجيبي، أثر استخدام طريقة التعليم التعاوني في تدريس مادة الفيزياء على التحصيل الدراسي لطلبة الصف الثاني ثانوي بالمدينة المنورة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة ام القرى ٢٠٠٢م).
١١. ابو الحاج: سها احمد والمصالحة: حسن خليل، استراتيجيات التعلم النشط، منشورات مركز دبيونو لتعليم التفكير، (دبي ، عمان ٢٠١٦م).
١٢. الحلفاوي: وليد سالم محمد، التعليم الالكتروني تطبيقات مستحدثة، دار الفكر العربي، (القاهرة ٢٠١١).
١٣. حمدان: محمد، معجم مصطلحات التربية والتعليم، منشورات دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠٠٧م).
١٤. الحميدان: ابراهيم بن عبد الله، فاعلية استراتيجية التدريس التبادلي على التحصيل الدراسي ومهارة اتخاذ القرار في مادة الجغرافيا لدى طلبة المرحلة المتوسطة، جامعة الملك سعود، (الرياض دت).
١٥. الحيلة: محمد محمود، مهارات التدريس الصفي، ط٤، دار المسيرة للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١٤م).
١٦. خاطر: نصري ذياب وسبيتان: فتحي ذياب، اساليب وطرائق تدريس الاجتماعيات، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١٠م).
١٧. خضر: فخري رشيد، طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية، ط٢، دار المسيرة، (عمان ٢٠١٤م).

١٨. الخفاف: ايمان عباس، التعلم التعاوني، دار المناهج للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١٣م).
١٩. خلف: عباس علي، اعداد المعلم في مواجهة تحديات المستقبل، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر الأول لقسم التاريخ في مجلة بيت الحكمة، عدد خاص (بغداد ٢٠٢٢).
٢٠. خميس: محمد عطية، تطور تكنولوجيا التعلم، منشورات دار قبا للنشر والتوزيع، (القاهرة ٢٠٠٣م).
٢١. دبور: مرشد محمود والخطيب: ابراهيم ياسين، اساليب تدريس الاجتماعيات، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠٠١م).
٢٢. درويش: بوحة، دور المضامين الوافدة عبر بعض الاجهزة الالكترونية في التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة، اطروحة دكتوراه غي منشورة، جامعة محمد خضير، (الجزائر ٢٠١٦م).
٢٣. دين: سييري بي وآخرون، التدريس الصفي الفاعل، ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، (الرياض ٢٠١٢م).
٢٤. ابو الريش: الهام حرب، فاعلية برنامج قائم على التعليم المدمج في تحصيل طالبات الصف العاشر في النحو والاتجاه نحوه في غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، (غزة ٢٠١٣م).
٢٥. زايد: فهد خليل، التعلم التعاوني، منشورات دار اليازوري للنشر والتوزيع، (دم ، دت).
٢٦. الزبيدي: صباح حسن، اسس بناء وتصميم مناهج المواد الاجتماعية واغراض تدريسها، دار المناهج للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠٠٩م).
٢٧. الزيات: فتحي، صعوبات التعلم والاستراتيجيات التدريسية والمداخل العلاجية، منشورات دار النشر للجامعات، (القاهرة ٢٠٠٧م).
٢٨. زيتون: حسن حسين، رؤية جديدة في التعلم - التعلم الالكتروني - المفهوم القضايا التطبيقية التقويم، منشورات الدار الصولتية للتربية، (الرياض ٢٠٠٥م).

٢٩. زيتون: عايش محمود، المظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠٠٧).
٣٠. سبيتان: فتحي ذياب، ضعف التحصيل الطلابي المدرسي، دار الجنادرية للنشر،(عمان ٢٠٠٩).
٣١. شحاتة: حسن وآخرون، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة ٢٠٠٣م).
٣٢. الشربيني: فوزي، تطبيقات في طرق تدريس الدراسات الإجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، مركز الكتاب للنشر والتوزيع، (دمياط ٢٠١٧م).
٣٣. شلوسر: لي ايرز و سيمونسن: مايكل، التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الالكتروني، ترجمة نبيل جاد عزمي، ط٢، منشورات مكتبة بيروت، (مسقط ٢٠١٥).
٣٤. شواشرة ، عاطف حسن ، فاعلية برنامج في الإرشاد التربوي في استثارة دافعية الإنجاز لدى طالب يعاني من تدني الدافعية في التحصيل الدراسي (دراسة حالة)، مجلة كلية الدراسات التربوية/الجامعة العربية المفتوحة، (عمان ٢٠٠٧).
٣٥. الضرغام: عبد الله بن يحيى بن مبارك، طرائق التدريس الفعالة، منشورات الادارة العامة للتربية والتعليم، (المنطقة الشرقية ٢٠٠٦م).
٣٦. عبد الجابر: حارص، استراتيجيات التعلم النشط، نشرة علمية صادرة عن ادارة سوهاج التعليمية.
٣٧. العريفات: نادية، طرق التدريس المعاصرة، (الكويت ٢٠١٣م).
٣٨. العزوي: نبيل احمد ناصر، أثر استراتيجيات المسأجلة الحلقية في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة الاجتماعيات، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة ديالى،(العراق ٢٠١٨).
٣٩. بن علي: راجية، التعليم الالكتروني من وجهة نظر اساتذة الجامعة، بحث منشور في عدد خاص من مجلة العلوم الإنسانية جامعة باتنة، (الجزائر دت).

التدريس الفعال لمادة التاريخ في المرحلة الثانوية

٤٠. عفيف: صالح بن احمد بن صالح، معوقات تدريس مواد التربية الاسلامية بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر مشرفيها ومعلميها بمكة المكرمة، رسالة ماجستير في طرائق التدريس غير منشورة ، كلية التربية جامعة ام القرى، (الرياض ٢٠٠٩م).
٤١. فرانكفورت: شافا و ناشيماز: دافيد ناشيماز، طرائق البحث في التاريخ، ترجمة: ليلي الطويل، دار بترا للنشر والتوزيع، (دمشق ٢٠٠٤م).
٤٢. قاسم: جميل امين، التعلم والتعليم التعاوني، دار المأمون للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١٤م).
٤٣. نصرالله: عمر عبد الرحيم، تدني مستوى التحصيل والانجاز المدرسي: أسبابه وعلاجه، ط٢، دار وائل للنشر والتوزيع، (عمان ٢٠١٠م).
٤٤. التعلم النشط ، نشرة صادرة عن منظمة اليونسكو عام ٢٠١٢.